

سلسلة الأصفى

الفتوحات الإسلامية

للسيّد الأكبر

محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

محيي الدين بن العربي

(الجزء العاشر، الأسفار: 28-30)

تحقيق

عبد العزيز بن طاهر بن عبد الوهاب



عاصمة الثقافة الإسلامية
CAPITAL OF ISLAMIC CULTURE
وزارة الثقافة - السعودية

سلسلة الصفا

الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

(الجزء العاشر، الأسفار 28-30)

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ 》	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجانية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تمويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).
أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

السفر الثامن والعشرون من الفتوح المكي

1 العنوان ص 13ب، يلي العنوان بقلم صدر الدين القنوي: "إنشاء مولانا الإمام العالم صفوة الأنام شيخ الإسلام، إمام الأمة، قدوة الأئمة، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائفي الحائمي، رحمه وأرضاه به منه". يليه بقلم الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القنوي عنه" وختم الأوقاف الإسلامية برقم 1758 وطابع دمعة برقم 1872، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: 232 صحيفة. يلي ذلك في عرض الصفحة: "وقف هذا الكتاب مع باقيه بالتأم صاحبه الشيخ الإمام العالم الراسخ الفرد صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد، على المكان المذكور في باقي الكتاب وشرط أن لا يخرج منها لا يوهن ولا يغيره، بل يرضع به هناك خاصة، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الفصل الخامس في التنازل

الباب الرابع

في التنازل وبيان ما فيه من معاني التنازلات

الكتابية وهو من سر قوله عز وجل وما كان

لنسران يذله الله إلا وحيا أو من وراء حجاب

سئل عن العلم فينبذ

حقائق الحق والعباد

بلا تبال ولا سراية

ولا جدال ولا عنيا

نقل لعلي بن أبي حمزة عن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم قال العلم

مكة من العلم إلى صلاح

وبعض من العلم إلى فساد

فانفع من العلم علم لنفسه

للسير الراجح الجواد

اعلم انك والله وانما

ودفع العز عليهم في نفوسهم يقول لهم المنفعة ليست
 محزكم الزنا اقتضاء لكم العز بالله لا بنفوسكم فيعتزرون
 في ملكهم بعز الله مستحق العز لله بالاصالة ورسوله وللمو
 سى خلقه الاية لا بالاصالة فيستعبدون سزا العلم عند
 الله ومحدونه في التجل المستأنف مع ان العلماء بالله لا يزالون
 في بقاء اما لما علموا ان الحق عن كل صورة ومع سزا نلتهم
 التجل العلام في الشئب فان ذلك يعكس وما اخر خلات
 سزا الزوق الزنا محدوده داما والله يقول الحق وهو يهتد
 السبيل

اسم السفسر الباس والعقرون داما
 الباب العاسر واربع مانه ملوك السفسر
 الساسع والعقرون الباب الاشر عشر
 واربع مانه م معرفة سازه فسس معلمه
 ا وكتاب سرحل الدار من حضه كاد
 ملامه دخل الباس هاهم الاكاد ولا ملامه
 هاه واما هم على الشرا

عز العز
 على سزا
 ملامه
 داما
 واما هم

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الفصل الخامس في المنازلات

الباب الرابع والثمانون وثمانمائة

في معرفة المنازلات الخطائية

وهو من سرِّ قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيَا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾² -

(وهو من الحضرة المحمدية)³

مُنَازَلَاتُ الْمَلُومِ تُبَيِّدُ	خَطَائِقُ الْحَقِّ وَالْعِبَادِ
بِلَا تَقَالٍ وَلَا مِرَاءٍ	وَلَا جِدَالٍ وَلَا عِنَادِ
فَقُلْ لِعَقْلِي: اقْصِرْ فَتَقْلِي	عَيِّدِي إِلَى الْعِلْمِ وَالرَّشَادِ
فَكُلُّ ذِكْرِي إِلَى صَلَاحٍ	وَتَقْصُ فِكْرِي إِلَى فَسَادِ
فَأَتَّقِ الْعِلْمَ عِلْمُ قَفَرِي	لِلسَّيِّدِ الْوَاحِبِ الْجَوَادِ

اعلم أيديك الله وإيانا - أَنَّ المنازلة فعلٌ فاعلين هنا، وهي تنزَّل من اثنين؛ كل واحد يطلب الآخر لينزل عليه أو به؛ كيف شئت فقل. فيجمعان في الطريق في موضع معين؛ فتستى تلك منازلة لهذا الطلب من كل واحد. وهذا النزول، على الحقيقة، من العبد صعود. وإنما سميته نزولا لكونه يطلب بذلك الصعود النزول بالحق. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾⁴ فهو بَرَأة الذي يسري به إليه، وينزل به عليه. ويقول تعالى - في حق نفسه على ما ذكره رسول الله ﷺ عنه فقال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة» الحديث بطوله. فوصفه بالنزول إلينا ولنا. فهذا نزول حق لخلق، ومنا نزول خلق بحق؛ لأنه لا يمكن لنا أن يكون لنا العلو والكبرياء والغنى عنه. فلنا صفة الصغار والفقر إليه، وله صفة الغنى والكبرياء.

1 البسلة ص 2

2 [الشورى : 51]

3 "وهو...الحمدية" مضافة هنا وموجودة في الفهرس الرئيسي بقلم المؤلف.

4 ن "النبي" ومصححة بجانبها بقلم المؤلف: "العلم".

5 ص 2ب

6 لفظ "معين" مكتوب يامش الصفحة بقلم المؤلف

7 [فاطر : 10]

وَكَلَّمْنَا إِلَيْهِ فَقِيرٌ وَكَلَّمْنَا لَدَيْهِ صَغِيرٌ
وَكَلَّمْنَا تَرَاهُ سَوَانَا وَهُوَ الْغَنِيِّ عِنَّا الْكَبِيرُ
إِلَّا أَنَا فَإِنِّي أَرَاهُ غَنِيِّي وَإِنِّي لَخَبِيرٌ
وَيَعْدُ أَنْ عِلْفَتْ ذَا قُلْتُ إِنِّي إِلَى غِنَاهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ

وعلى الحقيقة؛ فبنا ننزل عليه، وبنا ينزل علينا. ولولا ذلك ما¹ علمنا ما يقول في خطابه لنا؛ فإنه الغني الحميد. وعلى حقيقة الحقيقة؛ فبه تنزل عليه، وبه ينزل علينا. وسواء كانت منازلة أو نزولا تاماً²، فيكون (هو) المتكلم والسامع؛ فهو يعلم ما يقول؛ فإنه سَمِعَ من كان هذا مقامه؛ فما سمع كلامه غيره. ولما كان هو الأصل، لم يكن إلا به؛ فلنَّ الفرع بصورة الأصل يخرج، وفيها يظهر الغمر - أعني في الفروع - وتحصل الفوائد، كما هي محل³ الحواشي؛ لما تمَّ إلا هو.

لَوْ كَانَ لِي إِلَيْكَ سَبِيلُ مَا كَانَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلُ
لِذَاكَ أَنتَ رَبُّ عَزِيزٌ وَإِنِّي الْعَبِيدُ الذَّلِيلُ
عَجِبْتُ مِنْ إِلَهٍ وَعَبْدٍ فِي مَنْزِلٍ عَلَيَّ يَسُولُ
إِضَافَةٌ وَخَرْفٌ شَمُولُ بِأَنَّهُ وَنَحْنُ عَدِيلُ
اللَّهُ قَالَ لَمْ يُقْلَهُ كَوْنٌ فَقُلْتُ إِذْ يَقُولُ

ومن ذلك:

هَذَا هُوَ الْأَمْرُ إِلَيْي لَا بُدَّ مِنْهُ وَكَفَى
فَاعْمَلْ عَلَى قَوْلِي إِذَا كُنْتُ بِهِ مُنْصِيفَا
وَكُنْ إِذَا نَظَرْتُكَ الْحَقُّ عَلَيْهِ مُنْصِيفَا
فَأَنْتَ إِنْ خَالَفْتَهُ كُنْتُ بِهِ عَلَى شَفَا

واعلم⁴ أن الحق لا يكلم عباده ولا يخاطبهم إلا من وراء حجاب صورة يتجلى لهم فيها، تكون له تلك الصورة حجاباً عنه ودليلاً عليه؛ كالصورة الظاهرة الجسدية من الإنسان؛ إذا أرادت النفس الناطقة أن تكلم نفساً أخرى، كلمتها من وراء حجاب صورة جسدها بلسان تلك الصورة ولقتها، مع كون النفس

1 ص 3

2 ق: تام

3 ثابت في الهامش بقلم المؤلف.

4 ص 3ب

مخلوقة، وأمرها كما ذكرناه؛ فكيف بالخالق؟ فلا يشهد المنازلُ، في المنازل الحطائية، إلا صوراً عنها تأخذ ما تترجم له عنه من الحقائق والأسرار، وهي السنة الفهوية.

وحدُ المنازل (بجالة) من العماء إلى الأرض وما بينها. فهما فارقَتِ الصورةَ العماء، وفارقَتِ الصورةَ الإنسانيةَ الباطنةَ الأرض، ثم التقتا؛ فتلك المنازل. فإن وصلت إلى العماء، أو جاءها الأمر إلى الأرض؛ فذلك نزول، لا منازل، والحل الذي وقع فيه الاجتماع (يسقى): منزل.

وتسقى هذه الحضرة التي منها يكون الخطاب الإلهي لمن شاء من عباده: حضرة اللسن، ومنها كلم الله تعالى - موسى عليه السلام. ألا تراه تجلّى له في صورة حاجته؟ ومنها أعطي رسول الله ﷺ جوامع الكلم؛ فجمع له في هذه الحضرة صور العالم كلها. فكان علم أسماء هذه الصور علم آدم عليه السلام، وأعيانها حمد ﷺ مع أسمائها التي أعطيت آدم عليه السلام، فإن آدم من "الأولين" الذين أعطى الله محمداً ﷺ عليهم حين قال عن نفسه إنه أعطاه الله علم الأولين والآخرين. ومنها آتى الله تعالى - داود عليه السلام: ﴿الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْكَلَامِ﴾¹.

وجميع الصحف والكتب المنزلة من هذه الحضرة صدرت، ومنها أُمِلَ الحقُّ على القلم الأعلى ما سطره في اللوح المحفوظ. وكلامُ العالم كله؛ غيبه وشهادته (إنما هو) من هذه الحضرة، والكل كلامُ الله؛ فإنها الحضرة الأولى. فإنَّ الممكنات أول ما لها من الله تعالى - في إيجادها قول: "كن" فتشَقَّ الأساع من الممكنات هذا الخطاب. ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾² في الجنة: ﴿الْخُفْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عند قول الله لأهل الجنة: «رضائي عنكم فلا استعظ عليكم أبداً». ولولا نفس الرحمن ما ظهرت أعيانُ الممكنات (التي هي) الكلمات.

واعلم أنَّ الحركات كانت ما كانت - لا تكون إلا من متحرك في شيء، عن قصد من المحرك كان المحرك نفسه أو غيره - فتحدثت الصور عن حركته، لا بل عن تحركه فيما تحرك فيه بحسب قصده. فتتشكل الصور بحسب الموطن³، وبالقصد الذي كان من المحرك. كالحروف في النفس الخارج من الإنسان؛ إذا قصد إظهار حرف معين لإيجاد عينه في موطنه الذي هو له؛ انتحنت صورة الحرف في ذلك الموطن؛ فعينُ لذلك الحرف اسماً يخصه، يتميز به عن غيره إذا ذكر، كما يتميز صورته عن صورة غيره إذا حضر.

1 ص 4

2 [ص: 20]

3 [بونس: 10]

4 ص 4

وذلك بحسب امتداد النفس. ثم إذا قصد إظهار كلمة في عينا؛ قصد عند إظهار أعيان الحروف في نفسه إظهار حروف معينة، لا يظهر غيرها. فينضم في السمع بعضها إلى بعض؛ فتحدث في السمع الكلمة؛ وهي نسبة ضم تلك الحروف، ما هي أمر زائد على الحروف، إلا أنها نسبة تجمعها. فتعطي تلك الجمعية صورة لم تكن الحروف مع عدم هذه النسبة الجمعية- تعطيها. فهذا تركيب أعيان العالم المركب من بسائطه؛ فلا تشهد العين إلا مركباً من بسائط، والمركب ليس بأمر زائد على بسائطه، إلا نسبة جمع البسائط.

وإنما ذكرنا هذا حتى تعلم أن ما تشهده العين والتركيب في أعيان هذه الحروف- لا يتأخر؛ فلذلك لا تنفذ كلمات الله. فصور الكلمات تحدث؛ أي تظهر دائماً؛ فالوجود والإيجاد لا يزال دائماً. فاعلم أن المركب- من أنت؟ وماذا تركيب؟ وكيف لم تظهر لعينك في¹ بسائطك، وظهرت لعينك في تركيبك؟ وما طراً أمر وجودي إلا نسبة تركيب تحكم عليه بأمر لم تكن تحكم به قبل التركيب، فانهم.

أنشأ صورة "كن" من النفس، ثم الكلمات عن "كن" لما أظهرت إلا كلمات كلها عن "كن". وهي لفظة أمر وجودي، لما ظهر عنها إلا ما يناسبها من حروف مركبة تجمع مع "كن" في كونها كلمة، لما أمره² يعني³ إلا واحدة وهو قوله :- "كن" قال تعالى :- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾⁴ وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁵ ذلك الشيء في عينه. فيتصف ذلك المكون بالوجود بعد ما كان يوصف بأنه غير موجود، إلا أنه ثابت مدحج في النفس، غير موجود الحرفية. فالمنزلة الأصلية تحدث الأكون، وتظهر صور الممكنات في الأعيان. فمن علم ما قلناه؛ علم العالم؛ ما هو؟ ومن هو؟ فسبحان من أخفى هذه الأسرار في ظهورها، وأظهرها في خفائها!. فهي الظاهرة الباطنة، والأولى والآخرة لقوم يعقلون.

والعين واجدة والحكم للنسب والعين ظاهرة والكون للسبب

قال تعالى: ﴿وَمَا زَمَيْتُ﴾ فنفي ﴿إِذْ زَمَيْتُ﴾ فأثبت عين ما نفى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فنفي عين ما أثبت؛ فصار إثبات الرمي وسطاً بين طرفي نفي؛ فالنفي الأول عين النفي الآخر. فمن الحال أن يثبت عين الوسط بين النفيين؛ لأنه محصور. فيحكم عليه المحصر، ولا سبياً والنفي الآخر قد زاد على النفي الأول

1 ص 5

2 فاجة في الهامش بقلم المؤلف.

3 [الفر: 50]

4 [النحل: 40]

5 ص 5ب

6 [الأغال: 17]

بإثبات الرمي له، لا للوسط. فثبت الرمي في الشهود الحسني لحمد ﷺ ثبوت محمد ﷺ في كلمة الحق. فكما هو "رام، لا رام" كذلك هو في الكلمة الإلهية: "محمد، لا محمد" إذ لو كان محمدا كما تشهد صورته، لكان راميا كما تشهد زمنيته. فلما نفى الرمي عنه الخبر الإلهي انتفى عينه؛ إذ لا فرق بين عينه وزمنيته. وهكذا: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾¹.

وهذه هي البصيرة التي كان عليها الدعاة إلى الله: يعلمون من يدعو إلى الله، ومن يدعى إلى الله؛ فالإدراك واحد. فإذا أدرك به الأمر على ما هو عليه سمي: بصيرة؛ لأنه علم محقق. وإذا أدرك به عين نسبة ما ظهر في الحس؛ سمي: بصرا. فاختلفت الألقاب عليه باختلاف الموطن، كما اختلف حكم عين الأداة. وإن كانت بصورة واحدة- حيث كانت باختلاف الموطن. مثل أداة لفظة "ما" لا شك أنها عين واحدة؛ ففي موطن تكون نافية، مثل قوله: ﴿وَمَا يَفْلَهُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾² وفي موطن تكون تعجبا مثل قوله: ﴿فَمَا أَضْبَرْتُمْ عَلَى الثَّارِ﴾³ وفي موطن تكون مميته مثل قوله: ﴿وَرَبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁴ وفي موطن تكون اسما مثل قوله: ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾⁵ إلى أمثال هذا، وقد تكون مصدرية، وتأني للاستفهام، وتأني زائدة، وغير ذلك من مواطنها. فهذه عين واحدة حكمت عليها المواطن بأحكام مختلفة.

كذلك صور التجلي (هي) بمنزلة الأحكام لمن يعقل ما يرى. فأبان الله لنا خيا ذكره في هذه الآية- أن الذي كنا نظنته حقيقة محسوسة؛ إنما هي متخيلة، يراها رأي العين؛ والأمر في نفسه على خلاف ما تشهد العين. وهذا سار في جميع القوى الجسائية والروحانية. فالعالم كله في صور مثل منصوبة. فالخضرة الوجودية إنما هي خضرة الخيال؛ ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل؛ والكل متخيل. وهذا لا قائل به إلا من أشهد هذا المشهد. فالفيلسوف يرمي به، وأصحاب أدلة العقول كلهم يرمون به، وأهل الظاهر لا يقولون به؛ نعم، ولا بالمعاني التي جاءت له هذه الصور. ولا يقرب من هذا المشهد إلا السوفسطائية. غير أن الفرق بيننا وبينهم؛ أنهم يقولون: "إن هنا كله لا حقيقة له" ونحن لا نقول بذلك؛ بل نقول: "إنه حقيقة" ففارقنا جميع الطوائف، ووافقنا الله ورسوله بما أظنناه بما هو وراء ما أشهدناه. فعلمنا

1 [الأخلاق : 17]

2 [آل عمران : 7]

3 ص 6

4 [البقرة : 175]

5 [الحجر : 2]

6 [المائدة : 117]

ما نشهد، والشهود عناية¹ من الله أعطاها إيانا نور الإيمان الذي أثار الله به بصائرنا.

وَمَنْ عَلِمَ مَا تَرَاهُ؛ عَلِمَ عِلْمَ الْأَرْضِ المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم ﷺ وَعَلِمَ أَنَّ الْعَالَمَ بأسره، لا بل الموجودات، هم عمَارُ تلك الأرض. وما خلص منها إِلَّا الْحَقُّ تعالى- خالقها ومنشئها، من حيث هويته؛ إذ كان له الوجود، ولا هي. ولولا ما هو الأمر على ما ذكرناه؛ ما صَحَّتْ المنازلة بيننا وبين الحق، ولا صَحَّ نزولُ الحق إلى السماء الدنيا، ولا الاستواء على العرش، ولا العماء الذي كان فيه رُثْمًا قبل أن يخلق خلقه. فلولا حَكْمُ الاسم "الظاهر" ما بدت هذه الحضرة ولا ظهر هذا العالم بالصورة، ولولا الاسم "الباطن" ما عرفنا أَنَّ الرائي هو الله في صورة محمدية فما فوق ذلك من الصور فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾² وهو بشر ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، مثل قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَى﴾ فالراي هو الله والبصر يشهد محمدًا ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ صورة بشرية؛ لتقع المناسبة بين الصورتين بالخطاب ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ وهو ترجمان الحق في قلب العبد ﴿يُنَزِّلُ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾³.

فإذا أوحى الله إلى الرسول البشري من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط، وألقاه الرسول علينا؛ فهو كلام الحق لنا من وراء حجاب تلك الصورة المستقاة: رسولاً؛ إن كان مرسلًا إلينا، أو: نبياً، وقد تكون هذه الرتبة لبعض الأولياء. فإذا انكشف الغطاء البشري عن عين القلب؛ أدرك جميع صور الموجودات كلها بهذه المثابة: في خطاب بعضهم بعضاً، وسماع بعضهم من بعض. فاتخذ المتكلم والسماع، والباطن والساعي، والحس والتمثيل، والمصور والحافظ، وجميع القوى المنسوبة إلى البشر.

فالمنازلات كلها برزخية بين ﴿الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ﴾⁴ وصور العالم وصور التجلي؛ ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾⁵ فالترجم (هو) المتكلم. وقد عرفنا أَنَّ الكلام المسموع هو كلام الله، لا كلامه. فتتظر ما جاء به في خطابه البرزخي، وافتح عين الفهم لإدراكه، وكن بحسب ما خاطبك به. ولا يَسْمَعُ كلام الله إِلَّا بسمع الله، ولا (يسمع) كلام الصورة إِلَّا بسمع الصورة، والسماع من وراء السمع، والمتكلم من وراء الكلام، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُجِيبٌ. بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾⁶ من التبديل

1 ص 6ب

2 [الشورى : 51]

3 [الشعراء : 193، 194]

4 ص 7

5 [الحديد : 3]

6 [الفرقة : 6]

7 [البروج : 20 - 22]

والتغير. فإما ما يدلّ على توحيد، وإما صفة تنزيه، وإما صفة فعل، وإما ما يعطي الاشتراك، وإما تشبيه، وإما حكم، وإما قصص، وإما موعظة بترغيب أو ترهيب، أو دلالة على مدلول عليه. فهو محصور بين محكم ومتشابه كل خطاب في العالم.

ف﴿الطور﴾¹: الجسم لما فيه من الميل الطبيعي²؛ لكونه لا يستقلّ بنفسه في وجوده، ﴿وكتاب مسطور﴾³ عن إملاء إلهي، وعين كاتبة بقلم اقتداري ﴿في زق﴾ وهو عيّنك؛ من باب الإشارة، لا من باب التفسير، ﴿منشور﴾⁴ ظاهر غير مطويّ فما هو مستور، ﴿والنبئت المنصور﴾⁵ وهو القلب الذي وسع الحقّ فهو عامّزه، ﴿والسّقف المنزوع﴾⁶ ما في الرأس من القوّة الحسيّة والمنويّة ﴿والنّخر المنسجور﴾⁷ أي الطبيعة الموقدة بما فيها من النار الحاكّم الموجب للحركة، ﴿إنّ عذاب زيك لأوقع﴾⁸ أي ما ما تستعذبه النفس الحيوانيّة، والروح الأمريّ، والعقل العلويّ؛ من سيدها المربيّ لها، المصلح من شأنها ﴿لأوقع﴾ (أي) لساقط عليها؛ إذ كانت لها المنازل السفليّة؛ من حيث إمكانها مطلقاً، ومن حيث طبعها مقبداً، ﴿مأله من دافع﴾⁹ لأنّه ما ثمّ غير ما ذكرناه؛ فمن عندنا التلقّي لتدليّه، والترقيّ لتدانيه، وبين هذين الحكّمين ظهور البرازخ، التي لها الجدد الشامخ، والعلم الراشح.

وقد تكون المنازلة بين الأسماء الإلهيّة مثل المنازلة في الحرب على هذا الإنسان إذا خالف أمر الله. فيطلبه "التوّاب، والغفور، والرحمن" ويطلبه "المنتقم، والضاّر، والمذلّ" وأمثالهم. وقد ورد في الحديث من هذا الباب قوله تعالى: «ما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّد في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأكره مساءته»¹⁰ ولا بدّ له من لقائي وهذا من المنازلة.

وقد ذقّت هذا الكشف؛ رأيته من الله في قتل الدجّال، بحضور رسول الله ﷺ معي فيه. ومن هنالك افتتح لي باب بسط الرحمة على عباد الله، وعلمت أنّ رحمته وسعت كلّ شيء؛ فلا بدّ أن ينفذ حكمها في

1 [الطور : 1]

2 ص 7ب

3 [الطور : 2]

4 [الطور : 3]

5 [الطور : 4]

6 [الطور : 5]

7 [الطور : 6]

8 [الطور : 7]

9 [الطور : 8]

10 ص 8

كل شيء، وعلمت حكمة انعدام الأعراض لأنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها، وخلق الله الأمثال في الحل أو الأضداد. إذ لو ثبت غرض ثبوت محله إذا لم يكن محله معنى مثله أي عرض آخر مثله في العرضية - لبقى كما يبقى الجوهر، ولم تكن تبدل حاله على الجوهر. فيكون إما دائماً الشقاء من أول خلقه، أو دائماً السعادة. فتكون (عندئذ) رحمة الله قاصرة على أعيان مخصوصين، كما تكون بالوجوب في قوم ممنوعين بنعت خاص. وفيمن لا ينالها بصفة مقيدة وجوبا، تناله الرحمة من باب الامتنان، كما نالت هذا الذي استحضرها ووجب له بالصفة التي أعطته فأنصفت بها؛ فوجبت الرحمة له. فالكمل على طريق الامتنان نالها ونالته؛ فما تم إلا مئة إلهية أصلا وفرعا.

ثم تسري المنازلة بين الإصبعين من أصابع الرحمن في القلب في ميدان الإرادة. فإن أزاعه؛ أزاعه رحمان، وإن أقامه؛ أقامه رحمان؛ فما تم حكم إلا له؛ لأنه المستوي¹ على العرش؛ فلا تنفذ الأحكام إلا من هذا الاسم.

ثم تظهر المنازلة بين الملك والشیطان على القلب باللّتين اللتين يجدهما المكلف في قلبه. فإن لم يكن مكلفاً ووجد التردّد في قلبه؛ فلا يخلو إما أن يكون في دار تكليف، أو لا يكون. فإن كان في دار تكليف؛ فالتردّد إنما هو من اللّمة الملكية واللّمة الشيطانية؛ يطلب كلّ واحد منها لما شذت فيه لّفته، أن يكون للمكلف² في ذلك دخول بإعانة في فساد؛ فيجوز الإثم عليه. كصبيّين لم يلفا حدّ التكليف؛ فيتضاربان عن لّمة الشيطان التي غلبت على كلّ واحد منها، فيجيء والهاهما، أو شخصان من قرابتهما، أو جيرانهما، أو من كان من الحاضرين من الناس؛ فيدخلون بينهما بغير ميزان شرعي؛ بل هيئة غرض. فرما يؤدي ذلك إلى أن يكتسبوا إنما فيما سعوا به في حقهما. فلهذا تكون حركة الصبيّ بالشرّ عن لّمة الشيطان، فانهم واعرف المواطن؛ تفز بالعلم الأتم.

وإن كان (صاحب هذا القلب) غير مكلف ولا في دار تكليف، ووجد التردّد في أمر بين فعلين لا حرج عليه فيما يفعل منهما؛ فذلك التردّد والمنازلة بين الخاطرين؛ كالتردّد الإلهي، غير أنه في العبد من أجل طلب الأولى والأعلى في حقه، كما يتردّد³ المكلف بين طاعتين؛ أيهما يفعل؟ فهذا تردّد إلهي، ما هما عن اللّتين؛ إنما هما غرضان، أو غرض واحد تعلّق بأمرين؛ إما على التساوي، أو بإيالة ترجيح يقتضيه الوقت.

1 ص 8

2 ق: لكلف

3 ص 9

وما هو مكلف ولا في دار تكليف. لأنه لولا التكليف ما قرب شيطان إنسانا بإغواء أبدا؛ لأنه عبث، والعبث لا يفعله الحق؛ لأن الكل فعله ﴿وَالَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾¹. فصاحب علم المنازلات لا بد له أن يقف على هذا كله وأمثاله، وكلُّ تردّد في العالم كله فهذا أصله.

أما التردّد الإلهي، أو الإصبعان، أو اللتان؛ فشيء آخر له حكم ما هنالك. والأصل (هو) التردّد الإلهي، وما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية المتقابلة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾². فلنذكر في هذا الفصل بعض ما حصل لنا في المنازلات من المعارف الإلهية؛ فإنها أكثر من أن نحصى. فمن ذلك ما نذكره.

1 [هود : 123]

2 [الأحزاب : 4]

الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة

في معرفة منازل: مَنْ حَقَّرَ غُلْب، ومن استهين مُنِع

لَا تَخْفَرَنَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَهُمْ
 أَلْبَسَ¹ أَسْمَاءَهُ تُبْدِي حَقَائِقَهُمْ
 إِلَّا إِذَا ائْتَكُوا الشَّرْعَ الَّذِي ائْتَكْتُ
 فَقَرَّ مِنْ أَجْلِ جَمَى الرَّحْمَنِ إِنَّ لَهُ
 فَإِنَّ أَسْمَاءَكَ الْحُسْنَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى تُسَاطُ وَتُذْنِبُا الْوَسَايَا

اعلم أيُّدنا الله وإياك بروح القدس- أَنْ احتقار شيء من العالم لا يصدر من تقوى يتقي الله، فكيف من عالم بالله؛ عِلْمٌ دليل أو عِلْمٌ ذوق؟ فإنه ليس في العالم عينٌ إلَّا وهو من شعائر الله، من حيث ما وضعه الحقُّ دليلًا عليه، ووصف من يعظم شعائر الله فقال: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ²﴾ أي فإنَّ عَظَمَتُهَا من تقوى القلوب، أو الشعائر عينها من تقوى القلوب.

ثم إنَّ كلَّ شعائر الله في دار التكليف، قد حَدَّ الله للمكلف في جميع حركاته الظاهرة والباطنة حدودًا، عَمَّتْ جميع ما يتصرَّف فيه روحًا³ وحسًا بالحكم، وجعلها حرمةً له عند هذا المكلف فقال: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ⁴ وَتَعْظِيمُهَا (هو) أَنْ يقيمها حرمةً كما خلقها الله في الحكم؛ فَإِنْ تَمَّ أَمُورًا تَحْرِجُهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ حُرُمَاتٍ، كَمَا (أَنَّهَا) تَكُونُ فِي الْبَارِ الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ مَنَعٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ⁵﴾، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ⁶﴾ وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الَّتِي يُدْخِلُ فِي شُغْلٍ فَكَهْنُونَ⁷﴾ وارتفع الحجر.

فربما يقام العبد في دار التكليف في هذا الموطن؛ فيريد التصرّف فيه كما تعطيه حقيقته ولكن في

1 ص 10

2 [الحج : 32]

3 ص 10

4 [الحج : 30]

5 [الزمر : 74]

6 [صلت : 31]

7 [يس : 55]

موطنه؛ فَيُسْقِطُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ؛ فَلَا يَرْفَعُ بِهَا رَأْسًا، وَلَا يَجِدُ لَهَا تَعْظِيمًا؛ فَيَفْقِدُ خَيْرَهَا إِذَا لَمْ يَعْظُمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾¹ وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا وَلَمْ يَتَوَعَّدْ؛ بِسَبَبِ أَصْحَابِ الْأَحْوَالِ، إِذَا غَلِبَتْ عَلَيْهِمْ؛ كَانُوا أَمْثَالَ الْجَانِينِ: ارْتَفَعَ عَنْهُمْ الْقَلَمُ؛ فَيُفَوِّتُهُمْ لِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ. وَلِهَذَا لَا يَطْلُبُ الْحَالُ أَحَدًا مِنَ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْمَقَامَ. وَنَحْنُ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ، لَمَّا فَاتِنَا فِي هَذِهِ الْمَارِ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدْ فَاتِنَا خَيْرُهُ هُنَاكَ؛ فَنَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِنَايَةِ عِنْدَ اللَّهِ؛ بِقُوَّةِ هَذَا الْخَيْرِ. هَذَا إِذَا لَمْ نَتَعَمَّلْ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْحَالِ الَّذِي يَفُوتُنَا هَذَا الْخَيْرُ! فَكَيْفَ بِنَا إِذَا² اتَّصَفْنَا بِهَذَا الْحُكْمِ الْمَفُوتِ لِلْخَيْرِ عَنْ نَظَرٍ فِي أَصُولِ الْأُمُورِ حَتَّى نَعْرِفَ بَعْضَ حَقَائِقِهَا؛ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْبَعْضِ الْمَفُوتِ لَنَا هَذَا الْخَيْرُ؟ وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ أَصْحَابِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حَالِ ذَوْقِي. اللَّهُ يَعِينُنَا مِنْهُ حَالًا وَنَظَرًا.

وَلَمَّا كَانَ الدَّلِيلُ يَشْرُفُ بِشَرَفِ الْمَدْلُولِ، وَالْعَالَمُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ، فَالْعَالَمُ شَرِيفٌ كُلُّهُ. فَلَا يُخْتَقَرُ شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا يَسْتَهَانُ بِهِ. هَذَا إِذَا أَخَذْنَاهُ مِنْ حِجَّةِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ. وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَقْلَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾³ الْآيَاتِ النَّظَرِيَّةِ كُلِّهَا الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁵ الْآيَةِ، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾⁶ وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْسُجُدُ لَهُ﴾⁷ الْآيَةِ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَنَهُمْ آيَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَشْشَمْسِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ﴾⁸ وَأَمْثَالَ هَذِهِ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ؛ فَكُلُّ جُزْءٍ فِي الْعَالَمِ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ أَوْجَدَهُ اللَّهُ؛ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَبْدًا فِي وَجُودِهِ إِلَى حَقِيقَةِ الْهَيْئَةِ. فَمَنْ حَقَّرَهُ أَوْ اسْتَهَانَ بِهِ؛ فَإِنَّمَا خَفَّرَ خَالِقَهُ وَاسْتَهَانَ بِهِ وَمُظْهِرَهُ. وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ فَإِنَّهُ حِكْمَةٌ⁹ أَوْجَدَهَا اللَّهُ لِأَنَّهُ صَنَعَهُ حَكِيمٌ؛ فَلَا يَظْهَرُ إِلَّا مَا يَنْبَغِي، لَمَّا يَنْبَغِي، كَمَا يَنْبَغِي. فَمَنْ عَمِيَ عَنْ حِكْمَةِ الْأَشْيَاءِ؛ فَقَدْ جَهِلَ ذَلِكَ الشَّيْءَ، وَمَنْ جَهِلَ كَوْنَ ذَلِكَ الْأَمْرِ حِكْمَةً؛ فَقَدْ جَهِلَ الْحَكِيمَ الْوَاضِعَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ أَقْبَحَ مِنَ الْجَهْلِ.

[الحج : 30]

2 ص 10 ب

3 [الغاشية : 17 - 19]

4 [الأعراف : 185]

5 [البقرة : 164]

6 [الفرقان : 45]

7 [الحج : 18]

8 [ص : 53]

9 ص 11

فإن قلت: فالجهل من الدائم، وقد قُبِحتْ؛ فقد قُبِحتْ مَنْ استند إليه الجهل في وجوده؟! قلنا: كان يصح هذا لو كان الجهل نسبةً وجودية؛ فالجهل إنما هو عبارة عن عدم العلم، لا غير؛ فليس بأمر وجودي. والعدم هو الشرّ، والشرّ قبيح لنفسه حيثما فرضته. ولهذا وورد في الخبر الصحيح أنّ النبي ﷺ قال في دعائه ربّه تعالى: «والخير كلّهُ في يديك، والشرّ- ليس إليك» فما نسب الشرّ- إليه، فلو كان الشرّ- أمراً وجودياً؛ لكان إيجاده إلى الله؛ إذ لا فاعل إلا الله. فالوجود كلّهُ خير؛ لأنّه عن الخير المحض؛ وهو الله تعالى.

ثم نرجع إلى أصل الباب، وهو قولنا: "مَنْ حَقَّرَ غُلِبَ" فنبين ذلك في المهم. وذلك أنّ أصل هذا أنّ كلّ شخص احتقر شيئاً؛ فإنّ هتته تهوى على التأثير فيه، وعلى قدر ما يعظم عنده؛ يقلّ التأثير فيه، أو ربما يؤدّي إلى أن لا يكون له أثر فيه؛ فإنّ الانفعال في الأشياء إنما هو للمهم. ألا ترى تأثير هم النساء في السحر المعروف¹ عندهم المؤثر في المسحور؟ لولا ما احتقروا المسحور، وقطعوا بهتهم أنّ هذا الذي يفعلونه قولاً أو عملاً يؤثر في المسحور؛ ما أثير؛ فيؤثر بلا شك. ومن ليست له هذه الحقّة في قوّة ذلك الفعل، ويتعلّط عنده من يريد أن يسحره من الناس أن يؤثر فيه ذلك العمل أو القول، وعمله أو قاه؛ فإنّه لا يؤثر جملة واحدة. فلهاذا قلنا: "مَنْ حَقَّرَ غُلِبَ" كما قيل لنا في هذه المنازلة. فإذا صدّق التوجّه صَحَّ الوجود.

ألا ترى الأشياء الكائنة في العالم وهي من العالم- تميز أن تكون أمراً عن العالم، أو محكومة للعالم؟ فإنّ الأمثال تأنف من حيث حقيقتها- أن يكون المؤثر فيها العالم؛ فتحقر أمثالها، أعني: جزئيات العالم. فتعلّق المهم بإيجاد أمر ما؛ فتتظر في السبب المعين لها على إيجاد ذلك الأمر في العالم، وتبحث عنه إن كان من قبيل الأفعال، أو الأقوال؛ فتشرع في ذلك العمل أو القول. فإن كان مما يعزّ، بحيث أن لا تتمكن في الأثر فيه إلا بالتوجّه إلى الله؛ فتتوجّه في ذلك- بالدعاء والصدق إلى الله؛ فتؤثر، بذلك التوجّه، تلك الحقّة. فإن كان صاحب الحقّة مؤمناً احتقر ذلك المؤثر فيه في جنب قوّة الله وعظمته. وإن لم يكن احتقره في قوّة هتته؛ وما استعان به على التأثير فيه؛ فهو مغلوب عنده على كلّ حال. وأصله الاحتقار؛ فإنّ كلّ شيء في العالم بالنظر إلى عظمة الله- حقير. وهذا من علم النسب.

1 ص 11 ب

2 ص 12

وكل شيء في العالم إذا نظرته بتعظيم الله، لا بعظمته؛ فهو عظيم. وهو الأدب؛ فإنه لا ينبغي أن ينسب إلى العظيم إلا ما يستعظم؛ فإنه تَقْطُمُ عَظْمَتَهُ في نفس من نظره بهذا النظر. فإن استحققه فلم يعظم في نفسه موجد ذلك التعظيم الذي في نفس من عظم عنده ذلك الشيء من العالم، وربما يحتاج بقوله (تعالى): ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾¹ فينبغي للعالم أن لا يتصور هذه الآية إلا حتى يتصور عزة ذلك الشيء على أمثاله؛ فإذا حصلت عنده عزة ذلك الشيء؛ حينئذ يقول: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وإن كان علينا بعزیز؛ فيثبت العزيز للعزيز. هذا هو الأدب والتعظيم. فالشيء على عزته حفيظاً بالنسبة إلى عزة الله التي لا تجل التأثير لأجل هذا الحكم.

فإن احتج علينا من علم حقيقة ما كنا أومأنا إليه في حال من بسخط الله وبرضيه: هل يدخل هذا الأمر الحاصل من الكون في الجنب الإلهي في هذا الباب، أم لا؟ قلنا: لا يدخل. فإن العالم بكل شيء؛ بيده ملكوت كل شيء، وتصريف كل شيء؛ إذ هو الموجد أسباب السخط، والرضا²، والإجابة في الدعاء؛ فما خرج عنه شيء يكون لذلك الشيء أثر فيه؛ فهو محرك العالم ظاهراً وباطناً في كل ما يرد كونه. فإن كان ثم أثر فيه؛ فهو الذي أثر في نفسه؛ ما العالم أثر فيه. بل غايته فيه أن تقول: أثر في نفسه إن قلنا ذلك بالعالم، أي بتقدم هذا السبب؛ وهو إيجاد الأمر الموجب للسخط عليه في هذا الشخص. فأسخط الله -بهذا الفعل الذي أوجده في هذا العبد- لشقاوة هذا العبد، أو ليظهر فيه عقوبته، ومغفرته، وحكم رحمته؛ على قدر ما يظهر فيه عقيب الأمر المسخط.

وأما قوله في المنازلة: "من استهين منع" فقد يكون من استهين في حق ذلك الشيء؛ منع؛ لأنه جاهل بما طلب. فيكون من استهين ذلك المطلوب في حق؛ منع؛ لما هو أعلى منه. فإن الطالب قد يجهل قدر ما يطلب، ويفظم عنده؛ لعدمه إياه، وهو عند الله بالنسبة إلى هذا الطالب دون هذا الطالب. فيمنعه مطلوبه. فيتخيل الممنوع منه أن ذلك لإهائته على من يده إعطاء ما سأل فيه، وليس كذلك. فيفتح الله -إن شاء- عين بصيرته، ويرزقه الكشف على نفسه وعلى حقيقة ما طلب، ويبره الحق في ذلك الكشف -أن الذي طلبه ما هو بذاك³، ويعرف شرف نفسه عن أن يتصف بالافتقار إلى الله في طلب مثل هذا. فيعلم أن الله ما منعه لإهائته عليه، وإنما منعه لاستهانة ذلك المطلوب بالنسبة إليه. فيشكر الله على منع

1 [إبراهيم : 20]

2 ص 12 ب

3 ص 13

ذلك. هذا وجه من وجوه قوله: "من استهين مُنِع".

والوجه الآخر أن يطلب الطالبُ فوق قدره، حتى لو أعطيه ما قبله لأنه يضعف عن حمله. فيمنع لإهانتة بالنسبة إلى ما طلبه، وهو عكس الأول. فيكون منعُ الله إِيَّاهُ رحمةً به، مثل قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبْتَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾¹ لأنهم يضعفون عن القيام بما يستحقه بسطُ الرزق من الشكر. وليس في قوته إلا البغي به، والكفر، والأشر، والبطر. ويظهر ذلك في أرباب المناصب في الدنيا. فإذا رأيت صاحب المنصب يحكم عليه المنصب؛ فتعلم أنه دون المنصب، وأنه ممان؛ يصرِّفه المنصب بعزته كيف يشاء؛ فلا يزال مذموماً بكلِّ لسان؛ من الحقِّ ومن الخلق. وإذا رأيت صاحب المنصب يصرِّف المنصب، ويحكم على المنصب؛ فتعلم أنه فوق المنصب. فيكون محموداً بكلِّ لسان؛ عند الله وعند العالم؛ فيمنع بحقِّ وحكمة، ويعطي بحقِّ وحكمة، كما قال الحقُّ عن نفسه: ﴿وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ﴾ وذلك لعلم هذا الشخص بالأوزان؛ فإنَّ الله يقول: ﴿إِنَّهُ يَبْدِئُ خَيْرَ بَحِيرٍ﴾³ فيعلم على مَنْ يَبْسُطُ رزقه، ومن يقبض عنه ذلك القدر الذي بسطه على غيره؛ فبغى به. ولذلك ما ذكر إلا عموم البسط في العباد كلهم، وأضاف البغي لكلِّ. لأنه قد بسط للبعض؛ فوقع منهم البغي فما بسطه له؛ لأنه شغله عن حاجة نفسه الضرورية بحاجة نفسه التي هي غير ضرورية.

كلِّك بسط الله له في الملك؛ فأعطاه افتقاره الأصلي أن يسعى في تحصيل مُلك غيره، ولم يقنع بما عنده، وقد كان قبل حصول ما هو فيه عنده يشتهي أنه يحصل له بعضه ويقنع به. فلما أعطيه؛ ما قنع، وتشوَّف إلى الزيادة مما هو في يد غيره. فلم يحصل له ذلك إلا حصل - إلا بالبغي في الأرض. فربما أذاه ذلك البغي إلى زوال ما بيده، فيندم عند ذلك، ويعلم أنه ما عاد عليه إلا بغيه. فلو كان عزيزاً في طلبه، غير ممان؛ ما مُنع. هكذا يقول عن نفسه. وقد يكون منعُ الله ذلك في حقِّه، وأخذ ما كان بيده؛ سبباً إلى رجوعه إلى الله وتوحيته؛ ليسعده الله بذلك. فالعاقل ينظر في أحواله وعصراته، وما أهله الله له، ويعلم أن ذلك كله خطاب الحقِّ بالسنة الأحوال. فيفتح عين الفهم وسمعه لذلك الخطاب العقليِّ والحاليِّ، فيعمل بمقتضى⁵ فهمه فيه.

1 [التورى : 27]

2 ص 13 ب

3 [التورى : 27]

4 الحروف المصمتة ممتلة، وهي في س: الفعلية

5 ص 14

فإن قلت: فإن كان فهمه فيه ما تعطيه قوة ذلك المنصب! قلنا: ليس ذلك نريد، وما غاب عنا هذا الذي دخلت علينا به، ولكن الله قد وضع لنا في العالم الموازين الشرعية؛ لنقيم بها الوزن بالقسط. فإذا أعطى ذلك الأمر الذي يريد تمشيته في العالم بالوزن؛ أخذنا منه قدر ما يدخل الميزان، وتركنا منه ما لا يحتمله الميزان؛ فإن في مقابلة كفة الموزون مقدارا في الكفة الأخرى، وذلك المقدار هو الذي تُعَيَّن لنا من هذا الموزون ما نحتاج إليه في الوقت. وهذا معنى قوله: ﴿يُنْزَلُ بِقَدَرِ مَا يُنْشَاءُ﴾ وهو القدر الذي في الكفة الأخرى من الميزان، ﴿وَمَا تُزَلُّهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾¹ وقد يكون الميزان مكيلا، فهو على قدر الكيل.

والفرق بين المكيال والميزان (هو) أن الميزان خارج عنك؛ فتأخذ من الموزون قدر ما يقابله من الكفة الأخرى. والمكيال هو عين ذاتك من حيث ما هي متصفة بحالة ما؛ فذلك عين كيلها؛ فلا تأخذ من الأمر إلا بقدر قبولها، كما يأخذ المكيال.

فهو على الحقيقة، كما هو في الميزان. فإنه إذا رجع بإحدى الكفتين، فقد خرج عن أن يكون وزنا؛ لأنه خرج عن مقدار ما يقابله: إمّا بتطفيف، أو غيره. فالتبني (ص) لما نزل عليه من الشرائع (هو) مكيال³، لا ميزان.

والحق لَمَّا لم يصح أن يكون محلاً لأمر؛ لم ينزل نفسه منزلة المكيال، لكن وصف نفسه بأن بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه بحسب مراتب العالم. فكل خفض في ميزان الحق ورفع، فهو عين الاعتدال بين الكفتين في الميزان الموضوع في العالم. فإن الحق لا يترن إلا حقاً؛ فيميزان الحق لا بد فيه من خفض ورفع لإحدى الكفتين. ولو كان على الاعتدال؛ ما ظهر كون في العالم، أصلاً، ولا عدل.

فإذا أقيمت موازين الشرع الإلهي في العالم؛ سرى العدل في العالم. وكذلك لو أقيم الوزن الطبيعي في العالم؛ لم يكن في العالم مَرَضٌ ولا موت، كما لا يكون في الجنة. لأن الميزان الطبيعي؛ في الجنة يظهر حكمه؛ ولذلك هي دار بقاء، ويرتفع فيها ميزان الشرع كما ارتفع في الدنيا ميزان الطبع. فالمنع والعطاء؛ لولا الميزان ما كان لها حكم في العالم، والذي يترن هو الموصوف بالمعطي والمنع والضر والنافع ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁴.

1 [الحجر : 21]

2 ص 14 ب

3 "من الشرائع مكيال" مكتوبة في ق: "مكيال من الشرائع" ووضع فوق كلمتي الشرائع ومكيال علامتين (حرف م) تشيران إلى استبدالها ببعضها.

4 [البقرة : 29]

فإن قال قائل: إنَّ الجود الإلهيَّ ليس فيه منع! قلنا: صدقت. قال: فإذا كثُ صادقاً، وسلَّمْتُ لي قولي، فما حكم الاسم الإلهيِّ المانع؟ وهذا المنع الواقع في العالم لماذا (=إلى ماذا) يرجع، فإنَّنا لا ننكره؟ قلنا: أمَّا الجود الإلهيُّ فلا منع فيه، ولكن لا يقبله إلاَّ الممكن، لا يقبله المحال. فإذا عرفتَ القابل عرفتَ المانع والمنع. فالقوابل تقبل من هذا الجود المطلق بحسب استعداداتها؛ كالشَّقة والقَصَّار في فيض الشمس نورها. فتبيضُ الشَّقة، وتسود وجه القَصَّار إن كان أبيض. فيقول الحكم: النور واحد، ولكن مزاج القَصَّار لا يقبل من نور الشمس إلاَّ السواد، والشَّقة على مزاج يقبل البياض. فزاجك منعك من قبول البياض، ويقال للشَّقة: مزاجك منعك من قبول السواد.

فلكلِّ واحد من المذكورين أن يقول: فالمسألة بحالها لِمَ لم تعطني المزاج الذي يقبل السواد؟ والقَصَّار يقول: لِمَ لم تعطني المزاج الذي يقبل البياض؟ قلنا: لا بدَّ في العالم من شَّقة وقَصَّار؛ فلا بدَّ من مزاج يقبل البياض، ومزاج يقبل السواد؛ فلا بدَّ منك؛ كتما ما كتما. فإنَّ العالم لا بدَّ فيه من كلِّ شيء، فلا بدَّ أن يكون فيه من كلِّ مزاج. والحقُّ تعالى- ما هو فعله مع الأغراض التي أوجدها في عبادته، وإنما هو مع ما تطلبه الحكمة، والذي اقتضته الحكمة هو الواقع في العالم؛ فعين ظهوره هو عين الحكمة.

فإنَّ فعل الله لا يعلل بالحكمة؛ بل هو عين الحكمة. فإنَّه لو علل بالحكمة؛ لكانت الحكمة هي الموجبة له ذلك؛ فيكون الحقُّ محكوماً عليه، والحقُّ تعالى- لا يكون محكوماً عليه. فلا يوجبُ مُوجبٌ عليه شيئاً² إلاَّ ما ذكر لنا أنه أوجب على نفسه، لا أنه أوجب عليه موجبٌ غيره أمراً ما. فأني محلُّ فرضته لمزاج خاصَّ يتصوَّر أن يقول: قد منعتني غير هذا المزاج؟ وهذا غلط؛ لأنَّ عين المزاج هو عين ما ظهر، لا غيره. ولا يصحُّ أن يقول الشيء عن نفسه: "لم لم يكن غيري".

كما قدَّمنا في الباب الذي قبل هذا الباب أنَّ التركيب ليس إلاَّ البساط. فالتركيب نسبة، والنسب عديمية. وقد ظهر أمر لم يكن يظهر لولا تركيب هذه البساط وجمعها، وما هو هذا الظاهر غير أعيان البساط. وكذلك هذا الظاهر عن هذا المزاج؛ ما هو غير المزاج. فما تمَّ على الحقيقة من يقول: لأني شيء مُنعت؟ وإذا لم يكن ثمَّ؛ لم يصحَّ المنع في الجود الإلهيِّ. فبقي المنع والمانع إنما يرجعان إلى نسب مقدَّرة، وما كلُّ أحد أظهره الله على هذا العلم وأمثاله.

وتنزَّلت السنة الشرائع بحسب ما وقع عليه التواطي في السنة العالم. ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ¹ فلا ينزل إلا بما تواطؤوا عليه. فقد يكون التواطي على صورة ما هي الحقائق عليه، وقد لا يكون. والحق تابع لهم في ذلك كله؛ لِيُفْهَمَ عنه ما أنزله في أحكامه، وما وعد به وأوعد عليه. كما قد دلّ الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أبنية، ومع هذا جاء لسان الشرع بالأبنية في حق الحق؛ من أجل² التواطؤ الذي عليه لسان المرسل إليهم. فقال (ص) للسوداء: «أين الله؟» فلو قالها غير الرسول لشهد الدليل العقلي بجهل القائل³؛ فإنه لا أبنية له. فلما قالها الرسول، وبانت حكمته وعلمه، علمنا أنه ليس في قوة فهم هذا المخاطب أن يعقل موجدَه إلا بما تصوّره في نفسه. فلو خاطبه بغير ما تواطأ عليه وتصوره في نفسه؛ لارتفعت الفائدة المطلوبة، ولم يحصل القبول. فمن حكمته أن سأل مثل هذه بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة. ولذلك لنا أشارت إلى السماء؛ قال فيها: «إنّها مؤمنة» أي مصدقة بوجود الله. ولم يقل: "عالمه". فالعالم يصحب الجاهل في جملة بعلمه، والجاهل لا يقدر على صحبة العالم على علمه، إن لم يكن العالم ينزل إليه في صورة جملة. وكلّ ذلك حكمة إلهية في العالم.

واعلم أنّ المهانة حقيقة العالم التي هو عليها؛ لأنه بالذات ممكن فقير؛ فهو ممنوع من جميع ثيل أغراضه وإراداته منعا ذاتيا. ولا يحجبك وقوع بعض مراداته ونيل بعض أغراضه؛ عمّا قلناه في حقّه. فإنّ ذلك ما وقع له إلا بإرادة الحق، لا بإرادته. فنلك المراد، وإرادة العبد ممّا؛ إنما هما واقعان بإرادة الحق؛ فهو ممنوع بالذات أن يكون شيء في الوجود موجودا عن إرادة العبد. ولو كان لإرادة العبد نفوذ في أمرٍ خاصٍّ لعَمَ نفوذها في كلّ شيء، لو كان ذلك المراد وقع لعين إرادة الممكن، فتعيّن أنّ ذلك الواقع وقع بإرادة الله ﷻ. فالعالم ممنوع لذاته، كما هو ممكن ممّا لذاته. وإنما كان ممّا لذاته؛ لأنّ العبوديّة له لذاته؛ وهي النّلة. وكلّ دليل مّعين، وكلّ مّمين محتشّر، وكلّ محتشّر مغلوب. فصَحّ ما جاء في المنازلة من أنّه: "مَنْ خُضِرَ غُلِبَ وَمَنْ اسْتَهِنَ مُنِعَ". ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [إبراهيم : 4]

2 ص 16

3 "بجهل القائل" فاجة في الهامش بقلم الأصل وبجانبها كلمة صح

4 ص 16 ب

5 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والثمانون وثلاثمائة

في معرفة منازلة: جبل الوريد وأبيته المعية

أَنَا مَعَ الْعَبْدِ حَيْثُ كَانَ مُسْتَقْبِلًا، مَاضِيًا، وَأَنَا
مُقْبِلًا مُطْلَقًا نَزِيهَا مُقَدَّسًا عَامِرًا مَكَانًا
مَنْ قَالَ شَوْقًا يُرِيدُ عَيْنٌ¹ بِأَنْ تَرَانَا فَقَدْ جَعَلَنَا
أَيْنَ أَنَا مِنْكَ يَا جُفُونَا لَمْ تَلْخِظِ الْفِغْلَ وَالزَّمَانَا
كَيْفَ² لَهَا أَنْ تَرَى جَلَالِي وَقَدْ رَأَى الصَّغْقَ مَنْ رَأَانَا

قال الله ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾³ وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁴ فكان هويته معنا، وأسمائه أقرب إلينا منّا. فإن الحق إذا جمع نفسه مع أحديته؛ فلا أسمائه من حيث ما تدلّ عليه من الحقائق المختلفة وما مدلولها سيّاه، فإنّها ومدلولاتها عينه وأسمائه. فلا بدّ أن تكون الكناية عن ذلك في عالم الألفاظ والكلمات. بلفظ الجمع؛ مثل "نحن" و"إنّا" بكسر الهمزة وتشديد النون. مثل قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾⁵ و﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁶. وقد نفرد إذا أراد هويته، لا أسمائه مثل قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾⁷ فوحد. وأين "نحن" من "أنا"؟ ولا معنى لمن قال: إنّ ذلك كناية عن العظمة. لا؛ بل هي عن الكثرة، وما تمّ كثرة إلا ما تدلّ عليه منه أسمائه الحسنى، أو تكون عينه أعيان الموجودات. وتختلف الصور لاختلاف حقائق المركبات.

إذ قد قال عن هويته: إنّها جميع قوى الصور. أي إذا أحبّ الشخص من عباده؛ كشف له عنه به؛ فعلم أنّه هو. فراه به، مع ثبوت عين الممكن، وإضافة القوة⁸ التي هي عينه تعالى. إلى العبد. فقال: «كنت سمعه» فالضير في قوله: «سمعه» عين العبد، والسمع عين الحق. ولا يكون العبد عبداً إلا بسمعه، وإلا فمن يقول إذا نودي: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾⁹ إلا المأمور عند تكوينه وفي تصرفاته. فلولا أنّه سميع ما قيل له:

1 ق: "عيني" وبجوارها بقلم المؤلف: "عين".

2 ص 17

3 [آ: 16]

4 [الحديد: 4]

5 [النور: 49]

6 [الحجر: 9]

7 [طه: 14]

8 ص 17 ب

9 [البقرة: 285]

"كن"، ولا يكون لولا طاعته لربه في أمره إياه. والحق سمعته (أي وسمع الحق) ليس غيره في كل حال. فكشف له سبحانه- عن ذلك.

وإذا كان الأمر على ما ذكره عن نفسه، وأعطاه الشهود والكشف؛ صحّ الجمع في لفظة "إنا" و"نحن". وإذا لم يكن عين القوى والموجودات إلا هو؛ صحّ الإفراد في "إني"، و"أنا الله" و(صحّ) الهو والأنت وضمير المفرد بالخطاب بالكاف في ﴿إِنَّا كُنْزُكَ﴾¹ وأمثال ذلك. فأفرد نفسه في جمعيتنا، فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾²، وجمع نفسه في أحديتنا في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾³ فأفرد الضمير العائد على الإنسان.

فَلَمْ يَكُنِ الْجَمْعُ إِلَّا بِنَا وَلَا الْوَاحِدَ الْفَيْنِ إِلَّا بِهِ

فأيما كان الخلق، فالحق يصحبه من حيث اسمه "الرحمن" لأنّ الرّم شجنة منه. وجميع الناس رَجَمٌ؛ فإنهم أبناء أب واحد وأمّ واحدة. فإنه خلقنا من نفس واحدة وهو آدم، وبثّ من آدم وحواء⁴ رجالا كثيرا ونساء. فنحن أرحامٌ من حيث أنّ «الرّم شجنة من الرحمن» فصحت القرابة. وقد أمر بصلة الأرحام فقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَقَضَهُمْ أُولَىٰ يَنْفِضُ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾⁵ وأمر بأن توصل الأرحام. وهو أولى بهذا الوصف منا؛ فلا بدّ أن يكون للرحم وصولا؛ فإنها «شجنة من الرحمن»؛ وقد لعن الله -واللعنة (هي) البعد- من اتسب إلى غير أبيه، أو اتقى إلى غير مواليه؛ أي لا ينتسب إلى غير رجه.

فنحن من حيث الرّم قرابة قري، ومن حيث الرتبة عبيد؛ فلا ننسب إلا إليه، ولا نثني لسيّوئه. وقد قال تعالى- في الصحيح عنه: «اليوم أضع نسبكم» لأنه عارض غرض لنا، ما هو أصل؛ لأنّا فترق ولا نجتمع، وقد لا يعرف بعضنا بعضا. فنسبنا الذي بيننا ما هو أصل؛ إذ لو كان أصلا ما قبل العوارض ولا صحّ النكران. ثم قال: «وأرفع نسبي» فإنّا ما زلنا عنه قط، ولا افترقنا منه، ولا فارقنا، ولا زال عتنا. وكيف نزول عن نحن في قبضته، ومن هو معنا أينما كنا، وعلى أيّ حالة وصفنا من وجود وعدم؟ ثم قال: «أين المتقون» فقمنا إليه بأجمعنا؛ لأنه ما منا إلا من اتخذناه وقاية في دفع الشدائد عن نفسه، وهو قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾⁶ وما منا إلا من كان له وقاية في دفع ما يقال عنه فيه:

1 [الفاتحة : 5]

2 [الحديد : 4]

3 [اق : 16]

4 ص 18

5 [الأفال : 75]

6 [الإسراء : 67]

"إنه سوء" فنكون كالحجج له تتعاور علينا أسواء؛ فيضاف كل مكروه إلينا فداء له؛ فصَحَّ أنَّ الناس كلهم متقون. لكنَّ ثمَّ تقوى خصوص، وتقوى عموم؛ ميزتها الشرائع ونهت عليها.

فمن علم ما قلناه؛ حمل التقوى حملاً عاماً على جميع الخلق. ومن وقف مع التقوى المعلومة عند الناس؛ خصص. وما نبهنا على هذا الأمر إلا مراعاة للشرع، فإنَّ الشرع راعى ذلك ونبه عليه. حتى إذا علمه الإنسان وتحقق به؛ ظهر له الفضل على غيره. فإنَّ الله يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَتْلُمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَتْلُمُونَ﴾¹ وقد أمر بصلة الأرحام، والرحمن لنا رَجَمَ نرجع إليه. فلا بدَّ للمطيع أمره أن يصل رَجَمه، وليس إلا وصلته بربه. فإنَّ الله بلا شك. قد وصلنا من حيث أنه رَحِمَ لنا؛ فلهوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْغَتِيَّةِ² المنعم على أي حالة كنا من طاعة أمره أو معصية، وموافقة أو مخالفة. فإنه لا ينقطع صلة الرحم من جانبه، وإن انقطعت عنه من جانبنا؛ لجهلنا.

ثمَّ إنه ما أمر بصلة الأرحام القرينة إلا لسمعوا بذلك، وما من شخص إلا وله رحم يصلها ولو بالسلام، كما قال (ص): «بُلُوا أرحامكم ولو بالسلام» فإذا وصلنا رحمتنا؛ لم نصِلْ على³ الحقيقة- إلا هو. وإن حملناه في عين رحمتنا؛ فهو يعرف نفسه، كما أنَّ «الصدقة تفع يد الرحمن قبل أن تفع يد السائل»، وقال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾⁴.

وفي نفس الأمر قد قلنا: «إنَّا وقاية له من كل سوء» فلا بدَّ لكل أحد أن يكون له صديق من الناس، على أي دين كان. ولا بدَّ له من مراعاة صديقه، وهو في النسب رَجَمه بلا شك؛ لأنه أخوه لأُمِّه وأبيه. فكلُّ برَّ ظهر من أحد إلى أحد، فهو صلة رحم؛ كنا بقبلها الله من كل أحد ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِقْمَةً﴾⁵ غير أنهم بينهم مفاضلة في القرب. قال علي بن أبي طالب القيرواني⁶ في ذلك:

الناس في رحمة التَّنْشِيلِ أَكْثَاءُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ خَوَاءُ

1 ص 18 ب

2 [الزمر: 9]

3 [الناريايات: 58]

4 يقال: بُلَّ رَجَمُهُ، إذا وصلها وفي الحديث: «بُلُوا أرحامكم ولو بالسلام» أي تلوها بالصلة..

5 ص 19

6 [الحج: 37]

7 [الحجرات: 8]

8 تكرر ورود هذه الآيات 3 مرات في هذه الموسوعة مفسرة لمن ذكره الشيخ الأكبر. في حين تنسب المصادر الأدبية المخوفة لديها ومنها الموسوعة الشعرية أن هذه الآيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ نَسَبٌ يَفْاجِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا الْقُضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهَيْدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَوْلَاءُ
وَقَدَّرَ كُلَّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَغْدَاءُ

والقربة¹ قرابتان: قرابة الدين، وقرابة الطين. فمن جمع بين القرابتين؛ فهو أولى بالصلة، وإن انفرد أحدهما بالدين والآخر بالطين؛ فيقدم قرابة الدين على قرابة الطين كما فعل الحق تعالى - في الميراث: فورث قرابة الدين، ولم يورث قرابة الطين إذا اختلفا في الدين. فكان الواحد مؤمنا بالله وحده، والأخ الآخر كافر بأحدية الله، ومات أحد الأخوين؛ لم يجعل له نصيبا في ميراثه، فقال (ص): «لا يتوارث أهل ملتين». وقد ذهب عقيل دون علي بن أبي طالب بمال أبيه لما مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ.

وكل من قطع رحمه في حق شخص، وهو قد وصلها في حق شخص آخر؛ فالذي يرمى الله من ذلك جانب الوصلة، لا جانب القطع. فإنه القاتل على لسان رسوله ﷺ: «أبغ السببة» مثل قطع تلك الرحم «الحسنة» مثل صلة الرحم «تمخها» فوصل رحمه زيد يحو قطع رحمه عمرو، وهذا أخوه وهذا أخوه؛ لأن الله يصل الرحم ولا يقطعها. فالحق يعضده في صلة من وصلها، ويقطع من قطعها؛ لأنه عين ذلك الذي قطعها. فني الوصل كلمة عناية إلهية بالواصل، وفي القطع كلمة تحقيق؛ أي أن الأمر كذلك. لما في العالم إلا من² هو وصول رحمه الأقرب، فإن أفضل الصلات في الأرحام صلة الأقرب فالأقرب.

وقد جاء في الصدقة أن أفضلها للقة يجعلها الإنسان في فيه؛ لأنه لا أحد أقرب إليه من نفسه. والله أقرب إلى العبد من نفسه منه؛ فإنه القاتل: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾³ فإذا وصله العبد (ف) قد وصل الأقرب بلا شك، فقد أتى ما هو الأولى بالوصل في الأقربين؛ فإن النص فيه؛ ولهذا عم كل الأشياء اتساع رحمته. فمن جهر رحمة الله؛ فما جهرها إلا على نفسه. ولولا أن الأمر على خلاف ذلك؛ لم ينل رحمة الله من جهرها وقصرها. ولكن س الله - ما يستوي حكم رحمة الله فمن جهرها، بمن لم يجهرها وأطلقها من عين المنة كما أطلقها الله في كتابه في قوله: ﴿وَزَحَمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾⁴ فما من شيء إلا وهو طامع في رحمة الله. فمنهم من تناله بحكم الوجوب، ومنهم من تناله بحكم المنة.

كنت قاعدا يوما بأشبيلية بين يدي شيخنا في الطريق أبي العباس العربي، من أهل العليا بمغرب

1 ص 19 ب

2 ص 20

3 [ن: 16]

4 [الأعراف: 156]

الأندلس. فدخل عليه رجل، فوقع ذِكْرُ المعروف والصدقة. فقال الرجل: الله يقول: الأقربون أولى بالمعروف. فقال الشيخ على الفور: "إلى الله". لما أبردها على الكبد. وكذلك هو الأمر في¹ نفسه. ولا أقرب من الله؛ فهو القريب سبحانه. الذي لا يبعدُ إلّا بُعد تزيه. وتتقطع الأرحام بالموت، ولا تتقطع الرحم المنسوبة إلى الحق؛ فإنه معنا حيثما كنا. ونحن ما بيننا تنصل في وقت، وتتقطع في وقت؛ يموت، أو يفقد وارتحال. ومَن حال قد أغنى عن سؤال؟ ومَن جهل نفسه فهو بغيره أجهل، ومَن علم غيره فهو بنفسه أعلم «مَن عَزَفَ نفسه عَزَفَ ربه».

لَيْسَ الَّذِي يَخْبِرُ عَنْ غَيْرِهِ	بِمَثَلِ الَّذِي يَخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ
لأنه يَخْبِرُ عَنْ ذَوْنِهِ	في غَيْبِهِ كَانَ وفي جَسَدِهِ
وَكُلُّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ	فإنما أَخْبَرَ عَنْ جَسَدِهِ
وَالْحَقُّ إِنْ قَيَّدَتْهُ إِنَّهُ	لا يَخْجُبُ الْمَخْبُوسَ في حَبْسِهِ
مَنْ قَيَّدَ الْحَقَّ بِإِطْلَاقِهِ	فما أَقامَ المَيْتَ مِنْ رَمْسِهِ
هَيْمَاتٍ لا يَتَعَرَّفُ أَسْرَارَهُ	إِلَّا الَّذِي حَجَّ إِلَى قُدْسِهِ
مَنْ ² أَشْهُ الْحَقُّ فَذَلِكَ الَّذِي	يُظَلِّحُهُ الضَّارِبُ مِنْ أَشْهُ

بِرَّ إلهي لا يعرفه كثير من الناس

بعث الله تعالى- موسى وهارون إلى فرعون، وأوصاهما أن يقولاه: ﴿قُولَا لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾³ والترجي من الله واقع عند جميع العلماء، كما قال: ﴿عسى- الله أن يثوبَ عَلَيْهِمْ﴾⁴ فقال العلماء: "عسى من الله واجبة" و"لعل" و"عسى"- أختان. فعلم الله أنه يتذكر، ولا يكون التذكر إلّا عن علم سابق منسي. ثم قال لهما لَمَّا رأى خوفهما من أنه لا يجيب إلى ما يدعوانه إليه: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾⁵ أي أسمع من فرعون إذا بلغتما إليه رسالة ريكما، وأرى ما يكون منكما في حقّه مما أوصيتكما به من اللين والتنزل في الخطاب.

1 ص 20 ب

2 ص 21

3 [طه : 44]

4 [الزمر : 102]

5 [طه : 46]

فلم يجد فرعون على من يتكبر؛ لأنَّ التكبر من المتكبر إنما يقع لمن يظهر له بصفة الكبرياء. فلما رأى ما عندهما من اللين في الخطاب؛ رَقَّ لهما، وسرت الرحمة الإلهية بالعناية الربانية في باطنه. فعلم أنَّ الذي أرسله به هو الحق. فكان المتكلم من موسى وهارون (هو) الحق، وكان السمع الذي تلقى من فرعون كلام موسى (كذلك هو) الحق. لحصل القبول في نفسه، وستر ذلك عن قومه؛ فإنه شأن الحق. ألا ترى إليه تعالى- في القيامة يتجلى في صورة يُنكر فيها؟ فهذا من مبثَّره.

ولما علم فرعون أنَّ الحق سَمِعَ خلقه، وصره، ولسانه، وجميع قواه؛ لذلك قال بلسان حق: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾¹ إذ علم أنَّ الله هو الذي قال على لسان عبده: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ فأخبر الله تعالى- أنه أخذه ﴿تَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾² والنكل: القيد. فقيدته الله بعبوديته مع ربه في الأولى؛ يعلمه أنه عبد لله، وفي الآخرة؛ إذا بعثه الله يبعثه على ما مات عليه من الإيمان به؛ علما وقولا. وليس بعد شهادة الله شهادة، وقد شهد له أنه قبيد في الأولى والآخرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في هذا الأخذ "عبرة" أي تعجبا وتجاوزا مما يسبق منه إلى فهم العامة إلى ما فيه مما يفهمه الخاصة من عباد الله وهم العلماء، ولذلك قال: ﴿لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى﴾³ وقد عرفنا أنه ﴿إِنَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁴، وقد قال (عن فرعون): ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁵ ولا يخشى حتى يعلم بالتذكُّر ما كان نسيه من العلم بالله. ومن قبيده الحق فلا يتمكن له الإطلاق والسراح من ذلك القيد.

وقولها: ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي يتقدَّم علينا بالحجة بما يرجع إليه من التوحيد ﴿أَوْ أَنْ يَخْلُقَ﴾⁶ أي يرفع كلامه لكونه يقصد إلى عين الحقيقة فتنمب معه. فلها قال لها: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ⁷ وَأَذِي⁸﴾ وأوصاهما أن يلينا له في القول. فلما قالاه صلى الله عليهما- ما قالاه، على الوجه الذي عهد إليهما الله أن يقوله؛ قال لها فرعون: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾⁹ كما يقول نقانا القبر للميت. لا لجهله (أي فرعون) بما يقوله، وإنما يريد أن يتنبه الحاضرون لما يقولانه مما يكون دليلا على وجود الله ليعلموا

1 ص 21 ب

2 [النازعات : 24]

3 [النازعات : 25]

4 [النازعات : 26]

5 [فاطر : 28]

6 [طه : 44]

7 [طه : 45]

8 ص 22

9 [طه : 46]

10 [طه : 49]

صدقها. لأن العاقل إذا علم أنها إذا قالا مثل ذلك، (فإن الخواطر تنبه، ويدعوهم قولها إلى النظر فيه لنصبتها في قولها موضع الدلالة على الله؛ فإنه لا يسأل خصمه. فدلّ سؤاله أنه يريد هداية من يفهم من قومه ما جاء به فقالا: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾¹ فأنصفا فرعون في هذا الخطاب. وهذا من القول اللين؛ فإنه دخل تحت قولها كل شيء ادّعاء فرعون، فأعطاه الله خلقه. فكان في كلامها جواب فرعون لها. إذ كان ما جاء به فرعون خلق الله. ثم زادها في السؤال ليزيد في الدلالة: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الثَّرَوِ الْأَوَّلِيِّ﴾² فقالا: ﴿عَلِمْنَاهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾³ مثل ما نسبته أنت حتى ذكرناك؛ فتذكرت. فلو كنت إليها ما نسبته؛ لأن الله قال: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾⁴ ثم زاد في الدلالة؛ بما قالا بعد ذلك إلى تمام الآية.

لما زال ذلك مضرا في نفس فرعون، لم يعطه حب⁵ الرئاسة أن يكذب نفسه عند قومه فيما استخفهم به حتى أطاعوه فكانوا قوما فاسقين؛ لما شركه معهم في ضمير "إنهم". فلما رأى البأس قال: ﴿أَمْسَتْ﴾⁶ فتلفظ باعتقاده الذي ما زال معه. فقال له الله تعالى: ﴿الآن﴾⁷ قلت ذلك. فأقبت الله بقوله: ﴿الآن﴾⁸ أنه آمن عن علم محقق، والله أعلم. وإن كان الأمر فيه احتمال.

وحقّت الكلمة من الله، وجرت سنته في عباده؛ أن الإيمان في ذلك الوقت لا يدفع عن المؤمن العذاب الذي أنزله بهم في ذلك الوقت ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَوْسُونَ﴾⁹ كما لا ينفع السارق توبته عند الحاكم فيرفع عنه حدّ القطع، ولا الزاني مع توبته عند الحاكم، مع علمنا بأنه تاب بقبول التوبة عند الله. وحديث "ماعز" في ذلك صحيح: «إنه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة وسبقتهم» ومع هذا لم تدفع عنه الحدّ، بل أمر الله بترجيئه. كذلك كل من آمن بالله عند رؤية البأس من الكفار أن الإيمان لا يرفع نزول البأس بهم، مع قبول الله إيمانهم في الدار الآخرة؛ فيلقونه ولا ذنب لهم. فإتّهم ربما لو عاشوا بعد ذلك اكتسبوا أوزارا.

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُسَوِّى كَمْ تُسَادَى كَمْ تَلَوِّى

1 [طه : 50]

2 [طه : 51]

3 [طه : 52]

4 [طه : 44]

5 ص 22 ب

6 [يونس : 90]

7 [يونس : 91]

8 [يونس : 98]

9 آية في الهامش مع إشارة المصوب

فَلْيَبَازِزْ قَبْلَ يَمُومٍ	وَدُ فِيهِ لَوْ قُسُومِي
بِهِمُ الْأَرْضُ رِجَالٌ	لِفَقَاءِ كَانَ أَخُوِي
خَلَقَ الرَّحْمَنُ خَلْقًا	مِثْلَ مَا قَالَ قَسُومِي
ثُمَّ أَعْطَاهُ اقْتِدَارًا	فَسَطَا فَكَانَ أَقْوِي
قَالَ: "كُنْ" يَكُلُّ شَيْءٍ	لَمْ يَكُنْ وَكَانَ بَلُومِي

وإذا كان الحق يقول عن نفسه إنه ﴿خَلَقَ قَسُومِي﴾² و﴿قَتَرَ قَهْدِي﴾³ فما لك لا تسبح ﴿اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾⁴؟ جعلنا الله من قيده الحق به، ورزقه الوقوف عند حدوده ومراسمه في الآخرة والأولى.

فانظر يا أخي - ما أعطت عناية هذه المعية الإلهية في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁵؟ فهو معنا بهويته، وهو معنا بأسمائه. فهل ترى عين العارف كونا من الأكران وعينا من الأعيان لا يكون الحق معه؟ فאלله يغفر للجميع بالواحد، فكيف لا يغفر للواحد بالجميع؟ فما من إنسان إلا وجميع أجزائه مسبحة بحمد الله، ولا قوة من قواه إلا وهي ناطقة بالثناء على الله. حتى النفس الناطقة المكلفة - من حيث خلقها ورغبتها، كسائر جسدها الذي هو ملكها - مسبحة، أيضا، لله. فما عصي - وخالف إلا أمر واحد من هذه الجملة المعبر عنها بالإنسان.

أفتري الله لا يقبل طاعة هذه الجملة، في معصية ذلك الواحد؟ هيات! وأين الكرم إلا هنا؟! ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾⁶ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ⁷ فيقول: "كرمك". فهذا تنبيه من الله لعبده أن يقول: "كرمك" كما يفعله الحاكم المؤمن العالم إذ يقول للسارق والزاني قل: لا زنت⁸، أو قل: لا سرقت، أو قل: لا. لعلمه أنه إذا اعترف أقام عليه الحد. فرما يكون الزاني يدهش بين يدي الحاكم؛ فينبه به هذه المقالة ليقول: "لا" فيدرا عنه الحد بذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁹.

1 ص 23

2 [الأعلى : 2]

3 [الأعلى : 3]

4 [الأعلى : 1]

5 [الحديد : 4]

6 ص 23 ب

7 [الإفطار : 6]

8 "قل لا زنت": في ق: زنت

9 [الأحزاب : 4]

الباب السابع والمانون وثلاثمائة في معرفة منازلة التواضع الكبريافي

مَنْ هَالَهُ مَا هُوَ مِنْ جُنْبِهِ	فَهُوَ جَمُولٌ ضَلَّ عَنْ نَفْسِهِ
لَوْ أَنَّهُ يَفْرِفُ أَوْصَافَهُ	مَا هَالَهُ مَا هُوَ مِنْ جُنْبِهِ
وَكُلُّ مَا فِي الْجُودِ فِيهِ فِيمَنْ	دُجِيَ اللَّيَالِي وَسَنَا فَنَجِبِهِ
وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ فِيهِ فِيمَنْ	تُرْوَاهُ الْأَذْنَى وَمِنْ قُدْسِهِ
وَانْظُرْ ¹ فَأَنْتَ الْأَمْرُ فَأَتَّبْتُ عَلَى	عِلْمٍ وَلَا تَنْتَظِرْ إِلَى حَذْيِهِ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾³ وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁴ وقال: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁵ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁶ ومع هذا كله فهو القائل في الصحيح من الأخبار عنه: «مرضت فلم تعطني، وجعت فلم تطعمني، وظننت فلم تستغني» يقول مثل هذا القول لعبده، فأنزل نفسه هنا منزلة عباده. وأين ذلك الكبرياء من هذا النزول؟

وثبت في الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَعْجِبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ» وثبت أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ فَرَحِ صَاحِبِ النَّاقَةِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ إِذَا وَجَدَهَا بَعْدَ مَا ضَلَّتْ وَهُوَ فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ مُنْقَطَعَةٌ وَأَيُّقِنَ الْمَوْتَ فَفَرَحَ بِهَا. فَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِنَاقَتِهِ» وثبت عنه أنه تعالى: «يتبشش للذي يأتي المسجد كما يتبشش أهل الغائب بغائبيهم إذا ورد عليهم» وأين هذا كله من قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁸ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

1 ص 24

2 [الشورى : 11]

3 [الأنعام : 91]

4 [الصفوات : 180]

5 [الحجرات : 37]

6 [آل عمران : 97]

7 ص 24 ب

8 [الصفوات : 180 - 182]

قَدْرِهِ¹؟ فَأَيْنَ هَذَا النُّزُولُ مِنْ هَذِهِ الرَّفْعَةِ؟

فهذا هو التواضع الكبريائي. وكلُّ حقٍّ، وقولٍ صدقٍ، وحكمٍ صحيحٍ؛ لمن كشف الله عن بصيرته من علماء عباده؛ فأراه الحقَّ حقًّا، وأراه الباطلَ باطلا. وهنا تعلَّقت الرؤية بالمعدوم؛ فإنَّ الباطلَ عدم. وإذا كان العبد يتصف برؤية المعدوم، فالحقُّ أَوْلى بهذه الصفة أنَّه يرانا في حال عدمنا رؤية عين وبصر، لا رؤية علم.

فأما قوله (تعالى): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² فهو على الصحيح من الفهم، معنى قوله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» في بعض وجوه محتملات هذا الخبر، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾³ فما ذاك إِلَّا لخلقهِ على صورة الحقِّ. وإنما رَدَّه إلى أسفل سافلين؛ ليجمع له كمال الصورة بالأوصاف، كما ذكر عن نفسه أنَّه عليه. فأين اتصافه بنفي المثل عن نفسه، من اتصافه بالحدِّ والمقدار؛ من استواء، ونزول، واستعطاف وتلطُّف في خطاب، وغضب ورضا، وكلِّها نعوت المخلوق؟ فلو لم يصف نفسه بنعوتها ما عرفناه، ولو لم يئزَّه نفسه عن نعوتها ما عرفناه. فهو المعروف في الحالين، والموصوف بالصفتين. ولهذا⁴ خلق من كلِّ شيء زوجين؛ ليكون لأحد الزوجين المُلَوَّ وهو الذَّكَرُ، ولأحد الزوجين السفلى وهو الأنثى؛ ليظهر ما⁵ بينها إذا اجتمعا - بقاء⁶ أعيان ذلك النوع. وجعل ذلك في كلِّ نوع نوع؛ ليعلمنا أنَّ الأمر في وجودنا على هذا النحو.

فنحن بينه وبين معقوليَّة الطبيعة التي أنشأ منها الأجسام الطَّبِيعِيَّة، وأنشأ من نسبة توجُّهه عليها الأرواح المدبِّرة. وكلُّ ما سِوَى الله لا بدَّ أن يكون مركَّباً من راكب ومركوب؛ ليصحَّ افتقار الراكب إلى المركوب، وافتقار المركوب إلى الراكب؛ لينفرد سبحانه - بالغنى كما وصف نفسه. فهو غنيٌّ لنفسه، ونحن أغنياء به، في عين افتقارنا إليه، فيما لا نستغني عنه. فكلُّ ما سِوَى الله مدبِّر، ومدبِّر لهذا المدبِّر. فالمدبِّر - اسم فاعل - بما هو مدبِّر؛ يجد ذلك قوَّة في ذاته يفتقر إلى مدبِّر يظهر فيه تدييره. والمدبِّر - اسم مفعول - بما هو مدبِّر؛ يجد ذلك حالة في ذاته ينتقر بها إلى من يدبِّر ذاته لصالح عينه ويقائه. ففقر كلِّ واحد إلى

1 [الأضام : 91]

2 [الشورى : 11]

3 [الحين : 4]

4 ص 25

5 هناك إضافة "من" قبلها فلم آخر.

6 استبدلت في الهامش بلفظ: "وجود" مع إشارة الصحيح.

الآخر فقر ذاتي. وإنما يتصف بالنفى لكونه لا يفقر إلّا¹ إلى مدبر، لا إلى هذا المدبر عينه، كما أن المدبر يتصف بالنفى لكونه لا يفقر إلّا إلى مدبر، لا إلى هذا المدبر بعينه. فكل² واحد منها غني عن الآخر عينه، لا عن التدبير منه وفيه.

نفى كل واحد ليس على الإطلاق. وغنى الحق مطلق بالنظر إلى ذاته، والخلق مفتقر على الإطلاق بالنظر، أيضا، إلى ذاته؛ فتميز الحق من الخلق. ولهذا كفر من قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾³ فهذا التمييز لا يرتفع أبدا؛ لأنه تميز ذاتي في الموصوف به من حق وخلق. فما تم إلّا شبيهتان: شبيته حق، وشبيته خلق. فليس كمثل الخلق في افتقاره شيء؛ لأنه ما تم إلّا الحق، والحق لا يوصف بالافتقار. فما هو مثل الخلق؛ فليس مثل الخلق شيء. وليس كمثل الحق في غناه شيء؛ لأنه ما تم إلّا الخلق، والخلق لا يتصف بالنفى لذاته. فما هو مثل الحق؛ فليس مثل الحق شيء. لأنه كما قلنا: ما تم شيء إلّا الخلق والحق. فالخلق من حيث عينه⁴ ذات واحدة في كثير، والحق من حيث ذاته وعينه ذات واحدة لها أسماء كثيرة ونسب. فمن لم يعلم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁵ على ما قررناه؛ فلا علم له بهذه الآية. فإنه جاء بالكاف، ثم نفى المثلثة عن نفسه بزيادة الكاف للتأكيد في النفي. ثم نفى المثلثة عن العالم بجعل الكاف صفة؛ فعلق النفي بالمائل في النفي؛ أي انتفث عن الخلق المثلثة؛ لأنه ما تم إلّا حق لا بمائل. وانتفث عن الحق المثلثة؛ لأنه ما تم إلّا خلق لا بمائل.

فَهَكَذَا هَهُمُ الْمَعَانِي	إِذْ جَاءَنَا الثُّورُ بِالْبَيَانِ
فَلَيْسَ فِي الْكَوْنِ غَيْرُ فَرْذٍ	حَقٌّ وَإِنْ شِئْتُمْ اثْنَانِ
وَكُلُّ غَيْرٍ لَهَا إِفْرَادٌ	بِذَاتِهَا لَا تُرَى بِشَانِ
وَقَدْ أَتَى فِي الصَّلَاةِ حُكْمٌ	مِنْهُ بِتَشْيِيبِهِ الْمُقَانِي
فَمَيَّزُ الْخَلْقِ عَنْهُ فِيهَا	لَأَجْلِ ذَا لَاحِظِ اثْنَانِ
فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي	فَنَرَى رَأَهُ فَقَدْ رَأَانِي

1 ثابت في الهامش بلم الأصل.

2 ص 25 ب

3 [آل عمران : 181]

4 ق: "عينه خلقا"

5 [الشورى : 11]

6 "للتأكيد في... الكاف" مضافة في الهامش بلم آخر مع إشارة التصويب.

7 ص 26

فَلَنَسُتْ غَيْرَآ لَهُ وَلَا هُوَ
تَرْجَمَ عَنْهُ إِبْسَانُ خَلْقِي
لَوْخَنِي فِي الْوُجُودِ ثَانِي
بِمَا ذَكَّرْنَا مِنْ الْبَيَانِ

وَأَمَّا¹ قوله (تعالى): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾² وهو أنطقهم بما نطقوا به فيه؛ فإنه يقول عن المشهود عليهم إثمهم ﴿قَالُوا لِبُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾³ فما من شيء ينطق إلا والله أنطقه. واختلف المنطوق به: فَمَنْ طُتِقَ أي منطوق به - يتعلق به مدح، وثم منطوق به يتعلق به ذم، وثم منطوق به يتعلق به تجوز لتواطي جعله الله في العالم، وثم منطوق به على ما هو المدلول عليه في نفسه؛ فهو إخبار عن حقيقة. وما ثم إلا ما ذكرناه. فنطق المدح: شهادة أولي العلم بتوحيد الله، ونطق الذم قول القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَبِيرٌ﴾⁴ و﴿بَدَّ اللَّهُ مَقُولَهُ﴾⁵ يريد البخل، ونطق بالحقيقة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ونطق بالتجوز للتواطي: ﴿وَمَا تَقْمَلُونَ﴾⁶ والآية واحدة.

فَأَمَّا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁷ لكونهم ليسوا مثله فما عرفوه، ومن مجل أمره لا يقدر قدره. فهم ليسوا له بمثل، ولا هو مثل لهم؛ فوصفوه بنفوسهم، وبما هم عليه؛ ولا يتمكن لهم إلا ذلك. لأنهم يريدون الوصف الشوقي، ولا يكون إلا بالتشبيه. ومن جعل مثلاً لمن لا يقبل المثل فما قدره حق قدره، أي ما أنزله المنزلة التي يستحقها. فذمهم بالجهل حيث تعرضوا لما ليس لهم به علم من نفوسهم. فلو قالوا فيه بما أنزله⁸ إليهم؛ لم يتعلق بهم ذم من قبل الحق في ذلك؛ لأن الخاكي لا يئسب إليه ما حكاه؛ فلا يتعلق به ذم في ذلك، ولا مدح.

فِعْلُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ لَا يُنْزَكُ بِقِيَّاسٍ، وَإِنَّمَا يُنْزَكُ بِالْقَاءِ السَّمْعِ لِحَطَابِ الْحَقِّ: إِمَّا بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا بِلِسَانِ الْمُتَرْجِمِ عَنْهُ وَهُوَ الرَّسُولُ، مَعَ الشُّهُودِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ مَعَهُ غَيْرَ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْخَطَابِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إشارة لما تقدم ﴿لَذِكْرِي لَئِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فأحال على النظر الفكري بقلب الأحوال عليه ﴿أَوْ

1 ص 26ب

2 [الأفام : 91]

3 [صلت : 21]

4 [آل عمران : 181]

5 [المائدة : 64]

6 [الصفات : 96]

7 [الأفام : 91]

8 ص 27

أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ¹. وما عدا هذين الصنفين فلا طريق لهم إلى العلم بما يستحقه الحق أن يضاف إليه، وما يستحقه الخلق أن يضاف إليهم. فَن عَرَفَ نفسه فَإِنَّهُ لَا يَمِثْلُهُ الْحَقُّ، وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ فَإِنَّهُ لَا يَمِثْلُهُ الْخَلْقُ. إِذْ مَعْرِفَتُكَ بجزء واحد من العالم، من كونه دليلاً، عَيْنُ مَعْرِفَتِكَ بِالْعَالَمِ كُلِّهِ. فلهذا أنزلنا العالمَ منزلة الواحد؛ فنفيًا عنه المثلثية؛ إذ ما تم في الوجود إلا الحق، والحق ما هو مِثْلُ للعالم، وإن كان العالم يمثّل بعضه بعضاً. كما تحكم في الأسماء الإلهية في الغافر، والغفور، والغفار، وأمثال هذا؛ فَإِنَّهَا أَمْثَالٌ، وَإِنْ تَمَيَّزَتْ بِمَرَاتِبٍ؛ كالعالم فيه أمثال، وإن تَمَيَّزَتْ بالأعيان والمراتب. ولهذا ما نزلت هذه الآية إلا في مقابلة قولي كان منهم²، ورد ذلك في الخبر النبوي. وَأَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾³ مع إقرارهم أَنَّ التوراة نزلت على موسى ~~عليه السلام~~ من عند الله؛ فكذبوا على الله؛ فاسودّت وجوههم؛ أي ذواتهم. فلا نور لهم يكشفون به الأشياء، بل هم عمي فهم لا يبصرون.

وَأَمَّا قَوْلُهُ (تعالى): ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ فهذه آية ما نزل عند العارفين أشكل منها لما فيها من التداخل. فدخل تحت قوله تعالى - في تنزيه نفسه عما يصفه به عباده مما تعطيه أدلتهم في زعمهم بالنظر الفكري، كل على حياله، وكل واحد يدعي التنزيه لخالقه في ذلك. فَأَمَّا الْفِيلَسُوفُ فنفي عنه العلم بمفردات العالم الواقعة في الحس منهم. فلا يعلم (الحق) عندهم أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو حَرَكٌ إِصْبَعُهُ عِنْدَ الزُّوَالِ مثلاً، ولا أَنَّ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتُ ثَوْبًا مَعْيِنًا؛ لَكِنْ يَعْلَمُ أَنَّ فِي الْعَالَمِ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مطلقاً من غير تعيين؛ لِأَنَّ حَصُولَ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى التَّعْيِينِ إِنَّمَا هُوَ لِلْحَسِّ، وَاللَّهُ مُنْزَعٌ عَنِ الْحَوَاسِّ. فَقَدْ انْتَرَجَ عَنْهُمْ هَذَا الْعِلْمُ⁵ بِهَذَا الْجُزْءِ فِي الْعِلْمِ الْكُلِّ الَّذِي هُوَ أَنَّ فِي الْعَالَمِ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ عَنْهُمْ. وَفَاتَهُمُ بِذَلِكَ عِلْمٌ كَبِيرٌ.

فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْمَعْيَنَةِ مِنَ الشَّخْصِ الْمَعْيَنِ يَجُوزُ أَنْ يَقُومَ بغيره؛ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَقُومُ الْحِجَّةُ لِلَّهِ عَلَى تَعْيِينِ هَذَا الْعَبْدِ حَتَّى قَرَّرَهُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، أَوْ حَرَمَهُ مَا يَنْبَغِي لَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ لَمْ يَتَحَرَّكْ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ صَاحِبَ هَذَا النَّظَرِ إِنْكَارُ الْآخِرَةِ الْحَسُوسَةِ، وَإِنْكَارُ الْوُجُودِ فِي الدُّنْيَا وَالْجَزْءِ، لِصَاحِبِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ عَلَى التَّعْيِينِ، وَإِنْ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّ تِلْكَ الْحَرَكَةَ هِيَ الْمَانِعَةُ لِنَاتِهَا أَنْ تَحْصَلَ لِهَذَا التَّحَرُّكِ

1 [أق: 37]

2 ص 27

3 [الأأنام: 91]

4 [الصافات: 180 - 182]

5 "على التعيين... العلم" في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب "أصل".

6 ص 28

بها ما تمنعها حقيقة تلك الحركة. فهو باني على أصل فاسد؛ لأن الله ما صدر عنه إلا ذلك الواحد الأول؛ لأحدثته. ثم افعل العالم بعضه عن بعض غير تعلّق علم من الله تفصيلي بذلك؛ بل بالعلم الكلي الذي هو عليه.

وأما المتكلم الأشعري، فانتقل في تنزيهه من التشبيه بالحدث، إلى التشبيه بالحدث. فقال مثلاً في استوائه على العرش: إنه يستحيل عليه أن يكون استوائه استواء الأجسام؛ لأنه ليس بجسم؛ لما في ذلك من الحد والمقدار وطلب الخصص المرجح للمقادير؛ فيثبت له الافتقار؛ بل استوائه كاستواء الملك على ملكه. وأنشدوا في ذلك استشهاداً على ما ذهبوا إليه في الاستواء:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

فشبهوا¹ استواء الحق على العرش باستواء بشرٍ - على العراق، واستواء بشرٍ - محدث؛ فشبهوه بالحدث. والتقديم لا يشبه الحدث؛ فإن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² والنظر الصحيح يعطي خلاف ما قالوه؛ فقال تعالى - في حق كل ناظر: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ لحمد سبح ضمير هذا الكاف، أي: ربك الذي أرسلك إليهم لتعرفهم بما أرسلك به إليهم، وأنزله بوساطتك عليهم. ﴿رَبِّ الْوَرْثَةِ﴾ أي هو المتعنع لنفسه أن يقبل ما وصفوه به في نظرهم، وحكموا عليه بقولهم، وأن الحق لا يحكم عليه خلق، والعقل والعامل خلق. وإنما يعرف الحق من الحق بما أنزله إلينا، أو أطلعنا عليه كشفاً وشهوداً؛ بوحى إلهي، أو برسالة رسول ثبت صدقه وعصمته فيما يبلغه عن الله إلينا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من حيث نظروا بفكرهم واستدلوا بقولهم؛ إذ العلم بالله لا يقبل التحول إلى الجهل ولا الدخول عليه بالشبهة، وما من دليل عقلي إلا ويقبل الدخول والشبهة. ولهذا اختلف العقلاء؛ فكل واحد من المخالفين عنده دليلٌ مخالفه شبهةٌ مخالفه؛ لكونه خالف دليل هذا الآخر. فعين أدلتهم كلهم هي عين شبهاتهم؛ فأين الحق؟ وأين الثقة؟ وأصل الفساد إنما وقع من حيث حكموا الخلق على الحق الذي أوجدهم.

ثم قال (تعالى): ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ وما³ جاءت الرسل عليهم السلام - إلا بما أحالته هذه الأدلة النظرية، وما أثبتته. فصدهم في ظنهم، وأكذبهم في نظرهم؛ فوقعت الحيرة عند هؤلاء. فإذا سلموا له ما قاله عن نفسه على السنة رسوله واتقادوا إليهم؛ فلن⁴ اتقادهم إليهم ينزلهم منزلتهم؛ فإنهم ما اتقادوا إليهم من

1 ص 28 ب

2 [النوري : 11]

3 ص 29

4 رسماً في ق يقرب من: "كان" ووردت "لن" في ه. س

حيث أعيانهم؛ فإتيهم أمثالهم، وإنما اتقادوا إلى الذي جاءوا من عنده، ونقلوا عنه ما أخبر به عن نفسه، على ما يعلم نفسه، لا على تأويل مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ؛ فلا يعلم مراد الله فيه إلا بإعلام الله.

فيقف الناظر موقف التسليم لما ورد، مع فهمه فيه أنه على موضوع ما هو في ذلك اللسان الذي جاء به هذا الرسول، لا بدّ من ذلك. لأنّه ما جاء به بهذا اللسان إلا لتعرف أنّه على حقيقة ما وُضِعَ له ذلك اللفظ في ذلك اللسان، ولكن نجعل النسبة. فنسلم إليه علم النسبة، مع عقينا الدلالة بالوضع الاصطلاحي في ذلك اللحن الخاص؛ فننقاد إليه كما اتقاد المرسلون. ولهذا قال (تعالى): ﴿عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي هو واجب عليهم الاتقياد بقوله: ﴿وَسَلَامٌ﴾ فنكون أمثالهم.

ثم قال: ﴿وَالْخُذْ لِلَّهِ﴾ أي عواقب الشاء؛ إذ كلّ ما جاءوا به إنما قصدوا به¹ الشاء على الله. فعواقب الشاء على الله بما نزه نفسه عنه؛ أنّ الشاء على الله في ذلك، كونه تعالى - يظفهم به، وأوجد ذلك في نفوسهم؛ لا أنّ الذي قالوه يكون حقاً، ولا بدّ.

ولهذا قال: ﴿وَالْخُذْ﴾ فَإِنَّ الْحَدَّ (هو) العاقب. فعواقب الشاء ترجع إلى الله، وعاقب الأمر آخره، ولا آخر لما قالوه إلا كونه موجوداً عنه تعالى - فيهم؛ فإنه ﴿زَبَّ الْعَالِينَ﴾ من حيث ثبوته في رويته بما يستحقّه الربّ من النعوت المقدّسة، وهو سيّد العالم، ومرتبهم، ومفدّهم، ومصليهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾².

وأما قوله (تعالى): ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³؛ اعلم أنّ العالم محصور في علوّ وسفل، والعلو والسفل له أمر إضافي نسبي. فالعالي منه يسقى سماء، والأسفل منه يسقى أرضاً، ولا يكون له هاتان النسبتان إلا بأمر وسط يكون بينهما، ويكون ذلك الأمر في نفسه ذا جهات: فما أظله فهو سماء، وما أقله فهو أرض له. وإن شئت قلت في الملاء الأعلى والملاء الأسفل: إنه كلّ ما يتكوّن من الطبيعة فهو الملاء الأسفل، وكلّ ما تولّد من النور فهو الملاء الأعلى، وأكمل العالم من جمع بينهما؛ وهو البرزخ الذي بجهاته ميّزها، أو بجمعيته ميّزها بالعلو والسفل من حيث المؤثّر والمؤثّر فيه - اسم⁴ فاعل، واسم مفعول.

والحقّ تعالى - بالنظر إلى نفسه لا يتصف بشيء مما يتصف به وجود العالم. فالعظمة والكبرياء

1 ص 29
2 [آل عمران : 6]
3 [الحاقة : 37]
4 ص 30

المنسوبان إليه في السنة الفهواتية؛ أن الله ما تُسبب الكبرياء الذي له؛ ولا جعل محله إلا السهوات والأرض، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ فِي السَّعَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما قال: "وله الكبرياء" في نفسه". فالحل هو الموصوف بالكبرياء الذي لله. فهو (أي العالم) إذا نظر إلى نفسه صغيراً، ورأى موجدته منزهاً عما لا يليق به؛ سَمَّى ربه كبيراً، وذا كبرياء؛ لتأكبر عنده؛ بما له فيه من التأثير والقهر. فلو لم يكن العالم مؤثراً فيه الله - تعالى - ما علم أنه صغير، ولا أن ربه كبير.

وكذلك رأى لما قامت الحاجة به والفقر إلى غيره؛ احتاج أن يعتقد ويعلم أن الذي استند إليه في فقره، له الغنى. فهو الغني سببانه - في نفس عبده، وهو بالنظر إلى ذاته، معزى عن النظر إلى العالم، لا يتصف بالغنى؛ لأنه ما تمَّ عنَّ؟ وكذلك إذا نظر (العالم) إلى ذاته علم أنه لا يذل لنفسه، وإنما يذل تحت سلطان غيره عليه؛ فسماه عزيزاً؛ لأنه عزَّ الحقُّ في نفس هذا العبد لئله. فالعبد هو محل الكبرياء، والغنى، والعظمة، والعزة؛ التي لله. فوصف العبد ربه بما قام به؛ فأوجب المعنى حكمه لغير من قام به.

ومن هنا برقت بارقة لمن قال من أهل النظر: إنَّ الباري مريدٌ بإرادة حادثة لم يتم به؛ لأنه ليس محلاً للحوادث²؛ فخلق إرادة لا في محل؛ فأراد بها؛ فأوجبت الإرادة حكمها لمن لم يتم به. هذا القدر هو الذي لاح عندهم من روح هذا الأمر الذي ذكرناه في الكبرياء، وما تمَّ لهم تحقيق النظر إلى آخره؛ بل عبروا عن ذلك بعبارات سبَّية مختلطة. فإنَّ أكثر العقلاء يرون أنَّ المعاني لا توجب أحكاماً إلا لمن قامت به، وهذا غلط طرأ عليهم لكونهم أثبتوا الصفات أعياناً متعدّدة وجودية لا تقوم بنفسها؛ بل تستدعي موصوفاً بها تقوم به؛ فيوصف بها. فلو علموا أنَّ ذلك كلّهُ ينسب وإضافات في عين واحدة، تكون تلك العين بالنسبة إلى كذا: عالمة، وإلى كذا: قادرة، وإلى كذا: مريدة، وإلى كذا: كبيرة، وإلى كذا: غنيّة، وإلى كذا: عزيزة، إلى سائر الصفات والأسماء؛ (ل)أصابوا³.

ألا تراهم يقولون في الكبرياء، والعظمة، والغنى، والعزة؛ إنها صفات تزیه؛ أي هو منزّه عندهم عن تقيضها؟ وليس الأمر عند المحققين كما قالوه، وإنما هو منزّه عن قيام الكبرياء به بحيث أن يكون محلاً له؛ بل الكبرياء محله (هو) الذي عين الحقُّ له؛ وهو السهوات والأرض. فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ فِي السَّعَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ﴾ أي هو عين الحقِّ ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي المنيع لذاته أن يكون محلاً لها هي السهوات والأرض⁴ له

1 تاج في الهامش بقلم آخر.

2 ص 30 ب

3 تاج في الهامش بقلم آخر.

4 [الجانبة : 37]

محلّ، وليس إلّا الكبرياء. فما كبر إلّا في نفس العالم، وهو أجلّ من أن يقوم به أمرّ ليس هو؛ بل هو الواحد من جميع الوجوه، وهو ﴿الْحَكِيمُ﴾ بما ربّته في الخلق، ومن جملة ما ربّته بعلمه وحكمته أنّه جعل السماوات والأرض محلّاً لكبريائه. فكأنّه يقول: وله الكبرياء الذي خلقه في نفس السماوات والأرض حتى يكبروا إلههم به. وكذلك وقع فكبروه في نفوسهم؛ فقالوا: إنّهُ ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ أي صاحب الجلال الذي نجده في نفوسنا له ﴿وَالْإِكْرَامُ﴾² بنا. فإن نظرت بعين الحقيقة، ففتح³ الله منك عين الفهم؛ علمت مَنْ سُميت؟ وَمَنْ وصفت؟ وَمَنْ نعت؟ ولمن هي هذه النعوت؟ ومن قامت؟ وإلى أيّ عين نُسبت؟.

وأما قوله (تعالى) فيها وصف به نفسه -فما هو عند النظّار صفة للخلق حقيقة، وأخوه في الله تجوّزا- من جوع، وظمأ، ومرض، وغضب، ورضا، وسخط، وتعجب، وفرح، وتبشّش، إلى قدم، ويد، وعين، وذراع، وأمثال ذلك فما وردت به الأخبار عن الله على السنة الرسل، وما ورد من ذلك في الكلام المنسوب إلى الله المعبر عنه بصحيفة، وقرآن، وقرآن، وتوراة، وإنجيل، وزبور؛ فالأمر عند المحقّقين أنّ هذه كلّها صفات حقّ، لا صفات خلق، وأنّ الخلق اتّصف بها مزاحمة للحقّ، كما اتّصف العالم أيضا بجميع الأسماء الإلهية الحسنى وأجمع النظار عليها، والكلّ أسأوه من غير تخصيص. هكذا مذهب المحقّقين فيه؛ فإنّه صادق.

ولهذا نحن في ذلك على التوقيف؛ فلا نصّفه إلّا بما وصف به نفسه، ولا نسمّيه إلّا بما سُمي به نفسه. لا نخترع له اسما، ولا نخدّث له حكما، ولا نقيم به صفة. فإنّه قد قدّمنا لك؛ أنّه لا يماثلنا ولا نماثلُه؛ فليس كمثل شيء منا، وليس كمثلنا شيء منه. فهو لنفسه بنفسه، ونحن لنا به؛ لأنّا لا نستقلّ بوجودنا كما استقلّ. إلّا أنّه خلق العالم على صورته؛ ولذلك قيل التسمّي بأسمائه؛ فانطلق على العالم ما انطلق على الحقّ، من حيث ما أطلقه الحقّ على نفسه. فعلمنا أنّه في أسماه الأصل، لا نحن. فما أخذ شيئا هو لنا ولا نستحقّه؛ بل كلّ ذلك له.

ومن جملة ما خلق الله الخيال، وظهر فيه لنا بهذه الأسماء والصفات. ففصلنا وقسّمنا، ورفعنا وحططنا، ولم ترك شيئا من صفات العالم عندنا إلّا وصّفنا بها خالفنا. فكشف لنا؛ فإذا بذلك كلّ صفائه، لا صفاتنا. فصفات العالم على الحقيقة هيئة الحقّ، والاختلاف في التجليات الإلهية لحقائق الممكنات (هي)

1 ص 31

2 [الرحمن : 27]

3 رسم في ق غرب من: "فتح" أو "فتح"

4 ص 31 ب

في عين الحق؛ فإنه عين الصورة التي أدركنا. إذ لا نشك فيما رأينا أنا رأينا الحق بالعلامة التي بيننا وبينه، وهو من هويته بصرنا، وسمعنا. لما رأيناه إلا به؛ ببصرنا، ولا¹ سمعنا كلامه إلا به؛ بسمعنا. فلا بد من عين هو مستق العالم، ولا بد من عين هو مستق الحق، ليس كمثل واحد شيء من الآخر. فهذا بعض ما يحوي عليه التواضع الكبريائي ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 32
2 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة

في معرفة منازلة مجهولة

وذلك إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق، وكل شيء عند الحق معين،
فقد قصده من الحق ما لا يناسب قصده من عدم التعيين

تَكُونُ عَلَى التَّعْيِينِ إِذَا اجْتَمَعْنَا	وَأَنْ بِنَا تَكُونُ عَلَى السَّوَاءِ
وَفِي التَّخْفِيفِ مَا فِي الْكَوْنِ عَيْنٌ	بِلَا شَكٍّ سِوَاهُ وَلَا مِرَاءِ
فَقُلْ لِلْمُنْكَرِينَ صَبِيحَ قَوْلِي	عَمِيئُ عَنْ مُطَالَعَةِ الْقَمَاءِ
وَعَنْ نَقِيسٍ تَكُونُ فِيهِ خَلْقٌ	كَثِيرٌ شَكْلُهُ شَكْلُ الْمَرَائِي
فَيُثْلَبُ ¹ صُورَةُ الرَّائِي إِلَيْهِ	بِحُكْمٍ ثَابِتٍ فِي كُلِّ رَائِي

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾² فعين لمعين، وزاد غير معين. سألت بعض شيوخنا عن الزيادة فقال³: "ما لم يخطر بالبال" وقال رحمه الله: «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر، ولا بد أن يكون في البشر. صفة غير معلومة ولا معينة، منها يحصل له هذا الذي ذكر أنه «ما خطر على قلب بشر» موازنة بمجهول لمجهول. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقْلُمُ نَفْسٌ فَنَكَرَ وَفَى الْعِلْمِ﴾ «مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»⁴ فعللنا على الإجمال أنه أمر مشاهد؛ لكونه قرنة بالأعين، لم يقرنه بالأذان ولا بشيء من الإدراكات. ولذلك علمنا أن قوله رحمه الله: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» أنه ما أراد المناجاة؛ وإنما أراد شهود من نجاه فيها، ولهذا أخبرنا «أن الله في قبلة المصلّي» فقال: «اعبد الله كأنك تراه» فإنه رحمه الله كان يراه في عبادته، ما كان كأنه يراه. ومن أهل الله من تكون له هذه الرتبة، ولولا حصولها ما قرنها بالعبادة دون العمل، لما قال: «اعمل لله كأنك تراه». فإن⁵ العبادة من غير شهود صريح أو تخيل شهود صحيح؛ لا تصح.

1 ص 32 ب

2 [يونس: 26]

3 تاجة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

4 [السجدة: 17]

5 ص 33

وفي هذا الباب (قوله تعالى-) ﴿وَمَا يَفْلَهُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾¹ وفيه: ﴿مَنَاجِحُ الْغَيْبِ لَا يَفْلَهُهَا إِلَّا هُوَ﴾²، وكل ما هو عِلْمُهُ موقوف على الله؛ لا يُعْلَمُ إِلَّا بِإِعلامِ الله، أو بإشهادِهِ. ومن هذا الباب قوله (تعالى): ﴿فَأَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾³ ومن هذا الباب: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ﴾⁴ من غير تعيين أيام معينة.

أما صورة هذه المنازلة من العبد فهي كما قال أبو يزيد (البسطامي) في الجُلُوسِ مع الله بلا حال ولا نعت، وهو أن يكون العبد في قصده على ما يعلمه الله، لا يعين على الله شيئاً. فإنه من عين في قصده شيئاً؛ فلا فرق بينه في الصورة، وبين من عبد الله على حرف. فصاحب هذه المنازلة يعبد ربه بتعيين الأوقات، لا بتعيينه؛ فهو في حكم وقته. والوقت من الله، لا منه؛ فلا يدري بماذا يفجؤه وقته. فغايته أن يكون مميّناً لوارِدِ مجهولِ إلهي يقيمه في أي عبادة شاء. فتنتج له تلك العبادة من الحق في منازلته، ما لا يناسب ذلك العمل في علمه، إلا أنه مناسب لعبادته في ذلك العمل. فهو زيادةً بالنظر إلى العمل، نتيجةً بالنظر إلى العبادة فيه. وهذا مقام ما وجدنا له ذاتاً في علمنا- من أهل الله؛ لأن أكثرهم لا يفرقون بين العبادة والعمل. وكل عمل لا يظهر له الشارع تعليلاً من جمته، فهو تعبد؛ فتكون العبادة في كل عمل غير⁵ معلّلٍ أظهر منها في العمل المعلّل. فإن العمل إذا علّل ربما أقامت العبد إليه حكمة تلك العلة وإذا لم يعلّل لا يقيمه إلى ذلك العمل إلا العبادة المحضة.

واعلم أن العبادة حال ذاتي للإنسان لا يصح أن يكون لها أجر مخلوق؛ لأنها ليست بمخلوقة أصلاً. فالأعيان من كل ما سوى الله- مخلوقة، موجودة، حادثة. والعبادة فيها ليست بمخلوقة؛ فإنها لهذه الأعيان- أعني أعيان العالم- في حال عدمه، وفي حال وجوده، وبها صحّ له أن يقبل أمر الله بالتكوين من غير تثبط. بل أخبر الله تعالى- أنه يقول له: "كن" فيكون. فتحكم العبادة للممكن في حال عدمه أمكن فيه منها في حال وجوده. إذ لا بدّ له في حال وجوده، واستحكام رأيه، ونظرة لنفسه، واستقلاله- من دعوى في سيادة بوجوه ما، ولو كان ما كان؛ فينقص له من حكم عبادته بقدر ما ادّعاء من السيادة. فلذلك قلنا: إن حكم العبادة للممكن أمكن منه في حال عدمه منها في حال وجوده. فن استصحبته؛ فقد استصحبه الشهود دنيا وآخرة. وثقته إذا كانت هذه حالته- أنه لا يفرح بشيء، ولا يحزن لشيء، ولا يضحك ولا

1 [آل عمران : 7]

2 [الأنعام : 59]

3 [البقرة : 115]

4 [البقرة : 184]

5 ص 33 ب

يكي، ولا يقيده وصف، ولا يميزه نعت وجودي؛ فلا رسم له ولا وصف.

قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله في هذا المقام: "ضحكت¹ زمانا وبكيت زمانا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي". وقال في هذا المقام لَمَّا قيل له: كيف أصبحت؟ -: "لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن يَتَقَيَّدُ بالصفة، وأنا لا صفة لي". فوصف نفسه بالإطلاق، ولا يصح الإطلاق إلَّا في العبادة خاصة، ولا في العبادة؛ لأنَّ العبد مقيَّد بإرادة السيِّد الذي يملكه فيه. ومن كان له الإطلاق؛ فلا يَتَقَيَّدُ أجره ولا يتعيَّن؛ لأنَّ العبد لا أجر له، ما هو مثل الأجير.

وقد كان لشيخنا أبي العباس العربي من الغُلبا من غرب الأندلس وهو أول شيخ خدمته وانتفعت به - قدم راسخة في هذا الباب؛ باب العبودية. وإنما صاحبها العبد في شأنه، كما أنَّ الحقَّ في شأنه؛ فجزاء الإطلاق الإطلاق. سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله» وما ذكر العمل، وإنما ذكر العبادة. وقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾² فهو قولنا: ما جزاء الإطلاق إلَّا الإطلاق.

والأجور مقيَّدة من عشر إلى سبعمائة ضعف؛ لأنَّها أجور أعمال معيَّنة متناهية الزمان؛ فلا بدَّ أن يَتَقَيَّدَ أجرها بالعدد ولو كان جزافا؛ فإنَّه مقيَّد بالعدد عند الله. كالصابر يوفَّى أجره بغير حساب مُعَيَّنٍ عِلْمُهُ عندنا، وعند الله مقيَّد بقدر معلوم؛ لأنَّ الصبر يعمُّ جميع الأعمال؛ لأنَّه حبس النفس على³ الأعمال المشروعة. فلهذا لم يأخذه المقدر، والأعمال تَأْخُذُها المقادير. فعلى قدر ما يقام فيه المكلف من الأعمال إلى حين موته، وهو يحبس نفسه عليها حتى يصحَّ له حال الصبر واسم الصابر؛ فيكون أجره غير معلوم ولا مقدَّر عنده جملة واحدة، وإن كان معلوما عند الله؛ كالمجازفة في البيع من غير كيل في المكيل، ولا وزن في الموزون.

وفارق الصبرُ العبادة بأنَّ العبادة له (خلعبد) في حال عدمه وعدم تكليفه، والصبرُ لا يكون له في حال عدمه ولا في حال عدم تكليفه. فالعبادة لا تبرح معه دنيا ولا آخرة. فإذا كان مشهده عبادته في حال ارتقائه، ونزل الحقُّ إليه كما وصف الحقُّ نفسه بالنزول، فوقع الاجتماع؛ وهو المنازلة. فمن حيث أنَّ العبد

1 ص 34
2 [الرحمن: 60]
3 ص 34 ب

ذو عمل من الأعمال -لأنه لا بد أن يكون في عمل مشروع صالح، وهو الذي يصعد به- فإنه يراقه؛ لأنه محمول. فيتلقاه من الله من حيث ذلك العمل- بالبر الذي عيّنه الله لمن جاء به، وهو مقدر معلوم.

ثم إن الحق ينظر في هذا المكلف خيرا مع كونه في عمله غير مشهود له ذلك العمل، لعل له أن الله هو العامل به لا هو، وأنه محلّ لخلق العمل به، وكالآلة لوجود ذلك العمل؛ فيكون الحق يعطي استحقاق ذلك العمل من حيث ما وعد به فيه. وينظر ما مشهد ذلك الشخص؛ فيجده في عبادته التي لم يزل عليها في حال عدمه، لما تمّ جزاء في مقابلتها إلا أن لا يزرقه الغفلة عنها في زمان خلق الغفلات في المكلفين، ما تمّ إلا هذا. وهو الذي قلنا في الممكن، في حال وجوده، أنه لا بد من حكم سيادة تظهر منه؛ لأنه في زمان حكم الغفلات. فالعناية بهذا العبد في هذه المنازلة (هي) رفع الغفلة عن العبادة في كل حال.

فهذه هي الزيادة في قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَةً﴾² ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالأعمال ﴿الْخُسَىٰ﴾ بما لهم من الأجور، بل بما للأعمال من الأجور؛ فإنها تعينها للعامل ﴿وَزِيَادَةً﴾ هي ما ذكرناه في حق صاحب العبادة؛ فإنه لا يزرق الغفلة في وقت العمل- فمن هو العامل؛ فيرى أن العامل هو الله. وليس يعود الأجر الذي يطلبه العمل إلا على العامل، فالعامل عنده هو الله؛ فأجرته لو كان ممن يقبل الأجور- على قدره. فيحصل للمكلف -الذي هو الآلة، القابل للأجور- أجر من لو قبل الله الأجر؛ كيف يكون أجره: هل يكون إلا على قدره؟ وإن قوته العمل؛ فإن أجر هذا المكلف بهذا الشهود، من أجر من يرى في عمله أن المكلف هو العامل لا الحق؛ فيكون أجره على قدر هذا المكلف؛ فلا يحصل له سوى أجر العمل خاصة إلا على قدر أجر العامل؛ لأن العامل عنده عينه؛ ولا قدر له. ولولا ظهوره³ واتصافه بطاعة ربه في عمله، لم يكن له قدر من نفسه. ولهذا ترى مآل الخالف إلى ما يكون. فلو كان له قدر في نفس الأمر؛ لسعد بحكم قدره، وإنما يسعد برحمة الله. ولم تتفاضل سعادتهم لو كان لهم قدر يستحقون به السعادة. ولا نشك أنهم في السعادة متفاضلون، كما أنهم في الأعمال متفاضلون؛ من حال، وزمان، ومكان، وعين عمل، ودوام، واجتماع، وانفراد، إلى غير ذلك فما يقع به التفاضل؛ فعلما أنه ما تمّ جزاء لقدر. فعلما أن الإنسان، من حيث عينه، لا قدر له؛ إلا بطاعة ربه وقدر عمله.

ثم إن الحق بعد هذا النظر وتعيين الجزاء كما قدرناه- ينظر في شهود هذا المكلف؛ فيراه ذا عبادة،

1 ص 35
2 [يونس : 26]
3 ص 35 ب

والعمل تابع لها فيه، وهو لا يتَّصف بالإعراض عن الأعمال ولا بالإقبال عليها¹، وأنه على الحال الذي كان عليه في حال عدمه لم يتغيَّر. فيبقى على حاله، ويحجب الغفلة عنه؛ فلا يكون له فيه أثر بوجه من الوجوه؛ وهذه هي العصمة العامة.

فإذا وقعت منه مخالفة؛ فإنما تقع بحكم القضاء والقدر من تكوينها فيه، كما وقعت الطاعة. لما تُنقص له من حاله في عبادته؛ لأنَّ الغفلة محبوبة عنه، والحضور له² دائم. فإذا وقع منه ما وقع؛ فهو من الله عيَّن تكوينَ لتلك الواقعة في هذا الحلِّ؛ ظاهره صورةٌ معصية لحكم خطاب الشرع، وهي في نفس الأمر أعني تلك الواقعة- موجودٌ أوجده الله في هذا الحلِّ؛ من الموجودات المسيَّجة بحمده. فلا أثر لهذه المخالفة فيه، كما لا أثر للطاعة فيه. فتسعد النفس الحيوانية بذلك العمل، كان العمل ما كان في الظاهر؛ مما يجري عليه لسانُ ذنب، أو لسان خير. فإنه في نفس الأمر ليس بذنب؛ وإنما حركته الحيوانية كحركات غير المكلف؛ لا تتصف بالطاعة ولا بالمعصية؛ وإنما ذلك إنشاء صور في هذا الحلِّ ينظر إليها علماء الرسوم قد ظهرت من مؤمن عاقل بالغ، فيحكمون عليه بحسب ما هي عندهم في حكم الشرع من طاعة أو معصية؛ ما يلزمهم غير هذا، ما لم يدخل لهم الاحتمال فيه. فإن دخل لهم الاحتمال في ذلك؛ لم يُجْزَ لهم أن يرتجحوا جانب لسان الذنب على غير ذلك. كرجل أبصرته في بلدة صحيحة سويًا في رمضان يأكل نهاراً، مع معرفتك به أنه مؤمن، فيدخل الاحتمال فيه أن يكون به مرض لا تعرفه، أو يكون في حال سفر ولا تعرف ذلك؛ فليس لك أن تقيم على الإنكار عليه مع هذا الاحتمال، ولا يلزمك سؤاله عن ذلك؛ بل³ شُغْلُكَ بنفسك أولى بك.

وأما قوله في هذا الباب ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أذنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» فاعلم أنه ما سُمِّيَت الجنة جنة إلا لما نذكره، وكذلك تسمية الملائكة جنة، وكذلك الجبر. فكل ذلك راجع إلى الاستتار، والاستتار ما هو على غمط واحد؛ بل حكمه مختلف. وذلك أنَّ من هذا النوع كون الحقِّ يتجلى في القيامة ويقول: «أنا ربكم» ويرويه، ومع هذا ينكرونه ولا يصدِّقون به أنه ربهم، مع وجود الرؤية على رفع الحجاب. فإذا تحوَّل لهم في الملامة التي يعرفونه بها يقولون له: «أنت ربنا» وهو كان الذي أنكروه وتعوذوا منه، وهو الذي أقروا به واعترفوا. فما هو هذا الحجاب الذي حصل لهم مع الشهود: هل

1 ق: "عليه" ومصححة في الهامش بقلم آخر.

2 ص 36

3 ص 36 ب

هو أمر وجودي؟ أو حكم عدي؟ فهذا مشهود محبوب، ولا حجاب وجودي، ولا حكم للمعدم في الموجود!. فانظر ما أخفى هذا!. وليس في العالم في الدنيا واقع إلا هذا في جميع الأمور، والناس في غفلة عنه.

كما أتت تؤمن أن الملك معنا والشيطان معنا، والحجب المحسوسة ما هي موجودة عندنا، وأعيننا ناظرة؛ ومع هذا فلا ندرك الملك ولا الجآن، وهو يرانا وقبيله من حيث لا نراه¹، فهو وقبيله يرانا شهودا عينيًا، ونحن نراه إيمانًا، لا عينًا. فما هو هذا الستر الذي بيننا؟ إذ لو كان بيننا؛ لحجبهم عنا كما يحجبنا عنهم. فلا بد من تعيين حكمة في ذلك.

وكذلك الحجب التي ذكر الله عن نفسه التي بيننا وبينه من نور وظلمة. فمن الظلمة وقع التنزيه؛ فنفيًا عنه صفات المحدثات؛ فلم نره. فنحن جعلنا الحجب على أعيننا بهذا النظر. والنور: كظهوره لنا حتى نشهده ونشكر أنه هو كما قَدَّمنا في التجلي في القيامة- وهو عند العارفين اليوم في الدنيا على هذا الحكم؛ فيشده العارفون في صور الممكنات المحدثات الوجود، وينكره المجربون من علماء الرسوم. ولهذا يسمى بالظاهر في حق هؤلاء العارفين، والباطن في حق هؤلاء المجربين؛ وليس إلا هو ﷻ. فأهل الله -الذين هم أهله- لم يزالوا -ولا يزالون دنيا وآخرة- في مشاهدة عينية دائمة، وإن اختلفت في الصور؛ فلا يقدح ذلك عندهم.

فإن قال قائل: فوسى أحق هذه الصفة من الولي، وقد سأل الروية؟ قلنا له: قد ثبت عندك، إن كنت مؤمنًا، وإن لم تكن من أهل الكشف، أن النبي ﷺ قد أخبر "أن الله يتجلى في صورة ويتحول إلى صورة، وأنه يُعرف ويُكر" إن كنت مؤمنًا لا تشك في هذا. وأنه قد بين أن التجلي في الصور؛ بحسب قدر المتجلى له. فإذا علمت هذا، تعلم أن موسى³ قد رأى الحق بما هو متجلٍ للأولياء؛ إذ علم أنه يتجلى للأولياء في صور مختلفة؛ لأن موسى ولي الله، وقد علم ذلك، ومثل هذا فلا يخفى. وإنما سأل التجلي في الصورة التي لا يدركها إلا الأنبياء، ومن الأنبياء من خصه الله بمقام لم ينله غيره؛ كالكلام بارتفاع الوسائط لموسى ﷺ. فطلب موسى ﷺ من ربه أن يراه في تلك الصورة التي يطلبها مقامه. وأما رؤيته إياه في

1 ق: "لا نره" أو "لا نره" وهو مستطاد من الآية: "إِنَّ تَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْسَبُونَ" [الأعراف: 27]

2 ص 37

3 ص 37 ب

الصورة التي يراها الأولياء فذلك خبره وذَنَّهُه¹. وما جعلك تقول مثل هذا على طريق الاعتراض - إلا بكونك لست بولي عارف؛ إذ لو كنت من العارفين لشهدته، ولم يغيب عنك علم ما انفصلنا به في جواب سؤالك.

نصح قوله (ص): «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ» أي في السَّتر؛ اعتباراً لا تفسيراً. إذ لو رآته عينٌ ما كان مستوراً، ولو رآته لنطقَتْ به وكان مسموعاً، (ولو كان مسموعاً لكان محدوداً)، ولو كان محدوداً لأخطرته فكان معلوماً. فهو أمر حُجبنا عنه بحجاب لا يُعرف؛ فإنه في السَّتر المعبّر عنه بالجنة. فإذا كان عينه عن السَّتر؛ فما حُجبنا إلا جَعَلْنَا ما رأيناه سترًا؛ فتعلقت الهمة بما خلف السَّتر؛ وهو المستور؛ فأُتِيَ علينا بئنا، وما جَعَلْنَا في ذلك إلا التنزيه.

ولهذا جاءت الأنبياء عليهم السلام - مع التنزيه بنعوت التشبيه؛ لتقرب الأمر على الناس، وتنبه الأقرين إلى² الله الذين هم في عين القرب مع الحجاب الذي هو الأمر عليه. فيكون في ذلك التنبيه بالتشبيه رَفْعُ الْأَغْطِيَةِ عَنِ الْبَصَرِ؛ فيُتَّصَفُ الْبَصَرُ بِأَنَّهُ حَدِيدٌ، كما يُتَّصَفُ بَصَرُ الْمُحَضَّرِ قَالَ -تعالى-: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾³ فبصر المحضر ما لا يراه جلساؤه، ويخبر جلساءه ما يراه ويدركه، ويخبر عن صدق. والحاضرون لا يرون شيئاً، كما لا يرون الملائكة، ولا الروحانيين الذين هم معه في مجلس واحد. وقد أخبرنا الله بأن الملائكة تحضر مجالس الذكر؛ وهم السَّيَّاحُونَ في طلب هذه المجالس، فإذا رأوا مجلس الذكر نادى بعضهم بعضاً: «هَلِّمُوا إِلَى بَيْتِكُمْ» وليس أحد من البشر من أهل ذلك المجلس - يدركهم، إلا مَنْ رَفَعَ اللَّهُ الْغِطَاءَ عَنْ بَصَرِهِ فَأَدْرَكَهُمْ؛ وهم أهل الكشف. ألم تسمع لقول النبي ﷺ للذين يمشون خلف الجنائز ركاباً: «أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَمْشِي عَلَى أَعْدَامِهِمْ فِي الْجَنَازَةِ وَأَنْتُمْ تَرْكَبُونَ!».

فالمؤمن ينبغي أن يعامل الموطن بما يعامله به صاحبُ العيان، وإلا فليس بمؤمن حقاً. فإنَّ لكلَّ حقٍّ حقيقة، وليس الحقيقة التي لكلِّ حقٍّ إلا إنزاله منزلة المشهود المذكور للبصر. وقد قال هذا رسول الله ﷺ

1 الثَّنَّةُ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِالْكَلَامِ تَسْمَعُ نَفْسُهُ وَلَا يَهْمُهُ عَنْهُ لَأَنَّهُ يُخْفِيهِ، وَمَنْه: ذَنْنٌ إِذَا اخْتَلَفَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ مَجِيئًا وَذَهَابًا، وَأَمَّا عَنِهَا نَفْسُهُ لَمَّا أَنْ ذُنُوبُهَا صَادَرَتْ عَنْهَا وَكَانَتْ بِسَبِيلِهَا. وَالثَّنَّةُ: الصَّوْتُ وَالْكَلَامُ الَّذِي لَا يَخْفَى. [لسان العرب]، وكأنه يقول: هيا طعاما وشرا به ومصدر الإهام. (ولعلها: خبره وذَنَّهُه)

للرجل الذي سمعه يقول: "أنا مؤمن¹ حقاً". فقال له رسول الله ﷺ: «لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» فقال الرجل: «كأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً» -يعني يوم القيامة- فقال له رسول الله ﷺ: «عرفت فالزم» ففسّر الحقيقة بالنظر والرؤية، وجعله بـ"كأنّ" لأنّ يوم القيامة ما وقع جسّاء، ولكن وقع في حقّه ممثلاً، فأدركه في التمثّل كالواقع في الحسّ؛ كالعابد إذ قال له: «اعبد الله كأنك تراه».

فما هذا مثل العرش البارز؛ فإنّ الله هنا موجود في نفس الأمر في قبلة المصلّي أو العابد في أيّ عمل كان، وبروز العرش ليس كذلك. فمن الناس من يعبد الله كأنّه يراه؛ للحجاب الذي منعه من أن يراه. ومن الناس من يعبد على رؤية ومشاهدة. وليس بين الذي يراه والذي لا يراه؛ إلّا كون هذا الذي لا يراه لا يعرفه؛ مع أنّه مشهود له ﷻ. والعارف يعرفه؛ ولكن مثل هذه المعرفة لا ينبغي أن يقال؛ فإنّها لا تجل. فإذا شهدها الإنسان من نفسه؛ لم يتمكن له أن يجعلها؛ فيكون عند ذلك من الذين يرون الله في عبادتهم، ويغزل عنهم حكم «كأنك تراه» فاعلم ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ يعني للقوم الذين تقدّم وصفهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾² فما هو جزاؤهم هنا؟ إلّا إخفاؤهم ذلك عن هذه النفس التي لا تعلم. فيكون إخفاء حال هؤلاء وما لهم عند الله عن هذه النفوس التي لا تعلم؛ جزاء لهم. أي جزاؤهم أن يجعل مقامهم عند الله؛ فلا تدر نفس قدرهم. كما قال الحقّ عن نفسه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾³ فأعطاهم نعمة في خلقه؛ فلم تعلم نفس ما أخفي لهؤلاء من قرة عين بما تقرّ به أعينهم.

وكذلك قال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وإنما ذكر الأعين دون جميع الإدراكات؛ لأنّ كلّ كلام إلهي وغير إلهي لا بدّ أن يكون عنه عين موجودة، وما تمّ إلّا الكلام، فما تمّ إلّا أعيان توجد. ومتعلّق الرؤية (هو) إدراك عين المرئي، واستعداد المرئي للرؤية، سواء كان معلوماً أو موجوداً. فإذا رآه قرّرت عينه بما رآه؛ إذ كان غيره لا يرى ذلك. ولهذا سأل موسى الرؤية لتقرّ عينه بما يراه. فكان رسول الله ﷺ في حال صلته صاحب رؤية وشهود؛ ولذلك كانت الصلاة محلّ قرة عينه؛ لأنّه مُناجٍ، والأعيان كما قلنا. تتكوّن بالكلام. فهو والحقّ في إنشاء صور ما دام مُناجياً في صلته؛ فيرى ما يتكوّن عن تلاوته، وما

1 ص 38

2 [السجدة : 17]

3 ص 39

4 [الأعام : 91]

يتكوّن عن قول الله له في مقابلة ما تكلم به، كما ورد في الخبر الذي فيه تقسيم الصلاة من: يقول العبدُ فيقول¹ الله.

وأما قوله (تعالى) في هذا الباب: ﴿وَمَا يَفْلَهُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾² فَإِنَّ مَالَ الشَّيْءِ لَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ وَاقِعًا قَبْرِي؛ إِلَّا إِنْ مُثِّلَ لِلرَّائِي فَهُوَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ؛ فَإِنَّ الْمَالَ يَقَابِلُ الْحَالَ. فالحال موجود، والمال ليس بموجود؛ ولهذا سمي مالا. والتأويل هو ما يؤول إليه حكم هذا المتشابه؛ فهو محكم غير متشابه عند من يعلم تأويله، وليس إلا الله. والراسخ في العلم يقول: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾³ يعني متشابهة ومحكمة. فإذا أشهده الله ماله فهو عنده محكم، وزال عنه في حق هذا العالم المتشابه. فهو عنده كما هو عند الله من ذلك الوجه. وهو عنده أيضا متشابه لصلاحيته إلى الطرفين من غير تخلص، كما هو في نفس الأمر بحكم الوضع المصطلح عليه. فهو وإن عرف تأويله فلم يزل عن حكمه متشابهًا. فغاية العالم الذي أعلمه الله بما يؤول إليه علمه بالوجه الواحد، لا بالوجهين. فهو على الحقيقة ما زال عن كونه متشابهًا؛ لأنّ الوجه الآخر يطلبه بما يدلّ عليه ويتضمنه، كما طلبه الوجه الذي أعلم الله به هذا الشخص⁴.

فعلم الله على الحقيقة - به أن يعلم تأويله، أي ما يؤول إليه من الجانبين في حق كلّ واحد، أو الجوانب إن كانوا كثيرين. فيعلمه متشابهًا؛ لأنّه كذا هو؛ إذ كلّ جانب يطلبه بنصبيه ودلالته منه. فالحكم محكم لا يزول، والمتشابه⁵ متشابه لا يزول. وإنما قلنا ذلك لئلا يتخيّل أنّ علم العالم بما يؤول إليه ذلك اللفظ في حق كلّ من له فيه حكم، أنّه يخرج عن كونه متشابهًا، ليس الأمر كذلك؛ بل هو متشابه على أصله، مع العلم بما يؤول إليه في حق كلّ من له نصيب فيه. فهذه الإحاطة بمجهولة، ولا تُعلم إلا في هذه المنازلة. فيعطى من هذا المتشابه كلّ ذي حقّ حقّه، كما أعطى الله كلّ شيء خلقه مع الشبه والاشتراك.

وأما مفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو، وهو من هذا الباب؛ فلا تُعلم إلا بإعلام الله. وإن كانت تُعلم فلا تُعلم أنّها مفاتيح الغيب. فنتبّه لهذا، فاعلم أنّ الإعلام أظهر لنا أنّ الاستعدادات من القوابل هي مفاتيح الغيب؛ لأنّه ما ثمّ إلا وَهَبَ مطلق عام، وفيض جود، ما ثمّ غيب في نفس الأمر ولا شهود؛ بل معلومات لا نهاية لها، ومنها ما لها وجود، ومنها ما لا وجود لها، ومنها ما لها سببيّة، ومنها ما لا سببيّة لها، ومنها ما

1 ص 39 ب

2 [آل عمران : 7]

3 [آل عمران : 7]

4 "هذا الشخص" تاجان في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب.

5 ص 40

لها قبول الوجود، ومنها ما لا قبول لها.

فتمّ مفتاح، وفتح، ومفتاح؛ يظهر عند فتحه ما كان هذا المفتوح حجاباً عنه. فالمفتاح (هو) استعدادك للتعلم وقبول العلم. والفتح (هو) التعليم. والمفتوح (هو) الباب الذي كنت واقفاً معه. فإذا لم تحفّ وبسرت؛ رأيت في كلّ قدم ما لم تره؛ فعلمت ما لم تكن تعلم ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾².

فالاستعداد غير مكتسب؛ بل هو منحة إلهية؛ فلها لا يعلمه إلا الله. فتعلم أنّ تمّ مفاع غيب، لكن لا تعلم ما هو مفتاح غيب خاص في مفرد مفرد من القيوب. فإذا حصل الاستعداد من الله تعالى- حصل المفتاح، وبقي الفتح حتى يقع التعليم، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³ فالتعليم عين الفتح.

ومن هذا الباب: ﴿قَاتِلُوا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾⁴ كالصلاة على الراحلة. فالمستقبل لا يتقيد، فالمستقبل فهو بحسب ما تمشي به. كذلك لا يعرف العارف أين تسلك به ربه في مناجاته؛ فإنه بحسب ما يناجيه به من كلامه، وكلامه سور القرآن. فأي سورة، أو أي آية شاء قرأ من غير تعيين؛ لأنّ الشارع ما قيده بسورة بعينها؛ فهو بحسب ما يلتقي في خاطره؛ وذلك إلى الله. فكما لا علم له بما يلقيه في نفسه مما يناجيه به إلا حتى يلقيه؛ كذلك لا يعلم ما يقول له الحق في مناجاته في منازلته.

ومن هذا الباب قوله (تعالى): ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾⁵ وأيام الله التي يقطعها العبد بعمره لا يعين قدرها، ولهذا نكرها. فالذي يجب على المكلف في سفره عدّة من أيام آخر؛ له الاختيار في تعيينها، ولكن لا يدري ما يعين منها إلا بإلقاء الله في نفسه ذلك. و«الصوم لا يثل له» فلا يدري في أيّ صفة يقمها بما لا يثل لها من جانب الحق. وهي كلّ صفة إلهية لا يمكن للعبد الاتصاف بها، وإن علمها، كما يعلم أنّ الحق لا يماثل، ولا يكون بهذا العلم إلها؛ لأنّ الألوهة ليست صفته. وهذا معنى قوله ﷺ حين سأل ربه: «اللهم إني أسألك بكلّ اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك» فدخل في هذا كلّ اسم ممكن أن يتصف به، وكلّ اسم لا يمكن أن يتصف به. لما لا يتصف به من الأسماء لا يثل

1 ص 40

2 [النساء : 113]

3 [الرحمن : 1 - 4]

4 [البقرة : 115]

5 [البقرة : 184]

6 ص 41

له؛ فيكون معلوما لنا في صومنا غير قائم بنا بحيث أن نتَّصف به. هذا فائدة عدم التمييز في الأيام التي نصومها إذا كنا مسافرين فأفطرنا؛ فننضي أيام رمضان أو نوذيه في أيام غير معينة.

فصاحب هذه المنازلة يقصد الله تعالى- في عروجه، فارغ القلب، خالي النفس، عريّا عن قصد اسم معين إلهي؛ بما¹ أنت عبد، وبما هو إله فقال لما يشاء. لا يخطر لك أمر تطلبه منه؛ إنما هو² أن تكون معه في عروجك بحسب ما يكون منه، مع حفظ أوقاتك فيما وقع عليك من التكليف لاقتضاء حق الوقت، ومراعاة خطاب الشرع، مع غيبتك عنك في ذلك؛ بتوليّه فيما أنت فيه، وأنت محلّ لجريان مفاديره، مع التحفظ ولزوم الأدب؛ أن يجعلك محلاً لما يحجره عليك. فإن أنت سلكت على هذا الأسلوب؛ يند لك من الحق في منازلته ما لم يخطر لك بخاطر، بل ما لا ينقال ولا تسعه العبارة.

1 ملاحظه في الهامش فلم آخر هي: "كان صوابه بل" كان المتصرد منها إضافة "بل" قبل لفظة: "بما" وهذا لا ورد في س.
2 ص 14ب

الباب التاسع والثمانون ولاثمئة في معرفة منازلة: إِيَّ كَوْنِكَ وَالْكَ كَوْنِي

وَثُمَّ وَثْنَا إِلَيْكَ مِنِّي	إِلَيَّ مِنْكَ التَّنْزُؤُ وَثْنَا
وَأَنْتَ أَيْضًا أَخَذْتَ عَنِّي	أَخَذْتُ عَنْكَ الْعُلُومَ فَضَّلَا
إِذَا يَقُولُ اللِّسَانُ: إِيَّ	إِيَّتِي ¹ فَيَنْفِكَ يَا حَبِيبِي
إِذَا يَقُولُ الْقَوَاذِلُ: صَلْبِي	مَا أَضْعَبَ الْقَوْلُ مِنْكَ عِنْدِي
وَلَوْ دَرَى لاشْتَهَى التَّمَنِّي	وَلَمْ ² أَغِبْ عَنْهُ إِذْ تَجَلَّى

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾³ فهذه عين المنازلة. لأن كل صورة فارقت مكانها، فكانت كل صورة من الأخرى أدنى من قاب توسين. لكل واحدة من الصورتين قوس، أظهر التقويس والفرقان بين الصورتين الخط الذي قسم الدائرة بنصفين. فكان الأمر عينا واحدة، ثم ظهر بالصورة أمران. فلما صار الحكم أمرين، كان من الأمر الواحد تدل؛ لأن العلو كان له، وفي عين هذا التدلي دنو من الأمر الآخر. وكان من الآخر تدان إلى من تدل إليه؛ فكان دتوه عروجا؛ لأن تدلي الأمر الآخر إليه أعلفنا أن السفلى كان تسم هذا الآخر. وما تداني كل واحد من الآخر إلا ليرجع الأمر كما كان دائرة واحدة، لا فصل بين قطريها؛ فكانت يسميان في إزالة الخط الذي أوجب التقسيم في الدائرة.

فوضع التقسيم قوله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعملي ولعملي ما سألت». وما للعبد سؤال إلا إزالة هذه القسمة حتى يعود الأمر كما كان، فأجابه الحق إلى سؤاله بقوله: «ولعملي ما سألت» فقال: ﴿وَالْيَاقِينُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾⁵.

وَتَدَانِيَا عُرُوجُ	فَتَدَانِيَا دُؤُ
إِنَّا نَرْجِعُ بِهَيْجٍ	وَأَفَرَقْنَا وَاجْتَمَعْنَا

1 رسمها في ق ريب من: إيتي

2 ص 42

3 [النجم: 8]

4 ص 42 ب

5 [هود: 123]

حَدَّثَ جِئْنَا افْتَرَقْنَا فِي سَمَائِنَا بُرُوجُ
وَلَهَا مِنْ أَجْلِ كَوْنِي فِي ذَوَاتِنَا فُرُوجُ
فَبِكَاحٍ مُنْخَبِرٍ وَوُلُوجٍ وَخُرُوجِ

ومن ذلك:

فَكَانَ مِنْهُ التَّنْذِيرُ وَكَانَ مِنِّي التَّنْذِيرُ
حَتَّى أَرَاهُ بِعَيْنِي كَمَا يَقُولُ بَرَانِي

وَلَمَّا التَقِينَا عَنْ حُبِّ وَاشْتِيَاقٍ؛ خَاطَبَنِي مَنْ أَعْلَمُ فِي بَرِي:

اجْعَلْ يَدَيْكَ عَلَى الْكَبِدِ تَحِجِّدِ الَّذِي مِنْكُمْ أَجِدُ
وَانْزِجْ إِلَى طَلَبِ الْوِصَالِ وَقُلْ لَهُ: هَبْنِي وَزِدْ
لَوْلَا وَجُودُ الْعِلْمِ فِيهِ مَا تَذَكَّرْتُ مَنْ عَبَدُ
فَإِنِ انْكُرُوا هَذَا قُلْ إِنَّ الْقُرْآنَ بِذَا وَرَدُ

قال الله ﷻ: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ فخص طائفة بالتعيين ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ فمعين طائفة أخرى ﴿وَلِيُفْلِتُوا﴾¹ أَنَا هُوَ إِلَهٌ وَاجِدٌ فمعين طائفة أخرى² ﴿وَلِيُنْذِرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فمعيننا. وهؤلاء هم الذين ذكرنا، وهم العلماء بالله وبالأمر على ما هو عليه. فلم يكن الخطأ الذي قسم البائرة إلا عين تميزي عنه وتميزه عني؛ من الوجه الذي كان به إلها وكنت به عبدا. فلما تحقق التمييز، ووقع الانفصال بالكونين، وأظهر الخطأ حكمه، ووصفنا بالحجاب عنه، ووصف نفسه بحجب الأنوار والظلم عتاء، وشرع لنا ما شرع، وأمرنا بالإجابة إليه، ووصف نفسه بالتزول إلينا؛ علمنا أنه يريد رجوع الأمر إلى ما كان عليه، بعد علمنا بما قد علمنا، وتحقيقنا بما به تحققنا؛ قال عن نفسه: إِنَّهُ سَمِعْنَا الَّذِي نَسْمَعُ بِهِ، وصرنا الذي نصور به، وذكر لنا جميع القوى التي نجدها من نفوسنا، وأثبت في هذا الوصل أعياننا.

فلا يشبه ما رجع الأمر إليه، ما كان عليه قبل الفصل. لأنّ الذي أجهت الخطأ من الحكم ما يزول، وإن زال الخطأ فأثره باق؛ لأننا قد علمنا أنّ البائرة قابلةٌ للقسمة بلا شك، ولم يكن نعلم ذلك. فإذا انفصلت

الناثرة؛ فلا يزول العلم مما أنها ذات قسمين من أي جزء فرضته فيها.

وإنما قبلها من أي حد فرضته فيها؛ لما ورد في الأخبار الإلهية من اتصاف الحق تعالى - بصفات الخلق، واتصاف الخلق بصفات الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾¹. فإن² قلت: "الرحمن" سميت بجميع الأسماء الحسنى، وإن قلت: "الله" سميت بجميع الأسماء الحسنى³. وكذلك تقول: الخلق الذي هو العالم يقبل أسماء الحق وصفاته، وكذلك الحق يقبل صفات الخلق لا أسماءه بالتفصيل، ولكن قبلها بالإجمال. فقبوله بالإجمال مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾⁴، وكونه لا يقبل أسماء العالم بالتفصيل، فأعني بذلك الأسماء الأعلام، وهو قوله: ﴿قُلْ مَتَّوِّفٌهُمْ﴾⁵ يريد الأسماء الأعلام. وما عدا الأسماء الأعلام فيقبلها الحق على التفصيل؛ فإن الحق ما له اسم علم لا يدل على معنى سوى ذاته؛ فكل أسمائه مشتقة، تنزلت له منزلة الأعلام. ولهذا وقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء الحق، ولم يقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء العالم. فتحقق ما نبهنا عليه.

فأعظم ما أخذه من صفاتنا الذي يدل الدليل على إحالته: ﴿وَلَتُبْلَوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ﴾⁶ لما كان بعد هذا؛ فهو أهون من تحوله في الصور، وغير ذلك. وعلى الحقيقة فكلمها نعمته. وأعظم ما أخذنا نحن منه علمنا به الذي يحيله الدليل، وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَلِمَةٍ شَيْءٌ﴾⁷ وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»؛ فأخذنا عنه، وأخذ عنا.

يَا حَيْرَةَ أُنْدَتْ حَقَائِقُ كَوْنِهِ وَيَا خَيْبَةَ لِلْعَبْدِ حِينَ تَقُوُّهُ
فَمَنْ كَانَ أَحْيَاهُ يَحْيِرُ ذَاتَهُ وَمَنْ لَمْ يَخْزِ فِيهِ فَقَلْبُهُ يُعَيِّشُهُ
إِذَا كَانَ قُوْتُ الْخَلْقِ كَوْنًا مُحَقَّقًا فَإِنَّ إِلَهَ الْحَقِّ لِلْعَبْدِ قُوْتُهُ

قيل لسهل بن عبد الله: ما القوت؟ قال: الله. واعلم أن الإل بكسر الهمزة - هو الله تعالى - والإل،

1 [الإسراء : 110]

2 ص 34ب

3 لفظ "الحسنى" مكتوب بضم الأصل، وهناك إشارة عليه تشير بخلافه من هنا.

4 [فاطر : 15]

5 [الرعد : 33]

6 [محمد : 31]

7 [الشورى : 11]

8 ص 44

9 ق: "إله الحق" وصححت في الهامش بضم الأصل.

أيضا، العهد بكسر الهمزة- فقلوه: "إلّٰي كُونُكَ" أي: ألوهتي ما ظهرت إلّا بك؛ فإنّ المألوه هو الذي جعل في نفسه وجود الإله، ولهذا قال (ص): «مَنْ عرف نفسه عرف ربه».

فعرفتك بالله أنّه إلهك؛ أنتجت معرفتك بذاتك، ولذلك ما أحالك الله في العلم به؛ إلّا عليك وعلى العالم. فكلّ ما ثبت لله تعالى- من الأحكام؛ ما ثبت إلّا بالعالم. فعين الإلّٰ، من حيث عينه، هو الموصوف بهذه الأحكام. فلو ارتفع العالم من الذهن؛ ارتفعت الأحكام الإلهيّة كلّها، وبقي العين بلا حكم. وإذا بقي بلا حكم، وإن كان واجب الوجود لذاته؛ لم يلزم أن يكون له حكم الألوهة. فوجود أعياننا من وجوده، ووجودنا أثبت العلم¹ به في ذواتنا، ولولا أن ذاته أعطت وجودنا؛ ما صحّ لنا وجود عين. وهذا معنى قول العلماء: إنّ العالم استفاد الوجود من الله. وأمّا قوله: "إلّٰك كوني" فهو عين قوله: «كنت سمعته وبصره» فجعل هويته عين مستى سمعنا وقوانا، وليس العالم إلّا بهذا الحكم.

فَإِنْ فَنِيْتُ لَمْ يَكُنْ	وَإِنْ بَقِيْتُ لَمْ أَكُنْ
فَكُنَّا يَكُنَّا	وَكُنَّا مِنْ قَوْلِي كُنْ
مِنَّا وَمِنْهُ فَاغْتَبِرْ	نَحْنُهُ فِينِكَ يَنْسَكِرْ
فَانْشُرْهُ لَا تُظْهِرْهُ	كَمَا أَتَى فِي "لَمْ يَكُنْ"
فِيهَا بَدَتْ مُشْرِقَةٌ	شَمْسٌ لَهُ مَا قَدْ سَكُنْ
فَمَا لَنَا سِوَاهُ مِنْ	مُسْتَقْدٍ وَمِنْ سَكُنْ

فالحقّ مصرف العالم، والعالم مصرف الحق. ألا تراه يقول: «أَجِيبْ دَعْوَةَ النَّاسِ إِذَا دَعَانِي»² اليسّ الإجابة تصرفاً؟ هل يتصور إجابة من غير نداء وسؤال؟ لا يصحّ أن يتصرف في نفسه؛ فما له تصرف إلّا فينا. فتصرفه إيجاده إيانا دائماً؛ فأعياناً تظهر، وأحكاماً له تحدث، وتعلّقات لا تُنكر.

فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّا وَاجِدُ كُنْتُ صَادِقًا وَإِنْ قُلْتُ: لَسْنَا وَاجِدًا لَمْ تَكْذِبْ
فيا³ ليت شعري من يجهل وما ثمّ إلّا الله؟! فالكلّ عالم بما لا يعلمه ثمّ يعلمه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾⁴
وقد ظهر بعض رشح من هذا المشهد على طائفة من أصحاب النظر، لا نعرف من أين جاءهم ذلك! فحكي

1 ص 44
2 [البقرة : 186]
3 ص 45
4 [محمد : 31]

عنهم أنهم يقولون: إن الله لا يعلم¹ نفسه؛ لأن العلم بالشيء يقتضي الإحاطة بالمعلوم، وهو لا يتناهى وجوده، ووجوده عين ماهيته ليس غيرها، وما لا يتناهى لا يكون محاطا به إلا أنه لا يتناهى، فأحاط علما به؛ أنه لا يتناهى: لا له، ولا للعالم. وهذا، وإن كان قولنا فاسدا، فإن له وجهاً إلى الصحة؛ وذلك أنه لا يعلم نفسه على جهة الإحاطة، بل يعلم نفسه أنها لا تقبل الإحاطة، كما يعلم الممكنات وجميع المقننات أنها لا تتناهى.

فانظر في هذا الرُّس من هذا البحر القنن²؛ كيف أثر في العالم بخلة ظهرت في العين، وبدت إلى عالم الكون؛ حتى سطرت في الدفاتر، وسارت بها الركبان، وتسامر بها العلماء؟ وما تم قائل إلا الله، ولا منطق إلا الله، وما بقي إلا فتح عين الفهم لتطبيق الله من حيث أنه لا ينطق إلا بالصواب. فكل كلام في العالم فهو: إما من الحكمة، أو من فصل الخطاب. فالكلام كله معصوم من الخطأ والزلل، إلا أن للكلام مواطن ومحالاً، وميادين له فيها مجال رحب، تفسع ميادينه بحيث أن تكثر عن³ إدراك غاياتها عيون البصائر.

فَيَنْطَلِقُ جَيْنٌ يَنْطَلِقُ بِالصُّوَابِ عَلَى مَا يَقْتَضِي فَضْلُ الْجِبَابِ
وَتَرْجِعُ حُسْرًا أَبْصَارُ قَوْمٍ عَمُوا فِيهَا غَنِي الْأَمْرِ الْعُجَابِ

فإذا أردت السبيل إلى فهم هذه المعاني؛ فتعمّل في تكثير النوافل التي لها أصل في الفرائض. وإن تمكن لك أن تكثر من نوافل النكاح؛ فإنه أعظم فوائد نوافل الخيرات؛ لما فيه من الازدواج والإنتاج؛ فتجمع بين المعقول والمحسوس؛ فلا يفوتك شيء من العالم الصادر عن الهمم "الظاهر والباطن"؛ فيكون اشتغالك بمثل هذه النافلة أثم وأقرب لتحقيق ما ترومه من ذلك.

فإذا فعلت هذا أحبك الحق، وإذا أحبك غار عليك أن تشهدك عين أو يقيدك كون؛ فأدخلك في حمى حرمة، وجعلك من جملة حرمة، وأهلك له؛ فصرت له أهلاً كما قال في الحديث في أهل القرآن إنهم «أهل الله وخاصته» خرج ذلك الترمذي في مصنفه. وإذا اتخذك أهلاً؛ جعلك محلاً لإلقائه، وعرشاً لاستوائه، وساء لتزوله، وكرسيًا لتدنيه؛ فظهر لك فيك منه ما لم تره مع كونه فيك، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُوَّةٍ أَعْيَنَ﴾⁴ لأن جنوهم تجافت عن المضاجع الطبيعية، وصاروا أهلاً

1 باقية في الهامش بقلم الأصل.

2 الفنز: الكثير، أي يكثر من دخله ونطقه. وفي الحديث: أعوذ بك من مؤت الفنز أي الغرق. [لسان العرب]

3 ص 45

4 ص 46

5 [السجدة : 17]

للموارد الإلهية والشوارد الربانية. فياهم عذبة صافية، وعروشهم عن كل ما سوى ما يلقي الله إليهم خاوية؛ آبارهم معطلة، وأبوابهم مغلقة، وقصورهم مشيدة؛ ضاعت مفاح أقالها، وقطعت جبال آبارها؛ فتنظر إلى مياهها ولا تذاق؛ فستحسن على جمالة.

فإذا سردت أخبارها قرآنا؛ ظهر إعجازها، فلم يستطع أحد معارضتها فيستحليها. فإذا سئل عن معانيها لا يدري ما يقول؛ إذ لا ذوق له فيها إلا ما أعطاه الشهود، ففاجئه أن يقول: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ يُؤْتَرُ﴾¹ لاختلاط ضوئه بظلمته؛ تشبيها بسحر الليل، وبالسحر الذي يخرج الهواء الحار، ويسوق الهواء البارد؛ لتبقى بذلك الحياة على هيكل الحيوان. فلا يدري الناظر فيه أي وجه يستقبل به؛ فإنه مما أقبل على وجهه أعرض عن الآخر، إلا أن يكون نبيا؛ فيرى من خلفه كما يرى من أمامه؛ فيكون وجمالكه؛ وذلك هو المعبر عنه بالنوق؛ الذي تكون عنه حقيقة الاشتياق والشوق. لما ينطق عن هوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ﴾² ذو القوة المتين في صورة ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿وَمَا³ هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِمْ﴾⁴ فإنه من عين القرب أخبر؛ لأنه من ﴿ذُنَا قَتَلْتِ﴾. فكان ﴿كَمَا هَدَمَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

وما هو من مرجآت الظنون؛ كما يقولون في أصحاب الكهف الفنية المعلومه: ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾⁵ يقول: ما هم على تحقيقي فيما يخبرون به من عددهم؛ هذا زخم في العدد. وأين أنت لو أخذوا في حقيقة المعداد؟ لحاضوا وما حصلوا على طائل. ألا ترى إلى قوله - تعالى - لنيته ﷺ ليس من شأنه ولا من شأن الأنبياء عليهم السلام - أن تهزم ولا أن تقتل، في مضاف: ﴿لَوْ أَطْلَفْتُ غَلِيظٌ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِكْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾⁶ فوصفه بالانهزام، وقوله صدق؟ أخرى ذلك عن رؤيته أجسامهم؟ اليسوا أناسي مثله؟ لما ينهزم إلا من أمر يريد إعدامه، ولا يملا جمع شجاعته وحماسته - رعبا إلا من شيء يوله.

فلو لم ير منهم ما هو أهول مما رآه ليلة إسرائه؛ ما امتلا رعبا بما رآه - فقد رأيناهم وما ملتنا رعبا؛ لأننا

1 [المدر: 24]

2 [النجم: 4، 5]

3 ص 46

4 [التكوير: 24، 25]

5 [النجم: 8، 9]

6 [الكهف: 22]

7 [الكهف: 18]

ما شهدنا منهم إلا صور أجسامهم؛ فرأيناهم أمثالنا- فذلك الذي كان يملؤه رعباً، وما ذكر الله إلا رؤية عينهم؛ لأنه قال: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فوصفه بالاطلاع. فهم أسفل منه بالمقام، ومع هذا كان يولي منهم فراراً¹؛ خوفاً أن يلحق بهم؛ فينزل عن مقامه، ولئلي منهم رعباً لئلا يؤثروا فيه؛ كما قلنا من تأثير الأدنى في الأعلى، كقوله ﷺ: «رُبَّ ضاحكٍ ملة فيه لا يدري أن الله أم أنشطه» وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ﴾² وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى هَذَا حَقِيقٍ عَلَيْهِ أَنْ يُولِيَ فِرَاراً أَوْ يُعْلَأَ رَعْباً.

هل رأيتم عاقلاً يقف³ على جرف ممواة؛ إلا ويفزع خوفاً من السقوط؟ فانظر فيما تحت هذا النعت الذي وصف الله به نبيه لو اطلع على الفتية. ومع علو رتبتهم وشأنهم؛ فعلموه أعلى، ورتبته أسنى. فعرفنا بذلك؛ ينهنا على علو رتبة نبينا محمد ﷺ فأعيان الفتية كانت المشهودة لنا؛ ولم نول ولا ملتنا رعباً. وأعيان الفتية لو اطلع عليهم نبينا؛ لولى فراراً منهم، ولملي رعباً.

فانظر إلى ماذا ترجع صور العالم: هل لأنفسهم؟ أو لرؤية الناظر؟ وتدبر ما قلناه. كما تعلم قطعاً أن جبال السحرة وعصيم في عينها جبالٌ وعصي، وفي نظرنا حيتات؛ فهي عين الحيتات، وهي عين العصي- والحبال. فانظر ما ترى؟ واعلم ما تنظر؟ وكن بحيث تعلم، لا بحيث ترى؛ فإن الله يتنكر بالرؤية، ولا يتنكر بالعلم. فإذا لم يتنكر بالرؤية فبشاهد العلم لم يتنكر ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَعْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 47

2 [محمد : 28]

3 ثابت في الهاشم بقلم الأصل.

4 [الأحزاب : 4]

الباب¹ التسعون ولاثمئة

في معرفة منازلة: زمان الشيء وجوده، إلا أنا فلا زمان لي، وإلا أنت فلا زمان لك؛
فأنت زمني وأنا زمانك

إِذَا قُلْنَا بِأَنَّ النَّفْسَ عَيْنٌ	فَأَيُّ الْوَاحِدِ الْمَقُولُ مِنْهُ؟
وَقَدْ جَاءَ الْخِطَابُ الْحَقُّ فِينَا	أَخَذْنَاهُ عَنِ الْأَرْسَالِ عَنْهُ
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ	وَلَا مِثْلٌ وَلَا يُتَدَبَّرُ كُنْهُ
فَإِنْ خَصَلَتْ سِرُّ الْكَوْنِ فِيهِ	فَكُنْ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ وَضْنُهُ
فَهُنَا قُلْتُ لَسْتُ أَنَا بِهَا هُوَ	فَصِدُّ الْقَوْلِ وَالْتِفَافُ مِنْ هُوَ
إِذَا حَقَّقْتُ قَوْلِي يَا قَيْسِي	عَلِمْتُ فَلَمْ تَقُلْ: مَنْ أَنْتَ، مَنْ هُوَ

قال² الله تعالى- حكاية عن قوم يقولون: ﴿وَمَا يَمْلِكُنَا إِلَّا التَّهَرُّمُ﴾³ وصدقوا، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْبَهْرُ» لما أهلكهم إِلَّا الله، كما هو في نفس الأمر.

اعلم أَنَّ الزمان نسبة لا وجود له في عينه. وقد أطلال الناس الكلام في ماهيته، فخرج من مضمون كلامهم ما ذكرناه من أنه نسبة، وأنه يحدث بحدوث السؤال متى؟ فيحدث له أسماء بحدوث السؤال مثل: حين، وإذا، وإذا. وحروف الشرط كلها أسماء الزمان، والمستوى أمرٌ عديمي. كلفظة "العدم"؛ فإنها اسم، مستأها لا عين له مع تعقل الحكم له. فلتمثل لغيرهم ما ذكرناه.

يقال: متى جاء زيد؟ الجواب: حين طلعت الشمس مثلا. وإذا طلعت الشمس (يقال: ومتى تطلع الشمس من مغربها؟) (الجواب:) حين يأذن الله لها في ذلك. وإذا يأذن الله، ومهما أذن الله لها طلعت (تأتي) في جواب: هل تطلع الشمس من المغرب فيعود مشرقا؟ فيكون هذا وأمثاله جوابه؛ فيعقل منه الزمان. إن جاء زيد أكرمك، المعنى: حين يجيء زيد أكرمك، المعنى: زمان يجيء زيد (هو) زمان وجوب كرامتك علي التي أوجبها على نفسي بجيء زيد. فهو للمحدثات زمان، وللقديم أزل. ومعقوليته: أمر متوهم

1 ص 47

2 ص 48

3 [الجانية : 24]

ممتدّ لا طرفين¹ له؛ فتحكم عليه بالماضي لما مضى فيه، ونحكم عليه بالمستقبل لما يأتي فيه، ونحكم عليه بالحال لما هو فيه؛ وهو مستقّى الآن.

والآن، وإن كان زمانا، فهو حدّ لما مضى في الزمان ولما استقبل في الزمان. كالنقطة تُعرض في محيط الدائرة، فتعين لها البدء والغاية حيث فرضتها منها. فالأزل والأبد عدمٌ طرفي الزمان؛ فلا أوّل له ولا آخِر، والوأم له. وهو زمان الحال، والحال له الوأم؛ فلا يزال العالم في حكم زمان الحال، ولا يزال حكم الله في العالم في حكم زمان، ولا يزال ما مضى منه وما يُستقبل في حكم زمان الحال.

ألا ترى في كلام الله في إخباره إيانا بأمر قد انقضت؛ عبّر عنها بالزمان الماضي، وبأمر تأتي؛ عبّر عنها بالزمان المستقبل، وأمر كائنه؛ عبّر عنه بالحال؟. فالحال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾² والماضي: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾³ والمستقبل: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ هُوَ﴾⁴ و﴿تَسْأَلُونَ عَنْ آيَاتِنَا الَّذِينَ يَنْكَرُونَ﴾⁵ و﴿سَأْيُكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَفْهِمُونَهَا﴾⁶ وطلب عند هذا كله - عينا وجودية، يكون هذا كله فيها، وهي له كالطرف؛ فلا نجد لها: لا عقلا، ولا جسدا، لكن وهما ظرفيتا، وذلك الطرف مظروف لظرف متروك لا يتناهى، يحكم به الوهم، لا غير. لما تمّ إن عقلت - ما يعقل بالوهم، ولا يعقل بالعقل ولا بالحوس، إلّا الوجود الحقّ⁷ الذي نستند إليه في وجودنا.

فلهذه النسبة نسّى لنا بالدهر؛ حتى لا يكون الحكم إلّا له، لا لما يتوهم من حكم الزمان؛ إذ لا حاكم إلّا الله؛ ففيه ظهرت أعيان الأشياء بأحكامها. فهو الوجود الدائم، وأعيان الممكنات، بأحكامها، ظهر من خلف حجاب وجوده للطفاته؛ فترى أعيان الممكنات وهي أعياننا - من خلف حجاب وجوده، ولا نراه. كما نرى الكواكب من خلف حجب السماوات، ولا نرى السماوات. وإن كنا نقول أنّ بيننا وبين الكواكب سماوات؛ إلّا أنّها من اللطافة لا تحجب من يكون وراءها. و﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾⁸ فمن لطفه أنّه هو الذي يأتيهم بكلّ ما هم فيه، ولا تقع أجساد العباد إلّا على الأسباب التي يشهدونها؛ فيضيفون ما هم فيه إليها.

1 رسمها لي ق: طرفي

2 ص 88

3 الرحمن : 29

4 ابريم : 9

5 النحل : 40

6 الأعراف : 146

7 الأنبياء : 37

8 ص 49

9 الشورى : 19

فظهر الحق باحتجابه؛ فهو الظاهر المحجوب؛ فهو الباطن للحجاب لا لك، وهو الظاهر لك وللحجاب. فسبحان من احتجب في ظهوره، وظهر في حجاب؛ فلا تشهد عين سيّوأة، ولا ترتفع الحجب عنه، ولم يزل رباً، ولم نزل عبداً؛ في حال عدمتنا ووجودنا.

فكلّمنا أمر سميعنا وأطعنا؛ في حال عدمتنا ووجودنا؛ إذا لم يخاطبنا بفهوآية الأمثال. فإذا خاطبنا بفهوآية الأمثال والأشكال، والسنة الأرسال¹؛ فمن كان متاً مشهوده ما وراء الحجاب وهو المثل والرسول - سميع؛ فأطاع من حبه. ومن كان مشهوده المثل؛ سميع ضرورة ولم يطع؛ للحسد الذي خلق عليه من تقدّم أمثاله عليه. فظهر المطيع والعاصي؛ أي: عصى على مثله؛ لكونه ما تقدّم فيه أمره بالطاعة؛ ما عصى - على الله. ولهذا قال بعضهم: إنما احتجب الله في الدنيا عن عباده؛ لأنّه سبق في علمه أنّه يكلفهم ويأمرهم وينهاهم، وقد قدر عليهم بمخالفة أمره وموافقته في أوقات؛ فلا بدّ من ظهور المخالفة والموافقة؛ فخاطبهم على السنة الرسل - عليهم السلام - وحجب ذاته سبحانه عنهم في صورة الرسول، وذلك لأنّه قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾² وقال: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾³؛ فلولا أنّ الرسول صورته الظاهرة المشهودة؛ ما صحّ هذا القول. ف وقعت المخالفة من الخالف؛ بالقرن السابق والحكم القضائي، ولا يمكن أن يخالف أمره على الكشف؛ فانحجب بالأرسال انحجابه بالأسباب؛ فوقع الذمّ على الأسباب؛ فهي وقاية الرحمن. فما خالف أحد الله تعالى -، وما خولف إلا الله تعالى - فلا تزال الأسباب للمحجوبين مشهودة⁴، ولا يزال الحقّ للعارفين مشهوداً، مع عقليهم الحجب في حقّ من حجّبه؛ فكثّف اللطيف عندهم، ولطّف الكثيف عند العارفين بالله.

فَيَنْفَعُ الْعَقْلُ مَا لَا يَشْهَدُ الْبَصَرُ وَتَشْهَدُ الْغَيْنُ مَا تَزْهِي بِهِ الْفِكَرُ

فجمع العارفون بين العقل والبصر. فلهم قلوب يفقهون بها، ولهم أعين يصرون بها، ولهم آذان يسمعون بها. والمحجوبون على قسمين: منهم من له قلب لا يفقه به، وعين لا يبصر بها. ومنهم من له قلب يفقه به، وله عين لا يبصر بها؛ وهم المؤمنون؛ فيعلمون ولا يشهدون. ومن عداهم لا يعلمون ولا يشهدون. وأهل الله يعلمون ويشهدون؛ ولهذا إذا خاطبهم يسمعون، ويطيعون، ويشهدون ذواتهم محلاً لما يخلق الله فيها بما يحكم فيه أنّه مخالفة وموافقة. فهو مطيع محيّا لقبول ما يتكوّن فيه؛ كالرحم من المرأة: محيّا لما يتكوّن فيه،

1 ص 49

2 [النساء : 80]

3 [التوبة : 6]

4 ص 50

غير ممتنع. فالعبد الذي بهذه المثابة شجرة موحده؛ فهو "رحمان" في العالم، "رحم" بالمؤمنين.

فالربّ زمانه المربوب، والمربوب زمانه الربّ؛ لأنّه ما ثبت الحكم لكلّ واحد بما حكم عليه به، إلّا بالآخر. فمن كون كلّ واحد ينطلق¹ عليه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² لا يكون واحدٌ منها زماناً للآخر؛ لارتفاع النسب، وهذا لا يكون إلّا بالنظر لعين كلّ واحد، لا لحكمه. فإذا انتقلت إلى النظر في الحكم -الذي هو موقوف على العالم به، وعلى الحقّ بالعالم- صحّ أن يكون الحكم من كلّ واحد؛ زماناً للآخر. كالمضامين؛ متى صحّت الأبوة لزيد على عمرو، قيل حين صحّت البنوة لعمرو من زيد؛ فزمان أبوة زيد بنوة عمرو، وزمان بنوة عمرو أبوة زيد. فالأب زمانه الابن، والابن زمانه الأب، وكذلك الملك والمُلك، والملك والمُلك، والقادر والمقدور، والمريد والمراد، والعالم والمعلوم. غير أنّ العالم والمعلوم قد تكون العين واحدة؛ لأنّه قد يكون العالم يعلم نفسه. فهو المعلوم لنفسه، وهو العالم بنفسه؛ فهو العالم المعلوم له به. بخلاف المريد والمراد؛ لأنّ المراد لا يكون أبداً إلّا معدوماً، ولا يكون المريد إلّا موجوداً. وكذلك القادر والمقدور؛ لا يكون المقدور أبداً إلّا معدوماً، فإذا وُجد فلا مُقدّم له بعد وجوده، إلّا نفسه، أو إمساك شرط بقائه؛ أي بقاء الوجود عليه، غير ذلك لا يكون. فقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾³ يريد به منسك الشرط المصحّ لبقاء الوجود عليكم؛ فتتعمدون إذ لم يوجد سبحانه - فإنّ له التخيير في⁴ إيجاد كلّ ممكن، أو تركه على حاله من اتّصافه بالعدم.

فإذ قد علمتّ بما ذكرناه - ما هو الزمان؛ فبعد ذلك أدخل مع الناس فيما دخلوا فيه، من أنّ الزمان: الليل، والنهار، والأيام. أو الزمان: مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك. أو الزمان: مقارنة حادث لحادث يُسأل عنه متى؟ وأمثال هذه الأقوال لا يضرّك القول بها؛ فإنّها قد استقرّت ولها صحّة في النسب الزماني ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾⁵ بالإيجاز، والفتيان، والتكوير؛ لإيجاد ما سبق في علمه أن يظهر فيه؛ من الأحكام والأعيان في العالم العنصري. فنحن أولاد الليل والنهار. فما حدث في النهار؛ فالنهار أمّه والليل أبوه؛ لأنّ لهما عليه ولادة. وما ولد في الليل؛ فالليل أمّه والنهار أبوه؛ فإنّ لهما عليه ولادة. فلا يزال الحال في الدنيا مادام الليل والنهار يغشى أحدهما الآخر. فنحن أبناء أمّ وأب لمن ولد معنا في يومنا أو في ليلنا

1 ص 50

2 [الشورى : 11]

3 [النساء : 133]

4 ص 51

5 [الزمل : 20]

خاصة. وما ولد في الليلة الثانية والنهار الثاني فأمثالنا؛ ما هم إخواننا؛ لأنَّ الليل والنهار جديداً؛ فأبوانا قد انعدموا. فهذان أمثالهما، لا أعيانها، وإن تشابها فهو تشابه الأمثال.

فإذا كان في الآخرة؛ كان الليل في دار جحيم، والنهار في دار الجنة؛ فلم يجتمعا مع الولادة التي توجد في النار والجنة¹ من حدوث التكوين فيها. فذلك مثل حواء من آدم، ومثل عيسى- من مريم. فهذه² هي ولادة الآخرة؛ ضرب الله بعيسى ومريم وحواء وآدم مثلاً لنا فيما يتكوّن في الآخرة. فليس توليد الأكوان في الآخرة عن تكاح زمني؛ بل يلج ليل في نهار، ونهار في ليل؛ فإنّهما مثلاً في الزمان الذي هو اليوم الجامع لهما. فنقسمه الله في الآخرة بين الجنة والنار، فأعطى ظلمة الليل النار، وأعطى نور النهار الجنة، ومن مجموعهما يكون اليوم، وهو يوم الآخرة؛ فإنّه جامع للبارين.

والزمان محصور في سنة، وشهر، وجمعة، ويوم. فيقسم الزمان على أربعة؛ لأنَّ الفصول الطبيعية أربعة؛ لأنَّ الأصل في وجود الزمان: الطبيعة، ورتبتها دون النفس وفوق الهباء الذي يستتبه³ الحكماء: الهولي الكّل. وحكم التريع فيها (هو) من حكم التريع في الأحكام الإلهية من حياة، وعلم، وقدرة، وإرادة. بهذه الأربعة ثبتت الألوهة للإله. فظهر التريع في الطبيعة. ثم نزل الأمر؛ فظهر التريع في الزمان الأكبر وهو السنة؛ فانقسمت السنة إلى أربعة فصول: ربيع، وصيف، وخريف، وشتاء. أحدث هذا الحكم فيها نزول الشمس في⁴ البروج. والبروج قسمتها الطبيعة تقسيمها العناصر التي هي الأركان إلى ناريتة، وهوائيتة، ومائيتة، وترابيتة. كما قسمت العناصر إلى نار، وهواء، وماء، وتراب. كما قسمت الأخلاط في الحيوان إلى صفراء، ودم، وبلغم، وسوداء.

ثم اندرج الزمان الصغير، الذي هو الشهر والجمعة، في الزمان الكبير، وتمددت الشهور فتعدد البروج- اثني عشر شهراً، فقسمت عليها الأيام بحكم الرأي، إلا أيام العرب- أعني شهور العرب- فإنّها مقسمة بسير القمر؛ فهي مقسمة بتقسيم الله، لا بتقسيمنا. فلما ظهرت السنة بقطع الشمس هذه البروج، كذلك⁵ ظهر الشهر العربي بقطع القمر هذه البروج⁶؛ فالشهر الإلهي ثمانية وعشرون يوماً، وشهر

1 ص 51

2 ق: هنا.

3 ق: يستقره.

4 ص 52

5 يمكن قراءتها: لذلك؟

6 "كذلك ظهر.... البروج" نابعة في الهامش فلم آخر مع إشارة التصويب.

الرؤية والتقدير بحسب الواقع. ثم يقع التقدير في الزمان الممتد بأحد هذه الأربعة؛ إما بالسنة، أو بالشهر، أو بالجمعة، أو باليوم، لا يقع التقدير إلا بهذا.

وأعني باليوم؛ اليوم الصغير؛ من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس مثلاً، وهو الذي يحدث عند انتهاء دورة الفلك المحيط الذي يدور بالكل، وهو الذي يتمين بالعين كما قلنا- بطلوع الشمس إلى طلوع الشمس مثلاً؛ فيعلم أن البورة المحيطة¹ بالأفلاك قد انتهت في أعيننا، ولا حد لها في نفسها؛ لما في الفلك المحيط سبوى دورة واحدة لا تتصف بالانتهاء. فنحن فرضنا فيها البدء والغاية، والإعادة والتكرار، ما هي في نفسها بهذا الحكم. والآيام كثيرة، ولكن لا تعد إلا بهذا اليوم الصغير المعلوم عندنا، الجامع لليل والنهار؛ فتعد الآيام به، أو بالشهر، أو بالسنة، لا غير.

وقد ورد: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾² بهذا اليوم الصغير، و: ﴿فِي نَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾³ وآيام الدجال يوم كسنة، ويوم كشهرا، ويوم كجمعة، وسائر آيامه كآيامنا المعهودة. فالיום الذي نعد به الآيام الكبار، هو يوم الشمس. ويوم القمر ثمانية وعشرون يوما من آيام الشمس. وكذلك نأخذ آيام كل كوكب بهذا اليوم الحاكم على الكل؛ إذ كان انتهاء دورة الفلك المحيط. فنأخذ يوم كل كوكب بقدر قطعه الفلك الأقصى، وهو الأطلس الذي لا كوكب فيه. فأكبرها قطعاً فيه فلك الكواكب الثابتة؛ وإنما سميت ثابتة لأن الأعماز (أي أعمار أفراد البشر) لا تدرك حركتها ليقتصر الأعمار. لأن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى⁴ في مائة سنة إلى أن تنتهي إليها. فما اجمع من السنين؛ فهو يوم ذلك الكوكب؛ فيحسب ثلاثمائة وستين درجة، كل درجة مائة سنة. وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم أن تاريخ أهرام مصر يُنبت والنسر في الأسد، وهو اليوم عندنا في الجدي. فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الأهرام.

فَلَمْ يَنْزَ بَانِيهَا وَلَمْ يَنْزَ أَمْرُهَا عَلَى أَنَّ بَانِيهَا مِنَ النَّاسِ بِالْقَطْعِ⁵

ولقد أراني الحق خالي- فيما يراه النائم، وأنا طاهف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم. فأنشدونا بيتين؛ ثبت على البيت الواحد، ومضى عني الآخر. فكان الذي ثبت عليه من ذلك:

1 ص 52 ك

2 [المج: 47]

3 [المج: 4]

4 ص 53

5 وفي الهامش ما يلي بقلم آخر: المتلبي

أين الذي الهرمان من بليانه

ما لومه؟ ما يومه؟ ما المصراع؟

لَقَدْ طَلَفْنَا كَمَا طَلَفْتُمْ سَيْنِنَا¹ بِهَذَا الْبَيْتِ طُرًّا أَجْمَعِينَ

وخرج عني البيت الآخر. فتعجبت من ذلك! فقال لي واحد منهم، وتسقى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم، ثم قال لي: أنا من أجدادك. قلت له: كم لك منذ مت؟ فقال: لي بضع وأربعون ألف سنة. فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين؟! فقال لي: عن أي آدم تقول: عن هذا الأقرب إليك، أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ﷺ: ²«لَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِائَةَ أَلْفِ آدَمٍ» فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك. والتاريخ في ذلك مجهول، مع حدوث العالم بلا شك. فإِنَّ الْعَالَمَ لَا تَصَحُّ لَهُ رَتَبَةُ الْقَدَمِ؛ أَيُ نَفِي الْأَوَّلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لِلَّهِ؛ أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمٍ مَرَجَّحٌ بِوُجُودٍ مَرَجَّحٌ، لِأَنَّ الْإِمْكَانَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ؛ فَالْتَرَجِيحُ لَا يَزَالُ لَهُ. وَكُلُّ مَا زَادَ عَلَى الْأَعْيَانِ الَّتِي هِيَ مُحَلٌّ لظُهُورِ الْأَحْكَامِ؛ فَصُورَتِهَا صُورَةُ الزَّمَانِ: نِسْبٌ وَإِضَافَاتٌ، لَا أَعْيَانُ لَهَا مِنْ أَكْوَانٍ، وَالْوَانُ، وَنَعُوتٌ، وَصِفَاتٌ. وَلِكُلِّ نِسْبَةٍ، وَإِضَافَةٍ، وَكُونٍ، وَلَوْنٍ، وَنَعْتٍ، وَصِفَةٍ اسْمٌ خَاصٌّ، أَوْ أَسْمَاءٌ. هَذَا تَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ.

1 في الهامش هلم آخر: قال الشيخ: وكأنني أضلّته: هجنا البيت قبلكم سينا
2 ص 53 ب

الباب الأحد والتسعون وطلائحة
في معرفة منازلة: المسلك السيال
الذي لا تثبت عليه أقدام الرجال السؤال

رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي الْأَعْيَانِ حَقًّا وَفِي الْأَشْأَاءِ فَلَمْ أَرَهُ سِوَانِي
وَلَسْتُ بِحَكَمٍ فِي ذَاكَ وَخَدِي فَهَذَا حُكْمُهُ فِي كُلِّ رَأْيِي
وَعِنْدَ الْمُتَبَيِّنِ خِلَافٌ هَذَا هُوَ الرَّائِي وَنَحْنُ لَهُ الْمَرَانِي

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقُولُوا لِمَ كَذَّبَ اللَّهُ وَلَكِنْ اللَّهُ يَكْتُمُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾¹ وهو القائل: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾² فأظهر آمرا وأمرأ ومأمورا في هذا الخطاب التكليفي. فلما وقع الامتثال، وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال: ما هم أتم الذين قتلتموهم؛ بل أنا قتلهم؛ فأتهم لنا بمنزلة السيف لكم، أو أي آلة كانت للقتل. فالقتل وقع في المقتول بالآلة، ولم يقل فيه: إنه القاتل، وقيل في الضارب به: إنه القاتل. كذلك الضارب به بالنسبة إلينا (هو) مثل السيف له عنده؛ فلا يقال في المكلف: إنه القاتل؛ بل الله هو القاتل بالمكلف والسيف. فقام له المكلف مقام اليد الضاربة بالسيف، كالحجر الأسود بين الله في البيعة تقيلا واستلاما؛ كالمصافحة من الشخصين.

وتحرير هذه المنازلة: معرفة الأمور الموجبة للأحكام؛ هل لها أعيان وجودية؟ أو هي نسب تطلبها الأحكام؟ فهي معقولة بأحكامها، وبني العلم في الحل الذي ظهرت فيه هذه الأحكام؛ ما هو؟ هل هو عين الممكن؟ وهذه النسب للمرتجح مثل ما قال: ﴿فَلَمْ تَقُولُوا لِمَ كَذَّبَ اللَّهُ وَلَكِنْ اللَّهُ يَكْتُمُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³ وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁴ أو هل الحل (هو) وجود الحق، وهذه الأحكام أثار الممكنات في وجود الحق؛ وهو ما يظهر فيه من الصور؟ فكل صورة تشهد صورة، وهي آثار الممكنات في وجود الحق؛ فيرى زيد صورة خالد في وجود حق، ويرى خالد صورة زيد في وجود حق، وكذلك كل حالة يرى تلك الصورة عليها مثل الصورة

1 ص 54

2 [الأخلاق: 17]

3 [النساء: 89]

4 ص 54

5 [الصفات: 96]

سواء. وكلا الأمرين قد قال به طائفة من أهل الله.

وكيفما كان على القولين، فلا يتمكن لكل صاحب قول الثبات على أمر واحد؛ بل بنفس ما يثبت الحكم لأمر، يثبت لأمر آخر، وينفيه عن ذلك الأمر الأول؛ فهو ينفي السابق ويثبت اللاحق؛ فبأي أمر بدأ يكون له هذا الحكم في القولين مما مثل قوله: ﴿وَمَا زَمَيْتُ﴾ فنفي ﴿إِذْ زَمَيْتُ﴾ فأثبت الرمي لمن نفاه عنه، ثم لم يثبت على الإثبات؛ بل أعقب الإثبات نفيًا، كما أعقب النفي إثباتًا، فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾¹. فما أسرع ما نفى، وما أسرع ما أثبت لعمري واحدة. فلهذا سُميت هذه المنازلة: "المسلك السيئ" تشبيهاً بسيلان الماء الذي لا يثبت على شيء من مسلكه، إلا قدر مروره عليه. فقدم رجاله غير ثابتة على شيء بعينه²؛ لأنَّ المقام يعطي ذلك، وهو عين قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾³ ومقدار اليوم الزمن الفرد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾⁴ مع كونهم سمعوا. فانظر إلى هذا الذم كيف أشبه غاية الحمد فمِن كان الحقُّ سمعه وصره؟ فمن كان الحقُّ سمعه؛ فقد سمع ضرورة؛ فلم يسمع إلا برئه؛ فهو سامع، لا بنفسه. ولا يصح أن يكون محلاً لهويته ربه؛ فعينه وجود الحق، والحكم للممكن؛ فإن ذلك أمره. ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾⁵ والوجود هو الخير؛ فيتصفون بالوجود ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ إذ أوجدهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ إلى ذواتهم؛ فيعلمون أنهم ما سمعوا؛ فكفى عنه بالإعراض؛ لأنَّ الحقُّ هو السامع، وهم له كالآذن لنا آلة نسمع بها أصوات المصوتين وكلام المتكلمين.

فهو المخاطب والمخاطب، وهو المتكلم السامع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بما قلنا ﴿وَاسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾⁶ فوحد الداعي بعد ذكر الاثنين. فعلمنا أنَّ الأمر واحد، وما سمعنا متكلاً إلا الرسول بالسماع الحسي، وسمعنا كلام الحق بسمع الحق⁷ بالسمع المعنوي. فالله والرسول اسمان للمتكلم؛ فإنَّ الكلام لله، كما قال الله. والمتكلم المشهود (هو) عين لسان محمد ﷺ: ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ

[الأفعال : 17]

2 ص 55

3 الرحمن : 29

4 [الأفعال : 21]

5 [الأفعال : 23]

6 [الأفعال : 24]

7 "سمع الحق" فاطن في الهامش فلم الأصل.

8 ص 55

الله ﷻ¹.

فَلَيْسَ عِنِّي سِوَاهُ فَمَا أَثَبْتُ أَبَاهُ
فَمَنْ يُشَاهِدُ بِعَيْنِ الْوُجُودِ يُشْهَدُ أَبَاهُ
فَنَحْنُ فِيهِ سِوَاهُ كَمَا يَرَانِي أَرَاهُ

وقد ذكرنا جماع هذا الباب مختصرا كافيا ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾².

1 [النساء : 80]

2 [الأحزاب : 4]

الباب الثاني والتسعون وطلائعته
في معرفة منازل: مَنْ رَحِمَ رَحْمَتَهُ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ رَحْمَتَهُ، تَمَّ غَضَبُنَا عَلَيْهِ وَنَسِينَاهُ

مَنْ أَرَادَ الْحَقُّ بَطْلُهُ	فِي وَجُودِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ
كَلِمَاتُ الْحَقِّ لَيْسَتْ سِوَى	مَا بَدَأَ مِنْ عَالَمٍ عَنْ ثُبُوتِ
وَالَّذِي فِي لَيْسَ مَقْدُودُهُ	فِي مَقَامٍ نَحْنُ عَنْهُ سَكُوتُ
كُلُّ مَا يُلْهَاهُ مِنْ كَرَمِ	فَهُوَ الْمَذْعُورُ بِالرَّحْمَتِ
وَالَّذِي الْبَرْهَانُ يَظْهَرُهُ	قَائِمٌ فِي بَزْزِخِ الْجَبَرُوتِ
ظَاهِرُ الْأَكْوَانِ بِاطْنِهَا	زَهَبُوتُ غَيْثُهُ زَغَبُوتُ
فَأَلِ الْكَوْنِ أَجْمَعِ	لِنَقَرِ الْعَقُورِ وَالرَّحْمَتِ

قال الله تعالى- في افتتاح كلامه الجامع: ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾. أَخَذَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ¹ وأكد هذا العالم بأن نَعَتَهُ أَنَّهُ ﴿غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾² وقال ﷺ في الثابت عنه: «الرحم شجرة من الرحمن مَنْ وصلها وصله الله، وَمَنْ قطعها قطعه الله» وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وقال ﷺ في حديث الشفاعة: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

اعلم أَنَّ الْعَالَمَ لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ نَشَأَتَهُ عَلَى التَّرْبِيعِ، وَأَعْنَى بِالْعَالَمِ هُنَا: الْإِنْسَ وَالْجَانَّ الَّذِينَ يَعْصِرُونَ الْبَارِئِينَ: الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، جَعَلَ³ فِي أُمِّ الْكِتَابِ الَّتِي تَقْضِي عَلَى جَمِيعِ مَا يَتَضَمَّنُهُ (العالم) أَرْبَعَ رَحِمَاتٍ؛ لِكُلِّ رِبْعٍ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ شَخْصٍ رَحْمَةً. فَضَمَّنَ الْآيَةَ الْأُولَى مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ الْبِسْمَلَةُ، رَحْمَتَيْنِ⁴، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَضَمَّنَ الْآيَةَ الثَّالِثَةَ مِنْهَا أَيْضًا رَحْمَتَيْنِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فَهُوَ رَحْمَنٌ بِالرَّحْمَتَيْنِ. الْعَامَّةُ:

1 ص 56
2 [الفاحة : 1 - 3]

3 [الفاحة : 7]

4 ص 56 ب

5 ق: رحمتان.

وهي رحمة الامتنان، وهو رحيم بالرحمة الخاصة، وهي الواجبة في قوله: ﴿فَسَأْأُكْفِيهِمُ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾¹ الآيات. وقوله: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾². وأما رحمة الامتنان فهي التي تُنال من غير استحقاق بعمل. وبرحمة الامتنان رحم الله مَنْ وقفه للعمل الصالح الذي أوجب له الرحمة الواجبة. فيها ينال العاصي وأهل النار إزالة العذاب عنهم، وإن كانت مسكنهم ودارهم جهنم.

وهذه رحمة الامتنان قوله لبيته ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾³ وهذا معنى قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁴ أي: الطريق التي أنعمت بها عليهم؛ وهي الرحمة التي أعطتهم التوفيق والهداية في دار التكليف؛ وهي رحمة عناية. فكانوا بذلك غير مغضوب عليهم ولا ضالين؛ ليا أعطاهم من الهداية فلم يحاروا. يقول مَنْ غضب الله عليه: امنن علينا بالرحمة التي مننت بها على أولئك ابتداء من غير استحقاق حتى وصفتهم بأنهم غير⁵ مغضوب عليهم؛ إذ قد مننت بالهداية؛ فأزالت الضلالة -التي هي الحيرة-. فَمَنْ باللي يزيل ما استحققناه من غضب الله؟ فيرحمهم الله برحمة الامتنان؛ وهي الرحمة التي في الآية الثالثة بالاسم "الرحمن" فيزيل عنهم العذاب، ويعطيهم النعم فيما هم فيه بالاسم "الرحيم".

فليس في أم الكتاب آية غضب؛ بل كلها رحمة؛ وهي الحاكمة على كل آية في الكتاب؛ لأنها الأم. فسبقت رحمته غضبه. وكيف لا يكون ذلك، والنسب الذي بين العالم وبين الله إنما هو من الاسم "الرحمن". فجعل "الرحم" قطعة منه؛ فلا تنسب "الرحم" إلا إليه. وما في العالم إلا مَنْ عنده رحمة بأمر ما؛ لا بد من ذلك، ولا يتمكن أن تتم رحمة المحدث⁶ رحمة القديم في العموم؛ لأن الحق بعلمه كل معلوم، والحق لا يحيط أحد من علمه إلا بما شاء. فيرحم الخلق على قدر علمهم، كما زعم الله على قدر علمه.

فكل من غضب من العالم وانتقم؛ فقد رحم نفسه بذلك الانتقام؛ فإنه شفاء له مما يجده من ألم الغضب. وصدقة الإنسان على نفسه أفضل الصدقات. فإذا رحم نفسه وزال الغضب، أعقبته الرحمة؛ وهي الندم الذي يجده الإنسان إذا عاتب أحدا، ويقول: لو شاء الله كان العفو عنه أحسن. لا⁷ بد أن يقول

1 [الأعراف : 156]

2 [الأحزاب : 54]

3 [آل عمران : 159]

4 [الفاتحة : 7]

5 ص 57

6 مضاف في الهامش لفظ "عموم".

7 ص 57 ب

ذلك إما دنيا وإما آخرة في انتقامه لنفسه، لئلا يُخَيَّلَ أَنَّ إقامة الحدود من هذا القليل؛ فَإِنَّ إقامة الحدود شرعٌ من عند الله ما للإنسان فيها تعقُّلٌ. فقد وصل الإنسان بهذا الفعل رَجَةً، واليه وصول الرحمة. فلا بدَّ أن ينال الخالق كلَّهم رحمة الله؛ فنهج العاجل والآجل؛ لأنَّه ما تَمَّ إِلَّا مَنْ وَصَلَ رحمة؛ فوصله الله من ذلك الوجه.

ومن قطع رحمة؛ أي بعض رَجِهِ؛ لأنَّ القطع لا يتمكَّن له أن يعَمَّ؛ فَإِنَّ عَيْنَ قَطْعِ رَجِمٍ خاص (هو) وَصَلَ رَجِمٍ آخر له. فني قطعه وصلّ، وما في وصله قطع. فيشفع الموصول من الأرحام، والشفاعة مقبولة، ويقيم الوزن على المقطوع بالتعريف؛ فَإِنَّه لا بدَّ أن يكون أيضاً ذلك المقطوع قد قطع رَجِمًا له. فإذا طلب من قطع صلة الرِّم عنه، يقول له الحق: كما أَخَذْتُكَ أَخْذُ منك. ويُعلمه بأنَّه أيضاً قطع رَجِمًا له؛ فيسأل الله العفو والتجاوز. فيقول الله له: فاعف أنت عن قاطع رَجِهِ فيك؛ حتى أعفو عنك. فبالضرورة يقول: قد عفوت؛ لأنَّ ذلك الموطن يطلب من الخائف طلب العفو؛ فيعفو الله عنه؛ فتنااله رحمة الله بعفو هذا، ويوصل¹ رحم آخر له؛ فيشفع فيه. وهذا معنى قول الله ﷻ يوم القيامة: «شفعت² الملائكة وشفع النبيون والمؤمنون وفي أرحم الراحمين» فيكون منه في عبادته ما ذكرناه، وأمثاله من كلِّ ما يستدعي الرحمة؛ فَإِنَّ رحمة الله سبقت غضبه؛ فهي أمام الغضب. فلا يزال غضب الله يجري في شأوه³ بالانتقام من العباد، حتى ينتهي إلى آخر مداه؛ فيجد الرحمة قد سبقت؛ فتتناول منه العبيد المغضوب عليهم؛ فتنبسط عليهم، ويرجع الحكم لها فيهم.

والمدى الذي يعطيه الغضب هو ما بين ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الذي في البسطة وبين ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الذي بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو المدى. فأوله ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، واتبأوه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وإنما كان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عَيْنَ المدى؛ فَإِنَّ في هذا المدى تظهر السراء والضراء. ولهذا كان فيه الحمد؛ وهو الشاء، ولم يقيد سراء ولا ضراء في هذا المدى؛ لأنَّه يعَمَّ السراء والضراء. فكان رسول الله ﷺ يقول في السراء: «الحمد لله المنعم المفضل» وفي الضراء: «الحمد لله على كلِّ حال» فحمد الله قد جاء في السراء والضراء؛ فلها كان عَيْنَ المدى. وما من أحد في الدار الآخرة

1 الحرف الثاني المعجم صل في ق، وربما كانت: "ويوصل"

2 ص 58

3 "في شأوه" ذهب في الهامش.

إلا وهو يحمد الله، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه¹ واستغفره عليه.

فجعل الله عقيب قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. فالعالم بين هذه الرحمة ورحمة البسمة بما هو عليه من محمود ومذموم. وهذا شبيه بما جاء في سورة "آل نوح" قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾² ثُمَّ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾³ ولقد أشد بعضهم في هذا:

إِذَا ضَاقَ بِكَ الْأَمْرُ فَفَكَّرْ فِي "آلِ نُوحٍ"
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إِذَا ذَكَرْتَهُ فَانْفَرِحْ

لأنه سبحانه - نكَّرَ اليسر، وأدخل الألف واللام اللتين للعهد والتعريف على العسر. أي: هذا العسر - الثاني هو عين الأول وليس ذلك في اليسر. وهو تبيه عجيب من الله لعباده ليتقوى عندهم الرجاء والطمع في رحمة الله؛ فإنه "أرحم الراحمين" فإن لم يزد على عبيده في الرحمة بحكم ليس لهم؛ فما يكون أرحم الراحمين، وهو أرحم الراحمين بلا شك. فوالله لا خاب⁴ من أحاطت به رحمة الله من جميع جهاته، فاعلم ذلك.

وإذا صحَّت الحقائق فليقل الأخرق ما شاء؛ فإن جماعة نازعوننا في ذلك. ولولا أن رحمة الله بهذه المثابة من الشمول؛ لكان القائلون بمثل هذا لا تالهم رحمة الله أبداً⁵. فوالله أسأله أن لا يلحقنا بالجاهلين؛ فإنه ما ثم صفة ولا عقوبة أقبح من الجهل؛ فإنَّ الجهل مفتاح كل شر. ولهذا قال (تعالى) لحمد الله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁶ خاطبه بمثل هذا الخطاب؛ لحداثة سنه وقوة شبابه؛ فقابل به بخطاب قوي في النهي عن ذلك. وقال تعالى - لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعْطِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁷ ففرق به في الخطاب يزال محترماً مرفوقاً به في العرف والمادة: ﴿إِنِّي أَعْطِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁷ ففرق به في الخطاب حين وعظه. فإنه لا بد من الفرق بين خطاب الشباب وخطاب الشيخوخ، كما أنه لا بد من الفرق في الخطاب بين الأحوال، كما تفرق نحن في الثناء على الله بالأحوال؛ فنقول في خطاب السراء: «الحمد لله المنعم المفضل» ونقول في الضراء: «الحمد لله على كل حال» لاختلاف الباعث على الحمد؛ علّقنا ذلك

1 ص 58

2 [النوح: 5]

3 [النوح: 6]

4 ق: "لا يخاف" وصحفت في الهامش قلم آخر، مع إشارة التصويب، وحرف خ.

5 ص 59

6 [الأعام: 35]

7 [هود: 46]

رسولُ الله ﷺ بفعله. فأما الرجاء من عباد الله بعباد الله، بل بخلق الله مطلقاً، فإنَّ الله يسرع إليهم بالرحمة عندما يلقونه، إذا رحموا الخلق لرحمة يقوم بنفوسهم؛ بمطقتهم على خلق الله؛ فيرحمهم الله؛ فإنَّها أعمالهم تردَّ عليهم، كما ورد في الخبر. فبرحمتهم رحمهم الله - سبحانه -.

فَلَا تَحَاقِقْ وَلَا تُلَاقِقْ وَكُنْ صَدُوقًا وَلَا تَهَارِقْ

فإنَّ رحم خلق الله فإنما رحم نفسه. ثم إنَّ الله رحمة أخرى بهم، زائدة على ما رحمهم به، من أجل رحمتهم بخلق الله التي هي من أعمالهم. وصورتها (هي) أنَّ الراحم متى إذا رحم خلقاً من خلق الله، فلا يخلو إمَّا أن تكون رحمته به إزالة ما يؤلم ذلك الخلق المرحوم خاصة، أو يزيده مع ذلك إحساناً. مثل مَنْ يُخرج شخصاً من السجن استحقَّ العذاب، وحال بينه وبين نزول العذاب به بشفاعة منه. أو يكون هو الآخذ له، ثم يعقبه بعد هذا الأمان إحساناً إليه: بتولية، أو مال، أو خلع، أو تهريب؛ فذلك أمرٌ آخر. فإذا رحم الله عبداً بعمله الذي رحم العبد به حيواناً مثله؛ إمَّا بإزالة عذاب، أو أضاف إلى ذلك زيادة إحسان؛ فإنَّ الله إذا وقَّاه رحمةً جزء عمله، كان ما كان، فإنَّ الله يزيده على ذلك؛ كما زاد هذا العبد على ما ذكرنا، أو يزيده ابتداءً؛ منهُ منه تعالى. - لذلك قال (ص): «الراحمون يرحمهم الرحمن» ولم يقل: "يرحمهم الرحيم" لأنه رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم اختصاص الرحمة بالآخرة.

وأما قوله: «ارحموا مَنْ في الأرض (يرحمكم من في السماء)» لأنكم تشاهدون أصحاب البلايا والرزايا؛ وتتجاوزون عنهم. فترحمونهم عن أمر الله بالرحمة التي تطلبها أحوالهم²، كلٌّ على حسب حاله يُرحم. وليس في السماء إلا الملائكة؛ فترحمنا بالاستغفار، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّا إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾³.

وأما قوله في (هذا)⁴ الباب: "ونسيناه" في هذه المنازلة، فهو حدّ نسيان ذلك الإنسان الله في الأشياء؛ فما عاد عليه إلا نسيانه، وأضافه الحقُّ إليه فقال: ﴿فَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾⁵ أي تركوا حقَّ الله؛ فترك الله الحقَّ الذي يستحقُّونه بإجرامهم؛ فلم يؤاخذهم، ولا آخذهم أخذ الأب؛ فغفر لهم ورحمهم. وهذا بخلاف ما فهمه علماء الرسوم؛ فإنَّه من باب الإشارة، لا من باب التفسير. لأنَّ الناسي، هنا، إذا لم ينسَ إلا حقَّ

1 ص 59

2 ص 60

3 [النورى : 5]

4 لم ترد في ووردت في هـ، س

5 [النرى : 67]

الله الذي أمره الله بإتيانه شرعا؛ فقد نسي الله؛ فإنه ما شرعه له إلا الله؛ فترك حق الله. فأظهر الله كرمه فيه؛ فترك حقه. ولم يكن حق مثل هذا إلا ما يستحقه؛ وهو العقاب. فعفا عنه تركا بترك مقولا بلفظ النسيان.

وأما نبية تعالى- إيانا¹ أن نكون كالذين ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فهو صحيح. فإنها وصية إلهية نهانا أن ننسى الله مثل ما نسوه هؤلاء؛ لنقوم بحق الله، ونقيم حق الله في الأشياء على نية صالحة وحضور مع الله؛ فيجازينا الله جزاء استحقاق؛ فاستحققناه بأعمالنا التي وقفنا الله لها. والذين نسوا الله، إنما ترك الله ما استحقوه من العقاب كما تركوا حق² الله لا غير، ثم إن أفضل عليهم؛ أفضل عليهم مئة منه ابتداء. وأفضاله على العاملين المؤدين حقوق الله ليس مئة، فإذا زاد على ما يطلبه عملهم؛ ذلك هو الامتنان، كما نالوا ما استحقوا به هذا الثواب من طريق المنة، فاعلم ذلك.

ألا ترى الله يقول في تمام الآية لما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ لم يقل: إنهم هم الفاسقون. بل قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾³ فابتدا كلاما آخر ما فيه ضمير يعود على هؤلاء المذكورين. وكل منافق فاسق؛ لأنه خارج من كل باب له؛ فيخرج للمؤمنين بصورة ما هم عليه، ويخرج للكافرين بصورة ما هم عليه. وقد تقدم في هذا الكتاب مرتبة المنافقين في المنازل. فتنبه لما نهيتك عليه، وكُن من العاملين ﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ يَهْدِي اللَّهُ لَهُمْ﴾⁴ ﴿فَنَبِّئْهُمْ أَخْرَجَ الْعَافِينَ﴾⁵ ولا تمنع بصفو الله؛ فتكون ممن نسي- الله؛ بل ارجب في إحسانه؛ بأن يزيدك هنا عملا ومراقبة؛ فيزيدك عنده جاها وحرمة.

وأما قوله تعالى- ناهيا إيانا بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁶ فأعاد الضمير عليهم. فهذا غلط آخر ذكرنا حقيقته في مسألة شرف التفائق وهو التفائق المحمود في المنازل- فيما عثر من هذا الكتاب. فلنذكر منه ما يليق بهذا الموضع من⁷ أجل النسيان. وذلك أن الله قال على لسان رسوله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» لما جعلنا دليلا عليه. ولا ينبغي أن ننظر في معرفة نفوسنا، إلا حتى نريد أن نعرف ربنا. فإذا نسينا هذه المعرفة؛ فقد نسينا معرفة نفوسنا؛ وهو الباب

1 ق، س: "إيانا تعالى"، والترجيح من هـ.

2 ص 60

3 [التوبة: 67]

4 [الرعد: 20]

5 [الزمر: 74]

6 [الحشر: 19]

7 ص 61

الواحد الذي كان ينبغي لنا أن نخرج عليه إلى هذه المعرفة.

فخرجنا على الباب الآخر؛ وهو الذي نخرج منه إلى مجملنا بنفوسنا. ولما خلقنا الله على الصورة الإلهية، كان في نسياننا الله؛ أن أنسانا الله أنفسنا؛ فنهينا عن ذلك. فإنه من نسي نفسه؛ بالضرورة نسي ما الله عليها من الحقوق، وما لها من الحقوق؛ فتركوا الله إذ علموا أنهم لا يشهدون من الله ما هو الله عليه، وإنما يشهدون من الله أعيانهم وأحوالهم، لا غير.

فلما علم الله هذا من بعض عباده الذين لم هذا الوصف؛ أنساهم أنفسهم؛ فلم يروا عند شهودهم- أن أحوالهم عين ما رأوا؛ فيقولون في ذلك الشهود: "قال لي الله، وقلت له". وأين هذا من مقام قولهم: "لا نرى من الحق إلا ما نحن عليه"؟ فلم يكن لهم ذلك إلا من كونه تعالى- أنساهم أنفسهم؛ فهو أولئك هم الفاسقون¹ الخارجون عن طريق ما كانوا يحققوا به من أن الله لا يشهد أحد، إلا من حيث² حاله وما هو عليه.

ولما وصف نفسه تعالى- بأنه خير الراحمين³ من باب المفاضلة، فعلوم أنه ما يرحم أحد من المخلوقين أحدا إلا بالرحمة التي أوجدها الرحمن فيه؛ فهي رحمته (تعالى) لا رحمتهم؛ ظهرت في صورة مخلوق. كما قال في "سمع الله لمن حمده" إن ذلك القول هو قول الله على لسان عبده. فقوله تعالى- الذي سمعه موسى، أتم في الشرف من قوله تعالى- على لسان قائل؛ فوقع التفاضل بالحل الذي سمع منه القول المعلوم أنه قول الله. وكذلك أيضا رحمته من حيث ظهورها من مخلوق أدنى من رحمته بعبده في غير صورة مخلوق؛ فتعين التفاضل والأفضلية بالتحال.

إلا أن رحمة الله بعبده في صورة المخلوق تكون عظيمة؛ فإنه يرحم عن ذوق؛ فيزيل برحمته ما يجده الراحم من الألم في نفسه من هذا المرحوم. والحق لبس كذلك؛ فرحمته خالصة لا يعود عليه منها إزالة ألم؛ فهو "خير الراحمين". فرحة المخلوق عن شفقة، ورحمة الله مطلقة. بخلاف بطشه وانتقامه مع شدته. ولكن لا يبطش بطشا لا يكون فيه رحمة؛ لأن قصارى الرحمة فيه⁴ (هو) إيجاد البطش بعبده. فوجود البطش رحمة رحم الله بها البطش؛ إذ أخرجه من العدم إلى الوجود. ومن كان مخلوقا من صفة⁵ الرحمة، فلا بد أن

1 ص 61 ك

2 [المؤمنون : 109]

3 مصححة في الهامش : به

4 ص 62

يكون في بطشه رحمة.

فجاء أبو يزيد في هذا المقام لتأسمع القارئ يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾¹ قال أبو يزيد: "بطشي- أشد" لأنَّ بطش الإنسان إذا بطش- لا يكون في بطشه شيء من الرحمة؛ لأنَّه لا يتمكن له أن يبطش بأحد، وعنده رحمة به جملة واحدة. فما يكون ذلك البطش إلَّا بحسب ما أعطاه محلُّ الباطش، وإن كان ذلك البطش خلقًا لله؛ ولكن ما خلقه إلَّا في هذا المحلِّ؛ فظهر بصورة المحلِّ، والمحلُّ لا يطلب الانتقام من أحد وفي قلبه رحمة. ثمَّ إنَّ الله إذا بطش بعبد، ففي بطشه نوع رحمة؛ لأنَّه عبده بلا شك. كما أنَّ المخلوق إذا أراد أن يبطش بعبد، لا بدَّ أن يشوب بطشه رحمة؛ للمناسبة التي بينه وبين عبده ومملوكه؛ لأنَّه المبتقي عليه اسم المالك والسيادة؛ فلا يمكن أن يستقصي في بطشه ما يُذهِب عينه؛ فيكون عند ذلك- قد بطش بنفسه.

والمخلوق ليس كذلك الأجنبي الذي ليس بينه وبين الباطش نسبة عبودية، ولا اكتسب من وجوده صفة سيادية. فإذا بطش من هذه صفته، بطش يبطش لا تشوبه رحمة. فهو سبحانه- ﴿خَيْرُ الرَّاجِينَ﴾² وما جاء قطُّ عنه تعالى- أنَّه خير الآخذين ولا الباطشين، ولا المنتقمين، ولا المعبذين. كما جاء ﴿خَيْرُ الْفَاضِلِينَ﴾³، و﴿خَيْرُ الْفَاقِينَ﴾⁴، و﴿خَيْرُ الرَّاجِينَ﴾⁵، وخير⁵ الشاكرين، وأمثال هذا؛ مع كونه يبطش، وينتقم، ويأخذ، ويهلك، ويعذب (ولكن) لا بطريق الأفضلية. نتحقَّق هذا الفاصل: بين وصفه بالأخذ والانتقام، وبين وصفه بالرحمة والمفطرة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 [البروج : 12]

2 [المؤمنون : 109]

3 [الأنعام : 57]

4 [الأعراف : 155]

5 ص 62

6 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والسمعون وطلائمة

في معرفة منازلة: مَنْ وقف عندما رأى ما هالهُ؛ هلك

الْحَلْقُ شَدِيدٌ وَلَيْسَ بِكَائِنٍ	وَالْمُبْدَعَاتُ هِيَ الَّتِي تَكُونُ
الرُّوحُ وَالْكَلِمَاتُ شَيْءٌ وَاحِدٌ	وَالْحَقُّ فِيهِ هُوَ الَّذِي يَقَعُ
فَالْعَالَمُ التَّخَوُّنُ لَيْسَ بِثَابِتٍ	فِي حَالِهِ لِقَامُهُ يَتَلَوُّ
فَلِإِنَّاكَ أَغْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقُهُ	وَهَذَا كَمَ بِلَايِهِ فَنَبِتُوا
لَوْ لَمْ يَكُنْ عَيْنَ الْكَلَامِ وَجُودُنَا	لَمْ نَقْتَنِينَهُ فَلَمْ تَلِدْ الْأَعْيُنُ
بُقُوسٍ ¹ أَسْمَاءُ الْإِلَهِ، قُلُوبُنَا	وَتَوَحُّمَاتِ الْحَقِّ بِي تَفْتُنُ
فَجَبِينُ مَا جِئْنَا بِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا	فَهَمٍ وَتَحْقِيقِي بِهِ مُتَبَيَّنُ

اعلم أيدينا الله وإياك - أن الله تعالى - لما سوى النشأة الإنسانية، بل جميع ما أنشأه من أجسام العالم: الطبيعية والعنصرية، وعذله على الترتيب الذي تقتضيه الحكمة في كل جسم، وعذله وهياته لقبول ما يريد أن يهبه في نفسه فيه من الروح الإلهي؛ تَفَخَّ فيه من روحه. فظهر فيه عند ذلك - نفساً مدبرةً لذلك الهيكل، وظهرت بصرة مزاج ذلك الهيكل؛ فتفاضلت النفوس، كما تفاضلت الأمزجة. كما يضرب نور الشمس في الألوان المختلفة التي في الزجاج؛ فتعطي أنواراً مختلفة الألوان: من أحمر، وأصفر، وأزرق، وغير ذلك بحسب لون الزجاج في رأي العين؛ فلم يكن ذلك الاختلاف في النور الذي حدث فيه إلا من الهلّ، ولا تَمَيَّنَ في نفسه جزءاً عن غيره إلا بالهلّ؛ فالهلّ عينه والهلّ غيره.

كذلك النفوس المدبرة للهيكل الطبيعية والعنصرية. فللنفوس الأثر في² الهيكل بحكم التدبير، ولا يقبل من التدبير فيها من هذه النفوس إلا بقدر استعدادها. والهيكل أثر في النفوس بحسب أمزجتها في أصل ظهورها عند تعيينها؛ فمنهم الذكي والبليد بحسب مزاج الهيكل. فالأمر عجيب بينهما!! فكل واحد منها مؤثر فمن هو مؤثر فيه.

ثم إن الله أخذ بأكثر أبصار جنس الإنس والجان عن إدراك النفوس المدبرة الناطقة التي للمسقى جمادات ونباتات وحيوانات، وكشف لبعض الناس عن ذلك. والدليل السمعى على ما قلناه (هو) قول الله:

﴿وَإِنْ مِنْهَا﴾ يعني من الحجارة ﴿لَمَّا يَخِطُّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾¹ فوصفها بالخشية. وأما أمثالنا فلا يحتاج إلى خبر في ذلك؛ فإن الله قد كشفها لنا عينا، وأسمعنا تسييحها ونطقها. لله الحمد على ذلك. وكذلك اندكاك الجبل لتجلّي الرب له؛ لولا العظمة التي في نفس الجبل من ربه؛ لما تدكدك لتجلّي له. فإنّ الفوات لا تؤثر في أمثالها، وإنما يؤثر في الأشياء قدرها ومنزلتها في نفس المؤثر فيه. فعلمه بقدر ذلك المتجلّي أثر فيه، ما أثر فيه ما ظهر له.

فإنّا نرى الملك إذا دخل في صورة العائمة، ومشى في السوق بين الناس، وهم لا يعرفون أنّه الملك (فإنّه) لم يتم له وزن في نفوسهم. فإذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه؛ قامت بنفسه عظمتُه وقدره؛ فأثر فيه علمه² به؛ فاحترمه، وهدّأ، وسجد له. فإذا رأى الناس الذين يعرفون قُرب ذلك العالم من الملك، وأنّ منزلته لا تعطي أن يظهر منه مثل هذا الفعل إلّا مع الملك علموا أنّه الملك؛ فحادث إليه الأبصار، وخشعت الأصوات، وأوسّعوا له، وتبادروا لرؤيته واحترامه. فهل أثر ذلك عندهم إلّا ما قام بهم من العلم به؟! فما احتراموه لصورته؛ فقد كانت صورته مشهودة لهم؛ وما علموا أنّه الملك، وكونه ملكا؛ ليس عين صورته؛ وإنما هي رتبة نسبة أعطته التحكّم في العالم الذي تحت بيعته.

ورد في الخبر الذي خرّجه أبو نعيم الحافظ، في دلائل النبوة، في بعض إسرارات رسول الله ﷺ أنّه قال: «جاءه جبريل عليه السلام ليلة، ومعه شجرة فيها كوكبي الطائر. فقدم رسول الله ﷺ في الوكر الواحد، وقعد جبريل عليه السلام في الوكر الآخر. ثمّ إنّ الشجرة علت بهما حتى بلغا السواء، فتدلّى إليهما رفرُ دُرٌّ وياقوت. فأما محمد ﷺ فلم يعلم ما هو؛ فلم يؤثر فيه. وأما جبريل عليه السلام عندما رآه؛ غشي عليه. فقال ﷺ: فعلمت فضله عليّ في العلم» فإنّه علم ما رأى؛ فأثر فيه علمه بما رآه الغشي. ولم يعلمه رسول الله ﷺ فلم ير له أثر فيه. فلا³ يؤثر في الأشياء إلّا ما قام بها؛ وليس إلّا العلم.

ألا ترى شخصان يقرآن القرآن؛ فيخشع أحدهما ويكي، والآخر ما عنده من ذلك كلّ خبر، ولا يؤثر فيه؛ هل ذلك إلّا من أثر علمه القائم به لما تدلّى عليه تلك الآية، وشهده ما تضمنته من الأمر الذي أبكاه وخشع له، والآخر أعمى عن تلك المعاني؛ لا يجاوز القرآن حنجرتَه، ولا أثر لتلاوته فيه؟ فلم يكن الأثر لصورة لفظ الآية؛ وإنما الأثر لما قام بنفس العالم بها، المشاهد ما نزلت له تلك الآية؛ فلا يؤثر فيك إلّا ما

1 [البقرة: 74]

2 ص 2/63 (مكرر)

3 ص 2/63 (مكرر)

قام بك من حيث ما تعلم وتشهد؛ فلو لا علمه بالأمر ما هاله.

وإذا لم يرتحل، ووقف عندما رآه، وقد هاله ذلك؛ فبالضرورة يهلك؛ أي¹ يغيب عن صوابه وجسده، ويدهش، أو يغشى عليه، أو يموت؛ فزقاً منه² على قدر قوة ذلك التالي، أو ضعفه. فهو مع ما حصل في نفسه.

من ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُوعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾³ وهذا أمر إضافي. فقد يكون الأمر عند زيد أهول منه عند عمرو، وقد يكون عند عمرو أمر آخر أهول منه عند زيد؛ فتؤثر الأهول عند كل واحد منها بحيث أن يقول كل واحد منها عن صاحبه: عجبت لفلان! ما الذي رأى حتى أثر فيه بما ظهر عليه؟ كيف به لو علم ما عندي من⁴ هذا الذي لم يرفع به رأساً؟! كل واحد منها يقول هذه المقالة. والعالم الكامل الثالث يقول خلاف قولها، ويعلم السبب المؤثر في كل واحد منها؛ فيعلم منها ما لا يعلمان من نفوسهما. فسبحان الحكم العدل، منزل الأشياء منازلها، ومعين المراتب لأهلها.

فإذا علمت هذا؛ علمت علماً غريباً هو العجب العجيب! يحتوي على سر لا يتمكن كشفه، ولا ينبغي التصريح به. فإن الله يبار على العبد أن يظهر مثل هذا؛ فإنه أمر يقتضيه الوجود، وهو عظيم الفائدة. لما ظهر العالم إلا بالنسب، ولا حصل القبول من العالم لما قبله من العالم أيضاً، إلا بالنسب. فالموجد بالنسب، والقابل بالنسب؛ فالحكم لها. وقد علمت ما هي النسب.

فَهَا صَحَّ وَجُودِي وَبِهَا	صَحَّ لِلْكَوْنِ مِنَ اللَّهِ نُسَبُّ
فَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَصَّنِي	اِفْتِنَانَا مِنْ مَعَارِفِ النَّسَبِ

*

فَهَا صَحَّتِ السَّعَادَةُ بَيْنَا	وَبِهَا صَحَّ لِلشَّقَى الشَّقَاءُ
عَدَمٌ يَحْكُمُ الْوُجُودَ وَأَبْدَى	عَجَبًا فِيهِ كَيْفَ لَيْسَ يَشَاءُ
فَهُوَ الْمَوْجِدُ الْمَوْثَرُ بَيْنَا	وَهُوَ الْحَقُّ لَيْسَ فِيهِ امْتِرَاءُ

1 "هلك أي" لفظان تابان في الهامش بقلم آخر مع إشارة الصواب.

2 "زقاً منه" لفظان تابان في الهامش بقلم آخر مع إشارة الصواب.

3 [الزمر: 68]

4 ص 64

5 ص 64

فإنه غني عن العالمين، والغنى صفة تنزه؛ وأعظم الثناء عندنا في حق الحق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ سواء كانت كاف الصفة أو كانت زائدة. وكونها للصفة أبلغ في الثناء عند العالم باللسان الذي نزل به القرآن. يقول رسول الله ﷺ في دعائه وثنائه على ربه ﷻ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» يريد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال الصديق الأكبر ﷺ: "العجز عن درك الإدراك إدراك" والحق سبحانه - ما أننى على نفسه بأعظم من نبي المثل؛ فلا يثل له سبحانه -. ولهذا قال في حق العالم من حيث ما هو فاطق: ﴿وَلَوْلَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾² والتسبيح تنزيه.

فإذا أسندت العالم إليه تعالى - في الوجود، وقلت: "إنه موجد العالم" لم يمكن لك أن تعقل هذا إلا ينسب تثبتا من حياة، وعلم، وقدرة، وإرادة. هذا حد نظر العقل، وثبت بالشرع أنه قائل. فإن كانت (هذه الصفات) أعيانا زائدة على ذات، لما أوجد شيئا بها إلا عن تعلق بالذي حدث، والتعلق نسبة منها إلى المتعلق. وإن كانت هذه الصفات ليست بزائدة؛ وإنما ثم عين واحدة؛ وهي الذات، وتوحيدها على إيجاد الممكنات؛ فالتوحيدها ينسب، وهي مختلفة؛ لما يظهر في العالم من الاختلاف، الذي هو دليل على حكمنا بها. فعلى كل حال ما زالت من النسب؛ وهي الثابتة في العقائد، وفي نفوس العلماء، كانوا ما كانوا.

جاء حديث وارد	عن النبي المصطفى
بأن من خالفه	في عقيده على شفا
وما له من دأبه	بزة يكون وشفا
إلا إذا وافقه	في أمره ثم وفي
بكل ما خاطبه	به، وإن زل غفا
غنه الذي كلفه	وهو الإله وكفى

وهذا القول كله صحيح. فهل حصل في معلومك إلا نسب من جانب الحق ومن جانب المخلوق؛ فأوجدت ينسب، وقبلت ينسب؟ وأوضح من هذا الذي ذكرنا لما يكون. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 [الشورى : 11]

2 [الإسراء : 44]

3 ص 65

4 رجمها في ق: ما زلت.

5 [الأحراب : 4]

الباب¹ الرابع والتسعون وثلثمائة
في معرفة منازلة: مَنْ تَأَدَّبَ وَصَلَّ،
وَمَنْ وَصَلَ لَمْ يَرْجِعْ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ أَدِيبٍ

لَوْلَا الشُّهُودُ وَمَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ	مَا كَانَ لِي أَمَلٌ فِي الْكَوْنِ فِي الْقَدَمِ
كُنَّا بِهِ فِيهِ حَتَّى قَالَ: "كُنْ" فَبَدَثَ	أَغْيَاثُنَا لِسَمَاعِ الْكَوْنِ فِي الْكَلِمِ
فَلَوْ فَتَخْنَا غَيُوثَنَا مَا بِهَا رَمَدٌ	كُنَّا حَبَازِي كَيْفَلِ الْغَمِي فِي الظُّلَمِ
وَلَمْ نَكُنْ، فَوُجُودُ الثُّورِ أَظْهَرْنَا	نُورًا فَتَخُنْ يَكُونُ غَيْرَ مُنْقَسِمِ
وَالثُّورُ أَغْيَاثُنَا وَالثُّورُ خَالِفُنَا	وَفِيهِ نَسْعَى بِرِجْلِي أَوْ بِلَا قَدَمِ

اعلم أيُّهنا الله وإياك- أَنَّ الوجود المطلق هو الخير المحض، كما أَنَّ العدم المطلق هو الشر- المحض. والممكنات بينهما: فما قبل الوجود؛ لها نصيب في² الخير، وما قبل العدم؛ لها نصيب في الشر- وليس الأدب إِلَّا جِماع الخير كله؛ ولهذا سميت المادبة مَادِبَةً لاجتماع الناس فيها على الطعام. ولا شك أَنَّ الخير ظهر في العالم متفرقاً؛ فلا يخلو ممكن عن خيرية مآ. والممكن الكامل؛ المخلوق³ على الصورة الإلهية؛ الخصوص بالسورة الإمامية؛ لا بدَّ وأن يكون جامعاً لجميع الخير كله؛ وهذا استحقَّ الإمامة والنبابة في العالم. ولهذا قال (تعالى) في آدم **الطَّيِّبُ**: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁴ وما تمَّ إِلَّا اسم ومسمى.

وقد حصل علم الأسماء محمد ﷺ حين قال: «علِّمْتُ علم الأولين والآخرين» فعلمنا أَنَّهُ قد حصل عنده علم الأسماء؛ فإنه من العلم الأول؛ لأنَّ آدم له الأولية؛ فهو من الأولين في الوجود الحسي. وقال (ص) عن نفسه فيما خُصَّ به على غيره: إِنَّهُ أُوْتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ؛ والكلم جمع كلمة، والكلم أعيان المسميات. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمْنَاهُ الْقَاهَا إِلَىٰ مَرْثَمٍ﴾⁵ وليست غير عيسى. فأعيان الموجودات كلها كلمات الحق، وهي لا تنفذ. فقد حصل له الأسماء والمسميات؛ فقد جمع الخير كله؛ فاستحقَّ السيادة على جميع الناس، وهو قوله (ص): «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهناك تظهر سيادته؛ لكون الآخرة محلَّ تجلِّي الحق العام. فلا يتمكن لتجليه

1 ص 65

2 ص 66

3 "الكامل المخلوق" في ق: "المخلوق الكامل" والترجيح من ه، س

4 [البقرة: 31]

5 [النساء: 171]

دعوى من أحد فيما ينبغي أن يكون لله، أو يكون من الله، لمن شاء من عباده.

فتقوله: "وَصَلَ"² يعني إلى تحصيل الخير الحضر، وهو قوله تعالى: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَصَرَّهُ» وأمثال هذا. وهذا هو الوصول إلى السعادة النائمة، وهو الوصول³ المطلوب. ولا شك أنه "من وصل لم يرجع" فإنه من الحال الرجوع بعد كشف الغطاء، إلى محلّ صفة الحجاب. فإنّ المعلوم لا يبهره العالم به بعد تعلّق العلم به. فرجالُ الله المكمّلون كشفَ الله الأغشية عن بصارهم وأبصارهم؛ بما حصلوه من الصفات الإلهية، ووقفوا عليه من الصفات الكونية؛ وكلّها كما تقدّم- إلهية. وهؤلاء هم الأدباء الذين صلحوا للبساط الحقّ؛ جلساء الله وأهله؛ وهم أهلُ الذّكر، والقرآن الذي هو الجمع، وبه سمي قرآنا.

وأما العامة فلا بدّ لهم من كشف الغطاء عن أبصارهم عند الموت؛ فيرون الأمور على ما هي عليه، وإن لم يكونوا من السعداء؛ فيرون السعداء والسعادة، ويرون الأشقياء والشقاوة؛ فلا يجهلون بعد هذا العلم وإن شقوا. فهذا معنى قوله: "ومن وصل لم يرجع، ولو كان غير أديب" أي غير جامع للخير. وإنما سمي جامعاً للخير، والخير أمر واحد؛ لكون هذا الأمر الواحد ظهر في صور كثيرة مختلفة؛ جمعها هذا الأديب؛ فظهر في خيرته بكل صورة خير؛ فسُمي⁴ أديباً؛ أي: جامعاً لهذه الصور الخيرية. والخير في نفسه حقيقة واحدة ظاهرة في العالم في صور مختلفة.

وَمَا عَلَى اللَّهِ بِسُنتِكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ⁵

فالأديب ظاهرٌ بصورة حقّ في العالم؛ بفضل إجماله بصوره، وبجمل تفصيله بذاته؛ ومتى لم تكن هذه الصفة والقوة في رجل فليس بأديب. وهؤلاء هم «الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ» وإذا ذُكِرَ الله، فقد ضمّن ذكره جميع العالم. فمن ذكر الله بهذا اللسان؛ فقد ذكر العالم؛ لأنّ العالم صورة الحقّ، وهو الاسم "الظاهر" الذي وقع فيه التفصيل. ومدلوله -أيضاً- الحقّ؛ لأنّه عين الليل على نفسه؛ فكان له من أجل هذا- الاسم "الباطن" الذي وقع به الإجمال. فالعلم واحد؛ وهو في الباطن وتعلّقاته متعدّدة بتعدّد صور المعلومات.

فالعالم يكشف المعلومات ببصرته على جهة الإحاطة بحقائقها؛ أنّها لا تنهاى معلوماته ولا مقنوراتها.

1 ص 66ب

2 يشير إلى قوله أوّل الباب: "من تأدّب وصل"

3 ثابت في الهامش فلم آخر مع إشارة الصواب.

4 ص 67

5 البيت لأبي نواس من قصيدة مطلعها: قولاً لهارون إمام الهندي عند احتفال المجلس الحاشد

وما بقي في عين الممكن في قبوله الوجود- نصيب للعدم؛ ولا حكم إلا معقولية الإمكان؛ وإن لم ينعدم بعد؛ ولا يصحّ عدمه. لأنّ خلاف المعلوم محال الوقوع، ولا يكون عن الوجود عدمٌ أصلاً؛ لأنّه¹ ليس في حقيقته صدور عدم عنه. فما انعدم من الأمور التي يعطي الدليل عدمها، إنما انعدم لنفسه، أو لعدم الشرط في بقائه في الوجود. وبهذا القدر انفصل وجود الممكن من وجود الحق؛ فإنّ الإمكان لا يزول حكمه عقلاً في الموجود المحدث لنفسه، الممكن. والإمكان لا نصيب لوجود الحق فيه أصلاً، وإن كان وجود أعيان الممكنات لا ينعدم أصلاً بعد وجودها، ولكن كما قرّرناه.

وأما الأعراض التي قلنا: إنّها تعدّم لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها؛ فحقيقتها أنّها أسباب عدميّة، لها أحكام معقولة، مقولة لا يمكن جحدّها ولا الحكم بها. فلو كانت الأعراض أعياناً وجوديّة؛ لاستحال عدمها مع حكم الإمكان فيها، كما استحال في كلّ قائم بنفسه من الممكنات.

ثمّ إنك إذا أخذت تفصّل بالحدود أعيان الموجودات؛ وجدتها بالتفصيل: نسباً، وبالجموع: أمراً وجوديّاً؛ لا يمكن لخلق أن يعلم صورة الأمر فيها. فلا علم لخلق بما سوى الله، ولا للعقل الأوّل؛ أن يعقل كيفيّة اجتماع نسب؛ يكون عن اجتماعها عين وجوديّة: مستقلّة في الظهور، غير مستقلّة في الغنى، مفتقرة بالإمكان المحكوم عليها به. وهذا علم لا يعلمه إلا الله تعالى-. وليس² في الإمكان أن يعلمه غير الله تعالى-. ولا يقبل التعليم؛ أعني أن يُعلمه الله من شاء من عباده. فأشبهه العلم به العلم بذات الحق، والعلم بذات الحق محالّ حصوله لغير الله؛ فمن الحال حصول العلم بالعالم، أو بالإنسان نفسه، أو بنفس كلّ شيء لنفسه لغير الله.

فتفهم هذه المسألة؛ فإنّي ما سمعت ولا علمت أنّ أحداً تبّه عليها، وإن كان يعلمها؛ فإنّها صعبة التصوّر، مع أنّ فحول العلماء يقولون بها، ولا يعلمون أنّها هيّة؛ كبلقيس تقول: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾³ و"هو هو". وكذلك من تكلم في الحق في حال ظهوره في صورة خاصّة مع الحق؛ فهو يشهده، ولا يعلم أنّه هو. وهذا سار حكمه في العالم لمن نظر واستبصر، والله غني عن العالمين لظهوره بنفسه؛ فلا دليل عليه سيّواه؛ إذ ما ثمّ إلا الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 67 ب

2 ص 68

3 [الأنفال: 42]

4 [الأحراب: 4]

الباب الخامس والتسعون وللائمة

في معرفة منازلة: مَنْ دخل حضرتي

وبقيت عليه حياته؛ فعزاؤه عليّ في موت صاحبه

مَنْزِلُ¹ الإلَاءِ والتَّعَمُّ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْكَرَمِ

وَلَهُ الْحُدُوثُ لَيْسَ لَهُ قَدَمٌ فِي رِثَّةِ الْقَدَمِ

وَهُوَ حَكَمٌ غَيْبُهُ عَدَمٌ مَا لَهُ فِي الْكَوْنِ مِنْ قَدَمٍ

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾² والمعينة صحيحة. وصحّ عن رسول الله ﷺ المترجم عن ربه، لسان حق لا ينطق عن هوى لكونه شديد القوى: «اللهم أنت الصاحب في السفر» فاتَّخَذَهُ صاحباً له في سفره، والسفر من الإسفار؛ وهو الظهور؛ فهو ظاهر الصفة من الوجه الذي يليق به ويطلق عليه.

فاعلم أنّ سرّ الحياة الإلهية سرى في الموجودات؛ فحيث بحياة الحق. فمنها ما ظهرت حياتها لأبصارنا، ومنها ما أخذ الله بأبصارنا عنها في الدنيا. إلّا الأنبياء وبعض أولياء الله؛ فإنه كشف لهم عن حياة كلّ شيء، والمحبوبون يدركونها بالإيمان؛ إذا كانوا مؤمنين. وأمّا من ليس بمؤمن فلا يدرك ذلك لا بالكشف ولا بالإيمان. نسأل الله العصمة من الكفر.

ولسريان هذه الحياة في أعيان الموجودات نطق كلّها مستبعدة بالشاء على موجدتها، إلّا أنّه صحبت الدعوى في هذه الحياة لكلّ حيّ ابتداء. فينتخبون أنّ حياتهم لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾³ فراوا الأمر على خلاف ما اعتقدوه؛ وهو رؤيتهم أنّ الحياة التي كانوا بها أحياء هي حياة الحق، لا بل هي الحق عينه⁴، كما ورد في الصحيح: «كنت سمعته وصرّه» وغير ذلك؛ فمن جملة ذلك أنّه حياته. فعندما أبصروا ذلك ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وما قال: "حياة ربكم" ولهذا قلنا: بل هو عين الحق، ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ لَمَّا تَبَيَّن لهم أنّه الحق ﴿وَهُوَ الْقَلْبُ الْكَبِيرُ﴾ عن الحلول والحلّ؛ ولكن نسب، وإضافات، وشهود حقائق.

فبالوجه الذي يقول فيه: إنّهُ سَمِعَ العبد، به بعينه يقول: إنّهُ حياة العبد، وعلمه، وجميع صفاته وقواه؛

1 ص 68 ب

2 [الحديد: 4]

3 [سبا: 23]

4 ص 69

5 ثابت في الهامش بضم الأصل مع إشارة التصويب.

وهي نسب لا أعيان؛ فهو الحق، العالم، السميع، إلى غير ذلك. فالعين واحدة، وليس إلا ما ظهر؛ فهو عين ما ظهر. فالعبد المتحقق بالحق ينكشف له؛ فيتبين أنه الحق ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّجِيطٌ﴾¹. فالحياة التي كان يدعي فيها قبل دخوله إلى حضرة الحق، لم تبق عليه في هذا الشهود أصلا. وضد الحياة الموت.

فإن اشتبهت عليه الحضرة، وتخيل أنه دخل حضرة الحق، وما زالت عنه حياته أنها له، كما تخيل صاف² في عرش إبليس على البحر؛ أنه العرش الذي استوى عليه الرحمن تعالى وجلّ- فقال له رسول الله ﷺ: «ذلك عرش إبليس»؛ كذلك صاحب هذا الشهود إذا رأى أن حياته باقية عليه، منسوبة إليه؛ فإن الحق قد مات في حقه، وهو يدعي صفة الحق؛ فالحق يعزبه في موت صاحبه؛ فإنه عنه في هذا الشهود أجنبي³؛ فهو الميت على الحقيقة. فمن لم يصحبه الحق في جميع صفاته؛ فما هو حق؛ فإن الحق لا يتبعض. فإذا كان كان، وإذا لم يكن كان في نفس الأمر ولا نعرفه؛ فكن عالما، ولا تكن جاهلا. ولهذا قيل: "ما اتخذ الله وليا جاهلا قط" وإن الله يتولى بالفعل تعليم أوليائه بما يشهدهم إياه في تجلياته.

ومثل هذا قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» فلكم هو في الإشارة- ملل الحق.

ولما كان الحق في حق كل أحد (هو) عين اعتقاده فيه، وعلمه به؛ ثم غفل عن اعتقاده الذي هو ربه؛ فقد ذهب عن محل عقده؛ ففقد، وهو كان صاحبه. فعزاه الحق فيه من حيث ما هو لنفسه في الحق الذي كان متعلق عقده برب كل إنسان على صورة عقده فيه. والحق الذي هو حق في نفس الأمر، وراء كل معتقد، لا بل هو صورة كل معتقد ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [فصلت : 54]

2 صاف: ابن صياد؛ من يهود المدينة أيام البعثة النبوية.

3 ص 69

4 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة: من جمع المعارف والعلوم حجبته عني

ألا إلى الله نصير الأمور	ما أنت يا ذبياني إلا غرور
أهل ¹ التقى لم يأمنوا كَيْدَهَا	مع التقى، فكيف أهل العُجُوز؟
لَهَا صِفَاتُ الْحَقِّ فِي مَكْرِهَا	وما لنا في مَكْرِهِ مِنْ شُعُور
لَوْ أَنَّهَا تَنْصَفُ فِي حَالِهَا	كأنَّ لَهُمْ نِعَمَ الْبَشِيرِ الْتَذِيرِ
مِنْ صِدْقِهَا فِي حَالِهَا أَنَّهَا	أَرَتْ ² رَحَى الْمَوْتِ عَلَيْنَا تَنْدُوز
وَكَانَ لِي فِيهَا وَمَا عِنْدَهَا	مَوْعِظَةٌ تَذِكْرَةٌ لِلْخَيْرِ
بِهَا يَنَالُ الْعَبْدُ فِي كُزْنِهَا	كَلَّ تَقَتِ الْحَقِّ يَوْمَ النُّشُورِ
وَهُوَ عَلَى النُّصِفِ إِذَا مَا مَضَى	عَنْهَا وَمَنْ يَجْهَدُ هَذَا يَجُوزُ
مِيزَانُهَا قَامَ بِهَا وَالَّذِي	يَقْلُمُهُ وَهُوَ الْقَلَمُ الْقَدِيرُ
كَأَخَذِ السَّيْفِي فِي الْفَيْلِ إِذْ	مَلَكَهُ اللهُ زِمَامَ الْأُمُورِ
مَا ³ يَظْهَرُ الْعَبْدُ بِأَسْمَائِهِ	إِلَّا بِهَا فَهَوَ الْمَيْمَرُ الْفُؤُورُ

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح القدس- أن الله تعالى في نفسه وجل أن يعرفه عبده، واستحال ذلك. فلم يبق لنا معلوم نطلبه إلا النسب خاصة، أو أعيان الممكنات، وما ينسب إليها. فالمعرفة تتعلق بأعيان النوات من الممكنات، والعلوم تتعلق بما ينسب إليها. فتعلم النوات والأعيان بالضرورة من غير فكر ولا نظر؛ بل النفس تتركها بما ركز الله فيها. وتعلم النسب إليها وهو علم الإخبار عنها- مما توصف به، أو يحكم به عليها بالليل النظري أو بالإخبار الاعتصامي، بغير هذا لا يوصل إلى العلم بذلك.

والأحكام والأخبار غير متناهية الكثرة؛ فتفرق الناظر فيها ولا تجمعها، وأراد الحق من عباده أن يجمعهم عليه، لا على تتبع هذه الكثرة حتى تُعلم؛ بل أباح لبعض عباده منها ما يتعلق العلم بها الذي يجمعه عليه،

1 ص 70

2 أرئت: أقيمت

3 ص 70 ب

4 الميمر: المهلك.

وهو قوله في النظر في ذلك: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾¹ فمن افترق في نفسه في جمع علوم لا ينظر فيها من حيث دلالتها على الحق؛ فحجته عن موضع الدلالة التي فيها على الحق؛ كعلوم الحساب، والهندسة، وعلوم الرياضات، والمنطق، والعلم الطبيعي². فما منها عِلْمٌ إِلَّا وفيه دلالة وطريق إلى العلم بالله، ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث طلبه، ذلك الوجه البال على الله؛ فوقع الازم عليه والحجاب عن هذه الدلالة.

ثم إن بعض الناس إذا نبهه الله على طلب موضع الدلالة من كل معلوم على الله، فإن الله تعالى يفرقه في المعلومات؛ وإن كان مطلوبه دلالتها على الله؛ فلا نشك أن جمعة لهذه المعلومات -التي هي محل نظره- حجاب عن الله؛ أي عن الوجه الذي ينبغي أن يعلم منه ما في وسع القابل من الله.

وليس له طريق إلى ذلك إلا بأن يترك جميع المعلومات وجميع العالم من خاطره، ويجلس فارغ القلب مع الله؛ بحضور، ومراقبة، وسكينة، وذكر إلهي؛ بالاسم "الله" ذكر قلب، ولا ينظر في دليل يوصله إلى علمه بالله. فإذا لزم الباب، وأدمن القرع بالذكر -هذه هي الرحمة التي يؤتيه الله من عنده؛ أعني توفيقه وإلهامه لما ذكرناه- فتولى الحق تعليمه شهودا، كما تولى أهل الله؛ كالخضر وغيره؛ فيعلمه من لدنه علما. قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعِظْمَاءَ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾³ من الوجه الخاص الذي بينه وبين الله.

وهو لكل مخلوق؛ إذ يستحيل أن يكون للأسباب أثر في المسببات؛ فإن ذلك لسان الظاهر. كما قال في عيسى: ﴿تَتَشَفَّعُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي﴾⁴ لا بنفسك. والنفع⁵ سبب التكوين في الظاهر، والتكوين ليس في الحقيقة إلا عن الإذن الإلهي. وهذا وجه لا يطالع عليه من العبيد نبي مرسل، ولا ملك مقرب من أحد. وغاية العناية الإلهية بالشخص من ملك، أو رسول، أو ولي؛ أن يوقفه الله من ذلك على الوجه الخاص به، لا على وجه غيره.

كما قال الخضر لموسى عليه السلام: "أنا على علم علمه الله لا تعلمه أنت" لأنه كان من الوجه الخاص الذي من الله لعبده، لا يطالع على ذلك الوجه إلا صاحبه إذا اعتنى الله به. وما من مخلوق إلا وله ذلك الوجه،

1 [صلى: 53]

2 ص 71

3 [الكهف: 65]

4 [المائدة: 110]. و"طائرا" وفق قراءة ورش عن نافع، وهي في قراءة خضر: "طيرا".

5 ص 71 ب

وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْهُ أُمُورًا كَثِيرَةً، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ بَعْضُ الْعَبِيدِ أَنَّهُ أَنَا ذَلِكَ الْعِلْمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَهُوَ كُلُّ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَجِدُهُ؛ لَا يَتَقَدَّمُ لَهُ فِيهِ فِكْرٌ، وَلَا تَدْبِيرٌ. وَصَاحِبُ الْعِنَايَةِ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ ذَلِكَ الْعِلْمَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ أَيْضًا: "وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عِلْمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا" فَلَمَّا كَانَ مُوسَى قَدْ عَلِمَ وَجْهَهُ الْخَاصَّ عَرَفَ مَا يَأْتِيهِ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ فَقَدْ نَبَّهَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ لِيَسْأَلَ اللَّهَ فِيهِ.

فَإِذَا عِلْمُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ فَهُوَ مُلَازِمٌ لِتِلْكَ الْمَشَاهِدَةِ، وَالشُّعُونَ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَشْيَاءُ¹ تَتَكُونُ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا؛ فَلَا تَشْغَلُهُ مَعَ كَثْرَةِ مَا يَشَاهِدُ مِنَ الْكَائِنَاتِ فِي الْعَالَمِ. وَهُوَ مَقَامُ² الصَّدِيقِ فِي قَوْلِهِ: "مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ" وَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ شَهُودِهِ صُدُورَ الْأَشْيَاءِ عَنِ اللَّهِ بِالتَّكْوِينِ. فَهُوَ فِي شَهُودٍ دَائِمٍ، وَالتَّكْوِينَاتُ تَحْدُثُ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ حَادِثٍ يَحْدُثُ عَنِ اللَّهِ، إِلَّا وَاللَّهِ مَشْهُودٌ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْحَادِثِ. وَمَا بَتَّ أَحَدٌ خِيَمًا وَصَلَ إِلَيْنَا - عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَمَا يَتَكُونُ مِنْهُ فِي قَلْبِ الْمُعْتَكِفِ عَلَى شَهُودِهِ، إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ.

وَلَكِنْ نَحْنُ مَا أَخَذْنَاهُ مِنْ تَنْبِيهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ؛ لَكُونَنَا مَا فَهَمْنَا عَنْهُ مَا أَرَادَ وَلَا فَكَّرْنَا فِيهِ؛ وَإِنَّمَا اعْتَنَى اللَّهُ بِنَا فِيهِ؛ فَفَجَّعْنَا الْعِلْمَ بِهِ ابْتِدَاءً، وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ. فَأَتَكْرَنَا ذَلِكَ، وَقَلْنَا: هَذَا مِنْ أَيْنَ؟ فَفَتَحَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ذَلِكَ الْبَابَ؛ فَعَلَمْنَا مَا لَنَا مِنَ الْحَقِّ عَلَى الْخُصُوصِ، وَعَرَفْنَا أَنَّ هَذَا هُوَ الْوَجْهِ الْخَاصُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ ﷻ لِكُلِّ كَائِنٍ عَنْهُ؛ فَلَزِمْتُهُ وَاسْتَرَحْتُ.

وَعَلَامَةٌ مِنْ يَدِّعِيهِ (هُوَ) لَزُومُ الْأَدَبِ الشَّرْعِيِّ. وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ بِالتَّقْدِيرِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْ نَقُوضِهِ - فَإِنْ كَانَ يَرَاهَا مَعْصِيَةً وَمُخَالَفَةً لِلأَمْرِ الْمَشْرُوعِ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ خِلَافَ هَذَا؛ فَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا أَطْلَعَهُ قَطُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْخَاصِّ، وَلَا فَتَحَ لَهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ شَخْصٌ لَا يَعْصِي اللَّهَ بِهِ. فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ أَعْظَمَ أَدْبًا مَعَ الشَّرْعِ، وَلَا اعْتِقَادًا حَقِيقِيًّا فِيهِ أَنَّهُ الْحَقُّ كَمَا يَعْلَمُهُ الْعَامِّي سَوَاءً - إِلَّا أَهْلُ هَذَا الْوَجْهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ³ الْأُمُورَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ؛ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ حَقْلَهُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ وَالتَّكْلِيفِ، وَحَقْلَ الْآتِي بِهِ - وَهُوَ الرِّسُولُ -، وَحَقْلَ الْعَامَّةِ الْخَاطِبِينَ أَيْضًا بِهِ؛ عَلَى السَّوَاءِ؛ لَا فَضْلَ لِأَحَدِهِمْ عَلَى الْآخَرِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لِنَاثَةٍ وَرَدَّ، لَا لِأَمْرٍ آخَرَ.

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 72

3 ص 72 ب

فالنبي يحرم بالعموم في الخطاب المشروع على واحدٍ يعمّ جميع المكلفين من غير اختصاص، حتى لو قال بتحليل ذلك في حق شخص يتوجّه عليه به لسان الظاهر؛ كان كافراً عند الجميع، وكان كاذباً في دعواه أنّه من أهل هذا الوجه؛ فإنّ أخصّ علوم هذا الوجه (هو) ما جاءت به الشريعة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خُطِبَ النَّاسُ فِي حَقِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ قِيلَ لَهُ: "إِنَّهُ يَخْطُبُ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ"، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي؛ يَسُوءُنِي مَا يَسُوءُهَا، وَيُسَرُّنِي مَا يَسُرُّهَا، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي¹ تَحْرِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَلَا تَحْلِيلٌ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».

فع معرفته بالوجه الخاص الإلهي لم يعطه إلّا إبقاء ما هو محرم على تحريمه، وما هو محلّ على تحليله. فما حرم على عليّ نكاح ابنة أبي جهل؛ إذ كان حلّالاً له ذلك، ولكنه قال: «إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ يَطْلُقُ ابْنَتِي. فَوَاللَّهِ مَا تَجْمَعُ بِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ تَحْتَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» وأثنى على زوج ابنته الأخرى خيراً². فرجع عليّ بن أبي طالب عن ذلك. فلو كان ذلك³ الوجه يعطي ما يزعم هذا المخلول⁴ أنّه أعطاه؛ لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم -أوّلئ بنك، وما فعل؛ وله الكشف الأتم، والحكم الأعم، والحظّ الأوفر؛ إذ هو السيّد الأكبر.

ولا بدّ لكلّ شخص من خصوص وصف ينفرد به؛ يعطيه الله ذلك من ذلك الوجه، وبه يُسجد الله في المال من يقال فيه: إنّ لا يُسجد ولا تناله رحمة الله التي وسمعت كلّ شيء. فإنّها صدرت من رجوه الاختصاص؛ فعمّت العالم والجاهل، والطائع والعاصي. جعلنا الله من نالته في أحواله كلّها؛ فيلقى الله ولم يجز عليه لسان ذنب بعد معرفته بهذا الوجه.

وأحكام المجتهدين وجميع الشرائع؛ من هذا الوجه الخاصّ صدورّها، والتعبير للرؤيا بالقوّة من غير نظر في كتاب ولا استدلال؛ من هذا الوجه الخاصّ يكون. فمن أراد تحصيله فليزعم ما قرّره الله ﷻ يقول الحقّ وهو عيّدي السبيل⁵.

1 رسمها في 3: بي

2 مضافة بقلم آخر.

3 ص 73

4 بسبب إهمال الحروف المجمة في الكتابة ربما كان المتصوفاً: "المخلول" أو الجادل "كما جاء في هـ، ولي س: "المحاول".

5 [الأحزاب: 4]

الباب السابع والتسعون وثلاثمائة
في معرفة منزلة: ﴿إِلَيْهِ يَصْطَدُّ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْقَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾¹
هذا قول الله الصادق

وَالْعَارِفِينَ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ	إِنَّ ² الرِّجَالَ، رَجَالَ اللَّهِ كُلَّهُمْ،
إِلَّا الَّذِي جَمَعَ الْآيَاتِ وَالسُّورَا	مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَذَرِي حَقِيقَتَهُ
وَمَا يُبَالِي بِمَنْ قَدْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَا	وَقَامَ بِالْحَقِّ سَبَاقًا عَلَى قَدَمِ
بِخَاتَمِ الْحُكْمِ لَمْ يَخْصُصْ بِهِ بَشَرَا	مَنْ إِلَهٌ غَلِيظٌ فِي خِلَافَتِنَا
نَقُصُّ لِنَلِكْ أَوْ يَلْحَقُ بِنَا غَيْرَا	وَلَا تُرِيدُ بِذَا فَخْرًا فَيُلْحَقُنَا

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح منه- أَنْ الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾³ وقال ﷺ: «لمن كانت هجرته إلى الله» ثم قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» يعني: فتح مكة. فإنه ما تَمَّ إلى أين؟

وقد جعل الله بيوت النفوس الإنسانية هذه الأجسام الطبيعية التي⁴ خلقها وسوّاها وعدّلها بالبناء نسكنى هذه النفوس الإنسانية، التي هي من جملة كَلِمِ الْحَقِّ. فلما نفخها فيها، وأسكنها، وأعلم هذه النفس⁵ بما لها عند الله في تدبير هذه المملكة التي ملكها الله، وركّز في جيلتها علم التدبير مطلقاً، ثم عيّن لها في تدبيرها: أوقات التدبير، ومقادير ذلك، وجماعته، بلسان الشرع موافقاً لميزان الطبع؛ فيحمد ذلك التدبير الخاصّ والعام؛ فقال أهلُ هذا الشأن من علماء الطبيعة: ما قال أحدٌ في أصل هذا العلم أجمع ولا أبدع من قول رسول الله ﷺ إذ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الداء، وأصل كلِّ داء: البردة» وأمر في الأكل، إن كثر ولا بدّ، «فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس». وقال ﷺ: «بحسب ابن آدم لقيماً يقمن صلبه» هذا في تدبير هذا البيت.

فما زال يحكم فيه بحكم الله إلى أن اقتدح له في سيره؛ أنه، وإن حكم فيه بحكم الله، أنه إنما يحكم فيه الله

1 [فاطر : 10]

2 ص 73 ب

3 [النساء : 100]

4 ق: النبي

5 ص 74

بحكم الله، مع ثبوت عينه عنده. فلما عين ذلك أنف من الحصر. في ظلمة هذا الهيكل، وطلب التنزيه عنه. فوجد الله قد هيأ له من عمله مركباً ذلولاً، غير جموح، برزخياً، دون البغل وفوق الحمار، ستماء برقاء؛ لأنه تولد من عالم الطبيعة، كما يتولد البرق في الجو؛ فأعطاه الله السرعة في السير؛ فيضع حافزه منتهى طرفه يراكمه.

فخرج مهاجراً من مدينة جسمه، وأخذ في ملكوت الملائكة¹ الأعلى وآياته بعين الاعتبار؛ لئلا تعطيه الآيات من العلم بالله. فتلقاه الحق عند وروده عليه، من أكوانه وأكوان الموجودات؛ فأنزله عنده خير منزل، وعزفه بما لم يكن قبل ذلك يعرف؛ معرفة خطاب إلهي، وشهود مشيئة من أجل المناسبة؛ حتى لا يفجؤه الأمر بغتة؛ فيهلك عند ذلك كما صعق موسى عليه السلام فإنه تعالى- ما يتجلى له إلا في صورة محمدية، فيراه بروية محمدية؛ وهي أكل رؤية يرى فيها الحق وبها؛ فيرفعه بها منزلاً لا يناله إلا المحمديون؛ وهو منزل الهوية؛ فلا يزال في الغيب مشهده، فلا يرى له أثر في الحس. وهذا كان مشهد أبي السعود بن الشبل ببغداد؛ من أخص أصحاب عبد القادر الجيلاني.

فإذا كان صاحب هذا الشهود غير صاحب هوية؛ بل يشهده في الملكوت مليكاً، وكلّ مشاهد لا بد أن تلبس صورة مشهودة؛ فتظهر صاحب هذا الشهود صورة المليك. فيظهر بالاسم "الظاهر" في عالم الكون: بالتأثير، والتصريف، والحكم، والدعوى العريضة، والقوة الإلهية؛ كعبد القادر الجيلاني، وكأبي العباس السبتي بمراكش؛ لقيته وفاوضته وكان سباعي الميزان؛ أعطي ميزان الجود، وعبد القادر أعطي الصولة والمهنة؛ فكان أتم من السبتي في شغله.

وأصحاب هذا المقام على² قسمين: منهم من يحفظ عليه أدب اللسان؛ كأبي يزيد البسطامي، وسلمان البنيلي. ومنهم من تقلب عليه الشحطات لتحقيقه بالحق؛ كعبد القادر؛ فيظهر العلو على أمثاله وأشكاله، وعلى من هو أعلى منه في مقامه. وهذا عندهم في الطريق سوء أدب بالنظر إلى المحفوظ فيه. وأما الذي يشطح بالله على الله، فذلك أكثر أدب مع الله، من الذي يشطح على أمثاله؛ لأن الله يقبل الشطح عليه؛ لقبوله جميع الصور. والخلق لا يقبل الشطح عليه؛ لأنه مربوط بمقام إلهي عند الله، مجهول من الوجه الخاص. فالشطح عليه قد يكذب من غير قصد ولا تعمد، وعلى الله فما يكذب. كالهيوئي الكليل التي

تقبل كل صورة في العالم؛ فأَي صورة نسبت إليها، أو أظهرتها؛ صدقت في النسبة، وصدق الظهور؛ فإن الصور تظهرها. والهيولي الصناعية لا تقبل ذلك، وإنما تقبل صوراً مخصوصة. فقد يمكن أن يجهل إنسان في النسبة إليها؛ فينسب إليها صوراً لا تقبلها الهيولي الصناعية. هكذا هو الأمر فيما ذكرناه من الشطح على الله والشطح على أهل الله؛ أصحاب المنازل.

وكان عبد القادر الجيلاني رحمه الله - ممن يشطح على الأولياء والأنبياء بصورة حق في حاله؛ فكان غير معصوم اللسان¹، ورأيت أقواماً يشطحون على الله وعلى أهل الله من شهود في حضرة خيالية. فهؤلاء ما لنا معهم كلام؛ فإنهم مطرودون من باب الحق، مبعدون عن مقعد الصدق. فتراهم في أغلب أحوالهم لا يرفعون بالأحكام المشروعة رأساً، ولا يقفون عند حدود الله مع وجود عقل التكليف عندهم. وبالجملة؛ فإن الإدلال على الله لا يصح من المقرين من أهل الله جملة واحدة، ومن ادعى التقريب مع الإدلال؛ فلا علم له بمقام التقريب ولا بالأهلية الصحيحة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 من 75 ب
2 [الأحزاب: 4]

الباب الثامن والتسعون ولاثمائة

في معرفة منازل: مَنْ وعظ الناس لم يعرفني،

ومن ذكرهم عَرَفَنِي؛ فكن أي الرجلين شئت

الحلق ظلّ لذاب الحقّ ليس له	كُونَ يَحْقِّقُهُ عِلْمٌ وَلَا بَصَرٌ-
إن قام قام به، أو سار سار به	فَعَيْنُهُ لَيْسَ هُوَ وَكَوْنُهُ بَشَرٌ-
فاجب ¹ له من وجود لا وجود له	وَلَوْ يَزُولُ لَزَالَ النُّفْعُ وَالضَّرَرُ
هذا الذي قلته أفلح بجهله	وَلَيْسَ يَذَرُهُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
فالشمس أثنى وتندر التمر إن ظلّرت	عَيْنُ التَّكْوِينِ فِيهِ حَاكِمٌ ذَكَرُ
فكان ينتهها الأتبا وليس لها	سِوَاهَا فَاغْتَبِرْ لِن كُنْتَ تَغْتَبِرُ
عجبت من واحد في ذاته عند	لَهُ الظُّهُورُ وَفِيهِ الْكَوْنُ وَالْفَيْرُ

اعلم أيتمنا الله وإياك بروح منه - أن الله سبحانه - يقول²: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾³ وقال تعالى - فيما أمر به نبيه ﷺ في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاجِدَةٍ﴾⁴ وقال ﷺ: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَزُومُ عَقِيمٌ﴾⁵. فمدار هذه المنازلة على هذه الثلاث الآيات. فالتذكّر للعلماء الغافلين، والوعظ لا يكون للناس أجمعين، ولهذا قال: "من وعظ الناس لم يعرفني؛ فإنه إنما يعظهم بما يكون منّي، لا⁶ بي. وكذلك من يخوفهم؛ إنما الخوف بما يكون منّي، لا منّي. فالترغيب لا يجري مجرى الترهيب؛ فإنّ الترغيب قد يكون فيّ، والترهيب لا يكون إلّا بما يكون منّي، لا منّي".

واليوم العقيم (هو) الذي لا ينتج زمانا مثله؛ أي: ليس بعده يوم يكون عنه. لأنّ الأيام في الدنيا: كلّ يوم هو ابن اليوم الذي قبله، وهما توأمان: ليلة ونهار. فالليلة أثنى، والنهار ذكر. فيتناكحان؛ فيولدان النهار والليل اللذين يأتیان بعدهما، ويذهبان الأبوان؛ فإنهما لا يجتمعان أبدا. وفي غشيان الليل النهار، وليلاج بعضها في بعض؛ يكون ولادة ما يتكوّن في كلّ واحد منهما من الأمور والكوائن التي هي من شؤون

1 ص 76

2 "سبحانه يقول" هي في ق: "يقول سبحانه"

3 [إبراهيم: 5]

4 [سبا: 46]

5 [الحج: 55]

6 ص 76 ب

الحق. فيكون الليلُ ذَكَرًا والنهارُ أنثى؛ لما يتولد في النهار من الحوادث. ويكون النهار ذَكَرًا والليل أنثى؛ لما يتولد في الليل من الحوادث. وتكون الليلة أنثى والنهار ذَكَرًا؛ لولادة التوأمين وهما اليوم الثاني وليته. والليل أصل، والنهار منه كحذاء من آدم؛ ثم يقع النكاح والنَّسَبُ.

فَضْلٌ

في الواحدة التي يعظ بها الواعظ، وهي أن يقوم من أجل الله إذا رأيت من فعل الله في كونه ما أمرك به أن تقوم له فيه؛ إما غيرة وإما تعظيماً. فقوله في القيام "مثنى"؛ بالله وبرسوله؛ فإنه ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾¹ فقامت له بكتاب أو سنة؛ لا تقوم عن هوى نفس، ولا² غيرة طبعية، ولا تعظيم كوني. "وفرادى"؛ إمّا³ بالله خاصة، أو لرسوله خاصة. كما قال ﷺ: «لا أرى أحكم منككاً على أريكته يأتيه الحديث عني، فيقول: اتلُ به عليّ قرآنًا!». إنه والله لمثل القرآن أو أكثر» فقوله: «أكثر» في رفع المنزلة؛ فإن القرآن بينه وبين الله فيه الروح الأمين، والحديث من الله إليه (مباشرة). ومعلوم أن القرب في الإسناد أعظم رتبة من البعد فيه، ولو بشخص واحد ينقص من الطريق؛ وذلك لأنه ينقص حكمه فيه؛ فإنه لا بد أن يكتسب الخبر صورة من المبلغ؛ فلا يبقى على ما هو عليه في الأصل الذي ينقل عنه، ولا يكون في الصدق في قول الخبر: "هذا كلام فلان" بمثل من ينقله عنه، أو يسمعه منه؛ وذلك لتبدل اللغة واللسان فيه. فإن الترجمان لا ينقل عين ما تكلم به من ينقل عنه، وإنما يتكلم في نقله بما فهمه منه. وإذا كنت أنت الذي تنقل عنه؛ كنت في طبقة، وقد تفهم منه أمراً لم يفهمه منه المترجم لك عنه. فهذا كان الحديث أكثر من القرآن. وغايته أن يكون، إذا نزل عن هذه الطبقة، مثله. وما عدل رسول الله ﷺ إلى الأكثرية؛ إلا والأمر أكثر بلا شك.

وإنما قلنا في القرآن: "إنه بواسطة" لقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾⁵ وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّوسِ مِنْ رَبِّكَ﴾⁶ وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ⁷ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

1 [النساء: 80]

2 ص 77

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 "قوله: أكثر" ثابتة في الهامش.

5 [الشعراء: 193، 194]

6 [الحل: 102]

7 ص 77ب

عَلَّاهُمْ¹ بما يكون من الله إليه برفع الواسطة؛ وهو الحديث الذي لا يستقى قرآنا.

فلا ينبغي لواعظ أن يخرج في وعظه عن الكتاب أو السنة، لا يدخل في هذه الطوام؛ فينقل عن اليهود والنصارى والمفسرين الذين ينقلون في كتب تفاسيرهم ما لا يليق بجناح الله، ولا بمنزلة رسل الله - عليهم السلام-. كما روينا عن منصور بن عمار أنه رآه إنساناً بعد موته، وكان من الواعظين. فقال له: "يا منصور؛ ما لقيت؟ فقال: أوقفني الحق بين يديه، وقال لي: يا منصور؛ بما تقربت إلي؟ فقلت له: كنت أعظ الناس وأذكركم. فقال: يا منصور؛ بشعر زينب وسعاد تطلب القرب مني وتعظ عبادي!. وذكر لي أشعارا كنت أنشدتها على المنبر مما قاله أهل الحجة في محبوباتهم. فشدد علي، ثم قال: إن بعض أوليائي حضر مجلسك، فنلت في ذلك المجلس: اللهم اغفر لأتسانا قلبا وأحمدنا عينا. فقال ذلك الولي الذي حضر عندك: اللهم اغفر لمن هذه صفته. فاطلعت، فلم أر أجد عينا ولا أفسى قلبا منك؛ فاستجبت فيك دعاء وليي؛ فغفرت لك".

فلا ينبغي أن ينشد واعظاً في مجلسه إلا الشعر الذي قصد فيه قائله ذكر الله: بلسان التفضل، أو بغيره²؛ فإنه من الكلام الذي أهل الله. فهو حلال قولاً وسامعاً؛ فإنه مما ذكر اسم الله عليه. ولا ينبغي أن ينشد في حق الله شعراً قصد به قائله في أول وضعه غير الله: نسيباً كان، أو مديحاً؛ فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قرية إلى الله؛ فإن القول في الحديث حدث بلا شك. وقد تبه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾³ وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾⁴ وقال: ﴿حُزِمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَيْفِرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁵ والشعر في غير الله (هو) مما أهل لغير الله به؛ فإنه للنيت أثر في الأشياء، والله يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁶ والإخلاص النية، وهذا الشاعر ما نوى في شعره إلا التفضل في محبوه، أو المدح فيمن ليس له بأهل لما شهد به فيه.

ولقد كتب إلي شخص من إخواني بكتاب يعظمني فيه، بحيث أن لقبني فيه بثلاثة وستين لقباً.

1 [طه : 114]

2 ص 78

3 [الأضام : 119]

4 [الأضام : 121]

5 [اللائحة : 3]

6 [البيحة : 5]

فكُتِبَ إليه: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾¹ وذكرت له مع هذا في جواب كتابه أن رسول الله ﷺ قال: «لا أَرْكِي على الله أحدا» ولكن يقول: أحسبه كنا، وأظنه كذا. ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ² أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾³. فلو نوى جانب الحق هذا القائل ابتداء، في أي صورة شاء، ربما كان ذلك القول قرينة إلى الله؛ فإن «الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى» فإن الله مطلع على ما في نفس الإنسان، والله يوم تُبلى فيه السرائر.

وكل ما كان قرينة إلى الله شرعا؛ فهو مما ذكر اسم الله عليه، وأهل به الله، وإن كان بلفظ التفضيل، وذكر الأماكن، والبساتين، والجوار، وكان القصد بهذا كله ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهية والعلوم الربانية؛ فلا بأس، وإن أنكر ذلك المنكر؛ فإن لنا أصلا نرجع إليه فيه، وهو أن الله تعالى- يتجلى⁴ يوم القيامة لعباده في صورة يتنكر فيها؛ حتى يتموّدوا منها؛ فيقولون: "نعوذ بالله منك! لست ربنا". وهو يقول: "أنا ربكم". وهو هو تعالى- وهنا سرّ في تجليّه؛ فابحث عليه في معرفة العقائد واختلافها.

كذلك هذه الألفاظ، وإن كان صورة المسمّى فيها في الظاهر غير الله، وهو خلاف ما نواه القائل؛ فإن الله ما يعامله إلّا بما نواه في ذلك، وتدلّ عليه أحوال القائل. كما قيل: ينظر إلى القول وقائله. يمدون: وحال قائله؛ ما هو؟ فإن كان وليّا؛ فهو الولاء وإن خُفّن، وإن كان عدوّا؛ فهو البذاء وإن خُفّن. كما نذكر نحن في أشعارنا، فإنّها كلّها معارف إلهية في صور مختلفة من تشبيب، ومدح، وأسماء نساء، وصفاتهنّ، وأنهار، وأماكن، ونجوم.

وقد شرحنا من ذلك ظلما لنا بمكة سميناه: "ترجبان الأشواق" وشرحناه في كتاب سميناه: "الذخائر والأغلاق" فإنّ بعض فقهاء حلب اعترض علينا، في كوننا ذكرنا أنّ جميع ما ظلمناه في هذا الترجبان إنما المراد به معارف إلهية وأمثالها. فقال: "إنما فعل ذلك لكونه منسوباً إلى الدين" فما أراد أن ينسب إليه مثل هذا الغزل والنسيب. فجزاء الله خيرا لهذه المقالة؛ فإنّها حرّكت دواعينا إلى هذا الشرح؛ فاضع به الناس. فأبدينا له ولأمثاله صدق ما نوبناه، وما اذعنناه. فلما وقف على شرحه؛ تاب إلى الله من ذلك ورجع.

1 [الزخرف: 19]

2 ص 78

3 [النجم: 32]

4 ق: "تجلّ" وعليها إشارة الضمير واستقبلت في الهامش بقلم الأصل: "تجلى".

5 ص 79

ولو رأينا رجلا ينظر إلى وجه امرأة، وهو خاطب لها، ونحن لا نعرف أنه خاطب، وكنا متصفين في الأمر؛ لم تقدم على الإنكار عليه إذا جملنا حاله، حتى نسأله: ما دعاه إلى ذلك؟ فإن قال، أو قيل لنا: إنه خاطب لها، أو هو طيب وبها مرض يستدعي ذلك المرض نظر الطبيب إلى وجهها؛ علمنا أنه ما نظر إلا إلى ما يجوز له النظر إليه فيه؛ بل نظره عبادة؛ لورود الأمر من الرسول ﷺ في ذلك. ولا ينكر عليه ابتداء، مع هذا الاحتمال. فليس الإنكار عليه من المنكر بأولى من الإنكار على المنكر¹ في² ذلك، مع إمكان وجود هذه الاحتمالات؛ إذ لا تصح³ المنكرات إلا بما لا يتطرق إليها احتمال. وهذا يغلط فيه كثير من المتدئين، لا من أصحاب الدين.

فإن أصحاب الدين المتين أول ما يحتاط على نفسه، ولا سيما في الإنكار خاصة. فإن للغير شروطا في التغيير؛ فإن الله ندبنا إلى حسن الظن بالناس، لا إلى سوء الظن بهم. فلا ينكر صاحب الدين مع الظن؛ وقد سمع: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁴ فلعل هذا من ذلك البعض، وإثمه أن ينطق به، وإن وافق العلم في نفس الأمر؛ فإن الله يؤاخذ به بكونه ظن وما علم؛ فنطق فيه بأمر محتمل، ولم يكن له ذلك. وسوء الظن بنفس الإنسان، أولى من سوء ظنه بالغير؛ لأنه من نفسه على بصيرة، وليس هو من غيره على بصيرة. فلا يقال فيه في حق نفسه: إنه سيء الظن بنفسه؛ لأنه عالم بنفسه.

وإنما قلنا فيه: إنه يسيء الظن بنفسه اتباعا لسوء ظنه بغيره، فهو من تناسب الكلام، وله وجه في الحقائق الشرعية. فإنه بالنظر إلى نفسه، ليس هو في فعله ما ينكره على نفسه، على الحقيقة، عاليا بأنه في فعله ذلك على منكر يعلمه؛ بل هو على ظن؛ فسوء الظن بنفسه أولى. وذلك أن الله عبادا قد قال لهم الله: «افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فما فعلوا إلا ما⁵ أباح الشرع لهم فعله، وإن لم يعلموا أنهم ممن خوطب بذلك، وهو في الحديث الصحيح. فما فعل إلا ما هو مباح عند الله، وهو لا علم له بذلك؛ فهو عند الله بهذه المثابة. فلهذا قلنا: "سوء الظن بنفسه" إذ لم يكن فيها على بصيرة على الحقيقة، مع هذا الاحتمال من جانب الحق. وقد جعل الله لمن هذه صفة علامة يعرف بها نفسه أنه من أولئك القوم.

ولا يشك، بالعلم الشرعي الصحيح؛ أن حرمة نفس الإنسان عليه عند الله أعظم من حرمة غيره بما

1 "على المنكر" لابن في الهامش.

2 ص 79 ب

3 ق: لا يصح

4 [الحجرات: 12]

5 ص 80

لا يتقارب، وأنه من قتل نفسه أعظم في الجُرم من قتل غيره، وأن صدقته على نفسه أعظم في الأجر من صدقته على غيره. فالعالم الصالح من استبرا لدينه في كل أحواله: في حق نفسه، وفي حق غيره. وإلى الآن ما رأيت أحدا من أهل الانتماء إلى الدين وإلى العلم على هذا القدم. فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله، وحال بيننا وبين إهماله.

ولولا ما في ذكر هذا من المنفعة لعباد الله والنصيحة لهم، ما بسطنا القول فيه هذا البسط، وإن كان الفصل يقتضيه؛ فإنه فصل الموعظة. والله يقول لنبيه ﷺ فيما أنزله عليه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾¹ مثل هذه التي ذكرناها. فإنها وصية منا إلى عباد الله؛ جمعت بين الحكمة - لأننا أنزلناها منزلتها - وبين الحكم. والحكيم من يزل الأمر منزلته، ولا يتعدى به مرتبته. وأما "الموعظة الحسنة" فهي الموعظة التي تكون عند المذكر بها عن² شهود؛ فإن «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»، فكيف بمن حقق أنه يراه؟ فإن ذلك أعظم وأحسن.

وقد يكون قوله: "مثنى" يريد به التعاون في القيام لله تعالى - في ذلك الأمر - وصورة التعاون فيه؛ أن الشرع في نفس الأمر قد أنكر هذا الفعل من صدر عنه عليه. فينبغي للعالم المؤمن أن يقوم مع الشرع في ذلك، فيعينه؛ فيكون اثنان: هو والشرع. "وفرادى": أن يكون هذا المنكر لا يعلم أنه موعين للشرع في إنكاره ووعظه؛ فيقول: قد اقردت بهذا الأمر، وما هو إلا موعين للشرع وللملك الذي يقول بلمته للفاعل: "لا تفعل" إذ يقول له الشيطان بلمته: "افعل". فيكون مع الملك مثنى؛ فإن الملك مكلف بأن ينهى العبد الذي قد ألزمه الله به أن ينهاه، فيما كلفه الله به أن ينهاه عنه. فيساعده الإنسان على ذلك؛ فيكون ممن قام الله في ذلك مثنى. وقد يكون موعينا للشارع، وهو الرسول ﷺ، فهو الذي أنكر أولا هذا الفعل على فاعله، وتقدم في الوعظ في³ ذلك. فيكون هذا الإنسان الواعظ مع وعظ الرسول المتقدم - مثنى.

كما سأل بعض الناس رسول الله ﷺ أن يجعله رفيقه في الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: «أعني على نفسك بكثرة السجود» فطلب منه العون. فقد قاما في ذلك مثنى هو ورسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَتَقَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁴ وقال: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾⁵ فشارك نفسه مع عبده في الفعل. وما لا يفعله الله

1 ص 80 هـ

2 [الحمل : 125]

3 تاجية في الهامش مع إشارة التصريب.

4 ص 81

5 [المائدة : 2]

إلا بالآلة فهو من هذا الباب، ولا يعلم ذلك إلا العالم بأسرار الله، وما هي الحقائق عليه.

فلا تنفل عن هذا النفس، وكل المعين لمن ذكرْتُ لك؛ تحمد عاقبتك، ويحصل لك سهم في الإعانة مع المعين. يقول العبد: ﴿وَأَيُّكَ نَسْتَعِينُ﴾² فيقول الحق: «هذه بيني وبين عبي، ولعبي ما سأل» فتبين قوله تعالى: «هذه بيني وبين عبي» فهي لله وله في حكم الإعانة؛ إذا أراد الله وجود الصلاة؛ فلا بد من استعداد المحل الذي به ظهور الصلاة، فافهم.

فَضْلٌ

في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾³

وأنا تذكيره بأيام الله، فهي أيام الأنفاس على الحقيقة؛ فإنها أقل ما ينطلق عليه اسم يوم. فهو أن تذكره بقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁴ فتلك أيام الله، وأنت في غفلة عنها. وتدخل في⁵ مضمون قوله - تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَإِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مع غير ذلك ﴿لَا يَذْكُرُ﴾⁶ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ⁷ أي لمن له فطنة بالتقلب في الأحوال، أو تقلب الأحوال عليه. فيعلم من ذلك شئون الحق، وحقائق الأيام التي الحق فيها في شأن. فالشأن واحد العين، والقوابل مختلفة كثيرة؛ يتنوع فيها هذا الشأن بتنوعها واختلافها. فهو من الله واحدة، وفي صور العالم كثيرة؛ كالصورة الواحدة في المرايا الكثيرة، والظلال الكثيرة من الشخص الواحد للشرح المتعددة. هكنا الأمر ﴿أَوَّلَى السُّفْحِ﴾⁸ لما يتلى عليه من قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وأمثاله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ من نفسه تقلب أحواله؛ فيكون على بصيرة في ذلك من الله. فهذه أيام الله التي ينبغي أن يذكر العبد بها، إلى أمثال ذلك من أيام الله. وهي أيام النعم وأيام الانتقام التي أخذ الله فيها القرون الماضية.

واعلم أن البلاء أكثر من النعم في الدنيا. فإنه ما من نعمة ينعمها الله على عباده تكون خالصة من البلاء؛ فإن الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها، وإضافتها إلى من يستحقها بالإيجاد، وأن يصرفها في

1 [الأعراف : 128]

2 [الفاتحة : 5]

3 [إبراهيم : 5]

4 [الرحمن : 29]

5 ص 81 ب

6 في الهامش: لعبارة.

7 [آي : 37]

الموطن الذي أمره الحق أن يصرفها فيه. فمن كان شهوده في النعم هذا الشهود¹ متى يتفرغ للالتذاذ بها؟ وكذلك في الرزايا؛ هي في نفسها مصائب ولآيا، ويتضمنها من التكليف ما تتضمنه النعم من طلب الصبر عليها، ورجوعه إلى الحق في رفوها عنه، وتلقيها بالرضا، أو الصبر؛ الذي هو حبس النفس عن الشكوى بالله إلى غير الله، وهذا غاية الجهل بالله؛ لأنك تشكو بالقوي إلى الضيف لما تجدد في حال الشكوى من الراحة، مع كونك تشتكي إلى غير مشتكى. لأنك تعلم أنه ما يده شيء، ولا يقدر على رفع ما نزل بك إلا من أنزله، وقد علمت أن الباز دار بلاء؛ لا يخلص فيها النعم عن البلاء وقتا واحدا، وأقله طلب الشكر من المنعم بها عليها. وأي تكليف أشق منه على النفس؟ ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾² لجهلهم بالنعم أنها بقم يجب الشكر عليها. يؤيد ما قلناه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾³ في حق رآكب البحر إذا اشتد الرج عليه وترد. فما فيها من النعمة يطلب منه الشكر عليها، وما فيها من الشدة والخوف يطلب منه الصبر، فافهم، وتدبر كلام الله تقم. وما أنزله الله إلا تذكرة للبيب، كما قال: ﴿لَتَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلَتَتَذَكَّرُوا أَوَّلَ الْأَلْبَابِ﴾⁴ ولا تكن من ليس له منه نصيب إلا البلاغ.

فصل

في اليوم العقم⁵

وسمي: عقيما؛ لأنه لا يوم بعده أصلا. وهو من أيام الأسبوع يوم السبت، وهو يوم الأبد. فنهازه نور أهل الجنة دائم لا يزال أبدا، وليله ظلمة على أهل النار لا يزال أبدا. ولهذا يموتون أهل الكبار فيها الذين يخرجون منها بعد العقوبة إلى الجنة، إذ لا خلود في النار إلا لأهلها الذين هم أهلها. يقول رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بنفوسهم فأماهم الله فيها إماتة» الحديث، وهو صحيح. فينامون فيها نومة حتى لا يحشوا بالنار إذا مستهم عندما تتسلط على آلات المعاصي بالآكل وهي الجوارح، والإيمان يمنع من تخلصها إلى القلب؛ فهذه عناية التوحيد الذي كان في قلوبهم.

1 ص 82

2 [صبا : 13]

3 [إبراهيم : 5]

4 ص 82

5 [ص : 29]

6 العقم ما يوجب أن لا يولد منه؛ فلا تكون له ولادة على مثله.

فعلم التوحيد يميتهم في النار مَوْتَهُ النَّائِمِ في حال نومه، والإيمان على باب النار ينتظرهم. حتى إذا بعثهم الله من تلك النومة، وهم قد صاروا خفتاً، أخرجهم سبحانه- فمسمهم في نهر الحياة¹؛ «فينبتون كما تنبت الحبة تكون في حميل السيل»، ثم يدخلون الجنة. فلا يبقى في النار مَنْ عَلمَ أَنَّ اللهَ إلهَ واحدٍ في الدنيا جملة واحدة. ولأهل الجنة في الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة طلوع الشمس إلى غروبها في الدنيا. وإن لم يكن في الجنة شمس، فالحركة التي كانت تسير بالشمس فيظهر من أجلها طلوعها وغروبها- موجودة في الفلك الأطلس الذي على الجنة، وهو سقفها، والحركة بعينها فيه موجودة. ولأهل الجنة كشف ورؤية إلى المقادير التي فيه، المعبر عنها بالبروج. فيعلمون بها حد ما كان عليهم في الدنيا، مما يستحق بكرة وعشيتا.

وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى: الغداء والعشاء؛ فيتذكرونها هنالك؛ فيأتيهم الله عند ذلك برزق يرزقهم فيها كما قال: ﴿لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾² وهو رزق خاص، في وقت خاص، معلوم عندهم. وما عدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع. واللوازم في الأكل إنما هو عين النعم مما يكون به الغداء للجسم، ولكن لا يشعر به كثير من الناس، إلا العلماء بعلم الطبيعة، وذلك أعني صورة قوله: ﴿وَأَكَلُهَا دَائِمٌ﴾³ أَنَّ الإنسان إذا أكل الطعام حتى يشبع؛ فذلك ليس بغذاء، ولا بأكل على الحقيقة. وإنما هو كالجابي الجامع المال في خزانته، والمعدة خزانة لما جمعه هذا الأكل من الأطعمة والأشربة، فإذا جعل فيها -أعني في خزانة معدته- ما اختزنه فيها، ورفع يده؛ حينئذ تتولأها الطبيعة بالتدبير، وينقل ذلك الطعام من حال إلى حال، ويفضّيه بها في كل نفس يخرج عنه دائماً؛ فهو لا يزال في غذاء دائم. ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترقب نشأة كل متغذٍّ، والله حكيم. فإذا خلت الخزانة؛ حرك الطبع الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به. فلا يزال الأمر هكذا دائماً أبداً. فهكذا صورة الغداء في المتغذّي؛ فالتغذّي في كل نفس دنيا وآخرة.

وكذلك أهل النار رقد وصفهم الله بالأكل والشرب فيها- على هذا الحدّ، إلا أنها دار بلاء. فيأكلون عن جوع، ويشربون عن عطش. وأهل الجنة يأكلون ويشربون عن شهوة؛ لالتذاد، لا عن جوع؛ فإنهم ما يتناولون الشيء المسمى غذاء إلا عن علم بأنّ الزمان الذي كان الاختزان فيه قد فرغ ما كان مختزناً فيه؛ فيسارع إلى الطبيعة بما تدبره. فلا يزال في لذة ونعيم، لا بموج الطبيعة إلى طلب حاجة؛ للكشف الذي هم عليه. كما أَنَّ أهل النار في الحجاب؛ فلا يعلمون هذا القدر؛ فيجوعون ويظمؤون؛ لأنّ المقصود منهم

1 ص 83

2 [مریم : 62]

3 [الرعد : 35]

4 ص 83 ب

أن يتألموا. فتبين لك أنه لا لذة إلا العلم، ولا ألم إلا الجهل.

والشمس¹ مكورة قد نزع نورها في أعينهم²؛ طالعة على أهل النار وغاربة، كما تطلع على أهل الدنيا في حال كسوفها. وكذلك القمر؛ يسبحان، وجميع الدراري على صورة سباحهم الآن في أفلاكهم؛ لكنّها مطموسة في أعينهم. فعلى ما هو الأمر في نفسه، هم الذين طمس الله أعينهم إذ شاء- عن إدراك الأنوار التي في الميراث؛ فالحجاب على أعينهم. كما نعلم أن الشمس هنا في حال كسوفها؛ ما زال نورها منها، وإنما القمر حجبا عتّا. ولو لم يكن كذلك ما عرف أهل العالم متى يكون الكسوف، ولم يذهب منها في الكسوف عن أعيننا، ويقع ذلك على ما ذكره. فلو كان من الأمور التي لا تجري على مقادير موضوعة وموازن محكمة، قد أعلمها الله من وقته لطلب مثل هذا العلم؛ ما علمه. وهذا لا يقدح في قولنا: إن الشمس قد كسفت، أو قد زال نورها عن إدراك أعيننا. فإن هذا القدر وهذه الصورة ما تمّ من يمنعها أن يصطلح على أن يطلق عليها اسم كسوف، وخسوف، وتكوير، وطمس.

فيشهد أهل النار أجرام السيارة طالعة عليهم وغاربة، ولا يشهدون لها نورا؛ لما في الدخان من التطفيف. فكما كانوا في الدنيا عميّا عن إدراك أنوار ما جاءت به الشرائع من الحق؛ كذلك هم في النار عمي عن إدراك³ أنوار هذه السيارة وغيرها من الكواكب، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ نَهَىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁴، وإنما كان "أضلّ سبيلا" فإنه في الدنيا يجد⁵ من يرشده إلى الطريق ولكن لا يسمع، وفي النار ما يجد من يرشده إلى طريق؛ فإنه ما تمّ طريق، لكن يجد من يندمه على ما فاتته؛ ليزيده حسرة إلى حسرته، وعذابا إلى عذابه. فليل أهل النار لا صباح له، ونهار أهل الجنة لا مساء له، أي لا ليل فيه.

فمن وعظ الناس في عقده؛ طلبا منه بذلك أن ينفع الناس؛ فما عرف الله. بخلاف المذكّر؛ فإنه يذكر ويعظ بما عنده، ويعلم أن من السامعين من يكون له ذلك الوعظ شفاء ودواء، ومن الناس من يزيده مرضا إلى مرضه. كما قال تعالى:- ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ وهي واحدة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾⁶ بورود العافية عليهم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾⁷

1 ص 84

2 "في أعينهم" فاجة في الهامش بقلم الأصل وإشارة الصحيح.

3 "أنوار" ما جاءت.. إدراك" فاجة في الهامش بقلم آخر مع إشارة الصواب

4 [الإسراء : 72]

5 ص 84

6 [التوبة : 124]

7 [التوبة : 125]

والسورة واحدة والمزاج مختلف. ولا يعرف تحقيق هذه الآية إلا الأطباء الذين يعلمون أن الفقار الفلاني فيه شفاء لمزاج خاص من مرض خاص، وهو داء وعلة لمزاج خاص، وزيادة مرض في مرض خاص. فالطبيب أحق الناس علماً بهذه الآية. وكذلك طبيب القلوب فيما يؤمنها ويخفيها.

فالحكيم هو الذي يأتي إلى العليل من مأمنه، ويظهر له بصورة من يعتقد فيه؛ ليستدرجه إلى صورة الحق، بالحق الذي يليق به. ولكن وقع الأمر الإلهي في العالم بخلاف هذا؛ لأن مشيئة¹ الله تعلقت بأن الله لا يجمعهم على الهدى. وإنما الطريق في ذلك فعلم عند الله وعند أهله. لا يشكون فيه.

فإن الذي يعتقد في مخلوق ما من حجر، أو نبات، أو حيوان، أو كوكب، أنه إله؛ وهو يعبد ويخاطبه ذلك الإله المشهود له على الكشف بما هو الحق عليه؛ لرجع إلى قوله لاعتقاده فيه، كما يرجع إلى قوله في الآخرة، ويتبرأ منه كما تبرأ إله منه، والله قادر على أن ينطقه في الدنيا بذلك في حق من يعبد. لكن العلم السابق والمشيئة الإلهية منعا من ذلك؛ ليكون الخلاف في العالم. فجرى الأمر على ذلك في الدنيا وبعض الآخرة، ويرجع الأمر إلى حكم أخذ الميثاق بالرحمة التي وسعت كل شيء ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة
في معرفة منازل: منزل من دخله ضربت عنقه،
وما بقي أحد إلا دخله

لَوْلَا وُجُودُ الْحَقِّ فِي الْخَلْقِ لَمْ يَتَّقْ مَنْ يَتَّقِي وَمَنْ يَتَّقِي
 قُلْتُ¹ لَهُ: إِنْ كُنْتُ لِي مُنِيًّا² مِنْ غَيْرَةِ تَحَكُّمٍ فَاسْتَبْقِ
 مَا أَنَا غَيْرٌ لَا وَلَا غَيْرُكُمْ لِأَنِّي أَعْلَمُ مَنْ يُلْقِي
 فَانْظُرْ إِلَى الْحِكْمَةِ مَكْتُوفَةٍ فِي الْحَقِّ إِذْ يَنْتَقُ بِالْحَقِّ

وهذا هو منزل الاتحاد الذي ما سلم أحد منه، ولا سيما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه، ومع هذا قالوا به. فمنهم من قال به عن أمر إلهي، ومنهم من قال به بما أعطاه الوقت والحال، ومنهم من قال به ولا يعلم أنه قال به. فأحوال الخلق مختلفة فيه.

فإنما أصحاب النظر العقلي فأحوالهم؛ لأنه عندهم تصوير الذاتين ذاتا واحدة، وذلك مُحال. ونحن وأمثالنا يرى ذاتا واحدة، لا ذاتين. ويجعل الاختلاف في النسب والوجوه، والعين واحدة في الوجود.

والنسب عدمية، وفيها وقع الاختلاف. فتقبل الضدين النات الواحدة من نسبتين مختلفتين. فالله يقول: ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾³ ويقول: هو القاتل على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده» ويقول: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره، ولسانه، ويده، ورجله» وغير ذلك؛ قولاً شافياً؛ لأنه ذكر أحكاماً، فقال: «الذي يبطلش بها، ويسعى بها، ويتكلم به، ويسمع به، ويصر- به» ويعلم، ومعلوم أنه يسمع بسمعته⁴، أو بذاته يسمع. وعلى كل حال؛ فجعل الحق هويته عين سمع عبده، وبصره، ويده، وغير ذلك. فإنما ذات العبد، وإنما صفته، وإنما نسبته؛ فهذا قول الحق الذي فيه يمترون. والمالك يقول مع علمه بذلك:

1 ص 85 هـ

2 ق: "منها" وصححت في الهامش مع إشارة الصريح.

3 [التوبة: 6]

4 ص 86

5 أضاف في الهامش: "يسمعه بسمع" وكتب: "سمع" عليها وكذلك كتب هنا لينير إلى صواب التعبير معاً.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتَحَدُّسُ لَكَ﴾¹ والجن يقول: ﴿إِنَّا خَيْرٌ مِنْهُ﴾² والرسول يقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾³ ومن الناس من يقول: ﴿إِنَّا لَمَزْدُودُونَ فِي الْخَافِزَةِ﴾⁴ والسموات والأرض والجبال تأبى وتشفق من حمل الأمانة، وتقول: ﴿أَقَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁵ لما في العالم إلا من نسب الفعل إليه، أي إلى نفسه، مع علم العلماء بالله أن الفعل لله لا لغيره. والله يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁶ فأضاف العمل إليهم، وهو خالقه وموجده، أعني العمل.

فَأَيْنَ حَالُ الدَّعَاوَى مِنْ حَالِ مَنْ يَتَّبِعُهَا
وَالْأَمْرُ فِي الْغَيْبِ فَرَدَّ أَحْكَامُهُ فِيهِ تَتَرَى

وقال الهدد: ﴿أَخْطُ﴾⁷ علما ﴿بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾⁸ و﴿قَالَتْ تَمَلَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا يُخِطُّكُمْ سُلَيْتَانُ وَجُودَةٌ﴾⁹ وقال الله: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾¹⁰ وقالت الجلود: ﴿أَنْظَلْنَا﴾¹¹ الله إِلَهِي أَطْلَقَ كُلَّ شَيْءٍ¹² وقال: ﴿وَلَوْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾¹³ لما ترك شيئا من المخلوقات إلا وأضاف الفعل إليه.

إلا أن هذا المنزل لا يتمكن لمن دخله أن يراى عليه أحد من جنسه، لا، بل ولا أحد من المخلوقين، وهو تعريف إلهي في حضرة خيال. ومقامه أن يكشف له عن ماهية أحكام نفسه؛ فيرى أنه محال أن يراى عليه أحد، فإن كشف له عن ماهيات أحكام¹³ نفوس العالم؛ يرى أنه من المحال أن يراى على أحد، أو يراى عليه أحد؛ فإن الأمر واحد في نفسه؛ والواحد لا يراى على نفسه. وهو مشهد عزيز؛ العالم كله فيه، ولا يعلمه إلا من شاهده.

1 [البقرة : 30]

2 [الأعراف : 12]

3 [المائدة : 117]

4 [النازعات : 10]

5 [صلى : 11]

6 [الصفوات : 96]

7 [الغزل : 22]

8 [الغزل : 18]

9 [النور : 24]

10 ص 86 ب

11 [صلى : 21]

12 [الإسراء : 44]

13 "محال أن.... أحكام" تاجية في الهامش مع إشارة التصويب.

ثم من هذا المقام ما تختله مَنْ لم يطلع على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه، من قوله تعالى:-
«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» فتخيّل أنّه عينه الثابت في العدم ربما حصل لها الوجود، لما رآه من
حكم عينها في وجود الحق، حتى انطلق عليه اسم هذا العين. وما علم أنّ الوجودَ (ليس إلّا) وجود الحق،
والحكم حكم الممكن، مع ثبوته في عدمه.

فلما تخيّل بعض الممكنات هذا التخيل من اتصافه بالوجود؛ حكم بأنّه قد شارك الحق في الوجود؛
فصحّ له المقام: مقام الجمع؛ بوجود الحق في الوجود، وفي نفس الأمر؛ الوجود عين الحق، ليس غيره. فلما
أدخله حضرته تعالى- ضرب عنقه، أي أزال جماعته؛ لأنّ العنق¹ الجماعة. فلما زال عنه إطلاق الجماعة
عليه؛ بما أعطاه² من أحديّة الأمر، وعلم أنّه جمل في إمكانه نفسه، وأنّ جميع الممكنات مثله في هذا الحكم،
وهو قوله: "وما بقي أحد إلّا دخله" أي في نفس الأمر: ما تمّ إلّا أحديّة مجردة؛ غلبها من غلبها، وتجلّتها
من تجلّتها. وهذا الحكم يظهر في الشهادة في وجود الحق بالاسم الخاص الذي لتلك الممكن، الذي يقال فيه:
إنّه عالم وجاهل، وما كان من الأسماء، والأسماء والأحكام للممكنات، والوجود للحق، فاعلم ذلك هو الله
يقول الحق وهو يهدي السبيل³.

1 ص 87

2 كتب فوقها: "طالعه" مع إشارة التصويب.

3 [الأحزاب: 4]

الباب الموفي أربعمائة

في معرفة منازلة: من ظهر لي؛ بطنت له،
ومن وقف عند حدي؛ اطلعت عليه

ظَهَرِي بَطُونُ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَحَدِّي وَجُودُ الْحَقِّ فِي كُلِّ مُطْلَعٍ
فَإِنْ كَانَ غَيْبِي فِي وَجُودِي؛ لَمْ يَكُنْ وَإِنْ كَانَ؛ لَمْ يَظْهَرْ وَضَائِقُ مَنْ أَسْنَعُ
فَيَا خَيِّتَةَ الْأَكْوَانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا وَيَا سَعْدَهَا إِنْ كَانَ فِي غَيْبِهَا طَلَعُ
هُوَ¹ الْبَرُّ إِلَّا أَنَّهُ خُلِبَ فَا يُسَبِّحُهُ زَغْدٌ وَلَا مَطَرٌ يَفْغُ

اعلم أيدينا الله وإياك - أن الله تعالى - يقول عن الهويّة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾² وما ثمّ إلا أنا وهو،
وكان ولم يكن ثمّ كنت. وعند وجودي قسم الصلاة بيني وبينه نصفين، وما ثمّ إلا مُصَلٍّ ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾³ وهو السمع والبصر منّي. فما أسمع إلا نفسه؛ فهو الأول والآخِر، ما هو أنا؛ فإنّ الآلة لا
حكم لها إلا بالصانع بها، كما كان صانعاً فيها، فصنع فيها بها وبنفسه بها من حيث قبولها، وبنفسه من حيث
تجليه بخطابه.

تَعَدَّدَتِ الْأَغْيَانُ وَالْأَمْزُ وَاجِدٌ وَأَشْهَدَتِ الْأَكْوَانُ وَاللَّهُ شَاهِدُ
فَمَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ مَا تَمَّ غَيْرُهُ أَقَرُّ بِتَوْحِيدِهِ كَمَا هُوَ جَاوِدُ

فإذا ظهرتُ بعيني في ﴿الْحَفْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ بطنُ تعالى - في خطابي وسمع إيماني بسمع: «أثنى
عليّ عبدي» فسقى آخرته عبداً، وفي الجواب هو الرب. فالأوليّة ردّها لي؛ فإنه لم يقل حتى قلت، كما
أنّي لم أوجد حتى قال؛ فكنتُ أولَ سامع، وكان أولَ قائل، ثمّ كنتُ أولَ قائل، وكان أولَ سامع. فتعین
الباطن والظاهر ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁵ بي وبنفسه. وما ظهر إلا بي، وما بطن إلا بي، وما⁶ صحّت

1 ص 87 هـ

2 [الحديد : 3]

3 [النور : 41]

4 مكتوب مقابلها على الهامش "أ" من غير إشارة التصويب أو الإدخال.

5 [الفاتحة : 2]

6 [الحديد : 3]

7 ص 88

الأولى إلّا بي، وما ثبتت الآخرة إلّا بي؛ فأنا كلّ شيء؛ فهو بي علم. فلو لم أكن؛ بمن كان يكون عالماً؟ فأنا أعطيته العلم، وهو أعطاني الوجود؛ فارتبطت الأمور بيني وبينه. وقد اعترف لي بذلك في تقسيمه الصلاة بيني وبينه على السواء؛ لأنّه علم أنّه لي، كما أنا له؛ فلا بدّ منّي ومنه؛ فلا بدّ من واجب ويمكن. ولو لم يكن كذلك لكان عاطلاً غير حال. فأنا زينته فهو أرضي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾¹ فظهر اقتدازه، ونفوذ أحكامه، وسلطان مشيئته. فلو لم أكن؛ لم تكن زينته.

ثمّ قلب الأمر؛ فجعلني أرضاً، وكان زينته لي. وقلّمني الإمامة، فلم أجد على من أكون إماماً إلّا عليه، وعين إمامتي ما زينني به، وما زينني إلّا بهويته؛ فهو سمعي، وبصري، ولساني، ويدي، ورجلي، ومؤيدي، وجعلني نوراً كلّياً؛ فزينني به له. ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾² وهو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³. وذكر أنّ الأرض ذلول⁴، وهل ثمّ أذلّ منّي، وأنا تحت عزّته؟ ولنا خلق الخلق، وعزّني بما خلق، قال لي: اجعل بالك، وتفرّج في صني بخلق. فكلف، وأنا أنظر إلى ما يريد إظهاره مما لا علم لي به. فخذ الحدود؛ فتجاوزتها العبيد، وقال؛ فلم يُسمع له مقال، وأمر؛ فلم يُمتثل أمره ابتداء، ونهى؛ فلم يُمتثل له نهي ابتداء، وقال؛ فاعترض: ﴿أَنجَلْ⁵ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا﴾⁶ فجعلوا ظنهم أصلح من نظره، وعلمهم أتمّ من علمه.

فقال لي: أنت قلت⁷ إنّك ذلول، ولا ذلّة أعظم من ذلّتك، وأي ذلّة أعظم من ذلّة من أذله الليل؟ هذا الملك يترّض هذا الخليفة؛ وليّته ونهيته؛ فعصى هذا اللعين، أمرته بالسجود؛ فأبى وادّعى الحرية على من هو خير منه! فهل رأيته بعينك إلّا من اعترف بعظمتي ونفوذ اقتداري، ومع ذلك: خالفتي، واعترض عليّ، وتعدّى حدّي. فلو كانت عزّتي وعظمتي حالاً لهم، زينتهم بها؛ ما وقع شيء من ذلك. فهم أرض مرداء جرداء؛ لا نبات فيها؛ فلا زينة عليها. فعلمت أنّه منّي أينث عليّ؛ فزينتهم بي؛ فرأيتي زينتي؛ فعظّموني، وما عظّمني إلّا زينتي. فقال المعارض: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾⁸ وقال من نبيته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾⁹

1 [الكهف : 7]

2 [الزمر : 69]

3 [النور : 35]

4 ق: ذلولا

5 ق: كيف نجعل

6 [البقرة : 30]

7 ص 88 ب

8 [البقرة : 32]

9 [الأعراف : 23]

وقال من خالف أمري: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾¹ فأين هذا المقام من ذلك؟ وأين دار رضوان من دار مالك؟ فلهذا يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلَّهُ². فمن العزيزُ ومن اللبيل؟

فلولا ما اطلع عليّ من تجاوز الحدود والرسوم؛ ما رجعوا إلى حدودهم. فإنّ الاطلاع ما يكون إلا من رفيع، وهو رفيع الدرجات. فاعترفوا كما قلنا- بجهالتهم، وظلمهم أنفسهم، وخوفهم من تعدي حدود سيدهم. فقال: ﴿إِنَّا عِبَادُكَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وتجاوزهم حدود سيدهم ﴿لَا تَنْتَظُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾³ فإنّ الله للرحمة خلّقه، ولهذا تستوى بالرحمن، واستوى به على العرش. وأرسل أكل الرسل، وأجلّهم قدرا، وأعمّهم رسالة؛ رحمة للعالمين، ولم⁴ يخض عالما من عالم؛ فدخل المطيع والعاصي، والمؤمن والمكذب، والموحد والمشرک⁵؛ في هذا الخطاب الذي هو مستقّى العالم.

ولما أعطاه ﷻ مقامه الغيرة على جناب الله تعالى- وما يستحقّه؛ أخذ يثبّت في صلاته شهرا؛ يدعو على طائفة من عباد الله بالهلاك: رعل، وذكران، وعصية؛ عصت الله ورسوله. فأنزل الله عليه وحيه بواسطة الروح الأمين: «يا محمد؛ إنّ الله يقول لك: ما أرسلك سبّابا ولا لقانا وإنما بعثك رحمة» أي لترحم مثل هؤلاء، كأنه يقول له: بدّل دعائك عليهم، كنت تدعوني لهم. ثم تلا عليه كلام ربّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁶ أي لترحمهم. فإنّك إذا دعوتني لهم ربما وقفتهم لطاعتي؛ فترى سرور عينك وقُرْبَتها في طاعتهم. وإذا لعنتهم، ودعوت عليهم، وأجبت دعاءك فيهم⁷؛ لم يتمكن أن آخذهم إلا بأن يزيدوا طغيانا وإثما مينا. وذلك كلّهما إنما كان بدعائك عليهم؛ فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي نواخذهم به.

فتنبّه رسول الله ﷺ لما أذبه به ربّه، فقال ﷺ: «إنّ الله أذّبني فحسّن أدبي» وقال بعد ذلك: «اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون». وقام ليلة إلى الصباح لا يطلو فيها إلا قوله تعالى: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَتَّقُوا لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁸ وهو قول عيسى عليه السلام والله تعالى- قد قال له لَمَّا ذَكَرَ رسله:

1 [الحشر : 16]

2 [هود : 123]

3 [الزمر : 53]

4 ص 89

5 "الموحد والمشرک" هاتان في الهامش بقلم الأصل.

6 [الأنبياء : 107]

7 "وإنّا لعنتهم... فيهم" هاتية في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.

8 ص 89 ب

9 [الأنعام : 118]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾¹ وكان من هدى عيسى عليه السلام هذه الآية التي قام بها رسول الله ﷺ ليلاً كله إلى الصباح. أين هذا المقام من دعائه ﷺ على رعل وذوكان؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وما خَصَّ ذنبا من ذنب، كما لم يَخَصَّ إسرافا من إسراف، كما لم يَخَصَّ في إرسال محمد ﷺ عالمًا من عالم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾² بالآلف واللام للشمول مع عمارة الدارين - فلا بد من شمول الرحمة.

ولولا أن الأمور قد عَيَّنَ الله لها آجالا مسماة، وإثاما معدودات؛ لكان عَيْنُ الانتقال بالموت إلى الله عَيْنَ الرحمة بهم التي تكون لهم؛ بعد استيفاء الحدود؛ لتعديهم الحدود. فتعديهم الحدود هو الذي أقام عليهم في النار الآخرة الحدود، كما أقامها على بعضهم في الدار الدنيا. فما مات أحد من خلق الله إلا كما وَلَدَ مؤمنا، وما وقع الأخذ إلا بما كان بين الإيمانين؛ فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وباطنه فيه الرحمة.

ولهذا قال: "مَنْ ظَهَرَ لِي بَطْنُهُ لَهُ" لأنه ما ظهر أحد لله؛ حتى فارقه؛ إذ لو لم يفارقه؛ لما مِيزَ نفسه عنه. فَبَطْنُ الْحَقِّ فِي ظَهْرِهِ؛ فهو السور الذي ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾³ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾⁴ والناس لا يشعرون. والكلام في هذا الباب لا يتناهى فصوله. وهذا القدر من التنبيه على ما فيه كافٍ لمن شاء الله - ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾⁵ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 [الأنعام : 90]

2 [الزمر : 53]

3 ص 90

4 [الحديد : 13]

5 [ق : 37]

6 [الأحزاب : 4]

الباب الأحد وأربعائة في معرفة منازلة: الميت والحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل

قَدْ اسْتَوَى الْمَيِّتُ وَالْحَيُّ فِي كَوْنِهِمْ مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ
مَيِّ قَلَّا نُورٌ وَلَا ظُلْمَةٌ بَيْنَهُمْ وَلَا ظِلٌّ وَلَا فِي
رُؤْيَيْهِمْ إِلَيَّ مَفْدُومَةٌ فَتَشْرُهُمْ فِي كَوْنِهَا طَيِّ
وَقَهْمُهُمْ إِنْ كَانَ مَغْنَاهُمْ عَنْهُ إِذَا حَقَّقْتُهُ عَيِّ

قال الله ﷻ: ﴿لَا تَذَرُكُمُ الْأَبْصَارُ﴾² وقال ﷻ لموسى ﷺ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾³ وكل مرقي لا يرى الرائي إذا رآه منه إلا قدر منزلته ودرجته، فما رآه، وما رأى إلا نفسه. ولولا ذلك ما تناضلت الرؤية في الرايين؛ إذ لو كان هو المرقي ما اختلفوا. لكن لما كان هو مجلي رؤيتهم أنفسهم؛ لذلك وصفوه بأنه مُتَجَلٍّ؛ وأنه يرى. ولكن شغل الرائي برؤية نفسه في مجلي الحق حجبته عن رؤية الحق. فلذلك لو لم تبدُ للرائي صورته، أو صورة كوني من الأكوان؛ ربما كان يراه. فما حجبنا عنه إلا أنفسنا.

فلو زلنا عنا ما رأيناه؛ لأنه ما كان يبقَى ثم هزوا إلنا- من يراه. وإن نحن لم نزل فما نرى إلا أنفسنا فيه، وصورتنا، وقدرنا، ومنزلتنا. فعلى كل حال ما رأيناه. وقد توسع فنقول: قد رأيناه ونصدق. كما أنه لو قلنا: رأينا الإنسان صدقنا في أن نقول: رأينا من مضى من الناس، ومن بقي، ومن في زماننا؛ من كونهم إنسانا، لا من حيث شخصية كل إنسان. ولما كان العالم أجمع وآحاده على صورة حق، ورأينا الحق، فقد رأينا وصدقنا. وإن نظرنا إلى عين التمييز في عين عيني لم نصدق.

وأما قوله ﷻ في حديث الدجال ودعواه أنه إله، فعهد إلينا رسول الله ﷺ أن أحدا لا يرى ربه حتى يموت؛ لأن الغطاء لا ينكشف عن البصر إلا بالموت، والبصر من العبد هوئة الحق؛ فمبكك غطاء على

1 ص 90
2 [الأحاديث: 103]
3 [الأعراف: 143]
4 ص 91

بصر الحق؛ فبصر الحق أدرك الحق وراه، لا أنت. فإن الله ﴿لَا تتركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف﴾¹ ولا اللف من هوية تكون عين بصر- العبد، وبصر- العبد لا يدرك الله، وليس في القوة أن يفصل بين البصرين. و﴿الخبر﴾ علم النوق؛ فهو العلم خبرة أنه بصر العبد في بصر العبد، وكذا هو الأمر في نفسه، وإن كان حياً. فقد استوى الميت والحى في كون الحق تعالى- بصرهما، وما عندهما شيء، فلن الله لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء؛ إذ ﴿ليس كغلبه شيء﴾²؛

فَكُلُّ شَيْءٍ وَبَصَرٌ	هَوِيَّةُ الْحَقِّ وَقَدْ
فَانْظُرْ إِذَا أَبْصَرْتَ مَنْ	تَبَصَّرَهُ وَنَزَرَ الْعَدَدُ
وَكُنْ بِهِ مُقْتَرِفًا	فِي كُلِّ غَيٍّ وَرَشَدُ

1 [الأعام : 103]

2 [النورى : 11]

الباب الثاني وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ غلبني غلبته،
وَمَنْ غلبته غلبني؛ فالجنوح إلى السلم أولى

مَنْ غَالَبَ الْحَقُّ مَا يَنْفُكُ ذَا نَصَبٍ وَلَا يَزَالُ مَعَ الْأَنْفَاسِ فِي تَقَبٍ
 فَاجْنَحْ¹ إِلَى السَّلْمِ لَا تَجْنَحْ إِلَى الْحَرْبِ وَإِنْ تَحَارَبْتَ فَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ
 إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ مَا أَقُوهُ بِهِ إِنَّ الْهَلَكَانِ مَقْرُونَانِ بِالْحَرْبِ
 فَاحْذَرْ فَدَيْتُكَ أَفْلَاكَ تَدُورُ بِهَا لَا تَرْفُضِيهِ وَخَفْ مَصَارِعَ الثَّوْبِ
 لَوْ جَاءَكَ الْمَلَأُ الْعُلُويُّ مُبْتَلِيَا بِالْحَرْبِ سَلِّمْ لَهُ وَجِدْ فِي الْهَرَبِ
 وَانْزِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ: يَا مُتَنَبِّئِي أَمَلِي أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ الْعِزَّ فِي الْحُبِّ

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾². اعلم أنه قد تفرع عند أصحاب الأفكار أن لله صفات وأسماء لها مراتب، وللعبد التخلق والتحلّي بها على حدّ مخصوص، ونعت منصوص عليه، وحال معين؛ إذا تعدّى ذلك العبد، كان للحقّ منازعا واستحقّ الإقصاء والطرْد³ عن القرب السعاديّ، كما ورد في قوله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري؛ من نازعني واحداً منها قصمته».

وللعبد صفات وأسماء تليق به، قد داخله الحقّ في الاختصاص بها مما تحمله العقول، ولكن وردت به الشرائع، ووجب الإيمان بها. فلا يقال: كيف؟ مع إطلاقها عليه قرينة وإيمانا؛ مَنْ لم يقل بها وأنكرها، فقد كفر ومرق من الإسلام، وَمَنْ تأوّلها كان على قدم الفرور. فلا تُعلم نسبتها إلى الله إلا بإعلام الله. وكذلك كلّ اسم تحلّينا به من أسمائه، أيضا، مجهول النسبة إليه عندنا، إلا أن يُعلمنا الله؛ فنعلم ذلك بإعلامه. فالكلّ على السواء: ما لنا، وما له.

فلما عَيَّن ما عَيَّن له، وتحلّينا به، سَمِيَ ذلك: مغالبة مثا للحقّ. ولَمَّا عَيَّن ما عَيَّن لنا، واتّصف به، سَمِيَ

1 ص 91 هـ

2 [الأفكال : 61]

3 مضافة في الهامش قلم الأصل.

4 ص 92

ذلك: مغالبة من الحق. وموضع الجَنوح إلى السلم من هذا الأمر؛ هو أن تردّ الكلّ إليه. فما أعطانا من ذلك ولو أعطانا الكلّ - قبلناه على جهة الإنعام.

واعلم أنّ سبب المنازعة والمغالبة أمران: الاستخلاف الذي هو الإنابة¹، والحلق على الصورة. فلا بدّ للخليفة أن يظهر بكلّ صورة يظهر بها من استخلفه؛ فلا بدّ من إحاطة الخليفة بجميع الأسماء والصفات الإلهية التي يطلبها العالم الذي ولّاه عليه الحقّ سبحانه. ولَمّا اقتضى الأمر ذلك أنزل أمراً منه إليه سمّاه شرعاً، بين فيه مصارف هذه الأسماء والصفات الإلهية، التي² لا بدّ للخليفة من الظهور بها، وعهد إليه بها. فكلّ نائب في العالم فله الظهور بجميع الأسماء، ومن النّوّاب من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهيّ إليه بها، وقام بالعدل في الرعايا، واستند إلى الحقّ في ذلك؛ كلوك زماننا اليوم مع الخليفة. فبهم السمع والطاعة فيما يوافق أغراضهم، وما لا يوافق؛ فهم فيه كما هم في أصل توليتهم ابتداءً. ومنهم من لا يعمل بمكارم الأخلاق، ولا يمشي بالعدل في رعيته؛ فذلك هو المنازع لحدود مكارم الأخلاق، والمغالِب لجَناب الحقّ في مغالبتة رسل الله؛ كفرعون صاحب موسى عليه السلام وأمثاله.

والحقّ له الاقتدار التام. لكن من نعوته الإجمال، والحلم، والتراخي بالمؤاخضة، لا الإهبال؛ فإذا أخذ لم يفلت. وزمان عمر الحياة الدنيا زمان الصلح، واستدراك الفائت، والجبر بمن قام بمصالح الأمور المرضية عند الله تعالى - المستمّة خيراً، الموافقة لما نزلت بها الشرائع. غير أنّ هذا الإمام لم يتصف بها من حيث ما شرعت، ولا من حيث ما أوصى الحقّ بها، ولكن اتصف بها لكونها مكارم الأخلاق العرفية؛ عرف الحقّ قدرها، وأتى على من اتصف بها، كما قال ﷺ في تاريخ ميلاده عن كسرى وهو من جملة النّوّاب الملوك³، قال: «ولدت في زمان الملك العادل» فسماه ملكاً، ووصفه بالعدل، وإن كان فيه على غير شرع منزل؛ فهو صفة مرعية عند الله، وستام ملوكاً؛ وإن كان الحقّ ما استخلنهم بالخطاب الإلهيّ على الكشف، لكنهم توابه من وراء الحجاب. فإذا ظهروا بصفات ما ينبغي للملك أن يظهر بها، ولم يوافق بها المصارف الإلهية التي شرعها الحقّ بالسنة الرسل؛ نُعت ذلك بالمنازع والمغالِب. فبها ظهر كانت الغلبة له، ومما ظهر عليه كانت الغلبة للحقّ؛ فكان الحرب سجّالاً له وعليه. وصورة السّلم موافقة الحقّ في المصارف من غير اتّباع. وهذا كلّه فبمن قام في الملوك بنفسه.

1 نظراً لإهبال الحروف المعجمة يمكن قراءتها كذلك الإمامة.

2 ص 92

3 ص 93

وَأَمَّا مَنْ¹ وَلَّاهُ الْحَقُّ مِنَ الرِّسْلِ فَلَيْسَ إِلَّا الْعَدْلُ الْحَضُّ، وَلَا تُصَوِّرُ مَنَازِعَةً مِنْ أَوْلَئِكَ حُلُواتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ اسْتَنَابَهُمُ اللَّهُ، وَاسْتَخْلَفَهُمُ بِتَقْدِيمِ الرِّسْلِ إِيَّاهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا شَرَعَ فِي عِبَادِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَهُمْ عَلَى قَسَمَيْنِ: قَسَمٌ يَعْدِلُونَ بِصُورَةٍ حَقٍّ وَلَا يَتَعَدَّوْنَ مَا شَرَعَ لَهُمْ، وَالْقَسَمُ الْآخَرُ قَاتِلُونَ بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى² مَا دَعَا إِلَيْهِ فِي الْمَصَارِفِ الَّتِي دَعَاهُمُ الْحَقُّ إِلَيْهَا، وَجَارُوا عَنْ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ جَانِرُونَ فَاسْطُونَ؛ فَهُمْ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ الظَّاهِرَةُ مَغَالِيُونَ وَمَنَازِعُونَ؛ فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ لَعَلَّهُمْ³ يَرْجِعُونَ. فَنَحْنُ زَمَانُ ذَلِكَ الْإِحْمَالِ تَظْهَرُ الْغَلْبَةُ لَهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْمَشْرُوعِ الَّذِي يَرْضَى مَنْ اسْتَخْلَفَهُمْ. وَفِي وَقْتٍ تَكُونُ الْغَلْبَةُ لِلْحَقِّ عَلَيْهِمْ؛ بِإِقَامَةِ مَنَازِعٍ فِي مَقَابِلَتِهِ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ. وَإِذَا ظَهَرَ هَذَا؛ فَقَدْ أَوجِبَ الْحَقُّ عَلَى عِبَادِهِ التَّقَاتِلَ مَعَهُ، وَالْقِيَامَ فِي حَقِّهِ وَضَرَّتِهِ، وَالْأَخْذَ عَلَى يَدِ الْجَانِرِ. وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْنَا حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَتَنْفُذُ الْكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَيَتَوَخَّذُ الْأَمْرَ، وَتَعَمُّ الرَّحْمَةُ، وَيَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَتَرْطَعُ بَعْضُ النَّسَبِ، وَيَبْقَى بَعْضُهَا بِحَسَبِ الْحَلِّ وَالنَّارِ وَالنَّشْأَةِ الَّتِي تُصِيرُ فِيهَا وَإِلَيْهَا. فَإِنَّ لِلزَّمَانِ حِكْمًا، وَلِلْمَكَانِ حِكْمًا، وَلِلْحَالِ حِكْمًا، وَاللَّهُ ﴿يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾⁴ فَتَرُولُ الْمَغَالِبَةُ وَالْمَنَازِعَةُ، وَيَبْقَى الصِّلَحُ وَالسَّلَامُ فِي دَارِ السَّلَامِ إِلَى أَبَدٍ لَا يَنْقُضِي أَمْدُهُ، بَازِلٍ لَا يَبْعِثُهُ أَبَدُهُ، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵

إِنَّ الْخَلِيفَةَ مَنْ كَانَتْ إِمَانَتُهُ	مِنْ صُورَةِ الْحَقِّ وَالْأَسْمَاءِ تَقْضُهُ
لَيْسَ الْخَلِيفَةُ مَنْ قَامَتْ أَدِلَّتُهُ	مِنْ الْهَوَى وَهَوَى الْأَهْوَاءِ يَنْقُضُهُ
لَهُ التَّمَدُّمُ بِالْمَفْعَى وَلَيْسَ لَهُ	تَوْفِيقٌ حَقٌّ وَلَا شَرْعٌ يُؤَيِّدُهُ
فَيَدْعِي ⁶ الْحَقُّ وَالْأَسْيَافُ تَقْضُهُ	وَهُوَ الْكُذُوبُ وَرَجْمُ الْحَقِّ يَرْضُهُ

1 ثابته في الهامش بقلم الأصل مع إشارة الإدخال.

2 ثابته في الهامش بقلم الأصل، ورسمها "الي".

3 ص 93

4 [الأنعام : 57]

5 [الأحزاب : 4]

6 ص 94

الباب الثالث وأربعائة

في معرفة منازلة: لا حجة لي على عبيدي؛
ما قلت لأحد منهم: لم عملت؟ إلا قال لي: أنت عملت
وقال الحق: ولكن السابعة أسبق بلا شك؛ فلا تبدل.

إذا كنت حقا فالمقال مقالتي
لي الحجة البيضاء في كل موطن
ولما دعاني للحديث مسامرا
فقال لنا: أهلا بأكرم سامر
فقلت له: لولاك ما كنت جابعا
فقال¹: أتبي؟ قلت: ذم مسرة
قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾².

وإن لم أكن فالقول قول المنارع
به فهي تبدو في قرين وشابع
تجافث جنوبي رغبة عن مضاجعي
يعيدني عن الأكفاء للكل جامع
لحق وخطي ثم فاضت منامي
لما ملئت بما تقول مسامي

اعلم أن الكريم هو الذي يترك ما له، ويؤذي ما أوجبه على نفسه من الحقوق؛ كرما منه؛ قبل أن
يسألها. ثم إنه يمنع وقتا، ويطالب وقتا؛ لتظهر بذلك منزلة الشافع عنده في مثل هذا، وكرمه بالسائل فيما
سأله فيه بإجابته.

وعبيد الله عبدان: عبد ليس للشيطان عليه سلطان؛ وهو عبد الاختصاص، وهو الذي لا ينطق
إلا بالله، ولا يسمع إلا بالله؛ فالحجة لله، لا له. ألا لله الحجة البالغة؛ فإنها حجة الله. ومن عبيد
الاختصاص من ينطق عن الله، ويسمع من الله؛ فهذا أيضا من أهل الحجة البالغة؛ لأنه لا ينطق عن
الهو (إن هو إلا وحي يوحى)³ فهو تعالى - السائل والجيب.

وأما عبد العموم فهو الذي قال عنهم لرسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ السَّائِلِ إِذَا دَعَانِي﴾⁴ فما خص عبدا من عبيد، وأضافهم إليه. وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ السَّائِلِ إِذَا دَعَانِي﴾

1 ص 94

2 [الصفات : 96]

3 [النجم : 4]

4 [البقرة : 186]

فأضافهم إليه مع² كونهم مسرفين على الإطلاق في الإسراف، ونهاهم أن يقتطوا من رحمة الله. وهذا وأمثاله أطلع إبليس في رحمة الله من عين الميتة، ولو قنط من رحمة الله لزد إلى عصيانه عصيانا. وأخبر الله عنه في إسراره أنه يبعثنا الفقر ويأمرنا بالفحشاء؛ ليجعل فضله تعالى في مقابلة ما وعد به الشيطان من الفقر الذي هو به مأمور في قوله تعالى: ﴿وَعِذْهُمْ³﴾ فهو مصدق لله فيما أخبر به عنه، ممثّل أمر الله ليسببه في أمره، في قوله: ﴿وَعِذْهُمْ⁴﴾ وجعل مغفرته في مقابلة الفحشاء والأمر بالفحشاء من الفحشاء- فدخل تحت وعد الحق بالمغفرة؛ فزاده طمعا، وإن كانت دار النار مسكنه لأنه من أهلها. وإن حارت عليه أوزار من اتبعه ممن هو من أهل النار، فما حمل إلا ما هو منقطع بالغ إلى أجل، وفضل الله لا انقطاع له؛ لأنه خارج عن الجزاء الوفاق. ورحمة الله لا تخص محلا من محل، ولا دارا من دار؛ بل وسعت كل شيء؛ فدار الرحمة هي دار الوجود.

وهؤلاء العبيد المذكورون ذكرهم الله بالإضافة إليه، والإضافة إليه تشريف. فجمع في الإضافة بين العبيد الذين أسرفوا على أنفسهم الذين نهاهم سبحانه- أن يقتطوا من رحمة الله، وبشرهم أنه يغفر الذنوب جميعا. ولم يعين وقتا؛ فقد تكون المغفرة سابقة لبعض العبيد، لاحقة لبعض العبيد، وبين العبيد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

فَأَنذَرْتُكُمْ إِنَّا عَبْدُهُ وَهُوَ رَبُّهُ وَمَا تُمْ إِلَّا رَاجِعٌ وَذَجِيمٌ

أراد بالرحم هنا- المرحوم - اسم منقول- مثل قتيل، وجريح، وطريد، ولا تبديل لكلمات الله⁵ وهي أعيان العالم، وإنما التبديل لله، لا لهم؛ ﴿وَمَا تُلْغِ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا⁶﴾ وفي قراءة: ﴿وَأَوْ نُنْسَاهَا⁷﴾ ﴿فَأُولَئِكَ يَنْزِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ خَسَنَاتٍ⁸﴾ ﴿وَمَنْ يَنْزِلْ نَفْعَ اللَّهِ﴾ وهي ما بشرنا به من عموم مغفرته ﴿مِنْ بَقْدٍ مَا جَاءَتْهُ﴾ فمن هنا، وإن كانت شرطا، ففيها راحة الاستفهام. وقال في

1 [الزمر : 53]

2 ص 95

3 [الإسراء : 64]

4 "هو مصدق... وعدم" مكتوبة في الهامش مع إشارة التصحيح وواضح أنها سقطت عند النقل لاهاق الكلمة الأخيرة في السطرين "وعدم".

5 ص 95

6 [يونس : 64]

7 [البقرة : 106]

8 [الفرقان : 70]

الجواب: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾¹ ولم يقل: "فإن الله يعاقب من بذل نعمة الله" فهو كما قال: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ في حال العقوبة. فما ثم من يقدر يتبدل نعمة الله من بعد ما جاءته، فيبدل نعمة الله بما هو خير منها بحسب حاجة الوقت؛ فإن الحكم له. ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ والنسخ تبديل لا بئذ.

ثم إنه القائل: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيراً» فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمره، وجمل ربه. وأشقى من إبليس فلا يكون، وقد أخبر الله تعالى - عنه أنه جبراً من الكافر، ووصفه بالخوف لله رب العالمين، وقد ذكر تعالى - أنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² وأتم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيرٌ﴾ أي يمتنع أن يؤثر فيه³ أمرٌ يحول بينه وبين عموم مغفرته على عباده، ﴿غَفُورٌ﴾ بنية مبالغة في الغفران بعموماً؛ فهي رجاء مطلق للعصاة على طبقاتهم.

وقوله في ﴿مَنْ يَكُنْ نِعْمَةً اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ إنه ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁴ أي يسرع تعالى - إلى من هذه صفته بالعقاب، وهو أن يعقبه فيما بذله: إن التبديل لله ~~فقط~~ ليس له؛ فعرفه أنه بيده ملكوت كل شيء. فإن الله ما قرن بهذا العقاب ألماً، ومتى لم يقرن الألم بعذاب أو عقاب، فله مخمّل في عين الأمر المؤلم؛ فإنه لا يخاف إلا من الألم، ولا يرغب إلا في الالتذاذ خاصة. هذا يقتضيه الطبع الذي وجد عليه من يقبل الألم واللذة.

وقد أعطى الله لعبيده في القرآن من الاحتجاج ما لا يحصى كثرة، كل ذلك تعليم من الله. فلو كان الشقاء يستأصل الشقي؛ ما بسط الله لعباده من الرحمة ما بسط، ولا ذكر من الحجج ما ذكر، وهو قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁵ ولا يعظم الفضل الإلهي إلا في المشركين والجهرمين، وأما في المحسنين ﴿مَّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾⁶ فإن الفضل الإلهي جاءهم ابتداء، وبه كانوا محسنين. وما بقي الفضل الإلهي إلا في غير المحسنين ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁷، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁸.

1 [البقرة : 211]

2 [فاطر : 28]

3 ص 96

4 [البقرة : 211]

5 [النساء : 113]

6 [التوبة : 91]

7 [الأحزاب : 4]

8 [يونس : 25]

الباب¹ الرابع وأربعائة

في معرفة منازل: مَنْ شَقَّ عَلَى رَعِيَّتِهِ؛ سعى في هلاك مُلْكِهِ،
وَمَنْ رَفَقَ بِهِمْ؛ بَقِيَ مُلْكُهُ، كُلُّ سَيِّدٍ قَتَلَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ؛ فَإِنَّمَا قَتَلَ سَيَادَةَ مِنْ سَيَادَتِهِ؛
إِلَّا أَنَا فَأَنْظُرْهُ

حُكْمُ الإِضَافَةِ يُتَقَنُّهُ وَيَتَقَنُّنَا	وَبِذَلِكَ جَعَلْتُهُ سُبْحَانَهُ فِينَا
لَوْلَا الْعَبْدُ لَمَا كَانَتْ سَيَادَةُ مَنْ	سَادَ الْعِبَادَ وَلَا كَانُوا مَوَالِينَا
قَدْ قَالَ فِي خَلْقِي مَا كَانَ مُنْتَقِدِي	عِنْدَ التَّدَاءِ كَمَا كُنَّا نَكُونُوا
مَا يَعمَدُ الْحَقُّ مَوْجُودًا لِزَلَّتْهُ	وَكَيْفَ يَقْدَمُ مَنْ فِيهِ يُوَالِينَا
يَكُونُهُ كَانَ خَلْقًا وَلَيْسَ لَهُ	فِي نَفْسِهِ أَقْرَبُ وَلَا يُبَارِينَا

قال الله تعالى: ﴿الْحَفِظْ² اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾³ لم يقل: "رَبَّ نفسه" لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه. فهذه وصية إلهية لعباده لما خلقهم على صورته، وأعطى من أعطى منهم الإمامة الكبرى والدنيا وما بينهما، وذلك قوله ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته» فأعلى الرعاء: الإمامة الكبرى، وأدناها إمامة الإنسان على جوارحه، وما بينهما من له الإمامة على أهله، وولده، وتلامذته، ومماليكه. فما من إنسان إلا وهو مخلوق على الصورة، ولهذا عمت الإمامة جميع الأناسي. والحكم في الكل واحد من حيث ما هو إمام.

والمُلْكُ يَتَسَّعُ ويضيق كما قَرَرْنَا؛ فالإمام مراقب أحوال مماليكه مع الأنفاس. وهذا هو الإمام الذي عرف قدر ما ولَّاه الله عليه وقدمه، كل ذلك ليعلم أن الله رقيب عليه، وهو الذي استخلفه، ثم نبهه على أمرٍ لو عقل عن الله؛ وذلك أن السيد إذا قصه عينٌ أو حالٌ من ساد عليه؛ فإنه قد نقص من سيادته بقدر ذلك، وعزل بقدر ذلك. كمن أعتق شقصاً له في عبد، فقد عتق من العبد ما عتق، ولم ينسب العتق في العبد كله إلا أن يمتق كله.

1 ص 96

2 ص 97

3 [الفاصلة: 2]

4 الشخص: السهم

كذلك الإمام إن غفل بلهوه وشأنه، وشارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات وتبيل الشهوات، ولم ينظر من أحوال ما هو مأمور¹ بالنظر في أحواله من رعاياه؛ فقد عزل نفسه بفعله، وورمت به المرقية. وبقي عليه السؤال من الله، والوبال، والحجية، وفقد الرئاسة والسيادة، وحرمه الله خيرها، وندم حيث لم ينفعه الندم. فإنه لو لم يُسأل عن ذلك، وترك شأنه لكان بعض شيء؛ إلا الحق فإنه لا ينتص عنه من ملكه شيء. فإن عبده إذا مات من الحياة الدنيا؛ انتقل إليه في البرزخ، فبقي حكم السيادة لله عليه. بخلاف الإنسان؛ إذا مات عبده؛ ماتت سيادته التي كان بها سيّدا عليه. فهذا الفرق بيننا وبين الحق في الربوبية. قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفِيقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فالعالم من علم الرفق، والرفيق، والمرفوق. فما من إنسان إلا وهو رفيق، مرفوق به؛ فهو مملوك من وجه، مالك من وجه، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً²، والله ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾³ فنحن له، كما هو لنا، وكما نحن لنا؛ فنحن لنا وله، وهو لنا، لا له.

وليس في هذا الباب أشكل من إضافة العلم الإلهي إلى المعلومات، ولا القدرة إلى المقدورات، ولا الإرادة إلى المرادات، لحدوث التعلّق؛ أعني تعلّق كلّ صفة بمعلّقتها من حيث العالم، والقادر، والمريد. فإن المعلومات، والمقدورات، والمرادات، لا نهاية لها؛ فهو يحيط علماً⁴ بأنّها لا تنهاى.

ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه، وعثر على ذلك من عثر عليه من المتكلمين؛ قال بالاسترسال. وعبر آخر بحدوث التعلّق. وقال الله في هذا المقام: ﴿حَتَّى تَقْلَمَ﴾⁵. وأنكر بعض العلماء من القدماء تعلّق العلم الإلهي بالتفصيل؛ لعدم التناهي في ذلك، وكونه غير داخل في الوجود؛ فيعلم التفصيل من حيث ما هو تفصيل في أمر ما، لا في كذا على التعيين. واضطربت العقول فيه؛ لاضطراب أفكارها.

ورفع الإشكال في هذه المسألة، عندنا، أهل الكشف والوجود والإلقاء الإلهي؛ أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما تمّ إلا ذات الحق؛ وهي عين وجوده، وليس لوجوده مفتتح ولا ينتهى؛ فيكون له طرف، والمعلومات متملّقة وجوده. فتعلّق ما لا يتناهى وجوداً، بما لا يتناهى معلوماً، ومقدوراً، ومراداً. فنفتن؛ فإنه أمر دقيق. فإن الحق، عين وجوده، لا يتصف بالدخول في الوجود فيتناهى؛ فإنه كلّ ما

1 ص 97 هـ

2 مستنبطة من الآية: "وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُخَيِّدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِّنْهَا سُخْرِيًّا" [الزخرف : 32].

3 [غافر : 15]

4 ص 98 هـ

5 [محمد : 31]

دخل في الوجود فهو متناهٍ، والبارئ هو عين الوجود؛ ما هو داخل في الوجود؛ لأنَّ وجوده عينُ ماهيته. وما سِوى الحقِّ؛ فمنه ما دخل في الوجود؛ فتناهى بدخوله في الوجود، ومنه ما لم يدخل في الوجود؛ فلا يتَّصف بالتناهي. فتحقِّق ما¹ نَبَّهْتَكَ عليه؛ فإنَّك ما تجده في غير هذا الموضع، وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 98
2 [الأحزاب : 4]

الباب الخامس وأربعائة

في معرفة منازل: مَنْ جعل قلبه بيتي، وأخلاه من غيري؛ ما يدري أحد ما أعطيه؛
فلا تشبهوه بالبيت المعمور؛ فإنه بيت ملائكتي، لا بيتي؛
ولهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم عليه السلام.

الْقَلْبُ يَنْشُكُ لَا يَنْتِي فَأَعْمُرْهُ	فَلَسْتُ أَذْكَرُ شَيْئًا أَنْتَ تَذْكُرُهُ
ذِكْرِي لِنَفْسِي جِبَابٌ إِنْ ذَكَرْتُ لِي	هُوَ السُّرُورُ الَّذِي بِالْحُسْنِ تَعْمُرُهُ
إِذَا ذَكَرْتُكَ كَانَ الذِّكْرُ مِنْكَ لَنَا	فَلَسْتُ تَذْكُرُ أَمْرًا نَحْنُ نَذْكُرُهُ
إِنْ الْخَلِيلُ يَظْهَرُ الْبَيْتِ مَنْكِنُهُ	مَنْ أَجَلِ قَلْبٍ لَهُ مَا زِلْتَ تَعْمُرُهُ
فَلَوْ يَجِلُّ بِهِ لَكُنْتَ تَابِعُهُ	وَلَيْسَ يَسْكُنُهُ فَلَسْتُ تَعْمُرُهُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَقْوَاهُ بِهِ	إِلَّا الَّذِي هُوَ فِي قَلْبِي بِصُورُهُ

اعلم أيُّدنا الله وإياك بروح القدس - أَنْ رَحْمَةً الله وسعت كلَّ شيء، ومن رحمته أن خلق الله بها قلب عبده، وجعله أوسع من رحمته؛ فَإِنَّ قلب المؤمن وسع الحق، كما ورد أَنَّ الله يقول: «ما وسعني أَرْضِي ولا سَمَانِي ووسعني قلب عَبْدِي الْمُؤْمِن» فرحمته مع اتِّسَاعِهَا - تستحيل أن تتعلَّق به، أو تسعه. فَإِنَّهَا، وإن كانت منه، فلا تعود عليه. وما أحال تعالى - عليه أن يسعه قلب عبده؛ وذلك أَنَّهُ الَّذِي يَفْقَهُ عن الله، ويعقل عنه. وقد أمره بالعلم به، وما أمره إِلَّا بما يمكن أن يقوم به؛ فيكون الحق معلوما معقولا للعبد في قلبه.

ولا يتَّصِفُ بَأَنَّهُ تَعَالَى - مَرْحُومٌ؛ فِهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنَالُهُ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا يَنَالُهُ التَّقْوَى؛ أَعْنِي تَقْوَى الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَكِنْ يَتَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾¹ وَقَالَ: ﴿فَإِنَّهَا﴾² بِعَنِي شَعَائِرُ اللَّهِ وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ - ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾³ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾⁴ وَمَا جَعَلَهَا عَقْلًا إِلَّا لِيَعْقِلَ عَنْهُ الْعَبْدُ بِمَا يَخَاطَبُهُ بِهِ، وَمَا خَاطَبَهُ بِهِ: أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّ قَلْبَهُ وَسِعَهُ كُلَّهُ.

1 ص 99

2 [الحج : 37]

3 [الحج : 32]

4 [الحج : 46]

إِلَّا أَنْ تَمَّ سِرًّا أَشِيرُ إِلَيْهِ وَلَا أَسْطُهُ؛ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ¹ أَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يُعْرِفَ، وَمُقْتَضَى الْحَبِّ مَعْرُوفٌ؛ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ؛ فَعَرَفُوهُ. فَمَا عَرَفُوهُ بِنَظَرِهِمْ، وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِتَعْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ. فَهَذِهِ إِشَارَةٌ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ²﴾. وَالْحَبَّةُ عِلْمٌ ذَوْقٌ، وَمَا فِينَا إِلَّا مُحَبٌّ، وَمَنْ أَحَبَّ عَرَفَ مُقْتَضَى الْحَبِّ؛ فَبَيْنَ هُنَا تَعْرِيفٍ عَمُومٍ الرَّحْمَةِ. وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ: غَضِبَ اللَّهُ الْكَائِنَ مِنْ إِغْضَابِ الْعَبْدِ، بِمَا قَالَ عَنْهُ التَّرَاجُحَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- فِي بَابِ الشَّفَاعَةِ إِذَا سَأَلُوهُمُ الْخَلْقَ فِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُونَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضْبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» فَزَالَ الْغَضَبُ بِالْإِنْتِقَامِ. وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» وَهُوَ الْمَوْفُوقُ عَبْدُهُ لِمَا تَصَدَّقَ بِهِ، فَهُوَ الْمَطْفُوفُ غَضَبُهُ بِمَا وَفَّقَ إِلَيْهِ عَبْدُهُ. وَهَذَا كَثِيرٌ، لَكِنَّ هَذَا الْقَدْرَ عِنْدَ عِبَادِ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّا لَا نَزِيدُ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّا مَا عَرَفْنَاهُ إِلَّا بِتَعْرِيفِهِ. وَهَذَا مِنْ جَهْلَةِ تَعْرِيفِهِ، لَا مِنْ نَظَرِ الْخَلْقِ.

فَلَمَّا اتَّخَذَ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدِهِ بَيْتًا؛ لِأَنَّهُ جَمَلُهُ مَحَلُّ الْعِلْمِ بِهِ: الْعَرَفَانِيَّ، لَا النَّظَرِيَّ؛ حِمَاهُ، وَغَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِغَيْرِهِ. وَالْعَبْدُ جَامِعٌ؛ فَلَا بَدَّ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ تَعَالَى- لِهَذَا الْعَبْدِ فِي صَوْرٍ شَتَّى؛ أَيْ: فِي صُورَةٍ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ لِلْعِلْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ مَحَلُّ الْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ إِلَّا الْقَلْبُ. وَالْحَقُّ يَظَارُ عَلَى قَلْبِ عَبْدِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ غَيْرُ رَيْبَةٍ؛ فَاطْلَعَهُ أَنَّهُ صُورَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ قَلْبُ الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ حَقٌّ؛ فَمَا وَسَّعَهُ إِلَّا الْحَقُّ. فَمَنْ عِلِمَ الْحَقُّ مِنْ حَقِّقَتِهِ؛ فَقَدْ عِلِمَ كُلَّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ مَنْ عِلِمَ شَيْئًا عِلِمَ الْحَقِّ.

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ؛ فَمَا عِلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ عِلْمُهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ عِلِمَهُ عِلِمَ أَنَّهُ الْحَقُّ. فَلَمَّا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ الْحَقُّ؛ قَلْنَا فِيهِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْهُ. وَإِنَّمَا قَالَ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ» لَا غَيْرَ الْمُؤْمِنِ؛ لَكُونَ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَعْرِيفِهِ، لَا بِحَكْمِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ. وَلَا يَقْبَلُ تَعْرِيفَهُ بِهِ تَعَالَى- إِلَّا الْمُؤْمِنُ. فَإِنَّ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ جَمَلَةً وَاحِدَةً.

فَإِنَّ النَّازِلَ عَلَى أَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِمَّا أَنْ يَحْبِلَ ذَلِكَ الَّذِي وَرَدَ بِهِ التَّعْرِيفُ عَلَى الْحَقِّ؛ فَيَنْقَسِمَ هُنَا الْاِحْتِلَالُونَ عَلَى أَنْسَامٍ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَطْمَنُ فِي الرِّسْلِ وَيَجْعَلُهُمْ تَحْتَ سُلْطَانِ الْخِيَالِ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنَ الْأَخْسَرِينَ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ وَأَعْمَاهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْهَدْيِ؛ بَلْ فِي طَرِيقِ الْهَدْيِ لَوْ عَلِمُوا. فَهَؤُلَاءِ قَدْ جَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ

1 ص 99 ب

2 [ن: 37]

3 ص 100

وبين المروق من الدين؛ فلا حظ لهم في السعادة.

وقسم آخر منهم قالوا: إنَّ الرسل هم أعلم الناس بالله؛ فتزَّلوا في الخطاب على¹ قدر أفهام الناس، لا على ما هو الأمر عليه؛ فإنه مُحال. فهؤلاء كذبوا الله ورسله فيما نسب الله إلى نفسه وإلى رسله بحسن عبارة، كما يقول الإنسان إذا أراد أن يتأذَّب مع شخص آخر، إذا حدَّته بحديث يرى السامع في نظره أنه ليس كما قال الخبير، فلا يقول له: كذبت، وإنما يقول له: يُصدِّق سيدي، ولكن ما هو الأمر على هذا، وإنما الأمر الذي ذكره سيدي (هو) على صورة كنا وكذا؛ فهو يكذِّبه ويجهِّله بحسن عبارة. هكذا ففعل هؤلاء المتأوِّلين.

وقسم آخر لا يقول بأنَّه نزل في العبارة إلى أفهام الناس، وإنما يقول: ليس المراد بهذا الخطاب إلَّا كذا وكذا، ما المراد منه ما تنهيه العامة، وهذا موجود في اللسان الذي جاء به هذا الرسول. فهؤلاء أشبه حالاً² بمن تقدَّم؛ إلَّا أنَّهم متحكِّمون في ذلك على الله. فلا بقولهم هو المفهوم من اللسان، وكذلك الذي يعتقدُه عامة ذلك اللسان هو أيضًا المفهوم من ذلك؛ فما يمنع أن يكون المجموع؟ فأخطؤوا في الحكم على الله بما لم يحكم به على نفسه. فهؤلاء ما عبدوا إلَّا الإله الذي ربطط عليه عقولهم، وقيدته، وحصرته.

وقسم آخر قال: نؤمن بهذا اللفظ كما جاء من غير أن نقول له معنى، حتى نكون في هذا الإيمان في حكم من لم يسمع به، ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من إحالة مفهوم هذا الظاهر من³ هذا القول. فهذا القسم متحكِّم أيضًا بحسن عبارة، وأنَّه ردُّ على الله بحسن عبارة؛ فإنَّهم جعلوا نقوسهم حُكم نقوس لم تسمع ذلك الخطاب.

وقسم آخر قالوا: نؤمن بهذا اللفظ على حدِّ علم الله فيه وعلم رسوله ﷺ. فهؤلاء قد قالوا: إنَّ الله خاطبنا عبثاً؛ لأنَّه خاطبنا بما لا نفهم، والله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَنُ قَوْمَهُ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁴ وقد جاء بهذا؛ فقد أبان كما قال الله. لكن أبي هؤلاء أن يكون ذلك يائناً. وهؤلاء كلُّهم مسلمون.

وأما الأمر الثالث؛ فهم الذين كشف الله عن أعين بصائرهم غطاء الجهل؛ فأشهدهم آيات أنفسهم وآيات الآفاق؛ فتبيَّن لهم أنَّه الحقُّ، لا غيره. فأمنوا به، بل علموه بكلِّ وجوه، وفي كلِّ صورة. وإنَّه بكلِّ

1 من 100 ب

2 فاجعة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

3 من 101

4 [إبراهيم: 4]

شَيْءٍ مُّحِيطٌ¹ فلا يرى العارف شيئاً إلا فيه؛ فهو ظَرْفٌ إحاطة لكل شيء. وكيف لا يكون، وقد تبه على ذلك باسمه "الدهر"؛ فدخل فيه كل ما سوى الله؟ فمن رأى شيئاً لما رآه إلا فيه. ولذلك قال الصديق: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قَبْلَهُ" لأنه ما رآه حتى دخل؛ فبالضرورة يرى الحق قبل الشيء بعينه؛ لأنه يرى صدور ذلك الشيء منه. فالحق بيت الموجودات كلها؛ لأنه الوجود. وقلب العبد بيت الحق؛ لأنه وسعه؛ ولكن قلب المؤمن، لا غير.

فَمَنْ كَانَ يَنْتَ الْحَقُّ فَالْحَقُّ يَنْتَهُ فَعَيْنُ وَجُودِ الْحَقِّ عَيْنُ الْكَوَاثِنِ

وما حاز المؤمن هذه السعة إلا بكونه على صورة العالم وعلى صورة الحق، وكل جزء من العالم ما هو على صورة الحق، فمن هنا وصفه الحق بالسعة. قال أبو يزيد البسطامي في سعة قلب العارف: "لو أن العرش" يعني ملك الله "وما حواه" من جزئيات العالم، وأعيانه "مائة ألف ألف مرة" لا يبرد الحصر، إنما يريد ما لا يتناهى ولا يبلغه المدى؛ فعبر عنه بما دخل في الوجود ويدخل أبداً، "في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به". وذلك لأن قلباً وسع القديم كيف يحس بالحدث موجوداً؟ وهذا من أبي يزيد توسّع على قدر مجلسه لإفهام الحاضرين. وأما التحقيق في ذلك أن يقول: إن العارف لما وسع الحق قلبه، وسع قلبه كل شيء؛ إذ لا يكون شيء إلا عن الحق؛ فلا تتكون صورة شيء إلا في قلبه؛ يعني في قلب ذلك العبد الذي وسع الحق.

فَهُوَ الْهَيُولَى لِكُلِّ صُورَةٍ مِنْ صُورَةِ صُورَةٍ وَصُورَةٍ
وَأَنْتَ³ مَا بَيْنَ ذَا وَهَذَا أَقَامَكَ الْحَقُّ فِيهِ سُورَةٍ

وينظر إلى قول أبي يزيد ما قال الجنيد: "إنّ الحدث إذا قُرِنَ بالقديم لم يبق له أثر". إلا أنّ قول الجنيد هنا أتم من قول أبي يزيد؛ فإنّ الحدث إذا قرنته بالقديم؛ كان الأثر للقديم، لا للحدث. فيتبين لك بهذه المقارنة ما هو الأمر عليه؛ وهو ما قلناه. فإنه لا يمكن أن يُجهل الأثر؛ وإنما كان قبل هذه المقارنة ينسب إلى الحدث؛ فلما قرنته بالقديم رأى الأثر من القديم، ورأى الحدث عين الأثر؛ فقال ما قال.

ولا نشك، بعد أن تقرر هذا، أنّ الخليل إبراهيم عليه السلام بهذه المثابة، هو والرسول قد وسع قلبه الحق. فجعله تعالى - مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وما دخله. لأنه لو دخله؛ لوسّع البيت المعمور الحق؛ لأنه

1 [صلى: 54]

2 ص 101 ب

3 ص 102

4 "إلا أنّ... أبي يزيد" مائة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.

قد وَبَّعَ مَنْ وَبَّعَهُ. وهي إشارة، لا حقيقة؛ فَإِنَّ جِسْمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْصُورٌ بِـ"حَبْرُونَ"¹ بِلَا شَكٍّ، فَمَا نَزِيدُ إِلَّا الصُّورَةَ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الْبَرْزَخِ الَّتِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ بِالْمَوْتِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: "وَأَخْلَاهُ مِنْ غَيْرِي" هُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي» يَعْنِي الْقُرْآنَ يَقْرَاهُ الْعَبْدَ «عَنْ مَسْأَلَتِي؛ أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَى السَّائِلِينَ». قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾² وَهُوَ الْقُرْآنُ وَقَالَ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾³ يَعْنِي أَهْلَ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁴ فَهُوَ الْجَامِعُ كُلِّ شَيْءٍ. فَمَنْ اعْتَقَدَ غَيْرًا؛ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلِيَ قَلْبَهُ لِلْحَقِّ. وَالنَّاسُ يَتَفَاضِلُونَ فِي الدَّرَجَاتِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَ الْعَالَمَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَفْضَلَ الْمَفَاضِلَةَ فَضْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ. أَلَا تَرَاهُ قَدْ أَعْطَاهُ تَعَالَى - أَعْنِي لِلْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْمِ "الْآخِرِ" الَّذِي لِلَّهِ، وَأَعْطَى نَفْسَهُ تَعَالَى - الْأَسْمَ "الْأَوَّلَ" فِي رِبَّةِ الْعِلْمِ بِهِ، وَجَعَلَ الْمَلِكَ مُحَاطًا بِهِ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ؟ فَمَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالْمَرَاتِبِ عِلْمٌ مَا لِلْمَلِكِ مِنَ اللَّهِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الْمَلِكُ، وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، يَأْتِي بِالْوَحْيِ مِنَ الْأَسْمِ "الْأَوَّلِ" الَّذِي لِلَّهِ إِلَى الْعَبْدِ الْكَامِلِ الرَّسُولِ، النَّازِلِ فِي مَنْزِلِ الْأَسْمِ الْإِلَهِيِّ "الْآخِرِ" وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾⁵ فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ فِي الشَّهَادَةِ تَوْحِيدِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَوَّلُوا الْعِلْمَ﴾؛ وَهِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ. فَلَمَّا الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ، وَالْمَلِكُ (هُوَ) مَا بَيْنَهُمَا، وَهَكَذَا كَانَ أَمْرُ الْوُجُودِ.

فَالْأَوَّلِيَّةُ لِلْحَقِّ، ثُمَّ أَوْجَدَ الْمَلِكُ، ثُمَّ أَوْجَدَ الْإِنْسَانُ؛ وَأَعْطَاهُ الْخِلَافَةَ، وَلَمْ يَعْطِهَا الْمَلِكُ لِأَنَّ الْوَسْطَ لَهُ، وَكُلَّ وَسْطٍ فَهُوَ مُحَاطٌ بِهِ، فَافْهَمْ. فَصُورَةُ فَضْلِ الْمَلِكِ⁷ عَلَى الْإِنْسَانِ بِمَا آتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ قَاطِعٍ عَلَى النُّفُضِيَّةِ؛ فِي الْعَقْلِ وَفِي اللِّسَانِ. كَمَا أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي رِبَّةِ الِاتِّعَالِ عَنْ حَرَكَةِ الْأَفْلَاقِ، وَقَبُولِ التَّكْوِينِ الَّذِي فِي الْعُنَاصِرِ. فَمَا تَمَّ إِلَّا وَجْهُ خَاصَّةً، مَا تَمَّ وَجْهُ مُحِيطٌ. فَمَنْ وَجَّهٌ يَفْضُلُ، وَمَنْ وَجَّهٌ يَكُونُ مَفْضُولًا. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁸.

1 "حَبْرُونَ" مضاف في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب. وفوقها ثلاث كلمات صغيرة الحجم هي: "اسم قرية دبره". و"حَبْرُونَ" هو الاسم القديم لمدينة الخليل في جنوبي القدس وبها الحرم الخليلي قبر إبراهيم عليه السلام ومشاهد أثرية أخرى. [تعريف بالأماكن الواردة في البداية ونهاية لابن كثير - (1 / 443)]

2 ص 102 ب

3 [المحجر : 9]

4 [النحل : 43]

5 [الأنعام : 38]

6 [آل عمران : 18]

7 ص 103

8 مستنبط من الآية الكريمة: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ" [غافر : 57]

9 [الأحزاب : 4]

الباب السادس وأربعائة
في معرفة منازلة: ما ظهر مني شيء لشيء،
ولا ينبغي أن يظهر

لَوْ ظَهَرْنَا لِلشَّيْءِ كَانَ سَوَانَا وَسَوَانَا مَا تَمَّ؛ أَيْنَ الظُّهُورُ؟
أَنْتَ غَيْرُ الْوُجُودِ مَا تَمَّ غَيْرٌ وَلِهَذَا أَنَا الْإِلَهِ الْغَيُورُ
لَا تُقُلْ يَا غَنِيْدُ: إِنَّكَ أُنِّي أَنَا بَاقٍ وَأَنْتَ فَانٍ بِمُورُ
كُلِّ وَثْبٍ فَأَنْتَ خَلَقْتَ جَدِيْدُ وَلِهَذَا لَكَ الْفَنَاءُ وَالشُّمُورُ

يقول¹ الحق: "ما تم شيء أظهر إليه؛ لأنني عين كل شيء؛ فما أظهر إلا لمن ليست له شبيبة الوجود. فلا تراني إلا الممكنات في شبيبة ثبوتها؛ فما ظهرت إليها؛ لأنها لم تزل معدومة، وأنا لم أزل موجوداً؛ فوجودي عين ظهوري، ولا ينبغي أن يكون الأمر إلا هكذا. ولما كانت الأحكام فيما ظهر (هي) لأسماي، وفي نفس الأمر لأعيان الممكنات؛ والوجود عيني، لا غيري، وفصلت الأحكام الإمكائية الصور في العين الواحدة، كما يقول أهل النظر في تفصيل الأنواع في الجنس، وتفصيل الأشخاص في النوع؛ كذلك تفصيل الصور الإمكائية في العين؛ وترى الأسماء أنا مستأها أعني الأسماء الحسنی- فتجعل الأثر لها. وفي الحقيقة ما الأثر إلا لأعيان الممكنات؛ ولهذا ينطلق على الصور أسماء الممكنات.

ومن أسماء الممكنات أسماء الله، فلها نسبتان: نسبة إلى الله تعالى، ونسبة إلى صور الممكنات. فالحق ليس بظاهر لأعيان صور الممكنات من حيث ما هي صور لها، لا من حيث أنها ظهرت في عين الوجود الحق. والشيء إذا كان في الشيء يمثل هذه الكينونة من القرب؛ لا يمكن أن يراه. فلا يمكن أن² يظهر له، كما نراه في الهواء؛ ما منعنا من رؤيته إلا القرب المفرط. فلا يمكن أن نراه، ولا يمكن أن يظهر لنا عادة. فلو تباعد منا لرأيناه، ومن الحال بعد الصور عن العين التي توجد فيها؛ لأنها لو فارتقتها انصدمت، كما هو الأمر في نفسه؛ فإن الصور في هذه العين تنعدم، وهي (في لبس من خلق جديد)³.

1 ص 103 ب

2 ص 104

3 [ق: 15]

فالممكنات، من حيث أن لها الأسماء الإلهية، وهابئة هذه الصور الظاهرة، بعضها لبعض في عين الوجود. لما أظهرت هذه الأعيان الممكنات صورةً إلا بالأسماء الإلهية من قائل، وقادر، وخالق، ورازق، ومحبي، ومبني، ومعز، ومذل، وأما الفنى والعزة فهي للذات¹. ففناها لها² بكونها تعطى هذه الصور، ولا تقبل العطاء لما تعطيه حقيقة ذاتها. وأما العزة لها، فإن هذه الصور لا تعطى، ولا تؤثر فيها علما بما تستفيد³ في حال وجودها بعضها من بعض؛ فإن الأعيان هي المعطية لهذه الصور تلك العلوم التي استفادتها بالأسماء الإلهية. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَقْلَمَ﴾⁴ وهو العالم بلا شك. فالحق عالم، والأعيان عالمة ومستفيدة، والعلم إنما هو عين الصور، واستفادتها من الأسماء الإلهية⁵ التي أعطتها أعيان الممكنات العلوم بها.

ومن هنا تعلم حكم الكثرة والوحدة، والمؤثر والمؤثر فيه والأثر، ونسبة العالم من الله، ونسبة تنوع الصور الظاهرة، وما ظهر ومن ظهر، وما بطن ومن بطن، وحقيقة ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾⁶ وأنها نعوت لمن له الأسماء الحسنى. فتحقق ما ذكرناه في هذا الباب، فإنه نافع جداً؛ يحوي على أمر عظيم لا يقدر قدره إلا الله.

فإن عرف هذا الباب عرف نفسه؛ هل هو الصورة؟ أو هو عين واهب الصورة؟ أو هو عين المين الثابتة الممكنة التي لها عدم من ذاتها؟ ومن عرف نفسه عرف ربه ضرورة. لما يعرف الحق إلا الحق؛ فلا تقدم ولا تأخر؛ لأن الممكن في حال عدمه ليس بمتأخر عن الأزل المنسوب إلى وجود الحق؛ لأن الأزل كما هو واجب لوجود الحق، هو واجب لعدم الممكن، ولبوته، وتعيينه عند الحق. ولولا ما هو متعين عند الحق، يميز عن ممكن آخر؛ لما خصه بالخطاب في قول "كن".

ومن عرف هذا الباب عرف من يقول: "كن"، ولين يقال: "كن"، ومن يتكلم عن قول "كن"، ومن يقبل حكم الكاف والنون. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁷.

1 "فهي للذات" هابئة في الهامش.

2 مضافة في الهامش مع إشارة التصويب.

3 في "تثنيده" ووفقها كتبت "تثنيده" بقلم آخر مع إشارة التصويب.

4 [محمد : 31]

5 ص 104 ب

6 [الحديد : 3]

7 [الأحزاب : 4]

الباب¹ السابع وأربعائة

في معرفة منازل: في أسرع من الطرفة تختلس مني
إن نظرت إلى غيري؛ لا تضعني ولكن لضعفك

يَلْعَبُ النَّهْرُ كَيْفَ شَاءَ بِنَابِيَةِ	الْبَغَاتِ الْمُضَلِّي عَيْنِ اخْتِلَابِيَةِ
وَأَنَاسِ الزَّمَانِ عَيْنِ أَنَابِيَةِ	وَهُوَ النَّهْرُ وَالْمَشِيتَةُ مِنْهُ
وَقُلُوبِ الرِّجَالِ عَيْنِ لِيَابِيَةِ	كُلُّ شَيْءٍ لَهُ لِيَاسٌ مُسْتَوِي
بُجُودِي كَالظَّنِّي عِنْدَ كِنَابِيَةِ ²	وَأَنَا صُورَةٌ لَهُ ثُمَّ يَخْفَى
يَتَعَالَى عَنْهَا بِأَصْلِ أَنَابِيَةِ	لِحُدُودِ قَامَتْ بِصُورَةٍ كَوْنِي

دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز بأغرناطة من بلاد الأندلس، وكان من أهل باغة، وهو من أكبر من لقبته في طريق الله. فقال لي: يا أخي؛ الرجال أربعة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا³﴾ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا تَتَّبِعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ⁴﴾ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ⁵﴾، ﴿وَأُذُنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا⁶﴾ يريد على أرجلهم لا يركبون، ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ⁷﴾.

فأراد بالرجال الأربعة حصرة المراتب؛ لأنه ما تم إلا رسول، ونبي، وولي، ومؤمن. وما عدا هؤلاء الأربعة فلا اعتبار لهم من حيث أعيانهم؛ لأن الشيء لا يعتبر إلا من حيث منزلته، لا من حيث عينه الإنسانية. (فالإنسانية)⁸ واحدة العين في كل إنسان. وإنما يتفاضل الناس بالمنازل، لا بالعين. حتى في الصورة: من جميل، وأجل، وغير جميل. ولهذا ما جاء في ذكر الرجال بأكثر من أربعة. فما أراد بالأربعة إلا ما ذكرناه، وما أراد بالرجال في هذه الآيات الذكران خاصة، وإنما أراد هذا الصنف الإنساني: ذكرنا كان

1 من 105

2 الكناس: موضع في الشجر يستتر فيه الظلي.

3 [الأنبياء : 7]

4 من 105 ب

5 [البور : 37]

6 [الأحزاب : 23]

7 [الحج : 27]

8 [الأعراف : 46]

9 لم ترد في ق وأنتهاها من ه، س

أو أشي.

ولما قلت له في قوله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾¹: "المراد به مَنْ أتى ماشيا على رجله". قال ﷺ: "الرجل لا يكون محمولا، والراكب محمول". فعلمتُ ما أراد؛ فإنه قد علم أن رسول الله ﷺ ما أسري به إلا محمولا على البراق. فسلمت إليه ما قال، وما أعلمته ﷺ أن البقاء على الأصل هو المطلوب لله من الخلق. ولهذا ذكره تعالى - بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾² يعني موجودا. يقول له: ينبغي لك أن تكون رَأْنَتْ في وجودك- من الحال معي، كما كنت رَأْنَتْ في حال عدمك- من قبولك لأوامري، وعدم اعتراضك. يأمره بالوقوف عند حدوده ومراسمه: فينتكّم حيث رسم له أن يتكّم، ويتكّم بما أمره به أن يتكّم؛ فيكون سبحانه- هو المتكّم بذلك على لسان عبده، وكذلك في جميع حركاته وسكناته، وأحواله الظاهرة والباطنة؛ لا يقول في وجوده: إني موجود؛ بل يرى نفسه على صورته في حال عدمه.

هذا مراد الحقّ منه بالخطاب؛ فهو محمول بالأصالة؛ غير مستقلّ. فإنّ الحدث لا يستقلّ بالوجود من غير المرجّح؛ فلا بدّ أن يكون محمولا. ولهذا ما أسري برسولٍ قطّ إلا على براق؛ إذا كان إسراء جسميًا محسوسا، وإذا كان بالإسراء الحيائي الذي يعبر عنه بالرويا؛ فقد يرى نفسه محمولا على مركب، وقد لا يرى نفسه محمولا على مركب؛ لكن يعلم أنّه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها؛ إذ قد علمنا أنّ جسمه في فراشه وفي بيته نائم، فاعلم ذلك.

وأما ما ذهب إليه الشيخ من الاستقلال وعدم الركوب؛ فذلك هو الذي يُخَنَّر منه؛ فإنه الاختلاس الذي ذكرنا. فإنّ العبد هنا اختلست نفسه بالاستقلال، وهو في نفسه غير مستقلّ. فأخذ ذلك الاختلاس من يد الحقّ؛ فتخيّل أنّه غير محمول؛ فلم يعرف نفسه. ومن لم يعرف نفسه تجمل ربه. فكان الغير، هنا، الذي نظر إليه عين نفسه؛ وذلك لضعفه في العلم بالأصل الذي هو عليه. ولا شك أنّ مرتبة الرسل عليهم السلام- قد جمعت جميع مراتب الرجال من نبوة، وولاية، وإيمان؛ وهم المحمولون. فمن ورثهم، كان محمولا؛ يعلم ذلك من نفسه. وإنما قلنا: "يعلم ذلك من نفسه" لأنّ الأمر في نفسه أنّه محمول ولا بدّ، ولكن من لا علم له بذلك يتخيّل أنّه غير محمول؛ فلهذا قُتِدنا.

1 [الحج: 27]

2 [مریم: 9]

3 ص 106

4 ص 106 ب

وفي قوله (تعالى): ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فالذي دعاهم قال لهم: قولوا ﴿وَأَيْتَاكَ نَشْتَعِينُ﴾¹ وقال لهم: ﴿اَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاضْبِحُوا﴾² وكلّ معنى محمول بلا شك. فإنه غير مستقل بالأمر؛ إذ لو استقلّ به لما طلب العون والمعين.

وقوله ﷺ (في الآية): ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾³ فهم، في تجارتهم، في ذكر الله؛ لأن التجارة على الحدّ المرسوم الإلهي (هي) من ذكر الله، كما قالت عائشة عن رسول الله ﷺ: «إنّه كان يذكر الله على كلّ أحيانه» مع كونه يمارح العجوز والصغير، وكلّ ذلك عند العالم ذكر الله؛ لأنّه ما من شيء إلّا وهو يذكر بالله. فمن رأى شيئاً لا يذكر الله رائيّه عند رؤيته؛ فما رآه؛ فلنّ الله ما وضعه في الوجود إلّا مذكراً. فلمّ تُلْهِيمُ التجارة⁴ ولا البيع عن ذكر الله.

وكذلك: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾⁵ في أخذ الميثاق الذي أخذ الله عليهم، فوفوا به. وقيل فيهم: ﴿صَدَقُوا﴾ لأنهم غالبوا فيه وفي الوفاء به، الدعاوى المركوزة في النفوس التي أخرجت بعض من أخذ عليه الميثاق، أو أكثره، عن الوفاء بما عاهد عليه الله. فليس الرجل إلّا من صدق مع الله، في الوفاء بما أخذ عليه، كما صدق النبيّ فيما أخذ عليه الله في ميثاق النبيّ والمرسلين.

وقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾⁶ وهم أعظم الرجال في المنزلة؛ فإنّ لهم الاستشراف على المنازل. فما أشار بالأعراف هنا، هذا الشيخ، (إلى) من تساوت حسناته وسيئاته، وإنما أخذه من حيث منزلة الاستشراف. فإنّ الأعراف هنا- هو السور الذي بين الجنة والنار؛ ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾⁷ وهو الذي يلي الجنة ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ وهو الذي يلي النار. فجعل النار من قبليّ أي تقابله، والمقابل ضدّ. فلم يجعل السور محلاً للعذاب، وجعله محلاً للرحمة بقوله: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ فأنظر ما أعجب تنبيه الله عباده بحقائق الأمور على ما هي عليه، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁸.

[الفاتحة : 5] 1

[الأعراف : 128] 2

[النور : 37] 3

ص 107 4

[الأحزاب : 23] 5

[الأعراف : 46] 6

[الحديد : 13] 7

[الأعراف : 187] 8

فأهل الأعراف في محل رحمة الله؛ وذلك هو الذي أطعمهم في الجنة، وإن كانوا بقُد ما دخلوها. ثم¹ ذكر أن لهم المعرفة بمقام الخلق فقال: ﴿يَتَرَفُّونَ كُلًّا بِسِمَاتِهِمْ﴾² أي: بما جعلنا فيهم من العلامة، وقوله: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ فإنهم في مقام الكشف للأشياء. فلو دخلوا الجنة؛ استتر عنهم بدخولها فيها وسترهم؛ لأنها جنة عن كشف ما هم له كاشفون. وقولهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحية إقبال عليهم لمعرفتهم بهم، وتحية لاضرافهم عنهم إلى جناتهم.

يقول الله: ﴿اسْتَغِيثُوا بِاللهِ﴾³ ويقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»، ومعلوم أن الاستعانة بشرك في العمل. فإن كان العمل له؛ فأين العبد؟ وإن كان للعبد؛ فقد أشرك نفسه. فاخطلسه هذا القدر من توحيد الأفعال. فمن علم أن العبد محل لظهور العمل؛ فلا بد منه، ولا بد من القبول إن قيل إنه تعالى- أوجد العبد والعمل. فلو لم يكن العبد قابلاً لإيجاد "القادر" إياه؛ لما وُجد، دليلاً الحال. فلا بد من قبول الممكن، فلا بد من الاشتراك في الإيجاد: إن كان في إيجاد العبد فلا بد منه، وإن كان في إيجاد العمل التكليفي فلا بد من العبد؛ فعلى كل حال لا بد منك ومنه. إلا أنك منعوت بالضعف، فقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾⁴ تكون الممكن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الترجيح⁵ على كل حال ﴿وَمَنْ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ للتكليف، إلا أنه لا يستقل؛ فأمر بطلب المعونة. فلو لا أن للمكلف نسبة وأثر في العمل؛ ما صح التكليف، ولا صح طلب المعونة من ذي القوة المتين. فإن شئت سميته أنت ذلك القدر من الاشتراك: كسباً، وإن شئت سميته: خلقاً، بعد أن عرفت المعنى.

وأما أهل الله، أرباب الكشف، فكما قلنا: إن ذلك كله أحكام أعيان الممكنات في العين الوجودية الظاهرة في الصور، عن آثار الأسماء الإلهية الحسنى، من حيث أن الممكن متصف بها. فهي للحق أسماء، وهي للممكن نعوت وصفات في حال عدم الممكن؛ لأن وجود عينه من حيث الحقيقة- قد يتأثر أنه لا يتصور. فما استفاد الممكن إلا ظهور أحكامه بوجود الصور التي تتبعها أسماء الممكنات. فكما أن أسماء الله الحسنى للممكن على طريق النعوتية، كذلك الأسماء الكونية التي تطلق على الصور الكائنة في عين الوجود، هي أسماء للعين الوجودية.

1 من 107 ب

2 [الأعراف : 46]

3 [الأعراف : 128]

4 [الروم : 54]

5 من 108

قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ¹﴾ في معرض الدلالة. فإذا ستموهم، قالوا: هذا حَجَرٌ، هذا شَجَرٌ، هذا كَوْكَبٌ. والكل اسمٌ عبيد. ثم أبان الحق تعالى - ذلك كله² ليعقل عنه، فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ³﴾ فقلتم عن العين من أجل الصورة: إنها حجر، أو شجر، أو كوكب، أو أي اسم كان، من المعبودين الذين ما لهم اسم "الله".

فما قال أحد من خلق الله: "أنا الله" إلا الله المرقوم في القراطيس إذا نطق يقول: "أنا الله". فتعلم عند ذلك ما معنى قوله: "أنا الله" وأنه حق أعني: هذا القول في ذلك اللسان المصطلح عليه. ويقوله أيضا العبدُ الكامل الذي الحق لسانه، وسمعه، وصره، وقواه، وجوارحه. كأبي يزيد وأمثاله. وما عدا هذين، فلا يقول: "أنا الله" وإنما يقول الاسم الخاص الذي له في ذلك اللسان، فاعلم ذلك. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁴﴾.

1 [الرعد : 33]

2 ص 108 ب

3 [النجم : 23]

4 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن وأربعائه

في معرفة منازلة: يوم السبت

خُلِّ عَنْكَ مَتَرُ الْجَدِّ الَّذِي شَدَّدْتَهُ، فَقَدْ فَرَّغَ الْعَالَمُ مِنِّي وَفَرَّغَتْ مِنْهُ.

فَرَّغْنَا مِنَ الْأَجْنَاسِ فَالْحَلْقُ خَلَقْنَا	وَقَدْ بَقِيََتْ أَشْخَاصُهَا تَكُونُ
مَدَى ¹ الْجُودِ وَالْأَنْفَاسِ فَالْأَمْرُ دَائِمٌ	إِلَى غَيْرِ غَايَاتٍ لَهُ تَقَعَيْنُ
هُوَ الْعَايَةُ الْقُضْوَى فَلْيَنْسُتْ نِهَايَةً	سِوَاهُ فَهَذَا حَقُّهُ الْمُتَقَرَّنُ
أَنَا الْبَدءُ لَا عَوْدَ تَرَاهُ لِأَنَّهُ	هُوَ الْوَاسِعُ الْمُخْتَارُ بِي فَتَبَيَّنُوا
أَنَا أَوَّلُ بِالْقُضْدِ فَالْكُونُ كَوْنُنَا	وَأَخِرُ مَوْجُودٍ أَنَا يَتَقَرَّنُ
كُلُّوا طَلِيَّاتِ الرِّزْقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	فَمِنْ أَجْلِنَا بَانُوا وَلِلَّهِ كَوْنُوا

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُونَ فِي السَّبْتِ﴾² فنقول من باب الإشارة لا من باب التفسير: "يتجاوزون بالراحة خدوها" وهذا سمي السبت سبتا. فلما خلق الله العالم في ستة أيام؛ بدأ به يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة وما منه من لغوب، ولم يمي بخلقه الخلق. فلما كان يوم السبت من الأسبوع، وفرغ من العالم؛ كان يشبه المستريح الذي منه اللغوب؛ فاستلقي ووضع إحدى³ رجله على الأخرى، وقال: «أنا الملك» كذا ورد في الأخبار النبوية. فسعي: يوم السبت؛ يريد: يوم الراحة.

وهو يوم الأبد؛ ففيه تتكون أشخاص كل نوع؛ دنيا وآخرة. فما هي إلا سبعة أيام، لكل يوم والي ولأه الله، فاتهى الأمر إلى يوم السبت. فولى الله أمره والياء، له الإمساك والثبوت؛ فله إمساك الصور في الهباء. فنهاز هذا اليوم -الذي هو يوم الأبد- لأهل الجنان، وليله لأهل النار؛ فلا مساء لنهاره، ولا صباح لليلة.

وما رأينا أحدا اعتبر هذا اليوم إلا أحمد⁴ السبتي بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين. وذلك أني كنت

1 ص 109

2 [الأعراف: 163]

3 ص 109 ب

4 ق: "محمد" وأبقاه باسمه المعلوم "أحمد" والذي ذكره الشيخ هكنا في السفر التاسع والحادي عشر وفي بداية هذا الباب.

يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بمكة، قد دخلت الطواف؛ فرأيت رجلاً حسن الهيئة، له هيئة ووقار، وهو يطوف بالبيت أمامي. فصرفت نظري إليه عسى أعرفه، فما عرفته في الجوارين، ولم أر عليه علامة قادم من سفر؛ لما كان عليه من القضاة والنضارة. فرأيت يمر بين الرجلين المتلاصقين، ويعبر بينهما، ولا يفصل بينهما، ولا يشعران به. فجعلت أتبع بأقدامي مواضع وطلأت أقدامه؛ ما يرفع قدماً إلا وضعت قدمي في موضع قدمه، وذهني إليه، وصري معه؛ لئلا يفوتني. فكنت أمرُّ بالرجلين المتلاصقين¹ اللذين يمرُّ هو بينهما؛ فأجوزهما في أثره كما يجوزهما، ولا أفصل بينهما. فتمجّبت من ذلك!.

فلما أكل أسبوعه²، وأراد الخروج؛ مسكته، وسلمت عليه. فردّ عليّ السلام، وتبسم لي، وأنا لا أصرف نظري عنه مخافة أن يفوتني؛ فأبى ما شككت فيه أنه روح تجسّد، وعلمت أنّ البصر يقيده. فقلت له: إني أعلم أنك روح متجسّد. فقال لي: صدقت. فقلت له: فمن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا السبتي ابن هارون الرشيد. فقلت له: أريد أن أسألك عن حال كثر عليه في أيام حياتك في الدنيا. قال: قل. قلت: بلغني أنك ما سُميت السبتي إلا لكونك كمت تحترف كلّ سببٍ بقدر ما تأكله في بقية الأسبوع. فقال: النبي بلغك صحيح، كذلك كان الأمر. فقلت له: فلم خصّصت يوم السبت دون غيره من الأيام؛ أيام الأسبوع؟. فقال: نعم ما سألت. ثم قال لي: بلغني أنّ الله ابتداء خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة فلما كان يوم السبت استلقى، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: «أنا الملك». هنا بلغني في الأخبار وأنا في الحياة الدنيا، فقلت: والله؛ لأعملن على هذا. ففترغت لعبادة الله من يوم الأحد إلى آخر الستة الأيام؛ لا أشتغل بشيء³ إلا بعبادته تعالى، وأقول: إنه تعالى - كما اعتنى بنا في هذه الأيام الستة، فأبى أنفرغ إلى عبادته فيها، ولا أمرجها بشغل نفسي؛ فإذا كان يوم السبت أنفرغ لنفسي. وأحصل لها ما يقوتها في باقي الأسبوع كما روينا من إلقاء إحدى رجليه على الأخرى وقوله: «أنا الملك». الحديث. وفتح الله لي في ذلك.

فقلت له: من كان قطب الزمان في وقتك؟ فقال: أنا، ولا غير. قلت له: كذلك وقع لي التعرف. قال: صدّقك من عرفك. ثم قال لي: عن أمرك؛ يهدد المفارقة. قلت له: ذلك إليك. فسلم عليّ سلام محبٍّ وانصرف. وكان بعض أصحابي والجماعة في انتظاري؛ لكونهم كانوا يشتغلون عليّ بـ"إحياء علوم الدين"

1 ص 110

2 أسبوعه: طوافه

3 ص 110 ب

للفزالي رحمه الله-. فلما فرغنا من ركعتي الطواف، وجئت إليهم، قال لي بعضهم، وهو نبيل بن خزر بن خزرون السبتي: رأيناك تكلم رجلا غريبا، حسن الوجه، وسميّا، لا نعرفه في الجاورين؛ من كان؟ ومتى جاء؟ فسكت ولم أخبرهم بشيء من شأنه إلا بعض إخواني، فلأني أخبرتهم بقصته؛ فتمجّبوا لذلك.

واعلم أيّدنا الله وإياك- أنّ الفراغ الإلهي إنما كان من الأجناس في السقّة الأليام، وأمّا أشخاص الأنواع فلا. فبقي الفراغ بالأزمان، لا عني الأشخاص¹، وهو قوله تعالى: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ²﴾ من الشئون التي قال فيها ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ³﴾ في هذه الدنيا؛ فيفرغ لنا متا. وتنقل الشئون إلى البرزخ والنار الآخرة. فلا يزال الأمر من فراغ إلى فراغ، إلى أن يصل ألوان عموم الرحمة التي وسعت كل شيء؛ فلا يقع بعد ذلك فراغ، يحده حال ولا يميّزه؛ بل جود مستمر، ووجود ثابت مستقر إلى غير نهاية في العارين: دار الجنة، ودار النار. هكذا هو الأمر في نفسه.

ففراغه من العالم (هو) هنا القدر الذي ذكرته آنفا، وفراغ العالم منه (هو) من حيث الدلالة عليه، لا غير. وأمّا الوهب من العلم به، فلا يزال دائما؛ لكن عن غير طلب في الآخرة- مقال⁴. لكن التجلي دائم، والقبول دائم. فالعلم متجدد الظهور لي على البوام ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁵﴾.

1 ص 111

2 (الرحمن : 31)

3 (الرحمن : 29)

4 تاجة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

5 (الأحزاب : 4)

الباب التاسع وأربعائة
في معرفة منازلة: أسمائي حجاب عليك،
فإن رفعتها وصلت إلي

ججائبك أَسْمَاءَ لَكُمْ وَنُفُوثُ	وَأَغْيَانُنَا أَكْوَاشُنَا فَتَقُولُ
لَنَا ¹ النُّوْلَةُ الْفَرَاءُ لَيْسَتْ لِفَعْرِنَا	وَلَا غَيْرُ إِلَّا رَبَّنَا فَتَقُولُ
عَلَى مَنْ فَحَقَّقْ مَا تَقُولُ وَإِنَّمَا	يَقُولُ هَذَا ظَالِمٌ وَخَمُولُ
فَكُلُّ مَقَالٍ فِيهِ غَيْرٌ مُفِيدُ	فَكُلُّ مَقَالٍ لِي إِلَيْهِ تَقُولُ
فَلَا تَرْفَعِ الْأَسْتَارُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	فَذَاكَ وَجُودٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح منه- أن الإنسان، وإن كان في نفس الأمر عبداً، ويجد في نفسه ما هو عليه من العجز، والضعف، والافتقار إلى أدنى الأشياء، والتألم من قرصة البرغوث، ويعرف هذا كله من نفسه ذوقاً؛ ومع هذا فإنه يظهر بالرياسة والتقدم. وكلما تمكن من التأثير في غيره؛ فإنه يؤثر، ويجد في نفسه طلب ذلك كله وحبّه؛ وذلك لأنه خلقه الله على صورته. وله تعالى- العزة، والكبرياء، والعظمة. فسرت هذه الأحكام في العبد؛ فإنها أحكام تتبع الصورة التي خلق الإنسان عليها، وتستلزمها.

فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على² الصورة عن الفقر، والذلّة، والعبودية. وإذا وجدوا هذا الأمر الذي اقتضاه خلقهم على الصورة ولا بد؛ ظهروا به في المواطن التي عين الحق لهم أن يظهروا بذلك فيها، كما فعل الحق الذي له هذه الصفة ذاتية نفسية. فلا يظهر بها إلا في مواطن مخصوصة، ويظهر بالتزول، والتجّيب إلى عبادته حتى كأنه فقير إليهم في ذلك، ويقم نفسه مقامهم.

وإذا كان الحق بهذه الصفة أن ينزل إليكم في صوركم، فأنتم أحقّ بهذا النعمت أن لا تبرحوا فيه، ولا تنظروا إلى ما تجذونه فيكم من قوة الصورة. فذلك له، لا لكم، كما أن لكم ما نزل إليكم فيه، لا له. ولولا أن أسمائه الحسنی قامت بكم واتصفتم بها، ما تمكّن لكم ذلك. فزكّوا أسمائه على صورته، لا عليكم. وخذوا منه ما نزل لكم فيه، فإن ذلك تثكم وأساؤكم. فإنكم إذا فعلتم ذلك وصلتم إليه، أي كنتم من أهل القرية؛ فإن

1 ص 111 ب

2 ص 112

المقرب لا ينبغي له القرب، والجلوس مع الحق، والتحدث معه تعالى- اسماً إلهياً من الأسماء المؤثرة في العالم، ولا من أسماء التنزيه. وإنما يدخل عليه بالنزلة؛ لشهود عِزّه، وبالفقر؛ لشهود غناه، وبالتهنئ؛ لنفوذ قدرته. فينخلع من كل الأسماء التي تعطيه أحكام الصورة التي خُلق عليها.

هذا مذهب سادات أهل الطريق، حتى قالوا في ذلك: "لَنْ صَادِقِينَ لَا يَصْطَحِبَانِ، إِنَّمَا يَصْطَحِبُ صَادِقٌ وَصَدِيقٌ" ولهذا ما بعث رسول الله ﷺ بمثاق قط، ولو كان اثنين؛ إِلَّا قَدَّمَ أَحَدَهُمَا، وجعل الآخر تبعاً. وإن لم يكن كذلك قَسَدَ الأمر والنظام. وهو متّبع في ذلك حكم الأصل، فإنه لو كان مع الله إله آخر لنفس الأمر والنظام، كما قال (تعالى): ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾². فمن أراد صحبة الحق فليصحبه بحقيقته وجِبَلِيّته؛ من ذلّه وافتقاره. ومن أراد صحبة الخلق فليصحبه بما شرع له ربه، لا بنفسه، ولا بصورة ربه؛ بل كما قلنا: بما شرع له. فيطلي كل ذي حقّ حقّه؛ فيكون عبداً في صورة حقّ، أو حقّاً في صورة عبد؛ كيفما كان، لا حرج عليه.

ولمّا كان هذا كله مذهب أهل الله؛ كشف الله لنا من زيادة العلم التي امتنّ الله بها علينا، مع مشاركتنا إياهم فيما ذهبوا إليه؛ أَنْ الله أطلعنا على أَنْ جميع ما يتوسّى به العبد، ويحقّق له النعت به، وإطلاق الاسم عليه؛ لا فرق بينه وبين ما يُنعت به من الأسماء الإلهية؛ فلكلّ أسماء إلهية. فهو في كلّ ما يظهر به بما ذكره، بما تقتضيه العبودية عندهم، والصورة ليس له، وإنما ذلك لله. وما له من نفسه سيّوى عينه، وعينه³ ما استفادته صفة الوجود إِلَّا منه تعالى؛ فما سَمَّاهُ باسمٍ إِلَّا وهو له تعالى.

فإذا خرج العبد عن جميع أسمائه كلّها التي تقتضيا جِبَلِيّته، والصورة التي خُلق عليها، حتى لا يبقى منه سيّوى عينه، بلا صفة ولا اسم سيّوى عينه؛ حينئذ يكون عند الله من المقربين. ووافقنا على هذا القول شيخنا أبو يزيد البسطاميّ حيث قال: "وأنا الآن لا صفة لي" يعني لمّا أقامه الله في هذا المقام. فصفات العبد كلّها معارة من عند الله؛ فهي لله حقيقة، ونعتنا بها؛ فقللناها أدباً على علم أنّها له، لا لنا؛ إذ من حقيقتنا عدم الاعتراض. إنما هو التسليم الناتّي المحض، لا التسليم الذي هو صفة؛ فإنّ ذلك له.

فإذا كان العبد ما عنده من ذاته سيّوى عينه؛ بالضرورة يكون الحقّ جميع صفاته، ويقول له: "أنت

1 ص 112 ب

2 [الأنبياء: 22]

3 ص 113

عبدى حقاً" فما سمع سامع في نفس الأمر إلا بالحق، ولا أنصر إلا به، ولا علم إلا به، ولا حيي، ولا قدر، ولا تحرك، ولا سكن، ولا أراد، ولا قهر، ولا أعطى، ولا منع، ولا ظهر عليه وعنه أمر ما هو عينه؛ إلا وهو الحق، لا العبد. فما للعبد سوى عينه؛ سواء علم ذلك، أو جهله.

وما فاز العلماء إلا بعلمهم بهذا القدر في حق كل ما سوى الله؛ لا أنهم صاروا كذا بعد أن لم يكونوا. فـ ﴿لِيُمِثِّلَ هَذَا فَلْيُغْنِلِ¹ الْعَامِلُونَ﴾²، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 113 ب

2 [الصفافات : 61]

3 [الأحزاب : 4]

الباب العاشر وأربعائة
في معرفة منازلة: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾¹
فاعتروا بي تسعدوا

هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُرَامُ	لَيْسَ وَزَاءُ اللَّهِ مَزْمَى لِرَامٍ
يُحْرَمُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْمَقَامِ	هَذَا مَقَامُ الْحَقِّ لَا تُنْقَضُوا
هَذَا وَجُودٌ مَا لَدَيْهِ الْهِجْرَامُ	إِذَا وَصَلْتُمْ إِخْوَتِي فَارْجِعُوا
ثُمَّ سِوَى عَيْنِ الْوِزَا وَالْأَمَامِ	رُجُوعَكُمْ مِنْهُ إِلَيْنَا فَصَا
فَلَيْسَ عِزٌّ غَيْرُ عِزِّ الْإِمَامِ	كُونُوا أَعِزَّاءَ بِهِ تُنْقَدُوا
وَلَمْ يَزُوا أَوْحَالَهُمْ فِي دَوَامِ	لَمَّا زَاوَا أَعْرَاضَهُمْ لَمْ يَحْمِ
لِذَاكَ سُمُّوا فِي السَّابِ الْأَنَامِ	قَالُوا ² : أَنَامَ الْحَقُّ عَنْ كَوْنِنَا

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾³ وقال تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ وقال
 ﷺ: «ليس وراء الله مرمى» وقال (تعالى): ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَزَائِنِهِ مُجِيطٌ﴾⁴ وما تَمَّ إِلَّا اللهُ ونحن، وهو من
 وراثتنا محيط. فليس وراء الله مرمى إِلَّا العدم المحض، الذي ما فيه حق ولا خلق. فهو تعالى - المحيط بنا.

فالوراء مثاله من كل وجهة؛ فلا نراه أبدا من هذه الآفة؛ لأنَّ وجوهنا إنما هي مقبلة مصروفة إلى
 نقطة المحيط؛ لأننا منها خرجنا؛ فلم يتمكن لنا أن نستقبل بوجوهنا إِلَّا هي. فهي قبلتنا وهي إمامنا. ومن كان
 هذا نعمته والأمر كَرِيًّا؛ فبالضرورة يكون الوراء مثالا للمحيط بنا. فإذا نظرنا إلى قوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ
 الْمُنْتَهَى﴾ فإنما يريد بظهورنا، لا بوجوهنا. فإنَّ مشيئتنا (هي) إلى المحيط التهقري؛ فهو من وراثتنا محيط؛
 لأنَّ الوجود. فلو لم يكن من وراثتنا؛ لكان انتهاؤنا إلى العدم، ولو وقعنا في العدم؛ ما ظهر لنا عين. فمن
 الحال وقوعنا في العدم؛ لأنَّ الله - هو الوجود المحض - من وراثتنا محيط بنا؛ إليه⁵ تنتهي. فيحول وجوده

1 [الجم : 42]

2 ص 114

3 [الأحزاب : 13]

4 [البروج : 20]

5 ص 114 ب

وراحطته بيننا وبين العدم.

فليس بين قوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ وبين قوله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾¹ تقابل لا يمكن معه الجمع بينهما، بل الجمع بينهما معلوم. فالعالم بين النقطة والمحيط؛ فالنقطة (هي) الأول، والمحيط (هو) الآخر. فالحفظ الإلهي يصحبنا حيثما كنا؛ فيصرفنا منه إليه. والأمر دائرة ما لها طرف يُشهد فيوقف عنده. فلهذا قيل للمحتدي الذي له مثل هذا الكشف: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾² لكون الأمر دورياً ﴿فَارْجِعُوا﴾ فلا يزال العالم ساجداً في فلك الوجود دائماً إلى غير نهاية؛ إذ لا نهاية هناك. ولا يزال وجه العالم أبداً إلى الاسم "الأول" - الذي أوجده - ناظراً، ولا يزال ظهر العالم إلى الاسم "الآخر" المحيط الذي ينتهي إليه بورائه - ناظراً؛ فإن العالم يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ولكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه؛ ولولا الاختلاف ما تميز عين، ولا كان فرقان.

وَأَنَا لَهَا قُطْبٌ فَلَنْتُ أَبْوُرُ	إِنَّ الْوُجُودَ رَحَى عَلَيَّ تَدْوُرُ
فَالْفَقْرُ نَمْتُ الْكَوْنِ فَهُوَ فَقِيرُ	لَوْ رُلْتُ مَا دَارَتْ وَلَا كَانَتْ رَحَى
أَعْلَمُ بِأَنَّكَ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ	يَا جَاهِلًا ³ بِالْأَمْرِ وَهُوَ مُشَاهِدُ
وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ فَهُوَ بَصِيرُ	الْجَمْعُ يَجْجِبُ فَرْقَهُ عَنْ غَيْبِهِ

قيل لطائفة: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾⁴ فقيل لهم حق؛ لأن الله من وراءهم محيط؛ وهو النور. فلم لم يضرب بالسور بينه وبينهم؛ لوجدوا النور الذي التمسوه، حين قيل لهم: ﴿الْتَمِسُوا نُورًا﴾ فلبق الحياة الدنيا محل اكتساب الأنوار بالتكاليف، وأنها دائر عمل مشروع؛ فهي دار ارتقاء واكتساب. فلما أقبلوا على الآخرة صارت الدنيا وراءهم، فقيل لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي لا يكون لأحد نور إلا من حياته الدنيا. فإل سؤر المنع بينهم وبين الحياة الدنيا؛ فالسور دائرة بين النقطة والمحيط.

فأهل الجنان بين السور والمحيط. فالنور من وراءهم، وباطن السور إليهم (وهو) الذي فيه الرحمة، ووجه السور الذي هو ظاهره - ينظر إلى قطة المحيط. وأهل النار بين النقطة وظاهر السور ﴿وَوَظَاهِرُهُ

1 [البروج : 20]

2 [الأحزاب : 13]

3 ص 115

4 [الحديد : 13]

مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ¹ إِلَى الْأَجْلِ الْمَسْتَقَى. فهو حائل بين البارين، لا بين الصفتين؛ فإنَّ السور في نفسه رحمة²، وعينه عين الفصل بين البارين. لأنَّ العذاب مِنْ قَبْلِهِ، ما هو فيه، والرحمة فيه. فلو كان فيه العذاب؛ لتسرمد العذاب على أهل النار، كما تسرمد الرحمة على أهل الجنة. فالسور لا يرتفع، وكونه رحمة لا يرتفع. ولا بدَّ أن يظهر ما في الباطن على الظاهر، فلا بدَّ من شمول الرحمة لمن هو قَبْلَ ظاهِر السور. ولهذا قيل لهم: ﴿الْتَمِسُوا نُورًا﴾ فلو قيل لهم: "التمسوا رحمة" لوجدوها من حينهم بوجود السور.

فإذا أراد أهل الجنة أن يتعمقوا برؤية النار؛ يصعدون على ذلك السور؛ فينغمسون في الرحمة؛ فيطلعون على أهل النار؛ فيجدون من لثة النجاة منها ما لا يجدونه من نعيم الجنة؛ لأنَّ الأمن الوارد على الخائف أعظم لثة عنده من الأمن المستصحب له. وينظر³ أهل النار إليهم بعد شمول الرحمة؛ فيجدون من اللثة بما هم في النار، ويحمدون الله تعالى- حيث لم يكونوا في الجنة؛ وذلك لما يقتضيه مزاجهم في تلك الحالة. فلو دخلوا الجنة بذلك المزاج؛ لأدركهم الألم، ولتضرروا. فإذا عقلت (هذا) فليس النعيم إلَّا الملائم، وليس العذاب إلَّا غير الملائم، كان ما كان. فكن حيث كنت؛ إذا لم يُصَبِّكَ إلَّا ما يلائمك فأنت في نعيم، وإذا لم يُصَبِّكَ إلَّا ما لا يلائم مزاجك فأنت في عذاب.

حُبِّبَ المواطنُ إلى أهلها، وأهل النار الذين هم أهلها: هي موطنهم، ومنها خُلِقُوا، وإليها رجعوا. وأهل الجنة الذين هم أهلها: من خُلِقُوا، وإليها رجعوا. فلثة الوطن ذاتية لأهل الوطن؛ غير أنَّهم محجوبون بأمر عارض، عرض لهم من أعمالهم؛ من إفراط وتفریط. فتغيَّر عليهم الحال؛ فحجبهم عن لثة الوطن ما قام بهم من الأمراض التي أدخلوها على أنفسهم، حتى أنَّهم لو لم يعملوا ما يوجب لهم وجود الآلام والأسقام، وحُشِرُوا من قبورهم على مزاج وطنهم، وخَبِرُوا بين الجنة والنار؛ لاختاروا النار؛ كما يختار السمك الماء، ويتَّيَّر من الهواء الذي به حياة أهل البر. فموت أهل البر بما يحيا به أهل الماء، وموت أهل الماء بما يحيا به أهل البر، فاعلم ذلك.

وأنت فلا يصحَّ لك البقاء مع الحقِّ على الدوام؛ فإنه لا بدَّ أن يقال: «رُدُّوهم إلى قصورهم» ولم يقل: «رُدُّوهم إلى بيوتهم، ولا إلى أزواجهم» فما جاء بلفظ "القصور" إلَّا للمعنى المقول منه. فإذا رُدُّوهم إلى

1 [الحديد: 13]

2 ص 115 ب

3 ق: وينظرون

4 ص 116

تصورهم، وأشرفوا على مُلكهم؛ فمن الحال أن يظهروا فيه عبيدا، وإنما يظهرون فيه ملوكا؛ فيعظمهم أهلهم، وتقوم¹ العزة عليهم في نفوسهم. فتقول لهم الحقيقة: "ليكن عزكم الذي اقتضاه لكم الموطن - بالله، لا بنفوسكم". فيعتزون في ملكهم بعز الله؛ فتكون ﴿العِزَّةُ لِلَّهِ﴾² بالأصالة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾³ خلعة إلهية، لا بالأصالة.

فيسعدون بهذا العلم عند الله، ويجدون في التجلي المستأنف؛ مع أن العلماء بالله لا يزالون في تجلٍ دائما؛ لَمَّا علموا أن الحقَّ عينُ كلِّ صورة. ومع هذا فلهم التجلي العام في الكتيب؛ فإنَّ ذلك يعطي ذوقا آخر خلاف هذا النوق الذي يجدونه دائما ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

انتهى السفر الثامن والعشرون بانهاء الباب العاشر وأربعمئة، يتلوه السفر التاسع والعشرون، الباب الأحد عشر وأربعمئة في معرفة منازلة: فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار يخافوا الكتاب ولا تخافوني؛ فإني وإياكم على السواء.⁵

1 ص 116 ب

2 [النساء : 139]

3 [الناظرين : 8]

4 [الأحزاب : 4]

5 وفي الهامش ما يلي: "عروضت بالنسخة الأولى بحلب، وتم ذلك تاسع ربيع الأول سنة أربعين وستمئة، والمحمد لله" وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية

الفهارس

لهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
87ب	2	1	الفاتحة	5ب	7	3	آل عمران
97	2	1	الفاتحة	33	7	3	آل عمران
17ب	5	1	الفاتحة	39ب	7	3	آل عمران
81	5	1	الفاتحة	39ب	7	3	آل عمران
106ب	5	1	الفاتحة	102ب	18	3	آل عمران
56	7	1	الفاتحة	24	97	3	آل عمران
56ب	7	1	الفاتحة	56ب	159	3	آل عمران
56	3-1	1	الفاتحة	25ب	181	3	آل عمران
14ب	29	2	البقرة	26ب	181	3	آل عمران
86	30	2	البقرة	49ب	80	4	النساء
88	30	2	البقرة	55ب	80	4	النساء
66	31	2	البقرة	76ب	80	4	النساء
88ب	32	2	البقرة	54	89	4	النساء
63ب	74	2	البقرة	73ب	100	4	النساء
95ب	106	2	البقرة	40ب	113	4	النساء
33	115	2	البقرة	50ب	113	4	النساء
40ب	115	2	البقرة	96	113	4	النساء
10ب	164	2	البقرة	116ب	139	4	النساء
6	175	2	البقرة	66	171	4	النساء
33	184	2	البقرة	81	2	5	المائدة
40ب	184	2	البقرة	78	3	5	المائدة
44ب	186	2	البقرة	26ب	64	5	المائدة
94ب	186	2	البقرة	71	110	5	المائدة
95ب	211	2	البقرة	6	117	5	المائدة
96	211	2	البقرة	86	117	5	المائدة
17ب	285	2	البقرة	89ب	118	5	المائدة
29ب	6	3	آل عمران	59	35	6	الأضام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
109	163	7	الأعراف
10	185	7	الأعراف
107	187	7	الأعراف
5	17	8	الأفال
5	17	8	الأفال
54	17	8	الأفال
55	21	8	الأفال
55	23	8	الأفال
55	24	8	الأفال
91	61	8	الأفال
18	75	8	الأفال
7	6	9	التوبة
49	6	9	التوبة
85	6	9	التوبة
60	67	9	التوبة
60	67	9	التوبة
96	91	9	التوبة
21	102	9	التوبة
84	124	9	التوبة
84	125	9	التوبة
4	10	10	يونس
96	25	10	يونس
32	26	10	يونس
35	26	10	يونس
95	64	10	يونس
22	90	10	يونس
22	91	10	يونس
22	98	10	يونس

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
102ب	38	6	الأنعام
56ب	54	6	الأنعام
62	57	6	الأنعام
93ب	57	6	الأنعام
33	59	6	الأنعام
89ب	90	6	الأنعام
24	91	6	الأنعام
24ب	91	6	الأنعام
26ب	91	6	الأنعام
26ب	91	6	الأنعام
27ب	91	6	الأنعام
39	91	6	الأنعام
90ب	103	6	الأنعام
91	103	6	الأنعام
78	119	6	الأنعام
78	121	6	الأنعام
86	12	7	الأعراف
88ب	23	7	الأعراف
105ب	46	7	الأعراف
107	46	7	الأعراف
107ب	46	7	الأعراف
81	128	7	الأعراف
106ب	128	7	الأعراف
107ب	128	7	الأعراف
90ب	143	7	الأعراف
48ب	146	7	الأعراف
62	155	7	الأعراف
20	156	7	الأعراف
56ب	156	7	الأعراف

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
43	110	17	الإسراء
88	7	18	الكهف
46ب	18	18	الكهف
46ب	22	18	الكهف
71	65	18	الكهف
48ب	9	19	مريم
105ب	9	19	مريم
83	62	19	مريم
17	14	20	طه
21	44	20	طه
21ب	44	20	طه
22	44	20	طه
21ب	45	20	طه
21	46	20	طه
22	46	20	طه
22	49	20	طه
22	50	20	طه
22	51	20	طه
22	52	20	طه
77ب	114	20	طه
105	7	21	الأنبياء
112ب	22	21	الأنبياء
48ب	37	21	الأنبياء
89	107	21	الأنبياء
10ب	18	22	الحج
105ب	27	22	الحج
105ب	27	22	الحج
10	30	22	الحج
10	30	22	الحج

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
59	46	11	هود
9	123	11	هود
42ب	123	11	هود
88ب	123	11	هود
60ب	20	13	الرعد
43ب	33	13	الرعد
108	33	13	الرعد
83	35	13	الرعد
15ب	4	14	إبراهيم
101	4	14	إبراهيم
76	5	14	إبراهيم
81	5	14	إبراهيم
82	5	14	إبراهيم
12	20	14	إبراهيم
43	52	14	إبراهيم
6	2	15	الحجر
17	9	15	الحجر
102ب	9	15	الحجر
14	21	15	الحجر
5	40	16	النحل
48ب	40	16	النحل
102ب	43	16	النحل
77	102	16	النحل
80ب	125	16	النحل
64ب	44	17	الإسراء
86ب	44	17	الإسراء
95	64	17	الإسراء
18	67	17	الإسراء
84	72	17	الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
47	4	33	الأحزاب
55	4	33	الأحزاب
62	4	33	الأحزاب
65	4	33	الأحزاب
68	4	33	الأحزاب
69	4	33	الأحزاب
73	4	33	الأحزاب
75	4	33	الأحزاب
85	4	33	الأحزاب
87	4	33	الأحزاب
90	4	33	الأحزاب
93	4	33	الأحزاب
96	4	33	الأحزاب
98	4	33	الأحزاب
103	4	33	الأحزاب
104	4	33	الأحزاب
108	4	33	الأحزاب
111	4	33	الأحزاب
113	4	33	الأحزاب
116	4	33	الأحزاب
114	13	33	الأحزاب
114	13	33	الأحزاب
105	23	33	الأحزاب
107	23	33	الأحزاب
82	13	34	مبا
68	23	34	مبا
76	46	34	مبا
2	10	35	فاطر
73	10	35	فاطر

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
9	32	22	الحج
99	32	22	الحج
19	37	22	الحج
99	37	22	الحج
99	46	22	الحج
52	47	22	الحج
76	55	22	الحج
61	109	23	المؤمنون
62	109	23	المؤمنون
86	24	24	النور
88	35	24	النور
105	37	24	النور
106	37	24	النور
87	41	24	النور
10	45	25	الفرقان
95	70	25	الفرقان
6	194,193	26	الشعراء
77	194,193	26	الشعراء
86	18	27	النمل
86	22	27	النمل
68	42	27	النمل
107	54	30	الروم
32	17	32	السجدة
38	17	32	السجدة
46	17	32	السجدة
9	4	33	الأحزاب
16	4	33	الأحزاب
23	4	33	الأحزاب
32	4	33	الأحزاب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فصلت	41	54	69
فصلت	41	54	101
الشورى	42	5	60
الشورى	42	11	24
الشورى	42	11	24ب
الشورى	42	11	25ب
الشورى	42	11	28ب
الشورى	42	11	43ب
الشورى	42	11	50ب
الشورى	42	11	64ب
الشورى	42	11	91
الشورى	42	19	49
الشورى	42	27	13
الشورى	42	27	13ب
الشورى	42	51	2
الشورى	42	51	6ب
الزخرف	43	19	78
الجاثية	45	24	48
الجاثية	45	37	24
الجاثية	45	37	29ب
الجاثية	45	37	30ب
محمد	47	28	47
محمد	47	31	43ب
محمد	47	31	45
محمد	47	31	98
محمد	47	31	104
الحجرات	49	8	19
الحجرات	49	12	79ب
ق	50	15	104

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فاطر	35	15	43ب
فاطر	35	28	21ب
فاطر	35	28	95ب
يس	36	55	10
الصافات	37	61	113ب
الصافات	37	96	26ب
الصافات	37	96	54ب
الصافات	37	96	86
الصافات	37	96	94ب
الصافات	37	180	24
الصافات	37	182-180	24ب
الصافات	37	182-180	27ب
ص	38	20	4
ص	38	29	82ب
الزمر	39	9	18ب
الزمر	39	53	88ب
الزمر	39	53	89ب
الزمر	39	53	94ب
الزمر	39	68	63/2ب
الزمر	39	69	88
الزمر	39	74	10
الزمر	39	74	60ب
غانغ	40	15	97ب
فصلت	41	11	86
فصلت	41	21	26ب
فصلت	41	21	86ب
فصلت	41	31	10
فصلت	41	53	10ب
فصلت	41	53	70ب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
81	29	55	الرحمن
111	29	55	الرحمن
111	31	55	الرحمن
34	60	55	الرحمن
40ب	4-1	55	الرحمن
7	3	57	الحديد
87ب	3	57	الحديد
87ب	3	57	الحديد
104ب	3	57	الحديد
17	4	57	الحديد
17ب	4	57	الحديد
23	4	57	الحديد
68ب	4	57	الحديد
90	13	57	الحديد
107	13	57	الحديد
115	13	57	الحديد
115	13	57	الحديد
88ب	16	59	الحشر
60ب	19	59	الحشر
116ب	8	63	المنافقون
52ب	4	70	المعارج
51	20	73	المزمل
46	24	74	المدثر
86	10	79	النازعات
21ب	24	79	النازعات
21ب	25	79	النازعات
21ب	26	79	النازعات
46ب	25، 24	81	التكوير
23ب	6	82	الإفطار

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
17	16	50	ق
17ب	16	50	ق
20	16	50	ق
38	22	50	ق
27	37	50	ق
81ب	37	50	ق
90	37	50	ق
99ب	37	50	ق
18ب	58	51	الناريايات
7	1	52	الطور
7ب	2	52	الطور
7ب	3	52	الطور
7ب	4	52	الطور
7ب	5	52	الطور
7ب	6	52	الطور
7ب	7	52	الطور
7ب	8	52	الطور
94ب	4	53	النجم
42	8	53	النجم
108ب	23	53	النجم
78ب	32	53	النجم
113ب	42	53	النجم
46	4، 5	53	النجم
46ب	8، 9	53	النجم
17	49	54	القمر
5	50	54	القمر
31	27	55	الرحمن
48ب	29	55	الرحمن
55	29	55	الرحمن

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
23	3	87	الأعلى
10ب	19 - 17	88	الغاشية
58ب	5	94	الشرح
58ب	6	94	الشرح
24ب	4	95	التين
78	5	98	البنية

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
62	12	85	البروج
114	20	85	البروج
114ب	20	85	البروج
7	20 ، 22	85	البروج
23	1	87	الأعلى
23	2	87	الأعلى

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
أربع السيئة الحسنه تمخها	سنن الترمذي 1910، مسند أحمد 20392	ب19
أثنى عليّ عبدي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 597	ب87
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	ب80
ارحموا من في الأرض	سنن الترمذي 1847، مسند عبد الله بن المبارك 273	ب59
اعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	ب32، ب38
الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	ب78
أعني على نفسك بكثرة السجود	صحيح مسلم 754، سنن أبي داود 1125	81
افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم	صحيح مسلم 4550، مشكل الآثار للطحاوي 3795	ب79
الا تستحيون؟ إنّ الملائكة تمشي على أقدامنا في الجنّاة وأنتم تركبون	صحيح مسلم 271، سنن ابن ماجه 4299	ب82
أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابهم النار بنوهم فأمانهم الله فيها إمامة	صحيح البخاري 2879، صحيح مسلم 4484	ب72
إن أراد ذلك يطلق ابنتي. فوالله ما تجمع بنت عدو الله وبنت رسول الله تحت رجل واحد	سنن الترمذي 600، شعب الإيمان للبيهقي 3202	ب99
إن الصدقة تطفى غضب الرب	فيض القدير - (1 / 291)، الدرر المنتثرة في الأحاديث	89

الحدیث	تخریج الحدیث	صفحة المخطوط
--------	--------------	-----------------

المشتركة - (1 / 1)

24	صحیح مسلم 4929، مسند أبي يعلى الموصلي 5054	إن الله أفرح بتوبة عبده من فرح صاحب الناقة التي عليها طعامه وشراؤه إذا وجدها بعد ما ضلّت وهو في فلاة من الأرض منقطعة وأقرب الموت ففرح بها. فإله أفرح بتوبة عبده من هنا ينافقه
24ب	صحیح مسلم 4731، مسند أحمد 7021	إن الله خلق آدم على صورته
53		إن الله خلق مائة ألف آدم
32ب	صحیح البخاري 391، صحیح مسلم 852	إن الله في قبة المصلّي
99ب	صحیح البخاري 3092، صحیح مسلم 287	إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله
69ب	صحیح البخاري 1083، صحیح مسلم 1302	إن الله لا يملّ حتى تملّوا
48	صحیح مسلم 4169، مسند أحمد 8774	إن الله هو الدهر
97ب	صحیح البخاري 5565، صحیح مسلم 4027	إن الله يحب الرفق في الأمر كلّ
24	مسند أحمد 16731، المحجم الكبير للطبراني 14269	إن الله يعجب من الشاب ليست له صبرة
56	مسند أحمد 11463، ومصنف عبد الرزاق 20855	إن الله يقول: شفعت الملائكة وشفع النبيون والمؤمنون وفي أرحم الراحمين
72ب	مسند أحمد 18155	إن فاطمة بضعة مني؛ يسوءني ما يسوءها، ويسرفني ما يسرفها، وإنه ليس لي تحريم ما أحلّ الله، ولا تحليل ما حرّم الله
32ب، 36ب، 37ب	صحیح البخاري 3005، صحیح مسلم 5050	إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
107ب	صحیح مسلم 5300، سنن ابن	أنا أغنى الشركاء عن الشرك

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
ماجه 4192		
أنا الملك	109ب،	
	110	
أنا ربكم؛ وبرونه، ومع هذا ينكرونه ولا يصدقون به ... فإذا	صحيح مسلم 269	36ب
تحول لهم في العلامة التي يعرفونه بها يقولون له: أنت ربنا		
أنا سيد الناس يوم القيامة	صحيح البخاري 4343، صحيح مسلم 287	66
أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خبرا	مسند أحمد 15442،	95ب
	المستدرک على الصحيحين للحاکم 7711	
إنه تاب توبة لو قُتِمَت على أهل مدينة وِسَقَتَهُم	صحيح مسلم 3207، مسند أحمد 25980	22ب
إنه كان يذكر الله على كلّ أحيائه	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172	106ب
أهل الله وخاصته	مسند أحمد 11831،	45ب
	المستدرک على الصحيحين للحاکم 2003	
أين الله؟ .. إنها مؤمنة	مسند أحمد 7565، سنن أبي داود 2857	16
بحسب ابن آدم لفحات يقعن صلبه	السنن الكبرى للنسائي 6768،	74
	الأدب للبيهقي 463	
بُلُوا أرحامكم ولو بالسّلام	شعب الإيمان للبيهقي 7740،	18ب
	مسند الشهاب القضاعي 613	
جاءه جبريل -عليه السلام- ليلة، ومعه شجرة فيها كوكبي الطائر.	63مكرر	
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الوكر الواحد، وقعد جبريل عليه السلام - في الوكر الآخر. ثم إن الشجرة علت بهما حتى بلغا السماء، فتعلّى إليهما رُفْرُفٌ دُرٌّ وباقوت. فأما محمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يعلم ما هو؛ فلم يؤثر فيه. وأما جبريل		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
عليه السلام- عندما رآه: غشي عليه. فقال صلى الله عليه وسلم: فعملت فضله علي في العلم جُعِلَتْ قُرَّة عيني في الصلاة	سنن النسائي 3879، مسند أحمد 13526	32ب
الحمد لله المنعم المفضل	مصنف ابن أبي شيبة - (7) / 59، 58 (90)	
الحمد لله على كل حال	مصنف ابن أبي شيبة - (7) / 59، 58 (90)	
ذلك عرش إبليس	مصنف ابن أبي شيبة - (8) / 69 (661)	
الذي يطمش بها، ويسعى بها، ويتكلم به، ويسمع به، ويصر به	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	86
الذين إذا زُوروا ذُكِرَ الله	السنن الكبرى للنسائي 11235، خبير ابن أبي حاتم 11272	67
الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	سنن الترمذي 1847، المستدرک على الصحيحين 7375	56، 59ب
رُبَّ ضاحكٍ بلَّه فيه لا يدري أَرْضَى الله أم أَسَفَظَهُ	47	
الرم شجرة من الرحمن	سنن الترمذي 1847، المستدرک على الصحيحين 7375	18
الرم شجرة من الرحمن مَنْ وصلها وصله الله، وَمَنْ قطعها قطعته الله	سنن الترمذي 1847، المستدرک على الصحيحين 7375	56
رُدُّوهم إلى قصورهم	116	
رضائي عنكم فلا استخط عليكم أبدا	4	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
شفعت الملائكة وشفع النبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين	مسند أحمد 11463، ومصنف عبد الرزاق 20855	57ب
الصدقة تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل	صحيح مسلم 1685، صحيح ابن حبان 3387	19
الصوم لا مثل له	سنن النسائي 2190، مسند أحمد 21122	41
علمت علم الأولين والآخرين	مسند أحمد 3304، المعجم الكبير للطبراني 16640	66
ثلاث للطعام، وثلاث للشراب، وثلاث للنفس	سنن ابن ماجه 3340، تهذيب الآثار للطبري 635	74
من كانت هجرته إلى الله	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	73ب
فيبتون كما تبت الحبة تكون في حبل السيل	صحيح البخاري 764، صحيح مسلم 267	83
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعملي ولعملي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	42، 86ب
قلب المؤمن	مسند أحمد 11664، وسنن الترمذي 2066	100
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري؛ من نازعني واحدا منها قصمته	سنن أبي داود 3567، سنن ابن ماجه 4164	91ب
كلكم راع ومسئول عن رعيته	صحيح البخاري 844، صحيح مسلم 3408	97
كنت سمعه	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	17ب
كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره، ولسانه، ويده، ورجله	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	85ب
كنت سمعه وبصره	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	44ب، 66ب، 69

الحديث	مخرج الحديث	صفحة
لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك	صحیح مسلم 751، سنن النسائي 169	64ب
لا أرى أحداً منككاً على أركته يأتيه الحديث عني، فيقول: انلُ به عليّ قرآناً! إنه والله لخل القرآن أو أكثر لا أركي على الله أحداً	مسند الشافعي 1078، سنن أبي داود 3989	77
لا أركي على الله أحداً	صحیح البخاري 2468، صحیح مسلم 5319	78
لا هجرة بعد الفتح	صحیح البخاري 2575، صحیح مسلم 3468	73ب
لا يتوارث أهل ملتين	سنن أبي داود 2523، سنن ابن ماجه 2721	19ب
لكل حق حقيقه، فما حقيقه إيمانك؟ فقال الرجل: "كأنّي أضطر إلى عرش ربّي بارزاً" - يعني يوم القيامة - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عرفت فالزم اللهم أنت الصاحب في السفر	المعجم الكبير للطبراني 3289، شعب الإيمان للبيهقي 10195	38
اللهم أنت الصاحب في السفر	صحیح مسلم 2392، سنن أبي داود 2231	68ب
اللهم إني أسألك بكل اسم سميّ به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك	مسند أحمد 3528، المستدرک على الصحيحين للحاكم 1830	41
اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون	شعب الإيمان للبيهقي 1428، صحیح البخاري 3218	89
لبس وراء الله مری	البحر الزخار - مسند البزار 944، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (4 / 435)	114
ما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له من لقائي	صحیح البخاري 6021، مسند أحمد 24997	7ب
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن	الزهد لأحمد بن حنبل 429	99
مرضت فلم تعطني، وجعت فلم تطعمني، وظلمت فلم تسقني	صحیح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879	24

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
المعدة بيت الناء، والحجية رأس النواء، وأصل كلّ داء: البردة		74
من شغلته ذكرى عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين	شعب الإيمان للبيهقي 597، مسند الشهاب الفضاوي 553	102
من غزف فسنه غزف ربه	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6) 365 /	20ب، 43ب، 44، 61، 104ب
هذه بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	81ب
هلتوا إلى بغيكم	سنن الترمذي 3524، مسند أحمد 7117	38
والخير كله في يدك، والشر ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3344	11
وجعلت قرّة عيني في الصلاة	سنن النسائي 3879، مسند أحمد 13526	39
ولدت في زمان الملك العادل	شعب الإيمان للبيهقي 4976	92ب
يا محمد؛ إنّ الله يقول لك: ما أرسلك سبّاباً ولا لقاناً وإنما بعثك رحمة	السنن الكبرى للبيهقي - (2 / 210)	89
يتشبّش للذي يأتي المسجد كما يتشبّش أهل الغائب بغائبهم إذا ورد عليهم	مسند أحمد 9465، صحيح ابن خزيمة 1423	24
ينزل رؤنا إلى السماء الدنيا كل ليلة	صحيح البخاري 1077، وصحيح مسلم 1261	2ب
اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 3684، المعجم الكبير للطبراني 164	18

فهرس الشعر

رقم الخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
53ب	رأيت الحق في الأعيان حقاً	سوائي ء	3	الوافر
64	فيها صحّت السعادة فينا	الشقاء ء	3	الخفيف
32	نكون على النقيض إذا اجتمعنا	السواء ء	5	الوافر
44ب	فإن قلت: إنّا واحد كئ صادقاً	تكذب ب	1	الطويل
64	فيها صحّ وجودي وبها	نسب ب	2	الرمل
45ب	فينطق حين ينطق بالصواب	الخطاب ب	2	الوافر
91	من غالب الحق ما ينفك ذا نصّب	تعب ب	6	البسيط
5	والعين واحدة والحكم للنسب	للسبب ب	1	البسيط
44	فيا حيرة أبدت حقائق كونه	تقوّم ت	3	الطويل
9	لا تحقرن عباد الله إنّ لهم	المقامات ت	5	البسيط
55ب	من أراد الحق يطلبه	والملكوت ت	7	المديد
42ب	فتدليه دقّ	عروج ج	5	مجزوء الرمل
42ب	اجعل يديك على الكبد	أجد د	4	مجزوء الكامل
93ب	إنّ الخليفة من كانت إمامته	تفضده د	4	البسيط
87ب	تمدّت الأعيان والأمر واحد	شاهد د	2	الطويل
91	فكلّ سمع وبصر	وتد د	3	مجزوء الرجز
2	منازلات العلوم تبدي	والعباد د	5	مخلع البسيط
69ب	آلا إلى الله نصير الأمور	غرور ر	11	السرّع
73ب	إنّ الرجال رجال الله كلّهم	غبرا ر	5	البسيط

رقم المخطوط	المطلع	القاية	عدد الآيات	البحر
114ب	إِنَّ الْوُجُودَ رَحَى عَلَى تَنَوُّرٍ	أبور	4	الكامل
75ب	الخلق ظلُّ لذات الحق ليس له	بصر	7	البسيط
86	فأين حال الدعاوى	يتبرا	2	المجث
2ب	فكلنا إليه فقير	صغير	4	مخلع البسيط
101ب	فهو الهولي لكل صورة	وسوره	2	مخلع البسيط
50	فيعلم العقل ما لا يشهد البصر	الفكر	1	البسيط
98ب	القلب يثلك لا يتي فأعمره	تذكره	6	البسيط
103	لو ظهرنا للشيء كان سوانا	الظهور	4	الخفيف
105	التفات المصلي عين اختلاصة	بناسه	5	الخفيف
20ب	ليس الذي يخبر عن غيره	نفسه	7	السريع
23ب	من هاله ما هو من جنسه	نفسه	5	السريع
94	إذا كنت حقا فالقال مقالتي	المنازع	6	الطويل
87	ظهوري بطون الحق في كل موطن	مطلع	4	الطويل
53	فلم ينز بانها ولم ينز أمرها	بالقطع	1	الطويل
65	جاء حديث وارد	المصطفى	6	مجزوء الرجز
3	هذا هو الأمر الذي	وكفى	4	مجزوء الرجز
59ب	فلا تحاقت ولا تشاقت	تفارق	1	مخلع البسيط
85	لولا وجود الحق في الخلق	يقي	4	السريع
111	ججائك أسماء لكم وثموت	فقول	5	الطويل
3	لو كان لي إليك سبيل	دليل	5	مخلع البسيط
95ب	فما تم إلا عبده وهو ربه	ورحيم	1	الطويل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
65ب	لولا الشهود وما فيه من النعم	العدم م	5	البسيط
113ب	ليس وراء الله مرمى لرام	برام م	7	السريع
68ب	منزل الآلاء والنعم	الكرم م	3	المديد
41ب	إني منك الدنو وقتاً	ممي ن	5	مخلع البسيط
16ب	أنا مع العبد حيث كانا	وآنا ن	5	مخلع البسيط
96ب	حكّم الإضافة يقيه ويقينا	فيما ن	5	البسيط
62ب	الخلق تدير وليس بكانن	تكون ن	7	الكامل
44ب	فإن فنيث لم يكن	أكن ن	6	مجزوء الرجز
108ب	فرغنا من الأجناس فالخلق خلقنا	تكون ن	6	الطويل
42ب	فكان منه التدلي	التداني ن	2	المجتث
101ب	فمن كان بيت الحق فالخلق بيته	الكوانن ن	1	الطويل
26	فهكذا تمهم المعاني	بالبیان ن	8	مخلع البسيط
53	لقد طفنا كما طفتم سنينا	أجمعينا ن	1	الوافر
47ب	إذا قلنا بأنّ النعمت عين	منه هـ	6	الوافر
17ب	فلم يكن الجمع إلّا بنا	به هـ	1	المتقارب
55ب	فليس عيني سواه	أباه هـ	3	المجتث
22ب	أيما الخلق المسوى	تلوى و	6	مجزوء الرمل
90	قد استوى الميت والحى	شي ي	4	السريع
مجموع الآيات 242				

استشهادات

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	المحرر	الشاعر
19	الناس في جمعة الغميل أكفاء	حواء ء	4	السيط	علي بن أبي طالب
58ب	إذا ضاق بك الأمر	نشرح ح	2	الهزج	
67	وما على الله يستنكر	واحد د	1	السريع	أبو نؤاس
28	قد استوى بشر على العراق	مراق ق	1	الرجز	بيث
مجموع الآيات			8		

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الأب	50ب	أم الكتاب	56ب، 57
إبراهيم	98ب، 102	الإمامان	132ب
إبليس	69، 95، 95ب	الإمامة - الإمام	97
الاتحاد	85ب	الأمانة	86
أجير	34	الأشئ	25، 76، 76ب
الأحدية - أحدية	19ب، 87	أول - آخر	48ب، 114ب
الأحد - أحدية الكثرة		الباطل	24ب
الأدب	66	بحر	7ب، 45
آدم	4، 6ب، 17ب، 19،	البرق	74، 87ب
	24ب، 51ب، 53،	البسط	13ب
	53ب، 66، 74،	البقاء	105ب
	76ب،	بلفيس	68
الإذن الإلهي	71ب	البيت	98ب
إرادة	30ب	بيت الحق	101ب
أربعة - تربع	51ب	البيت المعمور	7ب، 98ب، 102
اسراء - معراج	106	بيت الموجودات	101
الاسم	57	التجلي العام في	116ب
الأعراف / الحد	107	الكثرة / تجلي الكتيب	
الإلّ	44	التداني	42ب
الإله الحق	44	التجلي	42، 42ب
الأم	19، 51، 57		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
ترجمان الحق	6ب	الخبر	11، 55
الترقي	7ب	النوق / أول التجلي	116ب
التسلم	113	الرجاء	58ب
التلقي	7ب	رجال المراتب	105ب
التوحيد	21ب، 82ب	الرحمة الامتنانية	56ب
الثبوت	26ب، 109ب	الرحمة الخاصة	56ب
جبريل	6ب، 77، 89	الرحمة السابقة	57
	102ب	الرحمة الواجبة	56ب
الجمع	115	الرحمن الرحيم	56ب، 57، 58
جوامع الكلم / العلم	66، 66ب		58ب، 59ب
الحجاب الأقرب	38	الروح / العقل	7ب
الحضرة / كن	3ب، 4	الستر	37ب
حق الحق / أنت	64ب	السفر	68ب
الحق المشروع	93ب	الشر / العدم	65ب، 66
حواء	18، 19، 51ب	الشطح / دعوى	75
	76ب	الصاحب المجهول	33
الحبرة	57	الصبر	34، 34ب، 82
المخضر	71ب	الصدق	77
خلافة من عند الله	102ب، 103	الصعق	17
خلق تقدير - خلق	62ب	الصفة	24ب، 27ب، 34
إيجاد			64ب، 112
خلق جديد	103	صورة الحق - صورة	67، 93ب

المصطلح

44	القوت
	الكثير الواحد -
	الواحد الكثير
70ب	الكشف الاعتصامي
99ب	الكشف العرفاني
5ب	الكلمة الإلهية
4، 3ب	كلمة الحضرة
3ب	اللسن
4	اللوح (الحفوظ)
29ب	مجلي التمسوت
	المقدسة
114ب	المحمدي
50ب، 97ب	مرهد - مراد
87	مطلع
86ب	المقام
75	مقام إلهي
2ب، 3ب، 5،	المنازلة
7ب، 8، 42	
5	المنازلة الأصلية
85، 107	ميثاق - ميثاق الذرية
14، 14ب، 74ب	الميزان
115ب، 116	نعم / المزاج الملائم

المصطلح

	الحق الظاهر
101ب	صورة العالم
74	الطبع
7، 45ب، 104ب	الظاهر والباطن
94ب	عبد الاختصاص -
	عبد العموم
102ب، 108ب	العبد الكامل العبد
	الجامع الكامل
14ب	العادل / الميزان
	الحكمي المعنوي /
	الحق / الميل
65ب	العدم (المطلق)
35ب، 68ب	العصمة
3ب، 6ب، 32	العماء
7	عين القلب
43	الفصل
2ب، 25، 30،	الفقر
43ب، 112، 114ب	
3ب، 30، 49	الفهوانية
73ب	قدم - على قدم
46ب	القرب
110ب، 114ب	القطب
4	القلم (الأعلى)

المصطلح	صفحة المخطوط
وارد	33، 46، 115ب
الواقعة	36
الوجه الخاص	6ب، 71، 71ب،
	72، 72ب، 73، 75
الوحدة	104ب
الوحي	102ب
ولي - الولاية	106ب
الوهم	48ب
يد الله - اليدان	26ب

المصطلح	صفحة المخطوط
نهار	51، 51ب
نهر	82ب
نهر الحياة	82ب
نور الإيمان	6ب
النيابة	66
النبياء	51ب، 109ب
المهمة	11ب، 37ب، 74ب
النهر	17ب
الهوية	74ب، 87ب

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	98ب، 102	بشر	28، 28ب
إبليس	69، 95ب، 95	الترمذي (أبو عيسى)	45ب
ابنة أبي جهم	72ب	جبريل	6ب، 77، 89، 102ب
أبو السعود بن الشبل البغدادي	74ب	الجنيد (أبو القاسم)	102
أبو العباس السبتي	74ب	الجيلي = عبد القادر الجيلي	74ب، 75
أبو العباس العربي	20، 34	حواء	18، 19، 51ب، 76ب
أبو بكر الصديق	64ب، 72، 101	الحضر	71ب
أبو طالب بن عبد المطلب	19ب	داود (النبي)	4
أبو محمد عبد الله الشكاز	105	الدجال	8، 52ب، 90ب
أبو نعيم الأصفهاني	263	رضوان	88ب
أبو نواس (الحسن بن هاني)	67	رعد (من الملائكة)	87ب
أحمد السبتي ابن هارون الرشيد	70، 109ب، 110	روح القدس	9ب، 70ب، 77، 99
آدم	4، 6ب، 17ب، 19، 24ب، 51ب، 53، 53ب، 66، 74، 76ب	زينب (في شعر)	77ب
البسطامي (أبو يزيد)	33، 33ب، 62، 75، 101ب، 102، 108ب	سليمان (النبي)	86
		سليمان الدنيلي	75
		عائشة (أم المؤمنين)	106ب
		عبد القادر الجيلي	74ب، 75

الاسم	صفحة المخطوط
(السلام)	
منصور بن عمار	77ب
موسى (النبي)	3ب، 21، 22، 27ب،
	37، 37ب، 39
	61ب، 71ب، 74ب،
	90ب، 92ب
ثييل بن خزر بن	110ب
خزرون السبتي	
نوح (النبي)	59
هارون (النبي)	21
هارون الرشيد	109ب، 110
يونس (النبي)	22ب

الاسم	صفحة المخطوط
عقيل بن أبي طالب	19ب
علي بن أبي طالب	19ب، 72ب
عيسى (النبي)	51ب، 66، 71، 89ب
الغزالي (أبو حامد)	110ب
محمد بن محمد	
فاطمة الزهراء	72ب
فرعون	21، 21ب، 22، 92ب
كسرى	92ب
ماعز الأسلمي	22ب
مالك بن أنس	88ب
مريم (عليها)	51ب، 66

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أشيلية	20	العراق	28، 28ب
أغرناطة=غرناطة	105	العليا	20، 34
الأنطلس	105، 34، 20	غرب الأنطلس	20، 34
أهرام مصر	53	غرناطة	105
باغة	105	الكعبة	53
بغداد	74ب	المدينة المنورة	114
بيت الله الحرام	109ب	مراكش	74ب
البيت المعمور	7ب، 98ب، 102	مصر	53
حبرون	102	المغرب	48
الحجر الأسود	54	مكة المكرمة	73ب، 79، 109ب
حلب	79		

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
التوراة		27ب، 31
ترجمان الأشواق	ابن العربي	79
إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	110ب
دلائل النبوة	أبو نعيم الحافظ	2/63
الجامع الصحيح	الترمذي	45ب

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
القدماء	98

المحتويات

3	رموز مستخدمة في التحقيق
9	الفصل الخامس في المنازلات
9	الباب الرابع والثمانون وثلاثمائة في معرفة المنازلات الخطائية وهو من مبرك قوله ﷺ: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ لِلَّهِ إِثْمًا وَحَيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءَ حِجَابٍ) - (وهو من الحضرة المحمدية)
18	الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازل: من حقر غلب، ومن استهين مُلح
26	الباب السادس والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازل: جبل الوريد وأيقية المعية
30	سبره إلهي لا يعرفه كثير من الناس
34	الباب السابع والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازل التواضع الكبيرقي
44	الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازل مجهولة وذلك إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق، وكل شيء عند الحق معين، فقد قصده من الحق ما لا يناسب قصده من عدم التعيين
55	الباب التاسع والثمانون وثلاثمائة في معرفة منازل: إلهي كوكبك وإلك كوني
62	الباب التسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: زمان الشيء وجوده، إلهي أنا فلا زمان لي، وإلهي أنت فلا زمان لك، فإنت زمانني وأنا زمانك
69	الباب الأحد والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: المملك للسميأل الذي لا تثبت عليه أقدام الرجال الموال
72	الباب الثاني والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من رحم رحمانه، ومن لم يرحم رحمانه، ثم غضبنا عليه ونسيناه
80	الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من وقف عندما رأى ما هاله، هلك
84	الباب الرابع والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من تأتّب وصلّ، ومن وصل لم يرجع، ولو كان غير أديب
87	الباب الخامس والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من دخل حضرتي وبقيت عليه حياته، فعزاه علي في موت صاحبه
89	الباب السادس والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من جمع المعارف والطوم حجبته عني
93	الباب السابع والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: (إِلَيْهِ يَصْغَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) هذا قول الله الصادق
96	الباب الثامن والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: من وعظ الناس لم يعرفني، ومن ذكرهم عرفني، فكان أيّ الرجلين شئت
97	فصل في الواحدة التي يحض بها الواضع وهي أن يقوم من أجل الله
102	فصل في قوله تعالى: (وَتَكْرَهُمْ بِإِيمَانِ اللَّهِ)
103	فصل في اليوم العقيم
107	الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة في معرفة منازل: منزل من دخله ضربت حنقه، وما بقي أحد إلا دخله
110	الباب العاشر وأربعمائة في معرفة منازل: من ظهر لي، بطنت له، ومن وقف عند حدّي، اطلعت عليه
114	الباب الأحد وأربعمائة في معرفة منازل: الميت والحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل

- الباب الثاني وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ غلبني غلبته، وَمَنْ غلبته غلبني؛ فالجنوح إلى السلم أولى 116
- الباب الثالث وأربعمئة في معرفة منازل: لا حجة لي على غيبي؛ ما قلت لأحد منهم: لم عملت؟ إذا قال لي: أنت عملت وقال الحق: ولكن السابقة أسبق بلا شك؛ فلا تبدل 119
- الباب الرابع وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ شقَّ على رعيته؛ سعى في هلاك ملكه، وَمَنْ رفق بهم؛ بقي ملكاً، كُلُّ سيّد قتل عبداً من عبيده؛ فلما قتل سيّداً من سياداته؛ إذا أنا فأنظره 122
- الباب الخامس وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ جعل قلبه بيتي، وأخلاء من غيري؛ ما يدري أحدٌ ما أعطيه؛ فلا تشبهوه بالبيت المعمور؛ فإني بيت ملانكتي، لا بيتي؛ ولهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم عليه السلام 125
- الباب السادس وأربعمئة في معرفة منازل: ما ظهر مني شيء لشيء، ولا ينبغي أن يظهر 130
- الباب السابع وأربعمئة في معرفة منازل: في أسرع من الطرفة تفتل مني إن نظرت إلى غيري؛ لا أضغني ولكن لضغفك 132
- الباب الثامن وأربعمئة في معرفة منازل: يوم السبت حلَّ عنك منزر الجد الذي شددته؛ فقد فرغ العالم مني وفرغت منه 137
- الباب التاسع وأربعمئة في معرفة منازل: أسمائي حجابٌ عليك؛ فإن رفعتها وصلت إلي 140
- الباب العاشر وأربعمئة في معرفة منازل: (وَلَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) فاعزّوا بي تسعدوا 143

الفهرس

- فهرس الآيات وفقاً لتسلسل السور والآيات 149
- فهرس الأحاديث النبوية 156
- فهرس الشعر 163
- استشهادات 166
- مصطلحات صوفية 167
- فهرس الأعلام 171
- فهرس الأماكن 173
- فهرس الكتب 174
- فهرس الفرق 174

السفر التاسع والعشرون من الفتوح المكي¹

1 العنوان ص 1ب. يليه: "إنشاء مولانا وسيدنا الشيخ الإمام صفوة الأنام إمام الأمة فتوة الأئمة سلطتن الحقتين محبي الملة والدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحائمي، رحمه وأرضاه... منه. رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحاق القنوي عنه". وعلى اليسار: "قول به".

يلي: "وقف هذا الكتاب مع ما قبله وبهذه الشيخ المذكور أعلاه بخط المؤلف رضي الله عنها في المكان والشرط المذكورين في أول الكتاب وآخره. قبل الله منه، وأثابه رضاء إلى يوم يلقاه، في كتّيب رؤاه، آمين". ثم ختم الوقف الإسلامي برقم 1764، وطابع دمغة رقم 1873. ثم 247 صحيفة.

رموز مستخدمة في التحقيق

آيات قرآنية	﴿ 》
حديث شريف	« »
إضافات أدخلت على الأصل	()
نسخة قونية*	ق
نسخة السلجانية	س
نسخة القاهرة	هـ

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط). أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم
 الباب الأول عشر

وابع مانه ٤ معرفة منازلته فيسبغ عليه
 الكتاب مدخل البار من حضرة تاد لا بدقل
 البار فها هو الباب ولا تخافون فان
 واما تم على السواء مثل هذا

فقال تعالى يا رسول الله لنت وما انا بظلم للعبيد الحق
 الكتاب على الجميع اسر من عليه حكم العذاب ما اصعب
 الامر عن العاقل الخبير
 ان خوف الكتاب شره نوب

اذله الحكم في الوجود و نسا
 و فرانا في الباب خبرنا
 و رانا في حقا بقين

لا تخاف الا الا لا يكون
 هاد به منته قبل ما لها لبها
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عنه ان الرجل
 ليعمل عمل اهل الجنة مما يبدو للناس في ما بين يمينه ومن الجنة

١٤ سحر للعالم والمحاصر والعالم سحر المحاصر اعتقاداً وعيناً
 وسحر العالم حساً وهماً ولا سحر للمؤمنين والمؤمنات وبشهرتهم
 العالم اسماً للحزن المحاصر مع انهم عالمانيون به ولا
 يرونه كما ان العالم يسمون بالله ولا يرونه فهم يشهدون حق
 الحق ومعهم في مقعد صديق فيما تحفر به فان قيل لم نقول لهم
 بالشاهد والشهود فممن يقولون عن ذلك انهم تشهدون
 ذاتك بذاتك وانت غيرك ولنا مع هذا كله مع الحق
 سحر اوسع الاسرار بانهم عالمنا اديبا واساناً هم المؤمنون
 دعا والدنيا صرنا رمزا بعض ما وثقنا عليه من مازلات
 المحرمان المؤمنين من مصر بما عدا ارضهم باحر والله يقول
 الحق وهو بصير السبل وما نحن بحمد الله ومقرره والامانة
 بشرع الانكباب والهجرات التي دأبوا عليها السعي بذلك
 الاعلام بانه من عمل على ذلك رجوا وهو اوشهدوا استشهدوا
 اذ ثبتت له هذا بل بناء الله لا انا على اعادة الخلق ذلك
 من الله على رسوله لم يرسوا انتصاراً على سؤال
 من العبد ربه في ذلك لانه لا يقتضيه حالنا الا ابلاغ ما
 امر الحق بالبلاغه وعمل الله ما يشاء والله سميع العليم وهو

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹

الباب الأحد عشر وأربعمئة

في معرف منازلة: «فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار»

من حضرة: كاد لا يدخل النار

فخافوا الكتاب ولا تخافوني، فإنني وإياكم على السواء في مثل هذا

قال تعالى: ﴿مَا يَسْئَلُ الْقَوْلُ لَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾² بحكم الكتاب على الجميع، ﴿أَنْصَرُ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾³ فما أصعب الأمر عند العاقل الخبير.

إِنَّ خَوْفَ الْكِتَابِ شَرٌّ تَوْبِي إِذْ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْوُجُودِ وَفِينَا

وَقَرَأْنَاهُ فِي الْكِتَابِ صَرِيحًا وَزَأْنَاهُ فِيهِ حَقًّا يَقِينًا

لَا يَخَافُ الْإِلَهِ إِلَّا لِكُؤْنِ حَادِثٍ مِنْهُ خَلٌّ بِالْعَالَمِينَا

قال رسول الله ﷺ في الصحيح عنه: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ حَتَّى مَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» وكذلك قال في أهل الجنة. ثم قال: «وإنما الأعمال بالخواتم» وهي على حكم السوابق، فلا يقضي الله قضاءً إلا بما سبق الكتاب به أن يقضي.

فَعَلِمَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَيْنُ قَوْلِهِ فِي تَكْوِينِهِ؛ فَمَا يَسْئَلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ. فَلَاحُكْمَ الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقِ إِلَّا بِمَا سَبَقَ بِهِ الْكِتَابُ الْإِلَهِيُّ؛ وَلَنَا قَالَ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فَمَا نَجْرِي عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ، وَلَا أَحْكَمُ فِيهِمْ إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ. فِهَذَا مَوْقِفُ السَّوَاءِ الَّذِي يَوْقِفُ فِيهِ الْعَبْدُ.

إِذَا كَانَ عِلْمُ الْحَقِّ فِي الْحَقِّ يُحْكَمُ فَفِي خَلْقِهِ أُخْرَى فَلَا يَسْتَحْكَمُ

وَلَيْسَ بِمُخْتَارٍ إِذَا كَانَ هَكَذَا فَكُلُّ إِلَى سَبْقِ الْكِتَابِ مُسَلَّمٌ

فَمَا الْحَقُّ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ تَقَدَّمَتْ لَهُ سُورَةٌ فِينَا وَآتَى وَأَنْجَمُ

1 ص 2

2 [ن: 29]

3 [الزمر: 19]

4 ص 2

فَلَوْ كَانَ مُخْتَارًا أَمِنَاهُ إِنَّهُ
وَأَخْبَرَ فِي الْبُشْرَى بِرَحْمَتِهِ الَّتِي
عَلَى¹ غَضَبِ أُنْدَاهُ فَعَلُ غَيْبِيهِ
وَلَيْسَ كِتَابِي غَيْرُ ذَاتِي فَافْتَهُمُوا

زَعُوفَ رَجِيمٍ بِالْعِيَادِ وَأَزْخَمُ
يَكُونُ لَهَا السَّبْقُ الْكَرِيمُ الْمَقْدَمُ
يَزُولُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ
فَمَا مِثْلَهُ إِلَّاي² فَافْتَشُوا أَوْ اكْتُمُوا

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾³ فانظر -أيها الولي الحميم- إلى ما يحُوك في صدرك، لا تنظر إلى العوارض؛ فإنك بحسب ما يحوك. فإن حاك الإيمان فأنت مؤمن، وإن حاك صَرْفٌ ما وجب به الإيمان إلى ما لا يقتضيه ظاهر الحكم؛ فأنت بحسب ذلك، وبه يُختم لك. ولا تنظر إلى ما يبدو للناس منك، ولا تعول إلا على ما يحوك في صدرك؛ فإنه لا يحوك إلا ما سبق في الكتاب أن يُختم به لك. إلا أن الناس في غفلة عما نَبَّهت عليهم، ولا رادَ لأمره، ﴿وَلَا مُعَقِّبٌ لِحُكْمِهِ﴾⁴.

وذلك الذي يحوك في صدرك هو عين تجلّي الأمر الذي لك، وَقَسَمْتُكَ من الوجود الحق. قال بعضهم في باب الورع: "ما رأيت أسهل عليّ من الورع؛ كلّ ما حاك له شيء في نفسي تركته"، يؤيده قول النبي ﷺ: «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وقال: «استفت قلبك وإن أفنك المفتون».

واعلم أن الله تعالى -ما كتب إلّا⁵ ما علم، ولا علم إلّا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها؛ ما يتغير منها وما لا يتغير. فيشهدها كلّها في حال عدما، على تنوّعات تغيّراتها، إلى ما لا يتناهى؛ فلا يوجد لها إلّا كما هي عليه في نفسها. فمن هنا تعلم علم الله بالأشياء: معدوما وموجودها، وواجبها وممكنها ومحالها. فأنتم على ما تترنّاه -كتاب يسبق، إلّا بالإضافة: إضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الشيء في الوجود، على ما شهده الحق في حال عدمه؛ فهو سَبْقُ الكتاب على الحقيقة، والكتاب سَبْقُ وجود ذلك الشيء. وتعلم ذوق ذلك من غلج الكوائن قبل تكوينها؛ فهي له مشهودة في حال عدمها، ولا وجود لها. فمن كان له ذلك؛ غلج معنى: سَبْقُ الكتاب؛ فلا يخف سَبْقُ الكتاب عليه، وإنما يخاف

1 ص 3
2 رسمها في ق: إلّا أي
3 القيامة: 14
4 الرعد: 41
5 ص 3ب

نفسه؛ فإنه ما سَبَقَ الكتابُ عليه ولا العلمُ إلا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها. فلمْ تُفسك؛ لا تعترض على الكتاب. ومن هنا إن عقلت - وَصَفَ الحقُّ نفسه بأنَّ له الحِجَّةَ البالغة لو نوزع؛ فإنه من المُحال أن يتعلَّق العلمُ إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه.

فلو احتجَّ أحدٌ على الله بأن يقول له: عَلِمْتُكَ سَبَقَ فيَّ بأن أكون على كذا؛ فلمْ تَوَاخِذني؟ يقول له الحقُّ: هل عَلِمْتُكَ إلا بما أنت عليه؟ فلو كُنتَ على غير ذلك لَعَلِّفْتُكَ¹ على ما تكون عليه. ولأنك قال: ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾². فارْجِعْ إلى نفسك وأنصِفْ في كلامك. فإذا رجع العبد على نفسه، وظهر في الأمر كما ذكرناه؛ عَلِمَ أنه محجوج، وأنَّ الحِجَّةَ لله تعالى - عليه.

أما سمعته تعالى - يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمُ اللَّهُ﴾³ ﴿وَمَا ظَلَمْنَا لَهُمْ﴾⁴ وقال: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁵ كما قال: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾⁶ يعني أَنفُسَهُمْ؟ فإنهم ما ظهروا لنا حتى علمناهم وهم معدومون، إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال، والعلمُ تابعٌ للمعلوم، ما هو المعلوم تابعٌ للعلم، فافهمه. وهذه مسألة عظيمة دقيقة؛ ما في علمي أنَّ أحداً به عليها، إلا إن كان وما وصل إلينا. وما من أحدٍ، إذا تحقَّتها، يمكن له إنكارها.

وفَرَّقَ بما أخفى - بين كون الشيء موجوداً؛ فيتقدَّم العلمُ وجوده، وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الأزلي له. فهو مساوٍ للعلم الإلهي به، ومتقدِّمٌ عليه بالرتبة؛ لأنَّه لذاته أعطاه العلم به. فاعلم ما ذكرناه؛ فإنه ينفعك ويقويك في باب التسليم والتفويض للقضاء والقدر، الذي قضاه حالك. ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذه المسألة؛ لكانت كافية لكلِّ صاحبٍ نظرٍ سديد، وعقلٍ⁷ سليم. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁸.

1 ص 4

2 [محمد : 31]

3 [النحل : 33]

4 [الزخرف : 76]

5 [النحل : 33]

6 [الزخرف : 76]

7 ص 4

8 [الأحزاب : 14]

الباب الثاني عشر وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ كان لي
لم يَنْزِلْ ولا يَجْزِي أبدا

إِذَا كَانَتْ أَعْمَالِي إِلَى خَالِقِي تُعْزَى فَيَوْمَ التَّنَادِي لَا نَزْلَ وَلَا نُجْزَى
وَأَتَى سَلِيمًا وَهُوَ كَوْنِي مُحَقَّقًا فَتَنْظِي عَلَى قَدْرِ إِلَهٍ إِذَا نُجْزَى
وَنُظْطَى بِهَلْمٍ وَاجِدٍ فِيهِ كَثْرَةٌ وَذَلِكَ عِلْمٌ بِمُورِثِ الْعَالَمِ الْعِزَّا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ سُوقٌ مُقَيَّنٌ بِهِ نَشْرُ الرِّحْمَنِ مِنْ صُورِهِ بَرَّا
فَمَنْ شَاءَ يَجْلِي الْحَقَّ فِي أَيْ صُورَةٍ بِنِشَاءٍ وَلَا كَوْنٍ بِمُورِثِهِمْ أَزَّا
فَنُطَوِّي لِقَبْدِ قَامَ لِلَّهِ وَخَدَهُ وَلَمْ يَتَغَرَّبِ اللَّاتُ الْمُسْتَأْمَةُ وَالْعُزَّى

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الذَّكَرَ وَالْإُنْثَى إِلَّا لِيَعْبُدُنِي﴾¹ فابتدأ بلام الملة، وختم بياء الإضافة. وقال فيما أوحى به إلى موسى ﷺ: «يا ابن آدم؛ خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي» وقال لنا على لسان رسوله ﷺ: «الصوم لي» وقال: «الصوم لا يَنْزِلُ له» فإنه له، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴.

وَأَذْلُ الْأَذْلَاءِ مَنْ كَانَ لَهُ ﷻ: لِأَنَّ ذُلَّ النَّبِيلِ عَلَى قَدْرِ مَنْ ذُلَّ تَحْتَ عِزِّهِ، وَلَا عِزُّ أَعْظَمَ مِنْ عِزِّ الْحَقِّ، فَلَا ذُلَّ أَذْلَ مَنْ هُوَ اللَّهُ. وَمَنْ ذُلَّ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْزِلُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَصْلًا، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ لِعَيْنِ الصِّفَةِ؛ حَيْثُ يَرَاهَا فِي مَخْلُوقٍ أَوْ غَيْرِ مَخْلُوقٍ. فَيَنْخِيلُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا شَهِدَهُ هَذَا النَّبِيلُ أَنَّهُ ذُلٌّ تَحْتَ سُلْطَانِ هَذَا الْعِزِّ؛ وَإِنَّمَا ذُلٌّ تَحْتَ سُلْطَانِ الْعِزَّةِ، وَهِيَ اللَّهُ. فَمَا ذُلٌّ إِلَّا لِلْحَقِّ الْمَنْعُوتِ بِهَذَا النِّعْتِ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْزِلَ؛ فَلَهَا يَنْزِلُ كُلُّ ذَلِيلٍ فِي الْعَالَمِ. فَهُمْ الْعَالَمُ بِذَلِكَ فِي حَالِ ذُلِّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْحَزِي؛ فَلَا يَجْزِي إِذَا كَانَ اللَّهُ. فَإِنَّ الْحَزِي لَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ هُوَ لَهُ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ هُوَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي شَهْوَاهِ. وَلِئَلَّا قَالَتْ خَدِيجَةُ وَوَرَقَةُ بْنُ نُفَلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَلَّا وَاللَّهِ؛ لَا يَجْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا» لَمَّا ذَكَرَ لَهُ ابْتِدَاءُ نَزُولِ النَّمُوسِ عَلَيْهِ. فَالْحَزِي الَّذِي يَقُومُ بِالْبَعْدِ إِنَّمَا هُوَ مَا جَنَاهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ بِجَهْلِهِ⁵ وَتَعَدِّيهِ

1 ن: "كل" وكتب فوقها فلم الأصل: أَيْ

2 ص 5

3 [النارمات : 56]

4 [الشورى : 11]

5 ص 5

رسوم سيده وحدوده. فالنلُ صفة شريفة إذا كانت النلةُ لله، والحزبي صفة ذميمة بكل وجه إذا قامت بالنفس. فجميع مذام الأخلاق وسفاسفها صفات مخزية عند الله، وفي العرف. وجميع مكارم الأخلاق صفات شريفة في حق وخلق.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» فإنه نقص منها المسعى سفاسفا؛ فعين لها مصارف؛ فعادت مكارم أخلاق. فهي إذا اتصف بها العبد في المواطن المعينة لها؛ لم يلحقه خزي، ولا كان ذا صفة مخزية. لما تمَّ إلَّا خُلِقَ كريم مما زال حكم الغرض النفسي. الخاليف للأمر الإلهي والحد الزماني النبوي.

وأما الكائنون لله فهم على مراتب: منهم من هو الله بالله، ومنهم من هو الله بنفسه، ومنهم من هو الله؛ لا بالله، ولا بنفسه، لكن بغيره، من حيث ما هو مجبور لذلك الغير. فمن هو الله بالله فلا ينل ولا يخزي؛ فإن الله لا يوصف بالنلة، كما قال الله لأبي يزيد في بعض منازلته¹: "تَهَرَّبْ إِلَيَّ بِمَا لَيْسَ لِي: النلة والافتقار". ومن هو الله بنفسه فينل ذل شرف، لكنه لا يخزي. ومن كان الله لا بالله ولا بنفسه؛ فهو بحيث يقبل الجبر. فإن² أجبر في الله؛ فنزلته منزلة من هو الله بالله في حق شخص، وبنفسه في حق شخص. وإن أجبر في أمر نفسي. وهو لنفسه في تلك الحالة لا الله؛ فهو في الحزبي الدائم والنل اللازم. وانحصرت أقسام هذه المنازلة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ق: منازلته

2 ص 6

3 [الأحزاب: 4]

الباب الثالث عشر وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ سألني فما خرج من قضائي،
وَمَنْ لم يسألني فما خرج من قضائي

كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ	وَالَّذِي لَيْسَ بِشَيْءٍ بِقَضَا
فَالَّذِي يَنْهَمُ مَا أَسْرُدُهُ	حَازَ عِلْمَ السَّرِّ فِيهِ وَمَضَى
وَإِذَا فِي عَضْرِهِ مُتَفَرِّدًا	قَدْ أَنَارَ الْقَلْبَ مِنْهُ فَأَضَا
فَإِذَا عَانَيْتَ مَنْ نَوَزَهُ	إِنَّمَا عَانَيْتَ بَرَقًا وَمَضَا
مَا زَأَيْتَا لِمَقَامِ نَالَةٍ	فِي وَجُودِ الْكَوْنِ مِنْهُ
قُلْتُ ¹ لَنَا قِيلَ لِي إِنَّ لَهُ	فِي الَّذِي يَنْوَاهُ مِنْهُ غَرْضًا
فَالَّذِي أَخَّرَ عَنْ تَخْصِيلِهِ	لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِأَمْرِ غَرْضًا

اعلم أَنَّ الله تعالى - عَزَّ أَنْ نِسْبَةُ الْقَضَاءِ إِلَى الْقَاضِي لَا تَصَحُّ حَتَّى يَقْضِيَ - صلاحية ووجودا، ولا يصحُّ له هذا الاسم حتى يقضي، ولا يعين القضاء إِلَّا حال المقتضي عليه. فالقضاء أمر معقول لا وجود له إِلَّا بالمقتضي به، والمقتضي به يعينه حال المقتضي عليه، وهذه الجملة تثبت اسم القاضي. فلو ارتفعت هذه الجملة من الذهن؛ ارتفع اسم القاضي، ولو ارتفعت من الوجود؛ ارتفع أيضا حقيقة، فإن أطلق؛ أطلق مجازا. وحقيقة المجاز والتجوز؛ أن ينسب الوقوع إلى ما ليس بواقع.

المثال في ذلك: ادَّعى شخصٌ على شخصٍ دَيْتًا، وأنكر المدَّعى عليه. فعيَّنت الدَّعوى إقامة البينة؛ وهو المنقضي به على صاحب الدَّعوى، وعيَّن الإنكار المقتضي به على المنكر؛ وهو اليمين إذا لم تقم البينة. وحدث اسم القاضي حقيقة للحاكم باليمين على المدَّعى عليه إذا أنكر وطلب إقامة² البينة من المدَّعى. فالقضاء مجمل، والمقتضي به تفصيل ذلك الجمل؛ وهو القدر؛ لأنَّ القدر توقيت.

فمن سأل؛ فخالَه أوجب عليه السؤال، والسؤال طلب وقوع الإجابة؛ فإنه قال: (أَجِيبْ دَعْوَةَ النَّاعِ إِذَا دَعَانِي)³ والإجابة أكر في الجيب اقتضاء السؤال. فمن سأل أثر، ومن أجاب تأثر. فالحقُّ أمير؛ اقتضى.

1 ص 6ب

2 ص 7

3 [البقرة: 186]

له ذلك حالُ المأمور. والخلقُ داع؛ اقتضاه حال المدعو. لأنَّ الداعي يرجو الإجابة لئلا تقرر عنده من حال المدعو، والأمر يرجو الامتثال من المأمور لئلا يعلمه من حال المأمور. فحالُ المأمور والمدعو جعل للآمر أن يكون منه الأمر، وحالُ المدعو جعل الداعي أن يكون منه الدعاء؛ وكلُّ واحدٍ؛ فحالُه اقتضى- أن يكون أمراً وداعياً. فالدعاء والأمر نتيجة بين مقدمتين؛ هما حال الداعي والمدعو، والأمر والمأمور؛ فزالَت الوحدة، وبان الاشتراك.

فالتوحيد الحق إنما هو لمن أعطى العلم للعالم، والحكم للحاكم، والقضاء للقاضي؛ وليس إلا عين الممكن؛ وهو الخلق في حال عدمه ووجوده، كما قرئناه في الباب قبل هذا.

والأحوال ينسب عدمية، وهي الموجبة لوجود الأحكام من الحكام في المحكوم به وعليه. فالممكن مرجح في حال عدمه ووجوده، فالترجيح أثر المرجح فيه²، وحالُ الترجيح أوجب للممكن أن يسأل وأن لا يسأل بحسب ما تقتضيه حاله؛ لأنَّ ما عيَّننا حالا من حال. فبالحال يسأل فيؤثر الإجابة في المرجح، والمرجح أعطى الحال في ترجيحه الذي أوجب السؤال المؤثر في المرجح الإجابة. فلا يجيب المرجح إلا عن سؤال، ولا سؤال إلا عن حال، ولا حال إلا عن ترجيح، ولا ترجيح إلا من مرجح، ولا مرجح إلا من قابل للترجيح؛ وهو الممكن، والممكن أصلُ ظهور هذه الأحكام كلها؛ فهو المعطي لجميع الأسماء، والأحكام، وقبول المحكوم عليه بذلك، والمستقى.

فما ظهر أمرٌ إلا نتيجة عن مقدمتين؛ فللحق التوحيد في وجود العين، وله الإيجاد؛ بالاشتراك منه، ومن القابل. فله عينه- وجوبُ الوجود لنفسه؛ فهو واحد، وله الإيجاد؛ من حيث نفسه، وقبول الممكن؛ فليس بواحد في الإيجاد. ولو صحَّ توحيد الإيجاد؛ لوجد المَحال، كما وجد الممكن. وإيجاد المَحال مُحال. فإذا قلت، على ما قد تقرر، من وجود حق وخلق، فقل بوجود مؤثر، ومؤثر فيه مؤثر فمن أثر فيه ﴿وَالْيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾³؛ أي إلى هذا الحكم، لا إلى العين.

وَضَلُّ تَبِيهِ

ثم لتعلم أنَّ الله تعالى- قد أمرنا بالرضا قبل القضاء مطلقاً؛ فعلمنا أنه يريد الإجمال. فإنه إذا فصله حال المقضي عليه بالمقضي به؛ انقسم إلى ما يجوز الرضا به، وإلى ما لا يجوز. فلما أطلق الرضا به علمنا أنه

1 ربما قرئت: واجد

2 ص 7 ب

3 [هود: 123]

4 ص 8

أراد الإجمال. والقدر توقيت الحكم؛ فكل شيء بقضاء وقدر؛ أي بحكم مؤقت. فمن حيث التوقيت المطلق يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره. ومن حيث التعيين يجب الإيمان به، لا الرضا ببعضه.

وإنما قلنا: يجب الإيمان به أنه شرٌّ، كما يجب الإيمان بالخير أنه خير. فنقول: إنه يجب على الإيمان بالشرِّ. أنه شرٌّ، وأنه ليس إلى الله من كونه شرًّا لا من كونه عين وجود؛ إن كان الشرُّ أمراً وجودياً. فمن حيث وجوده، أي وجود عينه هو إلى الله، ومن كونه شرًّا ليس إلى الله. قال ﷻ في دعائه ربُّه: «والشرِّ ليس إليك». فالؤمن ينفي عن الحق ما فاه عنه.

فإن قلت: ﴿قَالَهُمَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾² قلنا: ألهمها، فعلمت أن الفجور فجور، وأن التقوى تقوى؛ لكي تسلك طريق التقوى، وتجنب طريق الفجور. فإن قلت: فقله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾³؟ قلنا: ليس ذلك في السبئية المحكوم بها في الشرع، وذلك هو الشرِّ، وإنما هو فيما يسوؤك، والذي يسوؤك إنما هو مخالفة غرضك، وهو قولهم: «إِنَّا نَطِيرُنَا بِكَ» فقال لهم الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾⁴: ما يسوؤكم، وما يحسن عندكم. وقد تقرر قبل هذا أن القابل له الأثر في التعمين، ما هو للمعطي. فهو تعالى -معطي الخير، والقابل يفضله إلى ما يحكم به عليه من خير وشرِّ. فخيرته (هي) إيقاؤه على الأصل، فله حكم الأصل. ولهذا قال: «والخير كله بيديك» وما حكم به من الشرِّ من القابل، وهو قوله: «والشرُّ ليس إليك».

فإن قلت: فهذا المخلوق على قبول الشرِّ هو ممكن؛ فلا شيء لم يخلقه على قبول الخير؛ فالكُلُّ منه؟ قلنا: قد قُعمنا وبيتنا⁵ أن العلم تابع للمعلوم، وما وُجد الممكن إلا على الحال الذي كان عليه في حال عدمه من ثبوت وتغيير، كان ما كان، والحق ما علم إلا ما هو المعلوم عليه في حال عدمه، الذي إذا ظهر في الوجود كان بتلك الحال. فما طرأ على المعلوم شيء لم يتصف به في حال عدمه، فما للعلم فيه أثر. وما قلنا بالقدر إنه توقيت إلا لأنه من المقدار ﴿وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾⁷ و﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾⁸ فاعلم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁹.

1 كما يجب... شرٌّ فاجبة بالهامش مع إشارة الصواب.

2 [النس: 8]

3 [النساء: 78]

4 [النساء: 78]

5 ص هـ ب

6 ق: وبيتنا

7 [الحجر: 21]

8 [التيسر: 49]

9 [الأحزاب: 4]

الباب الرابع عشر وأربعائة في معرفة منازلة: ما تَرى إِلَّا بِحِجَابٍ

مَنْ¹ رَأَى الْحَقَّ حَمَازًا عَلَنًا إِنَّمَا أَبْصَرَهُ خَلْفَ حِجَابٍ
وَهُوَ لَا يَقْرِنُهُ وَهُوَ بِهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْأَمْرُ الْعَجَابُ
كُلُّ رَأْيٍ لَا يَزِي غَيْرَ النَّبِيِّ هُوَ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ
صُورَةُ الرَّائِي تَجَلَّتْ عِنْدَهُ وَهِيَ عَيْنُ الرَّائِي² بَلْ عَيْنُ الْحِجَابِ

ورد في الصحيح تجلّي الحقّ في الصور وتحوّلها فيها، وهو مرادنا بالحجاب. ثبت عقلا وشرعا وكشفا، والكشف يعطي ما يعطي الشرع سواء؛ أنّ الحقّ لا يقبل التغير. فأما بالعقل؛ فالأدلة في ذلك معروفة، ليس هذا الكتاب موضعها؛ فإنه مبني على الشرع وعلى ما يعطيه الكشف والشهود؛ فإنّ العقول تقصر عن إدراك الأمر على ما يشهد به الشرع في حقه. وأما الشرع فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³ فلو تغيّر في ذاته لم يصدق هذا الحكم وهو صدق؛ فاستحال أن يتغيّر في ذاته، والحقّ يقول: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ» وقال⁴: «كُنْتُ سَمِعُهُ وَصَرَّهُ». فالصور التي تقع عليها الأبصار، والصور التي تتركها العقول، والصور التي تمتلئها القوة المتخيّلة؛ كلّها حُجِبَ بِرَأْيِ الْحَقِّ مِنْ وَرَائِهَا، ويُنسب ما يكون من هذه الصور من الأعمال إلى الله تعالى - كما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁵.

فلم يزل الحقّ غيبا فيما ظهر من الصور في الوجود، وأعيان الممكنات في شبيّة ثبوتها على تنوّعات أحوالها مشهودة للحقّ غيبا أيضا، وأعيان هذه الصور الظاهرة في الوجود - الذي هو عين الحقّ - أحكام أعيان الممكنات؛ من حيث ما هي عليه في ثبوتها من الأحوال، والتنوّع، والتغير، والتبدّل، تظهر في هذه الصور المشهودة في عين الوجود الحقّ. وما تغيّر الحقّ عمّا هو عليه في نفسه، كما أنّ الهباء ما تغيّر عن كونه هباء، مع قبوله لجميع الصور. فهي معاني في جوهره، والمعاني المنسوبة إلى تلك الصور والأعراض

1 ص 9

2 رسمها في ق: الزّاه

3 [الشورى : 11]

4 ص 9ب

5 [الصافات : 96]

والصفات من باب قيام المعنى بالمعنى. فلا تزال الحُجُب مُسندلة؛ وهي أعيان هذه الصور. فلا يرى إلا من وراء حجاب، كما لا يكلم إلا من وراء حجاب.

فإذا رآه الرائي كفاحاً؛ فما يراه إلا حتى يكون الحقُّ بصره؛ فيكون هو الرائي نفسه يبصره في صورة عبده. فأعطته الصورة المكافئة¹؛ إذ كانت الحاملة للبصر ولجميع القوى؛ فتشاهده في الصورة عيناً من الاسم "الظاهر" إذ هو بصرُك. وكفاحاً، وتشاهده من الاسم "الباطن" علماً؛ إذ هو بصرُ آلِكَ التي أدركت بها ما أدركت. وإنما قلنا: "كفاحاً"؛ لما ورد في الخبر النبوي الذي خرجه الترمذي وغيره في سياق هذه اللفظة عينياً. ثم إنَّ صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى - كفاحاً في منامه، في أي صورة يراه، فيقول: "رأيت ربِّي في صورة كذا وكذا" ويتصدَّق ويصدَّق، مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² نفى عنه المماثلة في قبوله التجلّي في الصور كلها التي لا نهاية لها لنفسه.

فإنَّ كلَّ من سواه تعالى - ممن له التجلّي في الصور لا يتجلّى في شيء منها لنفسه، وإنما يتجلّى فيها بمشيئة خالقه وتكوينه. فيقول للصورة التي يتجلّى فيها من هذه صفته: "كن" فتكون الصورة؛ فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين؛ كالأرواح والمتروحين من الأناسي كغضبiban وشبهه. يقول الله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾³ فسوّاه وعدله على مزاج يقبل كلّ صورة إذا شاء الحق، وجعل التركيب لله، لا له. وفي نسبة الصور لله يقال: في أي صورة شاء ظهر، من غير جعل جاعل⁴، فلا يلتبس عليك الأمر في ذلك.

ولأنَّ لم يكن له تعالى - ظهورٌ إلى خلقه إلا في صورة، وصوره مختلفة في كلّ تجلّي لا تتكرر صورة؛ فإنه سبحانه - لا يتجلّى في صورة مرتين، ولا في صورة واحدة لشخصين. ولأنَّ كان الأمر كذلك؛ لم ينضبط للعقل ولا للمعن ما هو الأمر عليه، ولا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور؛ فإنه ينتفض له ذلك التقييد في التجلّي الآخر في الصورة الأخرى، وهو الله في ذلك كلّ، لا يشك ولا يرتاب. إلا إذا تجلّى له في غير معتبه؛ فإنه يتموّد منه كما ورد في صحيح الأخبار. فيعلم أنّ تمّ في نفس الأمر عيناً تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة، لا يعرف لها ماهية أصلاً ولا كيفية. وإذا حكم ولا بدّ بكيفية؛ فيقول:

1 ص 10

2 [الشورى: 11]

3 [الإطار: 8]

4 ص 10 ب

الكيفية (هي) ظهوره فيما شاء من الصور؛ فتكون الصور مُشَاءة، وكلّ مُشَاءٍ معدومٌ بلا شك. فما ظهر لك إلّا حادثٌ في عين قديم؛ فما رأيت إلّا حادثاً مثلك؛ لأنك ما رأيت إلّا صورةً يقيدها نظرك ببصر. هو الحق، في عين هو الحق، أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة. فهو مدرك في الآخرة والنوم عيناً وعلماً شرعاً، وغير مدرك علماً.

ولا¹ نشكّ إيماناً وكشفاً، لا عقلاً؛ أنّ بهويته أدرك المدرك جميع ما يدرك، سواء أدرك جميع ما² يدرك أو بعضه، على أيّ حالة يكون استعداد المدرك -اسم مفعول- فالبصر من المدرك -اسم فاعل- هوية الحق لا بدّ من ذلك. وهكذا جميع ما ينسب إلى هذه الآلات من القوى، ما هي سيوى هوية الحق؛ إذ يستحيل خلاف ذلك.

فالآلات ومعالها (هي) أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود الحق، وهو لها كالروح للصورة التي لا يمسك عليها ذلك النظام إلّا هو، ولا تنرك تلك الصورة شيئاً إلّا به حسّاً وخيالا. والكلّ بحمد الله خيال في نفس الأمر؛ لأنّه لا ثبات لها دائماً على حال واحدة. و«الناس نيام» وكلّ ما يراه النائم قد عرف ما يرى، وفي أيّ حضرة³ يرى «فإذا ماتوا انقبوا» من هذا النوم في النوم. فما برحوا نائمين، فما برحوا في رؤيا، فما برحوا في أنفسهم من هذا التنوّع، وما برح ما يدركونه في أعينهم من التنوّع. فلم يزل الأمر كذلك، ولا يزال الأمر في الحياة الدنيا وفي الآخرة هكذا كما أوردناه وذكرناه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 11

2 في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب: يمكن أن يدرك من حيث استعداد المدرك أن يدرك -اسم مفعول-.

3 ق: "صورة" وعليها إشارة المسح، والصحيح في الهامش: حضرة

4 [الأحزاب: 4]

الباب¹ الخامس عشر وأربعائة
في معرفة منازلة: من دعائي
لقد أتى حقّ عبوديته، ومن أنصف نفسه فقد أنصفني

إِذَا مَا دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ	فَلَسْتُ لَهُ عَبْدًا وَمَا أَنْصَفُ
وَأُضْبِخْتُ عَبْدًا لِلْمُحْطُوطِ وَمَا لَنَا	وَقَاءَ وَلَا عَهْدَ وَقَدْ ثَبَتَ الْعَهْدُ
وَلَوْلَا قِيَامُ الْعَبْدِ فِي عَهْدِ رَبِّهِ	لَنَا صَحَّ "أَزَلُّوا بِالْعُقُودِ" وَلَا وَغْدُ
وَلَيْسَ سِوَى التَّكْلِيفِ قُرْبٌ مُخَصَّصُ	يُعَيِّنُهُ أَمْرٌ وَيُنْبِئُهُ عَقْدُ
وَقَامَتْ حُقُوقُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	عَلَيْنَا وَلَوْلَا الْقُرْبُ مَا عُرِفَ الْبُعْدُ
فَمَنْ أَنْصَفَ الْأَكْوَانَ أَنْصَفَ رَبَّهُ	وَكَانَ لَهُ فِي ذَاتِ خَالِقِهِ الْحَلَّةُ
وَصَحَّ لَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَطَارِفٌ ²	وَكَانَ لَهُ بَيْنَ ³ الْمَلَائِكَةِ الْحَمْدُ
أَلَا إِنَّمَا الْعَبْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ	يَمُوتُ وَيُحْيَا وَالْوُثُوفُ لَهُ حَدُّ
وَمَا كَلَّفَ الرَّحْمَنُ نَفْسًا الَّذِي	يَقُومُ بِهِ فَاجْتَمَدَ فَقَدْ يَنْتَفِعُ الْجَهْدُ
فَمَنْ قَامَ بِالرَّحْمَنِ كَانَ لَهُ الْجَدُّ	وَمَنْ قَامَ لِلرَّحْمَنِ كَانَ لَهُ الْجَدُّ
وَحُصِّصَ بِالْآيَاتِ فِي عَيْنِ شَيْبِهِ	وَأَفَاقِهِ فَاتَّخَذَ بِمَا حَيْدَ الْحَمْدُ

قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ﴾¹ فوصفهم بأنهم لا يخرجون عن العبودية، وأن الذلة حقيقة لهم، وهو قوله: ﴿ذَاخِرِينَ﴾. فمن لم يرد أن يكون عبدا لي، كما هو في نفس الأمر، فإنه سيكون عبدا لطبيعته التي هي جهنم، وبمثل تحت سلطانها، كما ليس هو في نفس الأمر؛ فترك العلم، واتصف بالجهل. فلو علم لكان عبدا لي، وما دعا غيري؛

1 ص 11 ب

2 الطرف: ما استعملت من المال، والطليق ما ورثه عن الآباء قديما. ليكون هنا إشارة إلى صلة الحادث بالقديم.

3 كتب لوفها من غير إشارة الاستقبال: "دون" و"بجانبا" "صح".

4 ص 12

5 [غافر: 60]

كما هو في نفس الأمر عبدٌ لي؛ أحبُّ أم كره، ويجلُّ أو غلِّم. وإذا كان عبداً لي بدعائه ليأي، ولم يتكبر في نفسه أن يكون عبداً لي عند نفسه؛ أعطيته التصريف في الطبيعة؛ فكان سيِّئاً لها وعلوها، ومصرفاً لها ومصرفاً فيها، وكانت أمتة. فانظر ما فاتته من العزِّ والسلطان من استكبر عن عبادتي، ولم يذغني في السراء وكشف الضر؛ وتعبته الأسباب فكان من الجاهلين.

وبما يؤيد (ذلك) أن الحقَّ عينُ قوى العبد؛ فالتصريف له؛ لأنَّ العبد لا تصرفه إلا قواه، ولا يصرفه إلا الحقُّ؛ فقواه عينُ الحقِّ. دليلنا ما قالته الرسل سلام الله عليهم- في ذلك، فأخبر محمد ﷺ عن الله أنه قال: «كنت سمعته وبصره ويده» يعني العبد إذا تقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، وذكر قواه التي تصرفه. ونزل في القرآن تصديق هذا القول، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾² والعمل ليس لجسم الإنسان بما هو جسم، وإنما العمل فيه لقواه. وقد أخبر أن العمل الذي يظهر من الإنسان المضاف إليه؛ أنه الله خلق؛ فالحقُّ قواه.

وأما موسى (عليه السلام) فأخذ العالم في ماهية الحقِّ لما دعا فرعونَ إلى الله ربَّ العالمين، فقال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾³ يسأله عن الماهية؛ فقال له موسى (عليه السلام): ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ لَمُوقِنِينَ﴾⁴.

يقول: إن استقرَّ في قلوبكم ما يعطيه الليل والنظر الصحيح من الدالِّ. فأخذ موسى (عليه السلام) العالم⁵ في التعريف بماهية الحقِّ، والرسل عندنا أعلم الخلق بالله. فقال فرعون، وقد علم أن الحقَّ مع موسى فيما أجابه به إلا أنه أَوْهم الحاضرين واستخفهم؛ لأنَّ السؤال منه إنما وقع بما طابقه الحقُّ، وهو قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁶ فما سأله إلا بذكر العالمين، فطابق الجواب السؤال. فقال فرعون لقومه: ﴿أَلَا نَسْتَعِينُكَ﴾⁷ أسأله عن الماهية فيجيبني بالأمور الإضافية. فغالطهم، وهو ما سأل إلا عن الربِّ المضاف. فقال له موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾⁷ فخصص الإضافة لدعوى فرعون في قومه أنه ربهم الأعلى. فقال

1 ص 12 ب

2 [الصفات : 96]

3 [الشعراء : 23]

4 [الشعراء : 24]

5 ص 13

6 [الشعراء : 25]

7 [الشعراء : 26]

فرعون: ﴿إِنْ رَسُولُكَ أَلَيْسَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾¹ أي قد ستر عنه عقله؛ لأن العاقل لا يسأل عن ماهية شيء فيجيب بمثل هذا الجواب.

فقال له موسى لقرينه حال اقتضاها المجلس - ما قاله إبراهيم عليه السلام لعمروذ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَنْتَهَا إِلَيْنِ كُنْتُمْ تَفْقَهُونَ﴾² ولو لم يقل هنا: ﴿وَمَا يَنْتَهَا﴾ لجاز؛ لأنه ليس بينها شيء؛ وذلك لأن عين حال الشروق في ذلك الحيز، هو³ عين استوائها، هو عين غروبها. فكل حركة واحدة منها في حيز واحد: شروق، واستواء، وغروب؛ فإثم ما ينبغي أن يقال: "ما بينها". لكنه قال: ﴿وَمَا يَنْتَهَا﴾ لعمومه على الحاضرين؛ فإنهم لا يعرفون ما⁴ فصلناه في إجمال ﴿وَمَا يَنْتَهَا﴾ فجاء بالمشرق والمغرب المعروف في الغرف، ثم قال لهم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَفْقَهُونَ﴾ فأحالم على النظر العقلي.⁵

فَا عَرَفَ الْحَقُّ إِلَّا بِمَا وَلَا وُجِدَ الْخَلْقُ إِلَّا بِهِ

فَبُنِيَ إِلَيْنَا وَمِنَّا إِلَيْهِ فَبُنِيَ عَلَيْنَا وَتَنِي عَلَيْهِ⁶

وكنا ذكر إبراهيم عليه السلام الذي ذكر الله عنه أنه آتاه الحجة على قومه: ﴿وَجُمُتْ وَنَجْمِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾⁷ فما ذكره إلا بالعالم. فالعالم ظاهره خلق، وباطنه حق. ومن حكم باطنه يتصرف، وما يؤثر في باطنه التصرف إلا تصرف في ظاهره من باطن؛ فما تصرف في باطنه - الذي هو الحق - إلا الحق، لا غير. فتصرفه حكم عليه بالتصرف؛ فالصورة الظاهرة ماثلة للصورة الباطنة.

حتى أن بعض المتكلمين ذهب في كتابة القرآن وفي تلاوته الحديثة؛ أن لكل حرف يكتبه الكاتب من القرآن، أو يخلوه التالي من القرآن (أنه) في ذلك الحرف المنطوق به الحادث - أو المكتوب؛ حرف مثله هو قديم. واضطره إلى ذلك كون الحادث لا يستقل في وجوده؛ فلا بد من استصحاب القديم له. وهذا مذهب رئيس من رؤساء المعتزلة. ثم إن هذا القديم، إن لم يكن على صورة ما خرج عنه وظهر، وهو

1 [الشعراء : 27]

2 [الشعراء : 28]

3 ق: هو هو

4 ص 13 ب

5 كتب أحد المراجعين في الهامش: هناك البيان المختلفان (الخلعان) غير مقصودين

6 غلبي في الهامش غلم آخر على هذا البيت والبيت السابق كما يلي: هناك البيان المختلفان غير مقصودين

7 [الأنعام : 79]

الحادث، وإلا فليس هو له.

ولذلك كان العالم على صورة الحق¹، وكان الإنسان الكامل على صورة العالم وصورة الحق، وهو قوله: «إن الله خلق آدم على صورته» فليس في الإمكان أبدع ولا أكمل من هذا العالم؛ إذ لو كان؛ لكان في الإمكان ما هو أكمل من الله. فإن آدم -وهو من العالم- قد خلقه الله على صورته، وأكمل من صورة الحق فلا يكون. وذلك أن ظهور العالم عن الحق (هو) ظهور ذاتي؛ فالحق مرآة للعالم، ظهر فيها صور العالم؛ فرأت الممكنات نفسها في مرآة الحق الوجود؛ فتوقفت في الوجود عليه، وتوقفت في العلم به على العلم بها.

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هِيَ وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا بِهِ
فَمَا لَهَا مِنْ مُشَبِّهِ وَمَا لَهُ مِنْ مُشَبِّهِ
يَا غَافِلًا عَنْ قَوْلِنَا فَكُنْ هِيَ تَكُنْ بِهِ

فإذا كان الأمر كما ذكرناه؛ فمن أنصف نفسه وأعطاه حقها؛ فإنما أنصف الحق وأعطاه حقه؛ لأنه أفرد نفسه بما يستحقه، وأفرد ربه بما يستحقه. ومن تميز عن شيء فما هو عينه، ولا مثله فيما تميز به عنه؛ لكنه مثله في كونه تميز، فافهم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾². واجعل بالك في كل منظوم في أول كل باب من أبواب هذا الكتاب؛ فإنه يتضمن من³ علوم ذلك الباب على قدر ما أردت أن أتبّه فيه عليها، تجد في النظم ما ليس في الكلام في ذلك الباب؛ فتزهد علما بما هو عليه ما ذكرته في النظم ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ﴾⁴.

1 ص 14

2 [الأحزاب : 4]

3 ص 14 ب

4 [الحل : 9]

الباب السادس عشر وأربعمئة في معرفة منازل: عين القلب

وَعَلَيْهِ سَادَاتُ الطَّرِيقِ تُنَاطِرُ	عَيْنُ الْقُلُوبِ مِنَ الْوُجُودِ النَّاطِرُ
وَمُقَلَّبًا فَهُوَ الْوُجُودُ الْحَاجِرُ	فَانْظُرْهُ فِي ثَقْلَيْهَا مُتَقَلِّبًا
وَالْمَاضِي وَالْآتِي خَدِيعَتُ سَائِرُ	مَا تَمَّ إِلَّا مَا يُعَالِنُ وَثْنُهُ
مَا تَمَّ تَمَّ وَتَمَّ حُكْمٌ قَاصِرُ	الظُّرْفُ فِي الْأَكْوَانِ لَيْسَ بِكَائِنِ
أَغْيَاثُنَا وَأَنَا الْعَلِمُ الْحَاسِرُ	هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي ظَهَرَ بِهِ
أَتَى الْقَوْلُ وَلَيْسَ تَمَّ مُفَايِرُ	لَوْ قُلْتَ مَا هُوَ لَمْ تَسْغُهُ غُفُولُكُمْ

قال¹ الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الذي ذكرها به ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الذي ذكرها به إذا كانت مؤمنة ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾² في ثقلها؛ فتسكن إلى التقلب مع الأنفاس، وتعلم أنَّ الثبات على حال واحدة لا يصح؛ فإنَّ صورة الحق لا تعطي الضيق، ولا اتساع لها ولا مجال إلا في التقلب، ولا قلب للحق إلا في أعیان الممكنات، وأعيان الممكنات لا نهاية لها، فالتقلبُ الإلهي فيها لا يتناهي؛ فهو كل يوم في شأنٍ حيث كان، فما زال الأمر مذ كان ولا يزال، من حال إلى حال.

فالعينُ آلة، وبالبصر يقع الإدراك للمبصر وهو الحق؛ فبه تبصر؛ ومن أبصر أمراً فقد علمه، وإذا علمه فقد سكن إليه، فأبصر التقلب دائماً؛ فقلبه دائماً؛ فاطمأن به، وسكن إليه. فهو في كل نفس ينظر إلى آثار ربه في قلبه؛ فيما يقمه، وفيما خرج عنه؛ ما يعطيه فيه وينبئه به عليه؟ فلا يزال صاحب هذا المقام في كل نفس في علم جديد؛ فهو في خلق جديد. وغيره في لبس من هذا الخلق الجديد. أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿وَرَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾³ أي: ارفع عني اللبس الذي يحول بيني وبين العلم بالخلق الجديد، فيغوتي خير كثير حصل في الوجود لا أعلمه. والحجاب ليس إلا التشابه والتماثل، ولولا ذلك لما التبس على أحد الخلق الجديد الذي لله في العالم في كل نفس بكل شأن.

1 ص 15
2 [الرعد : 28]
3 [طه : 114]
4 ص 15ب

وما تنبّه لهذا من الطوائف إلا القائلون بتجديد العالم في كلّ زمان فرد، وهم طائفة يقال لهم: الحسابية، ولم يبلغوا فيه مبلغ الأمر على ما هو عليه، لكنهم قاربوا كما قارب القائلون بأنّ العرض لا يمتدّ زمانين، والعرض (هو) كلّ ما لا قيام له بنفسه، فهؤلاء أيضا قاربوا الأمر. وما بلغوا فيه ما هو الأمر عليه إلا القاضي أبو بكر بن الطيّب؛ فإنه قارب في بعض الأمر في موضعين: الموضع الواحد قوله في الأكوان: "إنّها نسب لا عين لها"، وقوله فيما نسب إلى الحقّ من صفة: "أنّ ذلك الحكم لمعنى ما هو عين المعنى الآخر الذي أعطى حكما آخر". فقارب أيضا ولم يبلغ فيه ما هو الأمر عليه، وإنما تميّز عنّي يقول: "إنّ سمع الحقّ وبصره (هو) عين علمه". والبالغاني لا يقول بهذا.

ورأيت بفاس أبا عبد الله الكتاني، إمام أهل الكلام في زمانه بالمغرب، وقد سألتني يوما في الصفات الإلهية. فقلت له ما هو الأمر عليه عندنا، ثم قلت له: فما قولك أنت فيها: هل أنت مع المتكلمين، أو تخالفهم في شيء مما ذهبوا إليه فيها؟

فقال لي: أنا أقول لك ما عندي؛ أمّا إثبات الزائد على الذات المسمى صفة؛ فلا بدّ منه عندي وعند الجماعة¹. وأمّا كون ذلك الزائد عينا واحدة لها أحكام مختلفة كثيرة، أو لكلّ حكم معنى زائد أوجبه؛ ما عندنا دليل على أحديته ولا على تكثيره، هذا هو الإنصاف عندي في هذه المسألة. وكلّ من تكلف في غير هذا دليلا فهو مدخول، والزائد لا بدّ منه. غير أنّ قول: ما هو هو ولا هو غيره؛ لما قد علمت بما سيّدنا - من مذهب أهل هذا الشأن في الغيرين.

فقلت له: يا أبا عبد الله؛ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في تعبيره الرؤيا: «أصبحت بعضا وأخطأت بعضا». فقال لي: لا أتهمك - والله - فيما تعلمه، ولا أقدر أرجع عن الحكم بالزائد، إلا إن فتح الله لي بما فتح الله به عليك، مع اختلاف أهل النظر فيما ذهب إلى. هذا قوله. فتعجّبت من إنصافه، ومن قصمه، مع شهادته على نفسه أنّه ما يّتهمني وهو يخالفني، فأشبهت من أضلّه الله على علم. ولكن لا يقدح ذلك عندي في إيمانه، وإنما يقدح في عقله.

ثمّ ترجع وقول: إنّ عين القلب ليس إلا ما هو الحقّ عليه في أحوال العالم؛ ظاهرا وباطنا، وأولا وآخرا. وإن تعدّدت الأسماء فالمسمى واحد، والمفهوم ليس بواحد. فيحار الباعى إذا دعا؛ ما يدري ما يدعو: هل يدعو المسمى؟ أو يدعو المفهوم؟ فإنّ الأسماء الإلهية ما² تعدّدت جزافا؛ فلا بدّ من سبب يُعقل لتعدّدها. فالمفهوم من العالم، ما هو عين المفهوم من الحيّ؛ والحيّ هو العالم، فالحيّ عين العالم،

والمفهوم من الحي ما هو المفهوم من العالم، ولا القادر، ولا العزيز، ولا العالي، ولا المتعالي، ولا الكبير، ولا المتكبر. ولم نقل هذا عنه، ولا سَمَّيْتُهُ بهذا؛ بل هو سَمِيَّ لي نفسه بهذا. فهل هو اسم له؟ أو لما هو المفهوم منه؟ وهل المفهوم منه أمرٌ وجوديٌّ، أو نسبة؟ ثم مشاركتنا إياه في هذه الأسماء الواردة الإلهية كلها من أعجب ما في الأمور! ثم رفع المِثَالَةَ بيني وبينه. فتعلم قطعاً أن هذه الأسماء من حيث المفهوم لا ترفع المِثَالَةَ.

فَقَدْ حَزْنَا وَقَدْ حَارَا	فَمِنْ حَارَ فَا حَارَا
فَقَدْ أَتَعَذَّبْنِي غَيْثَا	وَقَدْ قَرَّبْتَنِي جَارَا
وَقَدْ عَيْنَ لِي دَارَا	وَقَدْ غَيَّبْتَنِي دَارَا
لَهُ يَنْكُتُهَا حُلَا	فَدُزْنَا خَيْثُ مَا دَارَا
فَمِنْ أَضْفَى وَمَنْ قَالَ	وَمَنْ كَسَرَى وَمَنْ دَارَا
مَلِيكَ مَا لَهُ مُلْكٌ؟	مُحَالٌّ، حَارَ مَنْ حَارَا
وَنَادَى مَنْ أَتَى يَنْغِي	فَكَانَتْ دَارُهُ النَّارَا

فما عيَّنتي داراً إلا له؛ فيه أسمع، وبه أبصر، وقد وسعه قلبي. وما عَيَّنَ لي داراً إلا هو؛ فيه أقيم، وبه أنزل. وهو يسترني عن خلقه؛ فهو الظاهر، وأنا مخبوء في كفيه. فإذا سَمِعَ بالآلة أو بالنَّسَبِ؛ فبهي يسمع وبهي يُبصر على ذلك، كما أسمع به وأبصر به. فهو في النوافل؛ فإنه الأصل وأنا الزائد؛ فإنَّ ظاهر الصورة عيني. وأنا فيه بالفراض؛ فبهي يسمع وبهي يبصر.

فَقَدْ كَانَ سَمِعَ الْحَقَّ فَالْحَقُّ سَامِعٌ	وَمَنْ كَانَ عَيْنَ الْحَقِّ فَالْحَقُّ نَاطِقٌ
فَيَخْتَلِفُ التَّكْلِيمُ وَالْعَيْنُ وَاجِدٌ	عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلُّ غَيْبٍ يُجَابِرُ

الباب السابع عشر وأربعمئة في معرفة منازلة: مَنْ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ

إِنَّ الرِّسَالَةَ أَجْرُهَا مُتَحَقِّقٌ لَكِنْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يَنْتَظِمُهُ
هَذَا هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ أَغْيَانُ كَوْنٍ لَمْ يَزَلْ يَنْتَظِرُهَا
الْعَفْوُ¹ وَالصُّلْحُ الْجَمِيلُ يُرِيدُ مَا قَدْ كَانَ مِنْ حَقٍّ عَلَى مَنْ يَحْكُمُهُ
الْعَفْوُ إِنْ خَصَصْتَهُ بِزُرٍّ وَعَفُوَ اللَّهُ كَثْرَ عِلْدٍ مَنْ يَتَّقُهُ

(النوع الأول من أجره على الله: الرسل)

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾² وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْنِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾³ وأخبر الله -تعالى- في كتابه عن كل رسولٍ من رُسُلِهِ عليهم السلام - أنه قال لأُمته: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾⁴ فيما بلغه عن الله إليهم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾⁵ فإنه -تعالى- هو الذي استخدمه في التبليغ.

فاعلم أَنَّ الله -تعالى- له المنة على عباده بأن هدام للإيمان بِرُسُلِهِ؛ فوجب عليهم شكر الله. وحلاوة الرسول فيضنها الله عنهم؛ بأن جعل أَجَرَ رَسُولِهِ ﷺ عليه، وضمَّ في ذلك الأجر ما يجب على المؤمنين من الحلاوة له لَمَّا هدام الله به. فأنزله ﷺ منزلة مَنْ له تَخَاضَعُ الأَجْرُ: أجر التبليغ، وأجر ما قام فيه الحقُّ خليفةً عن المؤمنين؛ إذ هو الوكيل -تعالى- عن⁶ أمره إِيَّانَا بقوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾⁷ من غير أن يُنتقص مما هو للمؤمنين شيء⁸ من نعمهم.

فاعلم أَنَّ أَجَرَ التبليغ (يكون) على قدر ما ناله في البلاغ من المشقة من المخالفين له من أُمته التي بُعث

1 من 17 ب

2 [الشورى : 40]

3 [النساء : 100]

4 [التحريم : 109]

5 [يونس : 72]

6 من 18

7 [الزمل : 9]

8 ق: "شئنا" وصحت بالهاش بظم الأصل

إليها، وما قاساه. ولا يعلم قدر ذلك من كل رسول إلا الله، ولا يتعین. وأما الذي يعطيه مما كان ينبغي أن يقابله به المؤمنون فهو على نوعين:

النوع الواحد: على قدر معرفتهم بمنزلته ممن أرسله إليهم وهو الله - تعالى -: فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

والنوع الثاني: على قدر ما جاء به في رسالته، مما هو بشري لصاحب تلك الصفة، التي من قامت به كان سعيدا عند الله. فما كان ينبغي أن يقابله به ذلك الرجل؛ هو الذي يعطيه الحق. فإن ساوى حال المؤمن قدر الرسالة كان، وإن قَصَرَ حاله عما تقتضيه تلك الرسالة من التعظيم؛ فَإِنَّ اللَّهَ بِكْرَمِهِ لَا يَنْظُرُ إِلَى جَمَلِ الْجَاهِلِ بِعَظِيمٍ تَدْرَاهَا: نِيَوَيْهِ الْحَقُّ - تعالى - على قدر علمه فيها. ولا نشك أن الله قد جعل المفاضلة في كل شيء، والعالي والأعلى. وإن كان الإيمان بالله وبرسوله وما جاء به عليا؛ فإنه يتفاضل بتفاضل شُعْبِهِ وأبوابه؛ فَإِنَّ «الإيمان بضع وسبعون¹ شعبة؛ أدناها إمالة الأذن عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله» وما بينهما. فمن جمع شعب الإيمان كلها؛ فجزاء الرسول من الله عن هذا الشخص الجامع (يكون) على قدر منزلته عند الله، العالم بالعالي منها وبالأعلى. فانظر ما للرسول ﷺ من الأجور.

فأجر التبليغ (هو) أجر استحقاق؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنْ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كُتِبَ اللَّهُ» وأما من سأل من الصحابة عن أمر ما من الأمور مما لم ينزل فيه قرآن؛ فنزل فيه قرآن من أجل سؤاله؛ فَإِنَّ لِلرَّسُولِ عَلَى ذَلِكَ السَّائِلِ أَجْرَ اسْتِحْقَاقٍ يَتَوَبَّ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ، زائدا على الأجر الذي له من الله. وأما من ردَّ رسالته من أمته التي بُعث إليها؛ فَإِنَّ لَهُ (أي للرسول) عند الله أيضا أجر المصيبة، وللمصاب فيما يحبُّ أَجْرًا. فأجره على الله - أيضا - على عدد من ردَّ ذلك من أمته، بلفوا ما بلفوا. وله من أجر المصاب أجر مصائب العصاة؛ فإنه نوع من أنواع الرزايا في حقه؛ فإنه ما جاء بأمر يطلب العمل به، إلا والذي يترك العمل به قد عصى؛ فللرسول أجر المصيبة والرزية. وهذا كله على الله الوفاء به لكل رسول.

النوع³ الثاني من أجره على الله: (المهاجر إلى الله ورسوله)

وهو المهاجر يموت قبل وصوله إلى المنزل الذي هاجر إليه؛ فَإِنَّ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ، على قدر الباعث

1 ص 18 ب

2 لم ترد في ق ووردت في س

3 ص 19

الذي بعثه على الهجرة، والناس في ذلك مفاضلون. ثم إن الله ينوب عن رسوله فيما يعطيه من الأجر؛ فإنه خرج مما جاز إلى الله ورسوله، ثم إن له أجر الفوت؛ بالموت الذي أدركه، وذلك من الله؛ فإنه الذي رزاه، وحال بنه وبين الوصول إلى مهاجره؛ فالدية عليه. فإن كان هذا الذي يموت عالماً عاقلاً؛ فأعظم من لقاء الله ورؤيته لما يكون؛ وقد حصل له ذلك بالموت؛ فهو أفضل في حقّه من أنّه يعيش حتى يصل؛ فإنه لا يدري ما دام في الحياة الدنيا ما يتقلب عليه من الأحوال؛ فإنه في محلّ خطرٍ سريع التبدّل. وصحّ عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ما خرّجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»¹.

ثمّ يضاف إلى هذه الأجور قدرُ كرم المعطي وغباه، وهذا يدخل تحت قوله ﷺ: «إنّ في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» يعني من المجزيين، وتحت قوله تعالى: «وزيادة» من قوله: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسنِي وَزِيَادَةً﴾² وهذه الزيادة ما عيّنها الحق لأحد. وأكد هذا الأجر على غيره من له أجر على الله بالوقوع، وهو الوجوب. فإنّ الأجر قد يقتضيه للكرم من غير وجوب، وقد يقتضيه الوجوب. والذي يقتضيه الوجوب أعلى، كما أنّ الفرائض أعلى وأحبّ إلى الله من النوافل. صحّ في الخبر أنّ الله تعالى يقول: «ما تقرب أحدٌ بأحبّ إليّ بما افترضته عليه» فجعله أحبّ إليه. ثم قال: «ولا يزال العبد يتمتّب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه وصره» فهذا نتيجة النوافل، فما ظنك بنتيجة الفرائض؛ وهي أن يكون العبد سميعاً الحق وصره. وقد بيّنا صورة ذلك فيما تقدّم؛ فيريد الحقّ بإرادة العبد. وهذا المقام ذكرته العرب في حقّ محمد ﷺ، وفي النوافل: يريد العبد بإرادة الحقّ. ويظهر معنى ما ذهبنا إليه في اتّصاف الحقّ بنموت الخلق، وفي الوجه الآخر اتّصاف³ العبد بصفات الحقّ، وهذا في الشرع موجود.

النوع الثالث من أجره على الله: (العافون عن الناس)

وهو من عفا عن أساء إليه وأصلح، يعني (أصلح) حال من أساء إليه بالإحسان، فأصلح منه ما كان أوجب الإساءة إليه منه. فما أراد هنا بـ"أصلح" إلّا هذا، ولا يحصل في هذا المقام إلّا من له حمة

1 ص 19 ب

2 [يونس: 26]

3 ص 20

عالية؛ فإن الله قد أباح له أن يجازي المسيء بإساءته على وزنها؛ فأبغ على نفسه أن يكون مَحَلًّا للاعتصاف بما سماه الحق سيئة.

نفس الكريم كريمة في كل ما تجري به الأهواء والأفئد
والله يحكم في النفوس بقدرها وهو الذي من حكمه يختار
فيجزي ذو اللب المجور عثله غير الذي حكمت به، فيخار

يقول الله تعالى- في هذا المقام: ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني قوله: ﴿وَأَصْلَحْ﴾ السيئة ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقَاهَا﴾ يعني هذه الصفة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾؛ حبسوا أنفسهم عن² أن يجازوا المسيء بإساءته إساءة. ولو علم الناس قدر ما نهنا عليه في هذه المسألة ما جازى أحد من أساء إليه بإساءة؛ لما كنت ترى في العالم إلا عفواً مصلحاً، لكن الحجب على أعين البصائر كثيفة؛ وليست سيوى الأغراض واستعمال التشبي والمواخذة.

ولو نظر هذا الناظر لما أساء على الله في ردِّ ما كلفه به، وركوب الخطر في ذلك، وإعمال الحق له، وتجاوزه عنه في هذه البار؛ حتى يكون هو الذي يكشف نفسه حتى تمام عليه الحدود، ويرى نفسه في الممالك. كما قال صاحب³: "قد ستر الله عليه؛ لو ستر على نفسه" في المعترف بالزنا. وأن الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعاله السيئة إلا ما يتكلم بها، وهو قوله: ﴿مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁴ وهو الكاتب وإن كانوا ﴿يَقْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ﴾⁵ ما قال: "يكتبون".

ثم إنه من كرم الله أن الكشف أعطى روقد ورد به خبر- أن العبد إذا عمل السيئة قال الملك لصاحبه الذي أمره الحق أن يستأذنه في كتاب السيئة: "أكتب؟" فيقول له: "لا تكتب، وانظره إلى ست ساعات من وقت عمله السيئة؛ فإن تاب أو استغفر فلا تكتبها، وإن مرت عليه ست ساعات ولم يستغفر فاكتبها سيئة واحدة. ولا تكتبها إلا إذا تلفظ بها؛ بأن يقول: فعلتُ كذا". أو تكون السيئة في القول؛ فتكتب بعد مضي هذا القدر من الزمان. وأي مؤمن تمضي عليه ست ساعات لا يستغفر الله

1 (أصل: 34، 35)

2 ص 20 ب

3 صاحب: الصافي

4 (ق: 18)

5 (الإنطار: 12)

6 ص 21

فيها؟!

فلهذا النوع أجرٌ على الله من وحمين: أجر العفو وأجر العفو من الله كبير؛ فإنه من الأضداد-، وأجر الإصلاح؛ وهو الإحسان إليه، المزيل لما قام به من الموجب للإساءة إليه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾¹ ولو لم يكن في إحسانه -المعبر عنه بالإصلاح- إلا حصول حبّ الله إيّاه الذي لا يعدله شيء؛ لكان عظيمًا. فيكون أجرٌ من هذا صفته على الله أجرٌ محبّ محبوب، وكفى بما تعطيه منزلة الحبّ؛ فما يقدر أحد أن يقدر أجر ما يعطيه المحبّ لمحبوبه. فهذا قد أومانّا إلى مَنْ له أجرٌ على الله، بأوجز عبارة؛ طلبًا للاختصار؛ فإنّ المقام عظيم، والمنازلة كبيرة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 [آل عمران : 134]

2 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن عشر وأربعائة في معرفة منازلة: مَنْ لم يفهم؛ لا يوصل إليه شيء

مَنْ يَفْهَمُ الْأَمْرَ فَذَاكَ الَّذِي	خَاطَبَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ ¹
وَهُوَ الَّذِي نَازَ عَلَيْهِ السُّورَى	وَهُوَ الَّذِي فِي حُكْمِهِ كُلُّ أَمْرٍ
إِنَّ ² إِيَّاسًا ³ خُصَّ مِنْ بَاقِلٍ ⁴	إِنَّمَا حَوَّثَهُ حِكْمُهُ الْقَبْضَتَيْنِ
فَإِذَا أَوْضَحَ اللَّهُ لَنَا حُكْمَهُ	فِي كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ فِرْقَتَيْنِ
وَالضُّدَّ لَا يَفْرِقُهُ ضِدُّهُ	وَالْحَقُّ مَقْلُومٌ لَنَا دُونَ مَعِينِ
فَإِذَا بَيَّنَّ الْمَثْلَ لَهُ وَالنَّفْسَى	عَنِّي ذَلِكَ الْمَثْلُ مِنْ بَعْدِ بَيْنٍ ⁵

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْبَتْ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾⁶. اعلم أنَّ الكلام على قسمين: كلام في موادّ تسقى حروفاً، وهو على قسمين: إمّا مرقومة - أعني الحروف - وتسقى كتاباً، أو مُتَلَفَظاً⁷ بها، وتسقى قولاً وكلاماً.

والنوع الثاني: كلام ليس في موادّ؛ فذلك الكلام الذي لا يكون في موادّ يُعلم ولا يقال فيه: يفهم؛ فيتعلّق به العلم من السامع الذي لا يسمع بآلة؛ بل يسمع بحقّ مجرّد عن الآلة، كما إذا كان الكلام في غير مادة؛ فلا يسمع إلّا بما يناسبه. والذي في المادة يتعلّق به الفهم، وهو تعلّق خاصّ في العلم.

فإذا علم⁸ السامع اللفظة من الالفاظ بها، أو يرى الكتابة؛ فإن علم مراد المتكلّم في تلك الكلمة سمع

1 في الهامش بخط آخر، وعليه حرف خ: يخاطب الرحمن في كل عين

2 ص 21 تب

3 إياس بن معاوية الزني: كان قاضياً بالبصرة، اشتهر بالذكاء ورجاحة العقل، ويضرب به المثل فيقال: أدكى من إياس (ت 122هـ)
4 باقل: رجل من ربيعة اطاغ طغيًا وحشيًا بأحد عشر درهماً، وجعل بنية الهرام في فيه. فسل عن لمة، فضل يديه تجاه السائل أي فتح أصابعه وفقر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى لمة. حصل من ذلك اختلات الظني؛ وسقوط الهرام؛ والإساءة على السائل فضرب به المثل، فيقال: أعيا من باقل، وأعيا من الهي: خلاف البيان

5 بجانيها كتب صريحها: الوصل

6 [وصلت: 5]

7 ق: متلفظ

8 ص 22

تضمّنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها- فذلك الفهم. وإن لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل، واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدلّ عليه تلك الكلمة، ولا يعلم على التعيين مراد المتكلم من تلك الوجوه، ولا هل أرادها كلّها؟ أو أراد وجها واحدا، أو ما كان؟ فع هذا العلم بمدلول تلك الكلمة؛ لا يقال فيه: إنّه أعطي الفهم فيها، وإنما أعطي العلم بمدلولاتها كلّها، لعلّ بالاصطلاح. لأنّ المتكلم بها عند السامع، الغالب عليه أمران: الواحدُ القصور عن معرفة مدلولات تلك الكلمة في اللسان، والأمْر الآخر إنّه، وإن عرف جميع مدلولاتها، فإنّه لا يتكلم بها إلّا لمعنى تقتضيه قرينة الحال. فالذي يقهّم مراده بها؛ فذلك الذي أوتي الفهم فيها، ومن لم يعلم ذلك؛ فما قهّم. فكأنّ المتكلم ما أوصل إليه شيئا في كلامه ذلك.

وأما كلام الله إذا نزل بلسان قوم، فاختلف أهل ذلك اللسان في الفهم عن الله؛ ما أراد به تلك الكلمة أو الكلمات، مع اختلاف مدلولاتها؛ فكلّ واحد منهم سُرِن اختلفوا- فقد قهّم عن الله ما أراد؛ فإنّه عالم بجميع الوجوه تعالى-. وما من وجه إلّا¹ وهو مقصود الله تعالى- بالنسبة إلى هذا الشخص المعين، ما لم يخرج من اللسان؛ فإن خرج من اللسان فلا فهم ولا علم. وكذلك أصحاب الأخذ بالإشارات. فإن إدراكهم لذلك في باب الإشارات في كلام الله تعالى- خاصّة فهم فيه؛ لأنّه مقصود الله تعالى- في حقّ هذا المشار إليه بذلك الكلام. وكلام الخلق ما له هذه المنزلة.

فإن أوتي الفهم عن الله من كلّ وجه فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب؛ وهو تفصيل الوجوه والمرادات في تلك الكلمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا²؛ فكثرت لما فيها من الوجوه. فمن كان قلبه في كبر، أو كان عليه قُتل، أو كان أعمى البصيرة، أو كان صاديا، أو كان على قلبه ران؛ فإن الله قد حال بينه وبين الفهم عن الله تعالى- وإن تأوّه. ولهذا يتخذ آيات الله هزوا، ودينه لهوا ولعبا؛ لعدم فهمه عن الله ما خاطب به عباده. فلهمنا قال (في المنازلة): "من لم يفهم لم يوصل إليه شيء". فأما الران فهو صدأ وطخاء³، وليس إلّا ما تجلّى في مرآة القلب من صور ما لم يذغّه الله إلى روقتها، وجلاؤها من ذلك (يكون) بالذكّر والتلاوة.

وأما الكبر فهو كالمقصورات في الحيام؛ فهو في بيت الطبيعة مشغول بأمره، ما عنده خبر بأمره الذي

1 ص 20

2 لم ترد في ق، وأبتناها من ه، س

3 طخاء: السحب وهي هنا كناية عن الظلمة.

هو روح الله؛ فلا يزال في ¹ ظلمة الكبر؛ وهي حجاب الطبيعة. فهو في حجابين: كبر، وظلمة. فهو يسمع ولا يفهم، كما قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ² أي لا يفهمون.

وأما أن يكون في أذنيه وقر أو صمم؛ فإن كان وقر فهو هل الأسباب الدنيوية التي تصرف عن الآخرة، وإن كان طخاء فهو تساوة قلبه أن يؤثر فيه قبول ما يحيط له حديث النفس من النظر والإصغاء إلى هذا الداعي الذي هو الشارع، وهو قوله عنهم: ﴿وَالْفَوَاحِشُ أَلْفُكُمْ تَقْلِيلُونَ﴾ ³ حتى لا تسمعوا دعاءه؛ فلا ترجعون ولا تعقلون؛ لأنه بلسانهم خاطبهم ﴿صَمَّ بَكَمْ عَمِّي فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ⁴ ﴿صَمَّ بَكَمْ عَمِّي فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ⁵ فأصمهم الله، وأعمى أبصارهم، وختم على السنتهم؛ فما تلقظوا بما دعاهم إليه أن يتلقظوا به.

وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة يقولون: نحن ما قفلنا على قلوبنا، وإنما وجدناها مقفلا عليها. وهذا من الجدال الذي قال الله عنهم فيه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ⁶ ولم نعرف من أقفلها. فرمنا الخروج؛ فحفنا من فك الحتم والطبع؛ نبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها، فلم يكن بأيدينا في ⁷ ذلك شيء. وكان منهم عمر بن الخطاب -عني- من أهل الأقفال. يقول الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى ثُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾ ⁸ فلما تولى الله فتحه؛ أسلم، فشد الله به الإسلام وعضده ⁹ وأرضاه. فهذا قد ذكرنا سبب عدم الفهم عن الله تعالى -موجزا على قدر الوقت- ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَبْدِي السَّبِيلَ﴾ ⁹.

1 ص 23

2 [الأفال : 21]

3 [فصلت : 26]

4 [البقرة : 18]

5 [البقرة : 171]

6 [الزخرف : 58]

7 ص 23 ب

8 [محمد : 24]

9 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع عشر وأربعمئة
في معرفة منازل: الصكوك،
وهي المناشير والتوقيعات الإلهية

إِنَّ التَّوَاتُيْعَ بَرَهَانَ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ مُلْكِ اللَّهِ فِي الْحُكْمِ يُعْطِيهَا
بِهَا قَدْ اسْتَخْلَفَ الرَّحْمَنُ وَاللَّهَ فَهِيَ اللَّيْلُ عَلَى إِثْبَاتِ مُعْطِيهَا
وَالْحُكْمُ يَكْشِفُهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَعِنْدَنَا حَالَةٌ فِيهَا تُعْطِيهَا
إِنَّ الثُّمُوسَ لَتُذَرِّي مَا تَخْلُثُ وَلَيْسَ يَتَنَهَّيَا إِلَّا تَعَاظِيهَا

اعلم¹ أَنَّ الله تعالى - لَمَّا شَاءَ أَنْ يَجْعَلَ فِي أَرْضِهِ خُلَفَاءَ عَلَى مَنْ يَمُرُّهَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَقَدَّمَ وَرَثَتَهُمْ لِلْإِمَامَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ جَنْسِهِمْ؛ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ سَفِيرًا؛ وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، وَسَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ مُلْكِهِ، وَكَوَكَبَ سَاحِجٍ فِي فَلَكٍ - وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ جَمِيعًا مِنْهُ، وَأَبَاحَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ أَنْ يَتَصَرَّوْا فِيهِ.

وَأَيَّدَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءَ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ؛ لِيَتَعَلَّمَ الْمُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَكْنَهُمْ مِنَ الْحُكْمِ فِي رِعْيَتِهِمْ بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى وَجْهِ يَسْقَى: التَّعَلُّقُ، وَشَرَعَ لَهُمْ فِي ثَوْبِهِمْ شَرَائِعَ، وَحَدَّ لَهُمْ حُدُودًا، وَرَسَّمَ لَهُمْ مَرَامِسَ يَقِفُونَ عِنْدَهَا، يَخْتَصُّونَ بِهَا؛ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنْ رِعَايَاهُمْ أَنْ يَتَخَذُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ شَرَائِعَ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِهِمْ فِيهَا. ثُمَّ نَصَبَ لَهُمْ شَرَائِعَ يَعْمَلُونَ بِهَا؛ هُمْ وَرِعْيَتِهِمْ، وَكَتَبَ لَهُمْ كُتُبًا بِذَلِكَ، نَزَلَتْ بِهَا السَّفَرَاءُ عَلَيْهِمْ لِيَسْمَعُوهَا رِعْيَتِهِمْ؛ فَيَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِي اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ؛ فَيَقِفُوا عِنْدَهَا، وَيَعْمَلُوا بِهَا سِرًّا وَجَهْرًا.

فَإِنَّهَا مَا كَتَبَهُ يَدُهُ تَعَالَى - وَهُوَ التَّوْرَةُ. وَمِنْهَا مَا نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ الَّذِي نَزَلَ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَرْشِهِ الْمُنْقُولِ مِنَ الدَّفْتَرِ الْأَعْظَمِ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ. فَهُوَ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَقِلُّ مِنْهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ قَدَرُ مَا يَقَعُ بِهِ الصَّرِيفُ فِي الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ يَتَضَعْنَ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ حَرَكَةٍ، وَسُكُونٍ،

1 ص 24

2 ص 24 ب

واجتماع، وافتراق، ورزق، وأجل، وعمل. ثم أنزل ذلك كله في كتاب مكنون إلى السماء الدنيا، وجعله ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ: كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾¹ مطهرين، أرواح قدس، صفحا ﴿مَكْرَمَةٍ: مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾² فيها توقيعات إلهية بما وعد الله المؤمنين بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاءت به رسله من اليوم الآخر، والبعث الآخر، وما يكون في ذلك اليوم من حكم الله في خلقه.

وتولى الله ذلك كله بنفسه، على صورة الحق الذي بعث به رسله ليصدقهم عند عبيده فعلا بحكمه ذلك فيهم، كما صدقهم في حال احتجابه بما أيدهم به من الآيات. فآمن من آمن، وكفر من كفر. فتوقف الأمر على ظهوره لعباده؛ فيتولى الفصل بينهم بحكمه بنفسه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾³ فإذا فصل، وحكم، وعدل، وأفضل؛ جعلهم في الفصل فريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾⁴ وهو سبحانه الرحمن، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾⁵ يريد سبحانه يحصرهم فيه. وينزل الفريق السعيد في دار كرامته، وقبم ذلك النار: رضوان؛ فإنها دار الرضوان، ومتولى الدار الأخرى -التي هي السجن-: مالك، ومعناه الشديد. يقال⁶: ملكك العجين؛ إذا شددت عجته. قال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَتَهَرْتُ فَتَقَّهَا يَزِي قَاتِمٌ مِنْ كُنُفِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول: شددت بها كفي.

فنزلت التوقيعات بما للمؤمنين من الخير عند الله، العاملين، الحافظين حدود الله من ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾⁷ ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِبِينَ وَالصَّائِبَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾⁸ والناتبين والناتبات، والعابدين والعايدات، والحمدين والحمدات، والسائحين والسائحات، والراكمين والراكمات، والساجدين والساجدات، والأمين بالمعروف والأمرات، والناهيين عن المنكر والناهيات، والمرضين عن اللغو والمرضات، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ذَاهِبُونَ﴾⁹ وما هم عنها إساهين،

1 [عبس: 15، 16]

2 [عبس: 13، 14]

3 [الحمل: 78]

4 [الشورى: 7]

5 [الإسراء: 8]

6 ص 25

7 [الأحراب: 35]

8 [الحارج: 23]

إلى مثل هذا مما أوقع الله في توقعاته من الصفات المَرْضِيَّة التي¹ يحمدها.

ثم بَشَّرَهم تعالى - بِأَنَّهُمْ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴿﴾ وهو أوسط الجنات فقال: ﴿هُمْ فِيهِ﴾. خَالِدُونَ ﴿﴾² يَبَشِّرُهم بالبقاء والنعيم. وأخبرهم في التوقيع أَنَّهُ عنهم راضٍ تعالى وتقدس جلالة. - ثم إِنَّه ناب عنهم في الخطاب بِأَنَّهُم عنه راضون، فقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾³. وهنا نكتة لمن فهِمَ ما تدلُّ عليه ألفاظ القرآن من الرضا؛ ففقط عليهم بذلك؛ لعلهم بِأَنَّهُ واقع منهم.

ثم إِنَّه أنزل في الكتب والصحف وعلى السنة الخلفاء صلوات الله عليهم وسلامه - من الوعيد والتهديد، وأخذ مَنْ كَفَرَ بالله وناق، أو آمن ببعض وكفر ببعض بما أنزله الله، وبجحد، وأشرك، وكذب، وظلم، واعتدى، وأساء، وخالف، وعصى، وأعرض، وفسق، وتولى، وأدبر. وأخبر في التوقيع، أَنَّهُ مَنْ كان بهذه المثابة، وقامت به هذه الصفات في الحياة الدنيا، أو بعضها، ثم تاب إلى الله منها في الدنيا، ومات على توبة من ذلك كله؛ فَإِنَّه يلقى ربه وهو راضٍ عنه. فإن فسح له، وأنشأ الله في أجله بعد توبته؛ فعمل عملاً صالحاً؛ بَدَّلَ الله سيئاته حسنات. أي ما كان يتصرف فيه من السوء، عاد يتصرف فيه حسناً. فبَدَّلَ الله فعله بما وقفه إليه من طاعته، ورحمه، وغفر له جميع ما كان وقع منه قبل ذلك، ولم يؤاخذه بشيء منه.

وما زالت التوقيعات الإلهية تنزل من الله على خلفائه، بما يَؤدُّ الله به مَنْ آمن بالله ورسوله من الخير، وما توعد به لمن كفر به من الشر، مدة إقامة ذلك الخليفة المنزل عليه، وهو الرسول إلى حين موته. فبين زمان خلافته إلى انتهاء مدة عمره، لا تزال التوقيعات الإلهية تنزل عليه. فإذا مات، واستخلف مَنْ شاء بوحي من الله له في ذلك، أو ترك الأمر شورى بين أصحابه؛ فيولون مَنْ يجمعون عليه، إلى أن يبعث الله من عنده رسولا؛ فيقيم فيهم (باعتباره) خليفة آخر.

إلا إذا كان خاتم الخلفاء؛ فَإِنَّ الله يقيم نوابا عنه؛ فيكونون خلفاء الخليفة من عند الله، لا أَنَّهُم في منزلة الرسل خلفاء من عند الله؛ وهم الأقطاب، وأمرأء المؤمنين، إلى يوم القيامة. فبين هؤلاء النواب من يكشف الله عنه الغطاء؛ فيكون من أهل المين والشهود؛ فيدعو إلى الله على بصيرة، كما دعا الرسول

1 ص 25 ب

2 [المؤمنون : 10، 11]

3 [المائدة : 119]

4 ص 26

ولولا أنَّ الزمان قد اقتضى أن لا يكون مشرّع بعد رسول الله ﷺ لكان هؤلاء مشرّعين، وإن لم يأتوا إلا بشرع رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يكونون فيه، كما كان رسول الله ﷺ في شرع من قبله إذا حكم به في أمته. فهو فيه بمنزلة الأول الذي كان قبله، لا أنه خليفة عنه في ذلك، وإن قرره. فلما منع الله ذلك في هذه الأمة؛ علمنا أنهم خلفاء رسول الله ﷺ وإن دَعَوْا إلى الله على بصيرة كما دعا رسول الله ﷺ كما ورد في القرآن العزيز عنه في قوله: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾².

وسمّانا وزّنه، وأخبر ﷺ أنه ما ورثنا إلا العلم، ثم إن دعاه ﷺ في أن يمتعه الله بسمعه؛ ليسمع كلام الله، وصره؛ ليرى آيات الله في الآفاق وفي نفسه، ثم قال: «واجعل ذلك الوارث منا» يعني السمع والبصر؛ فإن الله هو ﴿خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾³. وقد قال تعالى- في الخبر الصحيح عنه: «كنت سمعاً وصره» فهو الحق إذا كانت سمع العبد⁴ وصره، كان الحق الوارث منه الذي هو عين سمعه وصره. فدعا بهذه الصفة أن تكون له حتى يقبض عليها. فكانته يقول: "اللهم متعنا بك؛ فأنت سمعنا وصرنا، وأنت ترثنا إذا متنا؛ فإنك أخبرت أنك "خَيْرُ الْوَارِثِينَ" وأنت ترث الأرض ومن عليها؛ أي أنت الخير الذي يرثه الوارثون من خلفائهم؛ وهم متبعوا الرسل صلوات⁵ الله عليهم. فهو تعالى- الخير الذي يناله الوارثون، كما أنه "خَيْرُ الْوَارِثِينَ" من حيث أنه وارث. وهكذا الإشارة في كل خير منسوب مضاف مثل "خير الصابرين" والشاكرين، ومثل هذا مما ورد عن الله في أي شرع وزّد.

ومن التوقيعات الإلهية أيضاً: المبشرات؛ وهي جزء من أجزاء النبوة. فإما أن تكون من الله إليه، أو من الله على يدي بعض عباده إليه. وهي «الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له». فإن جاءت من الله في رؤياه على يدي رسوله ﷺ فإن كان حكماً تبيّن نفسه به ولا بدّ، بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صحّ عنده. حتى إنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا؛ فإن لم يره بهذا الأثر لما هو ذاك.

1 ص 26 تب

2 [يوسف : 108]

3 [الأنبياء : 89]

4 ق: "الحق" ثم أشار إلى معناه، وصحها بالهامش بقلم الأصل.

5 ص 27

وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ ورآه شيئا أو شابا، مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، ورآه في حُسن أزيد مما وُصف له، أو فُبح صورة، أو يرى الرائي إساءة أدب من نفسه معه؛ فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ما هو رسول الله. فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع؛ إما في البقعة التي يراه فيها¹، وإما أن يرجع ما يراه إلى حال الرائي، أو إلى الجموع، غير ذلك لا يكون. فإن جاءه بحكم في هذه الصورة، فلا يأخذ به إن اقتضى ذلك نُنسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به. بخلاف حكمه لو رآه على صورته؛ فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غيره ذلك. فإن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾² هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين.

فإنهم قد يرونه ﷺ في كشفهم، فيصح لهم من الأخبار ما ضُفَّ عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل. كما ذكر مسلم في صدر كتابه عن شخص أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه؛ فأثبت له ﷺ من الألف ستة أحاديث، وأنكر ﷺ ما بقي. فمن رآه ﷺ في المنام فقد رآه في البقعة؛ ما لم تتغير عليه الصورة؛ فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا؛ فهو (ص) معصوم الصورة حيا وميتا. فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه. فالمبشرات من التوقيعات الإلهية.

وتم توقيعات آخر الهيئة، من الأسماء الإلهية تُعرف، إذا وردت على قلوب العارفين بالله في كشفهم. وهو أن يكون التوقيع³ الذي يحىء إلى هذا الولي، من اسم خاص إلهي من الأسماء الحسنى، مما دون الاسم "الله" فإنه ما يخرج منه في توقيع أصلا من حيث دلالاته، وإنما يخرج منه إذا ذكر مقيدا بحال يستدعي اسما خاصا بذلك الحال، كنى عن ذلك الاسم بالاسم "الله" لتضيقه خاصة. وأكثر ما تخرج التوقيعات لأولياء الله من "الله" و"الرحمن" و"الرب" و"المليك" لا غير، هذا هو الغالب المستمر.

فإن خرج باسم غير ما ذكرنا، فهو شاذ يحكم به على حد ما تعطيه حقيقة ذاك الاسم. وهو دليل على مضمون ذلك التوقيع لهذا الولي؛ فيصرف فيه به بحسب ما يقتضيه. ويحتاج هذا الولي إلى علم عظيم بالمواطن، وصور الأحوال، ومراتب العالم، وعلم الهو والإثبات، والشئون الإلهية. كل ذلك لا بد أن يعرفه العلماء بالله.

1 ص 27 ب

2 (الثانية : 3)

3 ص 28

وإن لم يعرفوا ذلك وأمثاله، فلا يتعدى قدره، وليدخل في غبار الناس، ويلزم الجماعة؛ فإن يد الله معهم، ومن شذ من الجماعة على غير بصيرة؛ فقد شذ إلى النار. بل صاحب البصيرة من المحال أن يشذ عن الجماعة؛ فإنه لا يشذ عن يد الله. ولكن يعلم وهو في الجماعة ومعها ما لا يعلمه واحد واحد من الجماعة، إلا من كان مثله. فهو مع من هو مثله جماعة؛ ما هو بمن صلى وحده. فالسعيد من وقف عند حدود الله، ولم يتجاوزها¹. وإنا والله- ما تجاوزنا منها حقًا، ولكن أعطانا الله من الفهم عنه تعالى- فيها ما لم يعطه كثيرًا من خلقه؛ فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره؛ إذ كنا على بينة من ربنا ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 28 ب
2 [الأحزاب : 4]

الباب الموفي عشرين وأربعمئة في معرفة منازلة: التخلص من المقامات

فَنَظَرَتْهُ نَجَّحُوا فِي هُوَ الَّذِي مَا هُوَ	مَا فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ فَانْظُرُوهُ كَمَا
فِي قَلْبِهِ مِنْهُ أَمْثَالٌ وَأَشْبَاهُ	وَمَنْ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَهُوَ ذُو جَدَلٍ
لَوْلَا مَا نَظَرْتُ غَيْرَ بِنَاطِرِهَا	لَوْلَا مَا نَظَرْتُ غَيْرَ بِنَاطِرِهَا
وَأَبْثَّ عَلَيْهِ فَمَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا هُوَ	فَاخُكُمْ عَلَيْهِ بِهِ وَأَنْتَ فِي عَدَمٍ
أَفْوَاهُ فِي وَجُودِ الْكَوْنِ لَوْلَا	وَاللَّهِ لَوْلَا وَجُودُ الْحَقِّ مَا قُبِلَتْ

قال¹ الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا تُقِيمُوا لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾². والجامع للمقامات ما له مقام. نقيضه «من عرف نفسه عرف ربه».

وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ يعني البألة عليها في الآفاق ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾³ وهي مقيدة، فلا بد أن يقيد مدلولها، وإن دلت على إطلاقه. فكونه مطلقاً مقيد، لأن التقيد تمييز. لمعرفة العارفين به تعالى، ليس من رؤية الآيات الخارجة والداخلية، فإنها تدل على مقيد في إطلاق، أو إطلاق في مقيد. والعارفون يرونه عين كل شيء.

الخلق⁴ قال لمن أساء في حقه قطع رحمه: ﴿لَا تُرِيبَ عَلَيْكُمْ﴾⁵ فالخلق أولى بهذه الصفة لمن أساء في حقه بقطع رحمه. فإنما لا نشك أن قاطع الرحم ما قطعها إلا بجهله، وما انقطع الرحم، فالرحم موصولة في نفس الأمر، فهي موصولة عند العالم؛ فمن جانبه موصولة، ومن جانب الجاهل بها مقطوعة.

ولما رجع الأمر كله لله مما وقعت فيه الدعاوى الكاذبة، لم يدل رجوعها إلى الله تعالى - على أمر لم يكن عليه الله، بل هو يمتعه هي هي؛ في حال الدعاوى في المشاركة، وفي حال رجوع الأمر إليه. والمقام ليس

1 ص 29

2 [الأحزاب: 13]

3 [صلت: 53]

4 يقصد بالخلق هنا سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال ما قال لإخوته.

5 [يوسف: 92]

إلا للتمييز، وما تمّ إلا واحد، فمتى يميّز؟ فلا مقام، بل هويّة أحديّة، فيها صورّ مختلفة. فزَيّدُ أحديّ العين، لو لم يكن في الوجود¹ إلا هو، لم يميّز عن شيء، لأنّه ما تمّ إلا هو. ولم يميّز عنه شيء؛ لأنّك ما فرضت موجودا إلا هو خاصّة. ولا مقام له يميّز به عن غيره؛ إذ لا غير هناك. فإنّ يده مميّزة عن رجله، ورأسه مميّز عن صدره، وأذنه عن عينه، وكلّ جارحة منه مميّزة عن غيرها من الجوارح، وكلّ قوّة منه في باطنه لها حكم ليس للأخرى، ومخلّ ليس للأخرى. فميّزت الصور في عين واحدة؛ لا تميّز فيها ولا مقام لها. فنحن له كالأعضاء، للواحد مثا، والقوى. فما تمّ عن تميّز، ولا يميّز عتّا، ولكن تميّزنا بعضنا عن بعض كما قررنا.

ولا تُنسب الأحكام والمقامات لأعضائنا، وإنما يُنسب ذلك كلّهُ إلينا؛ فيقال: بطش فلان بفلان، ومشي فلان إلى فلان، وسمع فلان كلام فلان، ورأى فلان فلانا. ما يُنسب شيء من هنا كلّهُ إلى آله، ولا إلى قوّة، ولا إلى عضو، فإلَيْهِ يَرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ² فإلَيْهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ³.

فاعلم أنّه لا يخلص من المقامات إلا وارث محمد ﷺ، الذي آتاه الله: "جوامع الكلم، وعلم الأسماء كلّها، وعلم الأولين والآخرين" فكلّ الصيد في جوف الفرا" فما تمّ عن تميّز؛ فإنّ العالم كلّهُ في وارث محمد ﷺ كما هو في محمد ﷺ فقد خُصّص من حكم المقامات عليه. فهو يحكم بها بحسب ما تعطيه الأحوال؛ فإنّه العليم الحكيم. فالأسماء الإلهيّة كلّها هي مظهر المقامات، وبها يحكم الحاكم، ولا حاكم إلا الله، وما يبدّل القول لديه، فالقول له الحكم. فبالقول يحكم الحقّ، فتنبّه لمن هو المحكوم عليه، والمحكوم به، والمحكوم فيه، والحاكم؛ تعرف من هو المخلص من المقامات والذي لا مقام له.

وأما المقام الحمود؛ وهو المقام الثنّى عليه، الذي أثنى⁴ عليه الله، الذي يقيم الحقّ فيه سبحانه - محمدا ﷺ فهو مقام شفاعة رسول الله ﷺ في الشافعين أن يشفعوا يوم القيامة من ملك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن، وأنّ يُخرج الحقّ من النار، أو يدخل الجنة من لم يعمل خيرا قطّ، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أهلها، فيقيم الله فيها على صفوة ومزاج لو أخرجهم الله بذلك المزاج إلى الجنة لتعذبوا بها، وأضرّ

1 ص 29

2 [هود: 123]

3 [التقصص: 70]

4 ص 30

5 باقة بالهاش مع إشارة الإدخال

6 ق: "أو" وصحت بالهاش ظم الأصل

بهم دخولها كما تضرّ رياح الورد بالجفل، فيجيبه الله ليا سأل فيه، وإذا زاد سبب ظهور أمر¹ على واحد فهو شفاعة، سواء كان شفعا أو وترا، لا بد أن يكون زائدا على واحد.

وأما الأحوال فلا سبيل إلى التخلّص منها، وهي فينا موهوبة، وهي للحق² ذاتية.

فالحكم للمحال والأحوال حكمة	وليس في الكون إلا الله والبشر
ونحن في عبوة لو كنّا نقبلها	فلنستغيث من الرحمن يُعْتَبَرُ ³
نحن النجوم التي في القرب ⁴ موقعتها	وليس يظهر إلا الشمس والقمر
الطمس فينا وذلك الطمس يتفقنا	وليس يذره إلا من له نظر
فلا تخف فيسوى الرحمن ليس له	عين وليس له التخمين والأفتر
إليه يرجع أمر الخلق كلهم	حتى القضاء وحتى الحكم والقدر
وهو الوجود الذي ما عده ضرر	والشر ليس له في خلقه أثر
فالشر ليس إليه جلّ خالقنا	عنه إذا جاء عن أرسله الخبر

من⁵ عرف الضلالة والهدى؛ لم يطل عليه المدى، وعلم أن الله لا يترك خلقه سدى، كما لم يتركه ابتداء، وإن لم ينزل منازل السعداء، فإن الله برحمته التي وسعت كل شيء لا يسرد عليه الردى، وكيف يسرده وهو عين الرداء، فهو في مقام الفداء؛ وإشارة سهام البداء، فله الرحمة آخرا خالبا مخلبا فيها أبدا، والله - تعالى وجل - يقول الحق وهو يهدي السبيل.

1 تاجة بالهامش مع إشارة الإدخال

2 ص 30

3 أثبت كلمتين فوق الشطر وهما: "كل" فوق "فليس" و"سوى" فوق "من" بحيث غزا: "كل شيء سوى الرحمن يُعْتَبَرُ" وضم هنا

مع هـ، س

4 رسمها في ق يسم حرامتها: "القرب، القرب" وحولها المحجمة ممة في س، والفرج من هـ

5 ص 31

الباب الأحد والعشرون وأربعائة

في معرفة منازلة: من طلب الوصول إلى بالليل والبرهان لم يصل إلى أبدا؛
لأنه لا يشبهني شيء

تَوَجَّهْتُ زَيْدٌ لَا عَنْ كَشْفِ بَرْهَانٍ	فَكُرْتُ فَوَحَّدْتُ لَا تَقْبَلُ الشَّانِي
وَكُلُّ مَنْ يَقْبَلُ الشَّانِي فَمُنْصَفٌ	فِي حُكْمِهِ بِزِيَادَاتٍ وَنُقْصَانٍ
وَذَلِكَ وَاحِدٌ أَغْدَادُ قَيْثُ بَلَهْ	وَوَاحِدُ الْغَيْنِ لَا يُنْزَى بِبَرْهَانٍ
مَنْ ¹ يَقْبَلُ الْمَثَلَ قَدْ حَازَتْ خَوَاطِرُنَا	فِيهِ! وَهَلْ رِيءُ سِرٍّ عَيْنٌ إِغْلَانِي؟!
إِنَّ اللَّيْلَ عَلَى التَّرْكِيبِ نَشَأَتْ	فَكَيْفَ يُغْطِي وَجْهَ الْغَيْنِ فِي الشَّانِي
يَا بَاتِيَا عَقْدَهُ عَلَى اللَّيْلِ لَقَدْ	تَجَلَّتْ أَيْمَنُ أَصَاسُ الْقَصْدِ يَا بَاتِي
مَنْ كَانَ ذَا صِفَةٍ فَأَيُّ وَحْدَتُهُ؟	الْمَنْزِلُ الْقَاصِي لَيْسَ الْمَنْزِلُ الدَّانِي
مَنْ الَّذِي هُوَ قَاصٍ فِي دَلَالَتِنَا؟	وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى هَذَا بِسُلْطَانٍ
الشَّرْعُ تَوَجُّدُهُ تَوَجُّدُ مَرْتَبَةٍ	وَالْحَقُّ يُغْضَدُهُ مِنْ جَانِبٍ ثَانِي

قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾² يعني من كل عين من أعين الوجوه، وأعين القلوب. فإن القلوب ما ترى إلا بالبصر، وأعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر. فالبصر، حيث كان، به يقع الإدراك، فيسمى البصر. في العقل عين البصيرة، ويسمى في الظاهر بصر. العين، والعين في³ الظاهر محل للبصر، والبصيرة في الباطن محل للعين الذي هو بصر في عين الوجه. فاختلف الاسم عليه، وما اختلف هو في نفسه. فكما لا تدركه العين بأبصارها، كذلك لا تدركه البصائر بأعينها.

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ، كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَإِنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى يَطْلُبُونَهُ كَمَا يَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ» فاشتركتا في الطلب مع الملأ الأعلى، واختلفتا في الكيفية. فمنا من يطلبه

1 ص 31
2 [الأصنام : 103]
3 ص 32

يفكره، والملا الأعلى له العقل وما له الفكر. ومتا من يطلبه به، وليس في الملا الأعلى من يطلبه به؛ لأنّ الكامل متا هو على الصورة الإلهية التي خلقه الله عليها، وليس الملّك عليها. فلها صحّ من هذه صفته أن يطلب الله به، ومن طلبه به وصل إليه؛ فإنّه لم يصل إليه غيره. وإنّ الكامل متا له نافلة تزهد على فرائضه؛ إذا تقرب العبد بها إلى ربه أحبه، فإذا أحبه كان سمعه وبصره، فإذا كان الحقّ بصر. مثل هذا العبد، رآه وأدركه يبصره؛ لأنّ بصره الحقّ، فما أدركه إلّا به لا بنفسه. وما تمّ ملك يتقرب إلى الله بنافلة، بل هم في الفرائض؛ ففرائضهم قد استفرقت أنفاسهم؛ فلا تفلّ عندهم؛ فليس لهم مقام ينتج لهم أن يكون الحقّ بصرهم¹ حتى يدركوه به. فهم عبيد اضطرار، ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا، وعبيد اختيار من نوافلنا.

كما هو ربّ ذاتي من وجودنا، وربّ مشيئة من حكمي فينا. فالربوبية الذاتية ضرورية لا يمكن رفعها، وربوبية المشيئة عنها الإمكان في الممكنات، فيرجح بها ما شاء. فمن لا مشيئة له؛ لا ترجيح له، كمن لا نافلة له؛ لا يكون الحقّ بصره، وإن أمكن خلاف هذا عقلا.

ولكن كلامنا في الواقع الذي أعطاه الكشف، ما كلامنا في الجواز العقلي؛ لأنّه يستحيل عندنا أن ينسب الجواز إلى الله، حتى يقال: يجوز أن يغفر الله لك، ويجوز أن لا يغفر الله لك، ويجوز أن يخلق، ويجوز أن لا يخلق. هذا على الله مُحال، لأنّه عين الانتقار إلى المرجّح لوقوع أحد الجانبين، وما تمّ إلّا الله.

وأصحاب هذا المذهب قد افتقروا- إلى ما التزموه من هذا الحكم - إلى إثبات الإرادة، حتى يكون الحقّ يرجح بها. ولا خفاء بما في هذا المذهب من القلط؛ فإنّه يترجّح الحقّ محكوما عليه، بما هو زائد على ذاته، وهو عين ذات أخرى، وإن لم يقل فيها صاحب هذا المذهب: "إنّ تلك الذات الزائدة عين الحقّ ولا غير عينه".

والذي نقول به: إنّ هذه العين المخلوقة، من كونها ممكنة؛ قبل الوجود وقبل المدم؛ فجائز أن تُخلّق فتوجد، وجائز أن لا تُخلّق فلا توجد. فإذا وُجدت فبالمرجّح وهو الله، وإذا لم توجد فبالمرجّح وهو² الله؛ ويستقيم الكلام، ويكون الأدب مع الله أتم، بل هو الواجب أن يكون الأمر كما قلنا.

وأما احتجاجهم بقوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ¹﴾ و﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ²﴾ فهو عليهم هذا الاحتجاج، لا لهم. لزومية:

وَدَّ ³ خَزَفٌ امْتِنَاعٌ لَوْجُوبٌ	إِنَّ "لَوْ" خَزَفٌ امْتِنَاعٌ لَامْتِنَاعٍ
وَهُوَ نَفْسِي إِنَّ ذَا سِرٍّ غَيْبٍ	فَانْظُرُوا وَجُوبَهُ وَاعْتَبِرُوا
فَهُوَ يَدْعُو نَفْسَهُ ثُمَّ يَجِيبُ	مِثْلُ مَنْ يَدْعُو وَمَا ثُمَّ لَمْ يَسِرْ
كُلُّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ وَنَجِيبٍ	وَهَذَا وَزَدَ السُّقُوطُ إِلَى
جَاءَهُ يَطْلُوفٌ ذَهْرًا وَيَجُوبُ	وَلَقَدْ كَانَ عَلَى مِثْلِ الَّذِي
أَضَلَّهُ مَا بَيْنَ لَحْمٍ وَغَيْبٍ	مِثْلُ ذَا زُرْتُ فَقَيٌّ مِنْ هَاشِمٍ
إِنَّهُ الْمَخْرُومُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ	وَاسْتَجِيبُوا لِلَّذِي اسْتَمَعَ كُمْ

فاعلم⁴ أَنَّ الإمكان للممكن، هو الذي أظهر حكم الاختيار في المرجح، والذي عند المرجح أمر واحد، وهو أحد الأمرين لا غير؛ فإثم بالنظر إلى الحق إلا أحدية محضة خالصة، لا يشوبها اختيار.

ألا تراه يقول تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ﴾ كذا لكان كذا؟ فما شاء؛ فما كان ذلك. فنفي عن نفسه تعلق هذه المشيئة؛ فنفي الكون عن ذلك المذكور.

غير أَنَّ الله تعالى -نسبتين في الحكم الواقع في العالم بالامتناع أو بالوقوع: فالنسبة الواحدة: ما يظهر من العالم في العالم من الأحكام الواقعة والمتتعة بمشيئتهم، أعني بمشيئة العالم⁵، التي أوجدها الله في العالم. والنسبة الأخرى ما يظهر من الأحكام في العالم، لا من العالم، وذلك من الله، بالوجه الخاص الذي لله في كل كائن، الذي لا يعلمه إلا أهل الله خاصة.

والمشيئة التي يشاء بها العالم من العالم، مُشَاءة لله تعالى -من الوجه الخاص، ثم هي لله كالألة للصانع، ظاهرة التعلق، منفية الحكم. فالعلماء بالله ينسبون الواقع بالألة إلى الله. والذين لا علم لهم ينسبونها

1 [يونس : 16]

2 [الزمر : 4]

3 ودد "لا" أي "لو".

4 ص 33

5 "الامتناع أو بالوقوع... العالم" حاجة بالهامش بقلم الأصل.

إلى الآلة. وطائفة متوسطة ينسبون إلى الآلة ما ينسب الحق إليها على حد علمه في ذلك، وينسبون الكل إلى الله؛ أدا مع الله. وحقيقة فهم الأدباء مع الله المحققون¹، وهم الذين جمعوا بين الشرع والعقل.

والوجه الصحيح في العلم الإلهي؛ لا يمكن للعقل أن يصل إليه من حيث نظره، لأن بل، ولا من جهة شهوده، ولا من تجليه؛ وإنما يعلم بإعلامه؛ على الوجه الذي يكون إعلامه لمن اختصه من صور عباده الظاهرة في وجوده. فإن العلم بالله من حيث النظر والشهود على السواء، ما يضبط الناظر ولا المشاهد إلا الحيرة الهضة. فإذا وقع الإعلام الإلهي لمن وقع، حيث وقع من دنيا وآخرة، حصل المقصود.

دَلَالَاتُ الْوُجُودِ عَلَى وَجُودِي	تُعَارِضُهَا دَلَالَاتُ الشُّهُودِ
فَلِإِنَّ الْعَيْنَ مَا شَهِدَتْ بِوَأْهِ	بَعَيْنِ شُهُودِهَا عِنْدَ الْوُجُودِ
وَأَيْنَ الْغَيْرِ لَمْ يَتَّبَثْ فَيَتَّبَثُو	مَعَ التَّكْثِيرِ مِنْ عَيْنِ الْمُرِيدِ
عَجِبْتُ لِمَنْ يَمُرُّ وَقَدْ تَعَالَى	وَيُظْهِرُ فِي الْمُرَادِ فِي الْمُرِيدِ
لَقَدْ نَزَلْتُ مَعَالِنِهِ وَجَلَسْتُ	بِأَحْكَامِ الدَّلَائِلِ بِالسُّفُودِ
أَمِنْ بَعْدَ التَّوَلُّوْلِ يَكُونُ مَرْقَى؟	وَعَيْنُ نُزُولِهِ عَيْنُ السُّفُودِ
إِضَافَاتُ ³ الْأُمُورِ لَهَا اخْتِكَامٌ	فَكُونُ الرَّبِّ فِي كَوْنِ الْقَبِيدِ
فَقَوْلَا الْأَضْلُ مَا ظَهَرَتْ فُرُوعٌ	تَقُلُّ عَلَى الْأَصُولِ مِنَ الشُّهُودِ
لَقَدْ أَظْهَرْتُ سِرَّ الْأَمْرِ فِيهِ	يَكُلُّ مُشَاقِقٍ نَذْبٍ جَلِيدِ
صَبُورٍ لَا يَقَاوِمُهُ صَبُورٌ	عَزِيْزٍ فِي خَصْرَفِهِ شَدِيدِ

فإن اللبيل يعطي وجودي؛ إذ ليس اللبيل سيوى عيني، ولا عيني سيوى إمكاني، ومملولي وجود الحق الذي إليه استنادي، ونفي ما هو حق لي عنن إليه استنادي. والشهود بنفي وجودي، لا بنفي حكمي فمن ظهر فيه ما ينسب إليه أنه عيني؛ وهو حكمي، والوجود لله. فاستفدت من الحق ظهور حكمي بالصور الظاهرة، لا حكم ظهور عيني، فيقال وما تم قائل غيري: "إن هذه الصور الظاهرة في الوجود الحق

1 ق: المحققين

2 ص 34

3 ص 34

التي هي عينٌ حكيمٍ - إنَّها عيني". هذا يعطيه الشهود. فالشهود يعارض الأدلة النظرية. والخلق لله يعلمه، وعلمه ليس سيّئاً ما أعطاه ما أنا عليه في عيني.

وليس¹ في البراهين أصحّ من برهان "إنّ" وهو² عند القائلين بالبراهين: البرهان الوجودي. وليس يدلّ شيء منه على معرفة هويّة الحقّ وغايته، علمه بنفسه الوجود إليه، وأنّ عينه عين وجودي، ونفي ما يستحقّه الحادث عنه. غير هذا لا يعرف منه بالبرهان. وساعده الشرع؛ وهو ما أوحى به إلى الرسول المترجم عنه، الذي أخبر عنه أنّه لا ينطق عن الهوى، وأنزله في الكون منزله. ثمّ خلقه به، مما يساعد النظر الفكري: (لَيْسَ كَلِمَتُهُ فَيُفْهَمُ)³ وهو من الكلام الظاهر، الذي يمكن أن يكون له وجه غير الوجه الذي يضبطه العقل منه، ويكون له الوجه الذي يضبطه العقل منه، وما ورد السمع بأقوى من هذه الدلالة، مع هذا الاحتمال الذي فيها.

أَصْحُ الْبَرَاهِينِ بَرَهَانُ "إِنَّ"	وليس يُرِينُكَ مِنَ الْحَقِّ غَيْبًا
فَنِي الْحَقِّ يُعْطِيكَ ثَبَاتًا وَسَلْبًا	وَلَيْتَا عَدَا الْحَقِّ يُعْطِيكَ كَوْنًا
وَيَنْفِي نُفُوتًا أَتَاكَ الْقُرْآنُ	بِهَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْمَشْرِعِ: أَيْنَمَا؟
وَيَأْتِي بِهِ عَلَمًا ظَاهِرًا	يُرْهِدُ بِذَلِكَ جُفْظًا وَضُورًا
وَعَلَّمَ الْإِلَهَ بِمَا قَالَهُ	أَصْحُ ذَلِكَ وَأَقْوَاهُ يَنْبَأُ
تَحْيِلُ الْقَوْلِ بَرَهَانَهَا	وَجُودَ الَّذِي سَأَلَهُ الشَّرْعُ عَوْنًا
وَيُثَبِّتُ كُلَّ عَقْلٍ سَلِيمٍ	وَيَكْشُوهُ حَمْدًا فَيَكْشُوهُ زَيْنًا

ولمّا كان الدليل النظريّ مثلًا في المعنى؛ مرتبًا في الظاهر، والتثليث فرد، والتريع شفع؛ لذلك لم يعلم من الحقّ إلا فردية المرتبة، ولم تُعلم إلا بالخلق. فارتبط الحقّ بالخلق، والخلق بالحقّ؛ ارتباط التريع بالتثليث، والتثليث بالتريع في المقدمتين اللتين أعطت العلم بتوحيد الله في ألوهيته. فانظر إلى حكم

1 ص 35

2 حاجة بالهامش مع إشارة التصويب

3 [الشورى: 11]

4 أين: يقصد به سؤال الرسول المرأة العجماة: "أين ربنا؟"

5 ص 35 ب

الحقائق؛ كيف اقتضت في الأدلة¹ أن تكون على هذه الصورة؛ فضمّ الوجود: حقًا وخلقًا، وواجبا لنفسه وواجبا بغيره.

إِنَّ اللَّيْلَ مَفْلُكُ الْأَرْكَانِ كَالْبَيْتِ، وَهُوَ مَرْتَعٌ مَخْشُوسٌ
وَكَذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْكَائِمَاتُ يُثَبِّتُهُ التَّضَدُّيسُ
حَظُّ الدَّلِيلِ مِنَ الْإِلَهِ وَجُودُهُ مَا حَظَّهُ التَّرْجِيلُ وَالتَّضَرُّيسُ
إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْحَقَّ عَنْكَ مُتَرَّةٌ فَذَلِكَ شَرَعٌ أَنَّهُ مَلْمُوسٌ
وَمُتَرَّةٌ أَيْضًا بِشَرْعِكَ نَاعْتَبِرُ فِي الْحَالَتَيْنِ نَفَقَتُكَ الْمُبْخُوسُ
إِنْ جَاءَ كَرْبُ الْفَكْرِ مِنْ تَرْجِيهِ يَتَلَوُّهُ مِنْ رَحَائِهِ التَّضَدُّيسُ
لِلَّهِ عَيْنٌ فِي الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا ثَلَاثَةٌ أَوْ تَرْبَعٌ أَوْ تَسْدِيسُ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظَ وَجُودِهِ فِي قَلْبِكُمْ بَأْتِي بِهِ التَّخْمِيسُ
الْحَقُّ يَحْفَظُ نَفْسَهُ وَعِبَادَهُ كَالْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ يَا مَرْؤُوسُ
فَإِذَا أَتَيْتَ بِخَفْسَةٍ مَضْرُوبَةٍ فِي خَمْسَةٍ قَدْ زَالَ عَنْكَ الْبُيُوسُ
وَلَجِئْتُ³ بِالْمَلَأِ الْمُقَدَّسِ كَوْنُهُ وَتَعَيْنَ التَّأْصِيلُ وَالتَّأْسِيسُ
وَدُعِيتُ فِي الْمَلَأَيْنِ إِنْ حَقَّقْتَ مَنْ يَدْعُوكَ، يَا مَنْ غَرَّهُ إِبْلِيسُ
أَنْتَ الْمُقَدَّمُ فِي الْوُجُودِ كَأَدَمَ فِي كَوْنِهِ سَبَقًا فَأَنْتَ رَتِيسُ

أراد بالبيت، في هذا النظم المشبه به: الكعبة؛ فإنها ذات ثلاثة أركان مثلثة الشكل، ولهذا جُعل الحجر. فلما اقتطع من البيت مقدار سبعة أذرع، حَجَرُوا عليها بالحجر؛ حتى يصح الطواف بالبيت. فإنه صحَّ عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ الْكَعْبَةَ لَمَّا بُنِيَتْ قَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، فَتَرَكُوا مِنَ الْبَيْتِ سَبْعَةَ أَذْرَعٍ فِي الْحِجْرِ» ولهذا رَدَّهَا عبد الله بن الزبير على قواعد إبراهيم عليه السلام، فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف أن يردها على ما كانت عليه أولا، ثم ندم، وقال: "يا ليتني تركت ابن الزبير وما تحمّل" ثم ترك الأمر، وأدار

1 ق: "إله" وصححت بالهامش بلم الأصل: "الأله".

2 ص 36

3 ص 36 ب

4 مكررة لوق هذا النظم بلم الأصل: "في اصطلاح الصوفية".

الجبر كما كان، احتراماً للبيت؛ لئلا يتعرض إليه بالهدم في كل وقت من الخلفاء على ما يعطيهم في ذلك، فأبقاه سنداً لهذه الذريعة، فاعلم ذلك.

أما¹ تليثه ليكون على اثني عشرة قاعدة؛ كل ثلث من العلم بالله: فالثلث الواحد من العلم بالله؛ هو ما يُعلم من الله بالدليل. والثلث الآخر؛ ما يُعلم منه سبحانه- بالشهود عند التجلي. والثلث الثالث؛ هو ما يُعلم منه بإعلامه سبحانه، وهو أصح الأقسام في العلم بالله.

وتفصيل قواعده يطول، وقد أحلناك في العلم بها عليه سبحانه؛ لتدرك ذلك ذوقاً لمن شاء الله تعالى.

وعن هذه القواعد ظهرت بروج الفلك، وهي: الحمل، والثور، والتوأمان، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدالي، والحوت. ثلاثة منها ناريتة، وهي: الحمل، والأسد، والقوس. وثلاثة ترابيتة، وهي: الثور، والسنبلة، والجدي. وثلاثة هوائيتة، وهي: الجوزاء، وتستى التوأمان، ثم الميزان، والدالي. وثلاثة مائية، وهي: السرطان، والعقرب، والحوت. فهي أربع مراتب مضروبة في ثلاثة، المجموع اثنا عشر، وهو انتهاء أسماء العدد من جهة بساطته. ثم يقع التركيب إلى ما لا يتناهى؛ فمن واحد إلى تسعة. والفقد ثلاثة: عشرات، ومئون، وآلاف؛ فالمجموع اثنا عشر.

وأما التسديس من ذلك؛ فالتثليث يضافه، فيها طرفان: التسديس وهو الأكثر، والتثليث وهو الأقل. والمتوسط بين² التثليث والتسديس؛ التريع، كل ربع تسعة؛ وهي منتهى بساطت مفردات العدد في الآحاد. فللتسعة نظر إلى الاثني عشر، ونظراً إلى الستة، والكل ست وثلاثون قاعدة أمهات، وتنتهي إلى ثلاثمائة وستين قاعدة، منها ظهر درج الفلك التي الكواكب تقطعها سيرها، وقد ربط الله ما يحدثه في عالم الأركان؛ بقطع هذه الكواكب في هذه القواعد على كثرة الكواكب.

وأما ما تحدثه في عالم الجنان دون النار والدنيا؛ فما تعطيه القواعد بحركتها، لا بما يعطيه قطع الكواكب في هذه القواعد. ولذلك اختلف الحكم؛ فيما يتكون في الجنة، وما يتكون في الدنيا والنار. فما في الجنة مانع يمنع ما تعطيه حركة القواعد، وفي الدنيا والنار موانع تمنع ما في قوة القواعد من التكوين، وهذه الموانع؛ عين قطع الكواكب في تلك القواعد.

ما إِنْ أَقُولُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ	مِنْ نَاطِرٍ فِي اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ
إِنَّ الْإِلَهَ تَرَاهُ وَهُوَ مُنْزَعٌ	بِذَلِيلِهِ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ
إِلَّا الَّذِي قَالَ الذَّلِيلُ بِفَضْلِهِ	وَيُعْلِمُهُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْكَانِ
ذَلِكَ الرَّسُولُ وَكُلُّ وَارِثٍ حُكْمِهِ	مِنْ كُلِّ مَعْصُومٍ مِنَ الشَّيْطَانِ
الْفِكْرُ يَتَجَرَّعُ عَنْ تَحَقُّقِ عَلَيْهِ	بِاللَّهِ جِنِّ يَجُولُ فِي الْأَكْوَانِ
مَا لِلْجَهَالَةِ، فِي الَّذِي جَاءَتْ	أَقْوَالُهُ ² فِي اللَّهِ، مِنْ سُلْطَانِ
فَهُوَ الْوُجُودُ وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ	فِي كُلِّ مَا يَتَدَوَّى مِنَ الْأَغْيَانِ

فقد بان لك إن كنت من أهل الأنواق بالعلم بالله؛ أنه لا يعلم إلا بإعلامه ﷻ وكل من قال: إنه لا يعلم بالليل أو بالليل؛ فإنه يضرب في حديد بارد، من جميع العلماء الناطرين في العلم بالأشياء بالليل. والآن يقول الحق وهو يهدي السبيل³.

1 ص 38
2 كتب عليها إشارة التصويب، وفي الهامش "الفاظه" مع إشارة التصويب كذلك.
3 [الأحزاب: 4]

الباب الثاني والعشرون وأربعائة

في معرفة منازل¹: مَنْ رَدَّ إِلَيَّ لَعَلِّي فَقَدْ أَعْطَانِي حَقِّي، وَأَصْغَفَنِي مِمَّا لِي عَلَيْهِ

إِنِّي رَأَيْتُ وَجُودًا لَسْتُ أَذْرِيهِ	وَهُوَ الْوُجُودُ الَّذِي أَعْيَانُنَا فِيهِ
الْفِعْلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقِّ مُشْتَرَكٌ	فَيْنَمَا يُظَلُّ فِيهِ بَعْضُ مَا فِيهِ
إِنِّي سَمِعْتُ كَلَامًا غَيْرَ مُتَقَطِعٍ	فَيْنَا وَفِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ مِنْ فِيهِ
بِسَمْعِهِ لَا بِسَمْعِي إِنِّي عَدَمٌ	وَقَدْ تَوَجَّهَ حَقِّي مَا تُؤْنِسُهُ
لَهُ وَكَيْلٌ عَلَى مَنْ لَا وَجُودَ لَهُ	يَلِيهِ وَقْتًا وَفِي وَقْتٍ يُعَافِيهِ
وَلَا يَزَالُ بِهِ مَا دَامَ مُتَقَصِّفًا	بِالْكُؤُونِ فِي غَيْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيهِ
عَلَى تَبْيِضِ مَقَامٍ لَيْسَ يَقْرَأُهُ	وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَمْرٌ يُنَافِيهِ
أَنَا ² وَإِيَّاهُ مُوجُودَانِ فِي قَرْنٍ	وَلَا يَزَالُ عَدُوِّي أَوْ مُصَافِيهِ
فَالْأَمْرُ مُفْتَرَقٌ وَالْأَمْرُ مُجْتَمِعٌ	وَالْجُودُ لَا يَتَدُ إِلَّا مِنْ مُكَافِيهِ ³
إِنِّي زَمَرْتُ أَمْوَرًا لَيْسَ يَقْرَأُهَا	إِلَّا الَّذِي قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ فِيهِ
وَلَيْسَ يَقْلَمُ مَا أَبْدِيَهُ مِنْ عَجَبٍ	إِلَّا الْوُجُودُ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَنْفِي بِهِ بَدَلًا	وَلَيْسَ يَدْرِيهِ إِلَّا مَنْ يَكَاافِيهِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾⁴ وقال: ﴿قُلْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَلَكِنْ اللَّهَ تَقَلَّهْمُ﴾⁵ وقال لبيته ﷺ
في رَمِيهِ التراب في أعين المشركين: ﴿وَمَا زَمَيْتُ إِذْ زَمَيْتَ وَلَكِنْ اللَّهَ رَمَيْتُ﴾⁶ وقال: ﴿يَبْلُ اللَّهُ الْأَمْرَ
جَمِيعًا﴾⁷.

1 ص 38 ب

2 ص 39

3 في الهامش خط آخر مع إشارة صح: والوجود جرد لم لا يكابه

4 [البقرة: 40]

5 [الأخلاق: 17]

6 [الأخلاق: 17]

7 [الرعد: 31]

فَقَدْ تَعَالَى- إِلَيَّ أَنْ الْفَعْلَ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الْحُسْنُ أَنَّهُ لِلْعَبْدِ؛ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى- لَا لِلْعَبْدِ، فَإِنْ أَضَفْتَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا أَضِيفَ إِلَى نَفْسِي؛ بِإِضَافَةِ اللَّهِ، لَا بِإِضَافَتِي؛ فَأَنَا أَحْكِي وَأُتْرَجَمُ عَنْ اللَّهِ بِهِ، وَهُوَ¹ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾² فَرَدُّ الْفَعْلِ الَّذِي أَضَافَهُ إِلَيَّ إِلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ حَقُّ الَّذِي لَهُ قَبْلِي بِهِذِهِ الْإِضَافَةِ.

وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ مِيزَانِ إِلَهِي نَزْدُهُ بِهِ إِلَيْهِ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى- لَمَّا رَفَعَ السَّمَاءَ؛ وَضَعَ الْمِيزَانَ، فِي سَبَاحَةِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاكِهَا؛ الَّتِي هِيَ طُرُقُ فِي السَّمَاوَاتِ؛ لِتَجْرِيَ بِالْمَقَادِيرِ³ الْكَائِنَةِ فِي الْعَالَمِ عَلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ لَا تَعْدَاهُ. فَهِيَ تَعْطِي وَتَمْنَعُ بِذَلِكَ الْمِيزَانَ الَّذِي وَضَعَ الْحَقُّ لَهَا؛ لِأَنَّهَا تَشَاهِدُ الْمِيزَانَ الَّذِي يَدُ الْحَقِّ حِينَ يَخْفِضُ بِهِ وَيَرْفَعُ. فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ رَفَعَهُ الْحَقُّ بِمِيزَانِهِ؛ أَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ مَقَامُ الرَّفْعِ. وَإِذَا رَأَتْ الْحَقُّ يَضَعُ بِمِيزَانِهِ مَنْ شَاءَ؛ أَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ مَقَامُ الْوَضْعِ؛ وَذَلِكَ هُوَ التَّسْخِيرُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي النُّجُومِ أَنَّهَا ﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾⁴ فَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْلُوفِينَ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِالْخُطَابِ وَالتَّكْلِيفِ؛ فَإِنَّهُمْ مَحَلُّ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ؛ بِخِلَافِ سَائِرِ الْخُلُوقِ؛ وَذَلِكَ لِلْحِجَابِ الَّذِي ضَرَبَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَشَاهِدَةِ الْأُمُورِ مِنْهُمْ وَمَنْ سَائِرِ الْخُلُوقِ؛ أَنَّهَا لِلَّهِ لَا لَهَا. فَلَمَّا ادَّعَوْهَا؛ أَضَافَهَا الْحَقُّ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ دَعْوَاهُمْ، وَكُلُّهُمْ اجْتِلَاءٌ مِنْهُ لِدَعْوَاهُمْ.

فَمَنْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصِيرَتِهِ، وَرَأَى الْأَفْعَالَ كُلَّهَا لِلَّهِ؛ لَمْ يَرِ إِلَّا خَسَنًا مِنْهُ وَمَنْ سَائِرِ الْخُلُوقِ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّادِقُ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا" فَطَلَبْنَا عَلَى الْإِحْسَانِ؛ مَا هُوَ؟ فَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ⁵ أَنَّ الْإِحْسَانَ هُوَ "أَنْ تَقْبَلَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" فَتُشْرِعُ فِي الْعَمَلِ عَلَى الْحِجَابِ. فَإِذَا رَأَيْنَا الْمَعْمُولَ لَهُ؛ رَأَيْنَا الْعَمَلَ صَادِرًا مِنْهُ فِينَا، مَا نَحْنُ الْعَامِلِينَ. فَلَمَّا رَأَيْنَا هَذَا؛ خَفِينَا مِنْ مَزَلَّةِ الْقَدَمِ؛ فِيمَا سَمَّاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ حَسَنًا وَسَيِّئًا. وَغَلَمْنَا أَنَّهُ مَا أَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْنَا؛ إِلَّا لِدَعْوَانَا فِي الْأَفْعَالِ أَنَّهَا لَنَا. فَإِذَا حَصَلْنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ الشُّهُودِ؛ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ أَضَفْنَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَى- خَلَقًا فِينَا، وَأَضَفْنَاهُ إِلَيْنَا مِنْ كَوْنِنَا مَحَلًّا لظُهُورِهِ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا ذَلِكَ الْعَمَلِ- أَضَفْنَاهُ إِلَيْنَا بِإِضَافَةِ اللَّهِ؛ فَتَكُونُ حَاكِمِينَ قَوْلَ اللَّهِ؛ فِيرِنَا اللَّهُ حُسْنَ مَا فِي ذَلِكَ الْمَسْتَعَى سَوْءًا؛ فَيَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِنَا حَسَنَاتٍ؛ وَمَا هُوَ إِلَّا تَبْدِيلُ الْحُكْمِ، لَا تَبْدِيلُ الْعَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ جَمِيعَ مَا طَرَأَ مِنَّا فِي هَذَا كُلِّهِ؛ مِنْ نَظَرٍ وَرَدٍّ؛ وَاحِدًا؛ فَهُوَ بِهِذِهِ الْمُنَاطَبَةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِعْلٌ ظَهَرَ فِينَا، وَنَحْنُ أَهْلُ شُهُودٍ؛ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْاِسْتِعْدَادُ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ لِقَبُولِ مَا يَخْلُقُ فِيهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُنْسُوبَةِ

1 ص 39 ب

2 [الصفات : 96]

3 ن: بالمقادير

4 [الأعراف : 54]

5 ص 40

في الشهود، كما هي في سائر الخلوقات عند الخلوقات، الذين يقولون: مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته، بالوزن الذي جعله في سباحة كوكب من الكواكب، وما قدره الله له من المنازل التي ينزل فيها. والمحجوب عن هذا المقام يقول: مُطَرْنَا بِنُوءِ كذا وكذا؛ فيذكر الكوكب الجبور في ذلك، ويضيف ما¹ ظهر من المطر الصائب إليه، كما يضيف أفعاله خلقًا إلى نفسه. فسَمِيَ عند ذلك؛ بِأَنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ، مؤمن بمن رأى الفعل منه. ويسَمَى الأول مؤمنًا بالله، كافرًا بمن رأى الحسَّ الفعلَ صادرًا منه، من حيث ما هو محلٌّ. ومن المكلفين من ليس له هذا الشهود، ولا تحركه الإيمان يقف مع الحجاب الذي على عينه؛ فيقول مثل ما يقول صاحب الشهود: مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته؛ تقليدًا لا علمًا؛ حتى يتميَّز المؤمن من العالم. فإنَّ المؤمن يقول ذلك؛ لورود الخبر الصادق به، ويقوله صاحب النظر؛ لما يعطيه دليل عقله، مثل المؤمن سنوءًا، إلَّا أنَّ له درجة زائدة.

وهذان الصنفان لا يبلغان مبلغ صاحب الشهود في الدرجة؛ فإنَّه يزيد عليها بالعين، وكذلك يشاهد أفعال الحق في نفسه، كما يعلمها صاحب النظر، كما يؤمن بها المقلد للخبر، وكلُّ له مقام معلوم، ولكن لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

فإنَّ الحق لو رجع في التعريف، عن إضافة هذه الأفعال إليه تعالى، وكفر من أضافها إليه تعالى؛ لرجع المؤمن لرجوع الحق عقداً وقولاً، ورجع العالم صاحب الشهود قولاً لا عقداً. فإنه لا يتمكن لصاحب البليل إذا استحكم الرجوع عنه، ولا لصاحب الشهود. وإذا كان هذا هكذا²، فلا بدَّ من التمييز بين المؤمن العالم³، والمؤمن. فقد بيَّنا لك صورة الميزان والوزن، وأنَّ الوزنَ نعتُ الهي لا ينفي لعبد من عباد الله أن يغفل عنه في كلِّ فعل ظاهر في الكون، من موجودٍ ما من الموجودات؛ فلا يزال مراقباً له في غيره؛ فيحكم عليه بالميزان الموضوع عنده، وليس إلَّا الشرع.

وأما مراقبته في نفسه فبخلاف ما يرقبه في غيره؛ فإنه لا يشهده من غيره إلَّا بعد ظهوره ووقوعه في الوجود من هذا الشخص.

وأما في نفسه فيرقب خاطره؛ فإنه أول ما يوجده الله في خاطره وقلبه، وقد عفا عنه تعالى - فيما

1 ص 40

2 ص 41

3 ق: والعالم

يجده من ذلك إلا بمكة. فإذا راقبه، ورأى أن الله قد جعل فيه قصد إظهار أمرٍ ما، فإن كان من الأفعال المقررة إلى سعاده الأخرى المحبوبة إلى الله، المثني عليه؛ هيّا محله لقبول ما يفعل الله به من ذلك؛ فيظهر الفعل، وله الأجر من حيث ما هيّا نفسه واستعدّ، والكلّ من عند الله. وإن كان بما ذمّه الله شرعا، فلا يبيّن نفسه لظهور ذلك الفعل حمد الطاقة.

فإذا كان ذلك الفعل من المقرّر عند الله وقوعه في هذا المحلّ؛ سلّب الله عن هذا العبد عقله، ولم يعطه الاختيار، وأعماه؛ حتى يظهر ذلك الفعل في محله. فإذا ظهر بحكم هذا الجبر الباطن، ردّ إليه¹ عقله؛ فاعتبر، واستغفر ربه ﴿وَعَزَّزْنَا كَيْفًا وَآثَابًا﴾² وهذا معنى قوله ~~الطاهر~~ «إن الله إذا أراد إنفاذ قضائه وقدره سلّب ذوي العقول عقولهم؛ حتى إذا أمضى قدره فيهم ردّها عليهم ليعتبروا».

وأما الغافل الجاهل؛ فحكمه ما هو المقرّر في العموم.

وأما قولنا "إلا بمكة" فإنّ الشرع قد ورد "أن الله يؤاخذ بالإرادة للظلم فيها" وهذا كان سبب سكتي عبد الله بن العباس بالطائف احتياطا لنفسه. فإنّ الإنسان ما في قوته أن يمنع عن قلبه الخواطر؛ فمن لم يخطّر الحق له خاطر سوء؛ فذلك هو المعصوم، ومن له بذلك؟.

ولقد رأيت من هذه صفته؛ وهو سليمان النبلي رحمه الله- كان على قدم أبي يزيد البسطامي، أخبرني عن نفسه، على جملة إظهار نعمة الله عليه؛ شكرا وامتنالاً لأمر الله حيث قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾³ فقال لي: "إنّ له خمسين سنة ما أخطر الله له في قلبه خاطر سوء" فهذا من أكبر العناية الإلهية بالعبد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْذُ فِيهِ بِالْخَادِ يَظْلَمُ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁴ فنكر الظلم، لحاف مثل ابن عباس وغيره. والإلحاد: الميل عن الحق هنا.

وأما الميزان الموضوع الذي يظهر لكلّ عين يوم القيامة، يظهر على صورة ما كان في الدنيا بين⁵ العامة من الاعتدال، وترجيح إحدى الكفتين؛ فيعامل الحق صاحب ذلك الميزان بحسب ما يحكم به من الحجة والثقل، لجعل السعادة في الثقل. والإنس والجبرّ ما سُمّي بالثقلين؛ إلّا لما في نشأتها من حكم الطبيعة، فهي

1 ص 41 ب

2 [ص: 24]

3 [الضحى: 11]

4 [الحج: 25]

5 ص 42

التي تعطي الثقل.

ولمّا كان الحشر يوم القيامة والنشور، في الأجسام الطبيعية؛ ظهر الميزان بصورة نشأتهم من الثقل. فإذا تقلت موازينهم، وهم الذين أسعدهم الله؛ فأرادوا حسناً، وفعلوا في ظاهر أبدانهم حسناً؛ فنقلت موازينهم، فإنّ الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ألف مما دون ذلك وما فوقه. وأمّا القبيح السيئ؛ فواحدة بواحدة. فيخف ميزانه، أعني ميزان الشقي، بالنسبة إلى ثقل السعيد.

واعلم أنّ الحقّ تعالى - ما اعتبر في الوزن إلا كفة الخير، لا كفة الشرّ. فهي الثقيلة في حقّ السعيد، الخفيفة في حقّ الشقي، مع كون السيئة غير مضاعفة، ومع هذا فقد خفّت كفة خيره، فانظر ما أشقاه!. فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي؛ لقلة ما فيها من الخير أو لعدمه بالجملة. مثل الذي يخرج من سبكانه - من النار وما عمل خيراً قط. فيزان مثل هذا ما في كفة اليمين منه شيء أصلاً، وليس عنده إلا ما في قلبه من العلم الضروريّ بتوحيد الله، وليس له في ذلك تعمل¹، مثل سائر الضرورات. فلو اعتبر الحقّ، بالثقل والخفة، الكفتين: كفة الخير والشرّ، لكان يزيد بياننا في ذلك؛ فإنّ إحدى الكفتين إذا تقلت؛ خفّت² الأخرى بلا شكّ، خيراً كان أو شراً.

وأما إذا وقع الوزن به، فيكون هو في إحدى الكفتين وعمله في الأخرى، فذلك وزن آخر. فمن ثقل ميزانه؛ نزل عمله إلى أسفل، فإنّ الأعمال في الدنيا من مشاقّ النفوس، والمشاقّ محلّها النار. فتنزل كفة عمله تطلب النار، وترفع الكفة التي هو فيها لينقثها فيدخل الجنة لأنّ لها العلوّ. والشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها، وتخفّ كفة عمله؛ فيهبوي في النار، وهو قوله: ﴿قَامُوا هَابِيَةً﴾³.

فكفة ميزان العمل هي المعبرة في هذا النوع من الوزن، الموصوفة بالثقل في السعيد؛ لرفعة صاحبها، والموصوفة بالخفة في حقّ الشقي؛ لثقل صاحبها، وهو قوله: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾⁴ وليس إلا ما يعطيهم من الثقل الذي ييؤون به في نار جهنّم. فهما وزنان: وزن الأعمال بعضها ببعض؛ يُعتبر في ذلك كفة الحسنات. ووزن الأعمال بعاملها؛ يُعتبر فيها كفة العمل. فمن أراد أن يفوز بلذة الوجود؛ فليعط الحقّ من نفسه مستحقّه. والله سبحانه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

1 ص 42

2 آية بالهاسر فلم الأصل

3 [القارة : 9]

4 [الأعام : 31]

الباب¹ الثالث والعشرون وأربعائة في معرفة منازلة: مَنْ غَارَ عَلَيَّ لَمْ يَذْكُرْنِي

قَلْبِي عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي قَلْبِهِ مِنْ وَاحِدِ الْغَيْنِ لَا كَثْرَ وَلَا عَدَدَ
إِذَا تَرَكْتُ الْأَسْمَاءَ مِنْهُ عَلَى مَنَازِلِ الْقَلْبِ لَمْ يَشْفُرْ بِهَا أَحَدُ
مَجْهُولَةَ الْغَيْنِ مَا يَنْفَكُ صَاحِبُهَا فِي خَيْرَةٍ مَا لَهَا نَقْصٌ وَلَا أَمَدُ
إِنْ قُلْتُ: إِنِّي وَجِدْتُ، قَالَ لِي جَسَدِي: أَلَيْسَ مُزَكِّبُكَ التَّرْكِيبُ وَالْجَسَدُ
فَلَا تُقُولَنَّ مَا بِالْأُذُنِ مِنْ أَحَدٍ فَالْأَنْزَارُ مَقْفُورَةٌ وَالسَّائِرُ الصُّنْدُ
وَلَيْسَ تَخْرَبُ دَارَ كَانَ سَاكِنُهَا مَنْ لَا يَقُومُ بِهِ غِلٌّ وَلَا حَسَدُ

قال الله تعالى وجلّ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾² عن³ الوفاء بالعهد. فإنا عهدنا إليهم أن يذكروني؛ فأيقوا أن يذكروني إلا على طهارة، كما قال ﷺ: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» أو قال: «على طهارة»، ورأوا هؤلاء نفوسهم غير طاهرة؛ لما فيها من الدعاوي في الخير الذي قام بهم من عند الله؛ فينسبونه لأنفسهم، وما أعطوا الله حقّه من رَدِّ ذلك إليه، كما فعل القليل من عباده، إلى غير الدعاوي من الأمور التي لا تتصف النفوس بوجودها بالطهارة، فهؤلاء غاروا أن يذكروا الله؛ وهم الذين يذكرون الله سراً في نفوسهم.

وأما الذين يذكرونه علانية؛ فإنهم شاهدوا قلوب العامة في غاية من الغفلة عن الله، فقالوا: "إذا ذكرنا الله فيهم ذكروه، فإنهم إذا سمعوا ذكراً الله، لم يتمكن لهم إلا أن يذكروه" فيذكرونه بقلوب غافلة عما يجب لله من التعظيم. فإذا كان مشهدهم هذا؛ غاروا على الله؛ فلم يذكروا، وكان منهم الشبلي في أول حاله - وغيره. فما وقي هؤلاء بعهد الله، ولا كانوا على معرفة من الله، وهذا حال أكثر أهل الطريق، ولا سبياً أهل الورع منهم، فخرجوا بهذا عن العهد الذي عهد إليهم الله من ذكره في قوله: ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾⁴ وما

1 ص 43

2 [الأعراف: 102]

3 ص 43 (في ق 44هـ)، وهناك خطأ في ترتيب وضع صفحات المجلد اجدهاء من هنا حتى بداية ص 47هـ. وقد بين هنا للمراجعين فكأنوا يكون أسفل الصفحة اليمنى عدداً من الكلمات ينبغي أن تكون هي بداية الصفحة التي على اليسار ليتمكن القارئ من المتابعة وفق ما كتبه الشيخ.

4 [الأحزاب: 41]

قَيَّدَ حالاً من حال، وهو قوله **الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**.

فَإِنَّ القلب، وإن غفل عن الذِّكْر، الذي هو حضوره¹ مع المذكور، فَإِنَّ الإنسان من كونه سميعاً، قد سمع ذِكرَ الله من لسان هذا النَّاكر، فحضر بالقلب ووعى ما جاء به هذا النَّاكر، ولم يجيء إلا بِذِكرِ اللسان الذي وقع بالسمع. فجزد له هذا القلب ما يناسبه من النَّاكرين منه وهو اللسان؛ فذكر الله بلسانه موافقةً لِذِكرِ ذلك النَّاكر المذكور له، والقلب مشغول في شأنه الذي كان فيه، مع أنه لم يشغل عن تحريك اللسان بالذِّكر، فلم يشغله شأنٌ عن شأن. لما ذكر أحد الله عن غفلة قطع، وما بقي إلا حضور باستفراغ له، أو حضور بغير استفراغ، بل بمشاركة. ولكن زمان أمره اللسان بالذِّكر، ما هو زمان اشتغاله بغيره؛ فما ذكره غافل قطع، أي عن غفلة، في حال أمر القلب اللسان بالذِّكر، لا في حال ذِكرِ اللسان. ثم إِنَّ اللسان² قد وفق حقه في العلائقة من الذِّكر؛ فإنه من الأشياء المسببة الله. فمن غار على الله؛ لم يعرفه؛ وإنما يغار له، لا عليه.

وأما أهل هذه المنازلة؛ فإنهم غاروا على الله أن يذكره غيره، وهم أهل الدعاوى في الذِّكر، وهم يشهدون أَنَّ الله هو النَّاكر نفسه بلسان عبده؛ فذكروه، وهم يعلمون أنهم ما ذكروه مثل قوله: «إِنَّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» وهو من جملة الذِّكر؛ فرأوا أَنَّ الحقَّ لسانهم في الذِّكر؛ فلم يذكروه بهذا الشهود؛ فصحت المنازلة بقوله: "من غار عليّ لم يذكرني؛ لأنه عرف من النَّاكر³ ومن المذكور" نصار بمزل عن الذِّكر في نفس الذِّكر ﴿وَمَا زَمَيْتَ إِذْ زَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ زَمَى﴾⁴.

ثم إِنَّ الأسماء الإلوهية ما كثرتها الله إلا لاختلاف الآثار الظاهرة في الكون؛ فإذا ذكره العارنون بالأسماء؛ جعلوا الذِّكر لاسم ما من الأسماء، وجعلوا المذكور اسماً ما من الأسماء. فكانت الأسماء يذكُر بعضها بعضاً. فذلك الذِّكر⁵ ألبسنة الأسماء، ونحن وسائط؛ فما ذكرناه إلا به، ومن ذكرته به فلم تذكره.

ألا ترى ذِكرَ مَنْ أنعم الله عليه؛ إذا ذكره بنعمته؛ فذلك لسان نعمته، وأنت من نعمته؛ فما ذكره إلا إحسانه، لا أنت. فمن غار على الله لم يذكره، مع أنه أكثر عباد الله ذِكرًا بالصورة، ولا ذِكر له بالحقيقة؛ فهو عبدٌ حقٌّ؛ لأنه النَّاكر الصامت. ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَعْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 ص 44 (في ق 45)

2 في الأصل: "الإنسان" وعليها إشارة التغير، وورقها كتب بقلم الأصل: اللسان.

3 ص 44 ب (في ق 43)

4 [الأخلاق: 17]

5 في الهامش بقلم آخر: "ذكر" وعليها حرف ظ، وبجانبها عبارة: "من بعض الظن" ولعلها تحوير لحرف "ظ" المشار إليه.

6 [الأحزاب: 4]

الباب الرابع والعشرون وأربعمئة

في معرفة منازلة: أَجِبْكَ للبقاء معي، وتحت الرجوع إلى أهلك،
فقف حتى أتشفئ منك، وحينئذ تمر عتي. قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحْيِيهِمْ﴾¹ فهو المحب المحبوب

مَنْ أَحَبَّ الْفَنَّا أَحَبَّ لِقَائِي	مَنْ أَحَبَّ الْبَقَا أَحَبَّ الرُّجُوعَا
لَيْسَ ² يَتَقَى مَعَ الشُّهُودِ وَجُودٌ	فَتَرَى الْكَوْنَ فِي الشُّهُودِ صَرِيحَا
كُلُّ حُبٍّ يَكُونُ فِيهِ اشْتِيَاقٌ	أَزْدَعُ الْحَقُّ فِيهِ مَعْنَى بَدِيحَا
فَإِذَا اللَّهُ قَالَ إِنِّي مُجِبٌّ	فَتَرَانِي أَضْغِي إِلَيْهِ سَمِيحَا
وَيَقُولُ الْفَوَازُ فِي السَّرِّ- مَنِّي	إِنْ يَكُنْ مَا يَقُولُ كَانَ مُطِيعَا
إِنَّ اللَّهَ فِي الْوُجُودِ عَلُومَا	لَيْسَ تَعْلَى لِمَنْ يَكُونُ مُذِيحَا

اعلم أيدينا الله وإيتاك- أَنْ للحق حُكْمَيْن: الحكم الواحد ما له من حيث هويته، وليس إلا رفع المناسبة بينه وبين عباده. والحكم الآخر هو الذي به صحت الروية الموجبة للمناسبة بينه وبين خلقه، وبها أثر في العالم الوجود، وبها تأثر مما يحدث في العالم من الأحوال، فيتصف الحق عند ذلك بالرضا والسخط وغير ذلك.

وللعالم حُكْمَان: حُكْمٌ به صحت المناسبة بينه وبين الحق، وبها كان العالم خلقاً لله، ومنسوتاً³ إليه أنه وُجد عنه، فارتبط به ارتباط منفعل عن فاعل، وهذا الحكم لم يزل العالم مرجحاً في حال عدمه بالعدم، وفي حال وجوده بالوجود، فما اتصف بالعدم إلا من حيث مرجحه، ولا بالوجود إلا من حيث مرجحه. و(الحكم الآخر) هو من حيث هويته وحقيقته، لا نفت له من ذاته؛ كما قلنا في الحق في حكم رفع المناسبة، ليصح قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴ في جناب الحق من حيث هويته، ومن جناب العالم من

1 [المائدة : 54]

2 ص 45 (في ق 44)

3 ص 45 (في ق 46)

4 [الشورى : 11]

حيث هويته. والمناسبات أحدثت التنوع من حيث النسب، لا من (حيث) أنها أعيان وجودية.

فَمَا تَمَّ إِلَّا الْحَقُّ وَالْحَقُّ فَاعِلٌ وَمَا تَمَّ إِلَّا الْخَلْقُ وَالْخَلْقُ مُقْعِلٌ

فلما وقعت المناسبة بين الله وبين العالم، صح أن يقول: ﴿يُحْيِيهِمْ وَيُمِيتُهُمْ﴾ فالحق محب محبوب؛ فمن حيث هو محب يفعل لتأثير الكون، ومن حيث هو محبوب يتلقى. والعالم أيضا محب لله محبوب لله؛ فمن حيث هو محب لله يتلقى لأجل الدعوى؛ فيفتضح صاحب الدعوى الكاذبة، ويظهر صاحب الدعوى الصادقة. ومن حيث أنه محبوب؛ يتحكم على محبه؛ فيدعوه فيستجيب له، ويرضيه فيرضى، ويُسخطه فيعفو ويصفح، مع نفوذ قدرته وقوة سلطانه. إلا أن سلطان الحب قوي كما قال الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد:

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْإِنْسَانِ عِنَانِي وَخَلَّلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تُطَاوِعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ قُوْنِي، أَغْرَنِي مِنْ سُلْطَانِي

ومع وجود المناسبة بين الإنسان وبين العالم، وأهله من العالم، فلم يحب الرجوع إلى أهله من أحبه منهم؛ مع كونهم محبوبين لله؛ إلا لكون الله قد عين لأهله حقاً على هذا الشخص؛ فيحب الرجوع إلى أهله ليؤدي إليهم حقوقهم التي أوجباها الله لهم عليه، لا لفرض نفسي ولا لمناسبة كريمة.

ولما علم الله أن مثل هؤلاء ما رجعوا إلا امتثالاً لأوامره تعالى، ووقوفاً عند حدوده؛ لئلا يتجاوزوها ويبتعدوها؛ قال لمن هذه صفته: "قف حتى أتشفئ" وهو قوله ﷺ: «لِي وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي» فهو لله في ذلك الموطن، ليس لنفسه، ولا لشيء من خلقه، وسأحه الحق في رجوعه إلى أهله من هذا المقام؛ لكونه ما يرجعه إلا حق الله الذي افترضه عليه، لمن رجع إليه من أهله؛ لعلمه بأنه يخاف فوت الوقت؛ فيشهد له هذا الطلب للرجوع؛ بأنه صادق الدعوى في محبته ربه تعالى - لهذا قال: "وحينئذ تمر عتي" وهو لا يمر عنه إلا من حيث هذا المقام؛ فإنه بعينه حيث كان. قال تعالى - في مثل هذا المقام الذي يقتضي الصبر عن الله، من حيث هذا المشهد الخاص: ﴿وَأُضِلَّ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بروجوعك لأداء هذه الحقوق،

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾¹ لعلمه بأنه محب، والمحبة بتألم للفراق والاستغفال بشهود الغير.

ولما سمعت في هذه المنازلة قوله: "حتى أتشفى منك" قلّ عليّ، لقلة معرفتي بالحق في حال هذه المنازلة. فلما علم أنه قد شقّ مثل هذا عليّ؛ آنسني بغيري في هذا الحكم؛ فوقفني على قوله ﷺ عن الله: «إنه أشدّ شوقاً إلى لقاء أحبّاه منهم إليه» فإنه تعالى - أعلم بهم منهم به، وعلى قدر العلم يكون الشوق، مع علمي أنّ مثل هذه الأمور إنما هي ألسنة المقامات والأحوال وأحكامها وأحكام الأسماء، وهذا معنى قوله: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُخْتَلِفِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾² ولا يحشر إليه إلا من ليس عنده، من حيث هذا الاسم الخاص، وهو عنده من حيث حكم اسم آخر غير هذا الاسم. فمن عرف الحق بمثل هذه المعرفة لم يكبر عليه ما يسمعه عن الله من كلّ ما هو نعمتُ الخلق ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [الطور : 48]

2 [مريم : 85]

3 [الأحزاب : 4]

الباب¹ الخامس والعشرون وأربعائة في معرفة منازلة: مَنْ طلب العلم صرفتْ بصره عني

طالب العلم لَيْسَ يُذَرِّكَ	بِدَلِيلٍ لِكُنْ ذَاكَ مُحَالَا
فَتَرَاهُ يَزَانِي فِي كُلِّ عَيْنٍ	وَتَرَانِي أُبْدِيهِ حَالَا فَحَالَا
فَيَرَى نَفْسَهُ وَلَيْسَ سِوَانِي	وَالهَيْئَةُ لَا يَكُونُ قَطُّ ضَلَالَا ²
قَدْ زَفَعْنَا مَضَاوِنَا ³ لِشُمُوسٍ	أَخْرَجَتْ أَزْجَحَهَا فَكَانَتْ ظِلَالَا
فَإِذَا مَا يَقُولُ رَبِّكَ فَاغْلَمْ	أُنْبِي وَاحِدٌ عَلَيْكَ أَحَالَا

قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾⁴ التقدير: فإذا ما يقول ربك: "إني واحد" فاعلم أنه عليك أحال.

اعلم أن العلم الدليلي البرهاني يقتضي⁵ برفع المناسبة بين العالم وبين هوية الحق، ولا رؤية من راء، إلا بمناسبة بينه وبين المرئي. فالحق لا يراه غير نفسه من حيث هويته.

فصاحب هذا العلم في حال شهوده ورؤيته ربه، يحكم أنه ما رآه، وحكمه صحيح، ورؤيته صحيحة، فلهذا قال: "صرفتْ بصره عني" فإذا صرف بصره عنه؛ كان الحق بهويته بصرا لهذا العبد. فإذا رآه بهذه الحال؛ يكون من رأى الحق بالحق، والرائي عبداً، والمرئي حق، والمرئي به حق⁶. وهذه أكل رؤية تكون حيث كانت.

وقد ورد في الصحيح: "أن العبد يحصل له هذا المقام في الحياة الدنيا، وفي هذه النشأة التي تفارقها النفس المطمئنة الناطقة بالموت" فقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فكثرت وجمعت؛ فإنها أبحار الكون، ولم يقل: "لا يدركه البصر" وإن كان جمع قلّة. ولكن على كل حال هو أكثر من بصر، قال الشاعر في جمع القلّة :

1 ص 47 (في ق 46)

2 كتب فوقها بخط الأصل: والهوى قد يكون وقفا ضلالا

3 مضاوناً: سُرجنا

4 [الأصنام : 103]

5 ص 47، وابتداء من هذه الصفحة عاد انضباط تسلسل الكتابة وفق ترقيم المجلة.

6 "المرئي به حق" مضافة بالهامش بخط آخر، مع إشارة الصواب

بِأَفْعَلٍ وَأَفْعَالٍ وَأَنْفَعَةٍ وَفِعْلَةٍ يَجْمَعُ الْأَذْنَى مِنَ الْفَعْدِ

فأفعل مثل أكلب، وأفعل مثل أبحار، وأفعله مثل أكسبه، وفعله مثل فبته.

ولما كانت هويته أحدى الوصف؛ لم يكن فيها كثرة، وهي بصر. في كل مبصر. فهو، وإن تعددت ذوات المبصرين، فالبصر واحد من الجميع؛ إذا كان البصر هوية الحق؛ فيصح أن البصر عند¹ ذلك يدركه؛ لأنه ليس غيره؛ فهو الرائي والمرئي به² والمرئي؛ فإن الحقيقة المنفية في هذه الآية (هي) في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فإن الأبصار هنا معاني تدرك بها البصائر، ما هي تدرك البصائر، بخلاف ما³ إذا كان عين الحق عين بصرك؛ فيصح أن يقال في مثل هذا: "يدركه البصر" فينسب الإدراك إليه، مع صحة كونه بصرا للبعد، فتفظن لهذه المسألة، فإنها نافعة جدًا.

وتعلم من ذلك أن الله عبادا تجل لهم رؤيته في الدنيا قبل الآخرة. والله عباد آخر لهم ذلك، والله عباد لا يرونه إلا بأبصارهم في الآخرة، ويتولون عن رتبة هؤلاء في الرؤية، والله عباد يرونه في الدنيا بأبصار إيمانهم، وفي الآخرة البرزخية بأعين خيالهم، يقظة ونوما وموتا. ومن هنا قال من قال من أهل الله: "إن العلم حجاب" يريدون علم النظر الفكري، أي العلم الذي استفاده العاقل من نظره في الله، فهذا معنى قوله: "صرفت بصره عني، فما رأي من رأيي إلا بي، ومن رأيي بصره لما رأى إلا نفسه، فإني بصورته تجليت له".

فرجال الله، علموا الله بإعلام الله تعالى؛ فكان هو علمهم كما كان بصرهم. فمثل هؤلاء لو تصوّر منهم نظر فكري؛ لكان الحق عين فكرهم، كما كان عين علمهم⁴، وعين بصرهم وسمعهم. لكن لا يتصور من يكون مشهده هذا وذوقه أن يكون له فكر ألبتة في شيء، إنما هو مع ما يوحى إليه، على اختلاف ضروب الوحي، وإنه من ضروب الوحي؛ الفهم عن الله ابتداء من غير تفكير. فإن أعطي الفهم عن تفكير؛ فما هو ذلك الرجل؛ فإن الفهم عن الفكر يصيب وقتا ويخطئ وقتا، والفهم لا عن فكر وحي صحيح صريح من الله لعبده.

وذوق الأنبياء عليهم السلام- في هذا الوحي، يزيد على ذوق الأولياء، فإذن قابل الأخص في الأعم

1 ص 48

2 "المرئي به" فاجة بالهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

3 "ما" فاجة بالهامش وعليها حرف ط

4 ص 48

مُخَصِّلٌ لِلأَعْمَ، وليس قَابِلُ الأَعْمَ الذي لا يَتَمَيَّنُ فِيهِ الأَخْصُ بِحَصْلِ لَهُ فِيهِ ذَوْقُ الأَخْصِ، وإن كَانَ مَنْدَرَجًا فِيهِ؛ فَلَا حَكْمَ لَهُ فِي النُّوْقِ، وإن كَانَ لَهُ حَكْمٌ فِي الكَلِّ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الفَصْلِ. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

1 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والعشرون وأربعائة

في معرفة منازلة: السر الذي قال منه رسول الله ﷺ حين استُفْهِمَ عن رؤية ربه؛
فَقِيلَ لَهُ: رَأَيْتَ رَبَّكَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»

التَّوْرُ كَيْفَ يَرَاهُ الظُّلُّ وَهُوَ بِهِ	تَذَقَّامٌ فِي الْكَوْنِ عَيْنًا فِي تَحْلِيهِ
فَإِنْ تَحُلَى بِنَفْسِ التَّوْرِ كَانَ لَهُ	حُكْمُ التَّجَلِّي وَلَكِنْ فِي تَحْلِيهِ
الرُّوحُ ظِلٌّ وَعَيْنُ الْجَنَسِ يَدِينُهُ	مِنْ نُورِ ذَاتِ بَرَاهٍ فِي تَحْلِيهِ
وَلَيْسَ يَذَرِي إِلَيْهِ قُلْنَاهُ غَيْرَ نَقَى	ذِي خُلُوعٍ فَيَرَاهُ فِي تَحْلِيهِ
وَقَدْ يَرَاهُ النَّبِيُّ وَلَى بِصُورِهِ	غَلَّةُ فَبَانْ لَهُ لَتَى تَوَلِيهِ

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹ فمن النور من يُدْرِكُ به ولا يدرك في نفسه، فهو حجابٌ عليك عن نفسه، وأنت والعالم حجابٌ عليك، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ» أو «سَبْعِينَ حِجَابًا» الشكُّ مَتَى «من نور وظلمة» الحديث. فحجابُ النور من هذه الحجب واحد، والظلمُ الحجابيَّة ما بقي من هذا العدد، فهو عَيْنُ الحجاب عليك، وهو المحتجب فيه؛ فبنفسه احتجب.

فالنور³ لا يرى أبداً، والظلمة وإن حجبَتْ فَإِنَّهَا مرتبة؛ للمناسبة التي بينها وبين الرائي، فَإِنَّهُ مَا تَمَّ ظِلْمَةُ وجوديةً إِلَّا ظِلْمَةُ الْاَكْوَانِ.

وكان صلى الله عليه وسلم - يسأل الله في دعائه أن يجعله نورا؛ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النُّورُ، وَعَلِمَ أَنَّ النُّورَ الْأَدْنَى يَنْدَرِجُ فِي النُّورِ الْأَعْلَى، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ جَمِيعُ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ عَبْدًا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَأَنَّ مِنْ حَيْثُ هَوِيَّتُهُ لَا نَعْتَ لَهُ وَلَا صِفَةٍ؛ فَعَلِمَ أَنَّ نِسْبَةَ النِّعَتِيَّةِ إِلَيْهِ، وَالصِّفَةِ مَا هُوَ غَيْرُ الْحَقِّ، لَا مِنْ حَيْثُ صِفَةُ الْحَقِّ، بَلْ مِنْ هَوِيَّتِهِ، وَلَا يُذَكَّرُ الْعَبْدُ بِهَوِيَّتِهِ؛ وَإِنَّمَا يُذَكَّرُ بِمَا يَقُومُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ؛ وَلَيْسَتْ إِلَّا هَوِيَّةُ الْحَقِّ. فَقَوْلُهُ: «وَأَجْعَلْنِي نُورًا» عَيْنُ قَوْلِهِ: "وَأَجْعَلْنِي أَنْتَ" وَأَنْتَ لَا تَكُونُ بِالْجَمَلِ، فَقَالَ لَهُ: "أَلْقَنِي فِي عِلْمِ شَهَادَةِ أَنِّي أَنْتَ، حَتَّى أَتَمَيَّزَ عَنْ غَيْرِي مِنْ هَوِيَّاتِ الْعَالَمِ، فَأَعْلَمَهُمْ، وَأَعْلَمَ مِنْ أَنَا، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا، ثَمَّ انْدَرَجَ نُورٌ فِي نُورٍ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ وَاحِدٌ فِي عَيْنِ صُورَةِ خَلْقٍ. فَانْظُرْ مَا

1 ص 49

2 [النور : 35]

3 ص 49 ب.

أعجب هذا الاسم! فالخلق ظلمة، ولا يقف للنور فإنه ينقرها، والظلمة لا ترى النور، وما ثم نور إلا النور الحق، فلها قال ﷺ: «نور أنى أراه» فإنه ما رآه مني إلا هويته، وظلمتي لا تدركه، وهذا سرٌ خفيٌّ عن إدراك الأدلة النظرية¹، وعن إدراك الشهود في الصور، وهو من أسنى العلوم الإلهية الواضحة، فلم يدركها من العبد إلا هو، فهو العلم والعالم والمعلوم في هذه المسألة.

ولما فصل الإضافة إلى السماوات؛ وهو ما غاب من القوى وعلا. وإلى الأرض؛ وهو ما ظهر من القوى الحسية ودنا. قال الله تعالى: إنه عينٌ نورها عن ذاتها؛ فلم يشهد إلا هو؛ فهو عين السماوات والأرض، ولم نقل كما قل فيه المفسر، معناه: متوَّز أو هادٍ، فذلك له اسم خاص، وهو الهادي الذي هداهم لإبادة حمل الأمانة، وإلى الإتيان بالطاعة لأمره. فهو من باب إجابة الأسماء للأسماء، إذا دعا بعضها بعضاً، فنلك علم آخر إلهي. وأما هنا فما قال إلا أنه ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والنور النور. ويؤيد ذلك التشبيه بالمصباح على الوصف الخاص؛ فإن مثل هذا النور المصباحي ينقر ظلمة الليل، بل هو عين نفور ظلمة الليل، مع بقاء الليل ليلاً. فإنه ليس من شرط وجود الليل وجود الظلمة، وإنما عين الليل غروب الشمس إلى حين طلوعها، سواء أعقب المحل نور آخر سوى نور الشمس، أو ظلمة.

فوقع الغلط في ماهية الليل؛ ما هي؟ ولهذا قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾² فلو كان عين الليل عين الظلمة، ما نعت به بآته³ "أظلم"، فقد يكون الليل ولا ظلمة، كما أنه قد يكون النهار ولا ضوء، فإن النهار ليس إلا زمان طلوع الشمس إلى غروبها، وإن طلعت مكسوفة؛ فلا يزول الحكم عن كون النهار موجوداً. فإن قيل: ما سمي النهار نهاراً إلا لاتساع الضوء فيه؟ قلنا: وإن كان، فلا يقدح فيما ذهبنا إليه من ماهية النهار؛ فإن ذلك الكسوف أمرٌ عارض لا يقدح في طلوع الشمس، ولو أظلمت في نفسها، فكيف وعلة الكسوف لها معلوم. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 50

2 [الضي: 2]

3 ص 50 ب.

4 [الأحزاب: 4]

الباب السابع والعشرون وأربعائة في معرفة منازل: ﴿قَاب قَوْسَيْنِ﴾

تَطْطِي الثَّمِيرُ بَيْنَ الْكَوْنِ وَاللَّهِ	ما "قَاب قَوْسَيْنِ" إِلَّا تُطْرُ ذَابِرَةٌ
عَيْنٌ قَدْ ذَاكَ دُنُو الْعَالَمِ السَّاهِي	فَمَنْ يُمَارِئُ عَيْنًا لَا يُغَايِرُهَا
أَسْرَارُ عِلْمٍ وَلَا تَدْرِي النَّهْيُ مَا هِيَ	وَهُوَ الَّذِي فِيهِ "أَوْ أَذَى" وَفِيهِ لَهُ
حُكْمُ الْمُقَرَّبِ ذِي السُّلْطَانِ وَالْجَاهِ	الشُّكُّ ¹ يَظْهَرُ فِي سُلْطَانِ "أَوْ" فَلَهَا
ذَلَّتْ عَلَى كَوْنِ أَمْثَالٍ وَأَشْبَاهِ	فَهَذِهِ آيَةٌ فِي "النَّجْمِ" ² قَدْ تَزَلَّتْ
عَقْدًا وَفَنَلَا لَيْلَى التَّغْنِيْقِ وَالْبَاهِ	وَكُلُّ مَنْ جِئَتْهُ يَنْدِرُهُ مُخْتَبِرًا
تَقُولُ بِاللَّفْظِ: أَنْتَ الْإِمْرُ الثَّاهِي	وَذَلِكَ جِئْتَ يَجْلِي صُرُورَ امْرَأَةٍ

قال الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾³ إشارة إلى التقريب الصوري. ورد في الخبر النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁴ وقال ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليل» الحديث. فخير العقول الضعيفة، وبتة العقول المعتكفة على باب حضرته، فعلمت ما أراد، ولو استزادته لزاد، كما قال: ﴿ثُمَّ ذَاكَ﴾⁵ في إسرائه إلى السماوات ليريه من آياته ﴿فَتَدَلَّى﴾⁶ فتوى ذلك؛ منها ومشيرا على أنه عين الحبل الوارد المذكور في الخبر، فدل أن نسبة الصعود والهبوط على السواء في حقه، فجمع بين خبر صاحب الحوت وصاحب الإسرائ⁷، أنه لم يكن واحد منها بأقرب إلى الحق من الآخر، فهي إشارة إلى عدم التحيز، وأن الذات مجهولة غير مقيّدة بقيد معين. فكان من آياته التي أراه ليلة إسرائه كونه تدلى في حال عروجه.

وهذا عين ما أشار إليه أبو سعيد الخزاز في قوله عن نفسه: "ما عرفتُ الله إلا بجمعه بين الضدين"

1 ص 51

2 قصص سورة النجم

3 [النجم : 9]

4 [طه : 5]

5 [النجم : 8]

6 ص 51 ج 6

7 صاحب الحوت: يونس عليه السلام، وصاحب الإسرائ: محمد صلى الله عليه وسلم

ثم تلا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾¹ فكان هويته في الجميع في حال واحدة، بل هو عين الضدين، فلولا أنت ما كان دتو ولا تدل:

فَلَا دُنُوٌ وَلَا تَدُلُّ وَلَا غُرُوجٌ وَلَا هُبُوطٌ
فَهَذِهِ إِنْ تَطَلَّعْتَ فِيهَا مُحَقَّقًا كُلَّهَا خُطُوطٌ

فأنت من حيث هويتك لا نعمت لك ولا صفة، قيل لأبي يزيد: "كيف أصبحت؟" فقال: "لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن يتقيد بالصفة، وأنا لا صفة لي، فأني بكيت زمانا وضحكت زمانا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي". والصعود والهبوط نعمت؛ فلا صعود للعبد ولا هبوط، من حيث عينه وهويته، فالصاعد عين الهابط، لما دنا إلّا عين من تدلّ، فإليه تدلّ ومنه دنا ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وما أظهر القوسين من البائرة إلّا الخط المتوهم، وكفى بأنك قلت فيه: المتوهم. والمتوهم: ما لا وجود له في عينه، وقد قسم البائرة إلى قوسين، فالهوية عين البائرة، وليست سيوى عين القوسين؛ فالقوس الواحد عين القوس الآخر من حيث الهوية، وأنت الخط القاسم المتوهم.

فالعالم في جنب الحق متوهم الوجود لا موجود؛ فالموجود والوجود ليس إلّا عين الحق، وهو قوله: ﴿أَوُ أَدْنَى﴾ فالأدنى رفع هذا المتوهم، وإذا رفع من الوهم؛ لم يبق سيوى دائرة؛ فلم تتعين القوسان. فمن كان من ربه في القرب بهذه المثابة، أعني بمثابة الخط الذي يقسم البائرة، ثم رفع نفسه منها؛ ما يدري أحد ما يحصل له من العلم بالله، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾³ وما عين لنا في الذكر الحكيم ما أوحى، ولا ذكر رسول الله ﷺ ما أوحى في ذلك القرب به إليه، فكان التلقي في هذا الموطن تلقيا ذاتيا، لا يعلمه إلّا من ذاقه.

وليس في المنازلة، منازلة تقتضي- التقاء النقطة بال محيط، إلّا هذه المنازلة. فإنه إذا التقى المحيط بالنقطة؛ ذهب ما بينهما؛ فذلك ذهاب العالم في وجود الحق، ولم تميز نقطة من محيط، بل ذهب عين النقطة من كونها نقطة، وعين المحيط من كونه محيطا؛ فلم يبق إلّا عين وجودية، ملهبة حكمها وحكم ما ينسب من العالم إليها؛ ذهابا كليّا عامّا عينا وحكما. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 [الحديد : 3]

2 ص 52

3 [الحج : 10]

4 ص 52.ج

5 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والعشرون وأربعمئة
في معرفة منازلة: الاستغهام عن الإيتين

إذا ما كنت غني في وجودي وعن¹ قولي، أين أنا وأنا؟
فإما أن يكون الشان غني وإما أن يكون الشان أنا
وإما أن أكون أنا بوجه ومن وجه سواء تكون أنا
فأنت الحزف لا يثرأ فينزي وأنت مغير الحيرات أنا
أرى عجزاً وذلك العجز غني وبجلا بالأمور، فأين أنا
فأ² أقوى على تخيصيل علم ولا أقوى على التوصليل أنا
فجزنا في وجود الحق عجزاً وجزت وعزة الرحمن أنا
فزال أنا وهو والأنت فاهظر إلى قولي إذا ما قلت: أنا
فمن أغني بأنت وأنت غني ولا غيري فجزت بلفظ أنا
لأنني لا أرى مذلزل لفظي ولا أنا عالم من قال أنا
أرى أمراً قصته وجودي وأنت تفار منه وليس³ أنا
فإن زلنا قول: فعلت غندي فتشيتنا بأمر ليس أنا
فقل لي من أنا حتى أراه فأعرف هل أنا أو أنت أنا
فلولا الله⁴ ما كنا عبيداً ولولا العبد لم تك أنت أنا
فأيتني⁵ ليثبتكم إلهاً ولا تف الأنا فيزول أنا

1 كتب فوقها بخط الأصل: "وكل" ما، و المصود فيها أنها يمكن أن تحمل كذلك بدلا من "وعين".

2 ص 53

3 مكتوب فوقها من غير إشارة الاستبدال بلم الأصل: "ولست".

4 مكتوب فوقها من غير إشارة الاستبدال بلم الأصل: "الرب".

5 ص 53 ب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا زَيِّنْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾¹ فهذا إثبات الإيتيين، وإثبات حكمهما، ثم نفي الحكم عن إحداها بعد إثباته، وهو الصادق القول. فأعلم أنَّ إيتية الشيء حقيقته، في اصطلاح القوم. فهي في جانب الحق: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾²، وفي جانب الخلق الكامل "إني رسول الله" فهاتان إيتيتان ضبطتهما العبارة وهما طرفان³، فكل واحد من الإيتيين حكم ليس للأخرى.

وَذَاكَ الَّذِي قَالُوا وَذَاكَ الَّذِي عَنَّا وَمَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ سِوَاهُ

وَكُلُّهُ وَالتَّكْلِيفُ يَطْلُبُ حَادِثًا وَيَطْلُبُ مَنْ يَدْرِي وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ

فالإيتية الإلهية قاتلة، والإيتية القابلة⁴ سامعة، وما لها قول إلا بالتكوين. فلا يقال لإيتية الخلق في حال وجودها. وما القول إلا لمن هو في حال العدم؛ فلا تكليف إلا في المعدم، لعدم نسبة الإيجاد⁵ للحادث. فلا يقال للمنفعل: انفعلي؛ فقد انفعلي بقبوله الوجود؛ ولا إيجاد يكون عنه؛ فلا قول له، وما تَمَّ عبث، فإذا كلف قال لما كلف به: "كن" في حال عدمه، فيكون في محل هذا الحادث؛ فينسب إليه وليس إليه. فلهذا كانت الإيتيتان طرفين فمميزتا، إلا أنَّ لإيتية الحادث منزلة الفداء، والإيثار لجانب الحق بكونها وقاية، وبهذه الصفة من الوقاية تندرج إيتية العبد في الحق اندراجا في ظهور، وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾⁷ فلولا نون العبد التي أثر فيها حرف الياء، الذي هو ضمير الحق، لخفض النون، فظهر أثر القديم في الحديث، ولولا لخفض النون من "إِنَّ" وهي إيتية الحق كما أثرت في قوله: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فإنه لا بد لها من أثر، فلما لم نجد إيتية العبد التي هي نون الوقاية، أثرت في إيتية الحق لخفضتها، ومقامها الرحمة التي هي الفتح، فما أزاله عن مقامه إلا هو، ولا أثر فيه سِوَاهُ.

فأقرب ما يكون العبد من الحق، إذا كان وقاية بين إيتية الحق وبين ضميره، فيكون محصورا قد أحاط به الحق من كل جانب، وكان به رحما، لبقاء صفة الرحمة، فبابها مفتوح، وبها حفظ على الحديث وجوده، فبقي عين نون الوقاية الحادثة في مقام العبودية، الذي هو خفض المتولد عن ياء ضمير الحق، فظهر في

1 [الأخال : 17]

2 [طه : 12]

3 هالك ما يشبه النقطة أو النجمة فوق الطاء، ولذلك يمكن أن هرا في ق: "طرفان" والترجيح من هـ، س

4 معناها "القاتلة" كما هي في س، والحروف المعجمة مصلة في ق

5 ص 54

6 ق: الإيتية

7 [طه : 14]

العبد أثر الحق، وهو¹ عين مقام العبد: الذلة والافتقار.

فما للعبد مقام في الوضلة بالحق تعالى- أعظم من هذا؛ حيث له وجود العين بظهور مقامه فيه، وهو في حال اندراج في الحق، محاط به من كل جانب، فعرف نفسه برتبة حين أثر فيه الخفض؛ فعرف ربه حين أبقاه على ما هو عليه من الرحمة، فإنه الرحمن الرحيم؛ فما زال عنه الفتح بوجود عين العبد؛ فلا يشهده أبدا إلا رحمانا، ولا يعلمه أبدا إلا مؤثرا فيه، فلا يزال في عبوديته قائما، وهذا غاية القرب.

ولما حار أبو يزيد في القرب من الله، قبل أن يشهد هذا المقام، قال لربه: "يا رب؛ بماذا أتهرب إليك؟" فقال: "بما ليس لي" فقال: "يا رب؛ وما ليس لك، وكل شيء لك؟" فقال: "الذلة والافتقار" نعلم عند ذلك ما لإيتية الحق وما لإيتية العبد، فدخل في هذا المقام؛ فكان له القرب الآتم؛ فجمع بين الشهود والوجود؛ إذا كان ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾².

فإن الشهود عند القوم؛ فناء حكم، لا فناء عين. وفي هذا المقام شهود بلا فناء عين، وهو محل الجمع بينا وبين الطائفة، وبلا فناء حكم؛ فإنه أبقى للحق ما يستحقه من الفتح الرحوتي؛ إذ لولاه أعني لولا هذا القرب المعين- لعماد الأثر على إيتية الحق؛ ولهنا أظهر في ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ ليعلم أن الأثر إذا صدر من الحق؛ لا بد له من ظهور حكم. وما وجد إلا الحق؛ فعاد عليه؛ فجاء³ العبد؛ فدخل بين الإيتية الإلهية والمؤثر فعمل فيه⁴:

فإيتية الخلق مضبوطة	وإيتية الحق ما تَضَبُّط
فياخذ من ذا ويغطي به ذا	وكل بأخواله مغنيط
فترتبط الوجود بعين الشهود	مقام جليل لمن يرتبط
وليس ينال مقام النور	عبيد إذا بره قد شحط ⁵

1 ص 54.

2 (النص: 88)

3 ص 55

4 لم ترد في ق وأبتاها من ه، س

5 الشحط: البعد، الاضطراب

وما فرحتُ بشيء قط بما وهبني الحق، من المنح التي تقبلها الأكوان، فَرَحِي بهذا المقام، إذ حلّاني به ربّي. وهو أعلى المقامات وأسناها، وهو مقام كلّ ما سيوى الله، ولا يُشْتَرُ به.

ولست العناية من الله ببعض عبادِهِ إِلَّا أَنْ يُشْهَدَ هَذَا الْمَقَامُ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَا يَزِيدُ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِهِ حَالًا وَذَوْقًا، وَلَا يَجْنِي أَحَدٌ ثَمْرَةَ الْإِثَارِ؛ مِثْلُ مَا يَجْنِيهَا صَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ؛ فَإِنَّ ثَمْرَةَ الْإِثَارِ عَلَى قَدَرٍ مَن تَوَثَّرَ عَلَى نَفْسِكَ. وَالَّذِي تَوَثَّرَ عَلَى نَفْسِكَ هُنَا إِنَّمَا هُوَ الْحَقُّ، فَيَنْسَبُ إِلَيْكَ الْفَرَحُ بِمَا تَجْنِيهِ مِنْ ثَمَرَةِ هَذَا الْإِثَارِ، عَلَى صُورَةِ نِسْبَةِ الْفَرَحِ¹ إِلَى الْحَقِّ. فَانْظُرْ مَا أَعْظَمَهَا مِنْ لَذَّةٍ وَابْتِهَاجٍ! وَهَذَا أَخْصَرُ. مَا يُمْكِنُ مِنَ الْإِبَانَةِ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 55 ب.

2 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع والعشرون وأربعائة

في معرفة منازل: مَنْ قَصَّاعِرُ لَجَلَالِي؛ نَزَلْتُ إِلَيْهِ، وَمَنْ تَعَاظَمَ عَلَيَّ؛ تَعَاظَمْتُ عَلَيْهِ

يُعَامِلُ الْحَقُّ بِنَا يُعَامِلُ	فَاخْزُ فَمَا أَنْتَ لَهُ مُقَابِلُ
وَكُنْ لَهُ غَيْثًا وَلَا تَكُنْ بِهِ	فَائِدَةً لَيْسَ لَهُ مُعَايِلُ
مَنْ حَازِبَ اللَّهَ يَرَى صَرْغَهُ	بِعَيْنِهِ، فَالْبَطْلُ الْمُنَازِلُ
هُوَ الَّذِي يَرْجِي السَّلَاحَ وَالَّذِي	لَهُ مِنَ اللَّهِ بِهِ الْمُنَازِلُ
قَدْ قَالَ طَيْفُورٌ ¹ بِأَنْ يَطْلُفَهُ	أَشَدُّ وَالْقَوْلُ بِذَلِكَ نَازِلُ
فَكَوْنُهُ ² فِينَا وَجُودٌ ثَابِتٌ	وَكَوْنُنَا فِيهِ وَجُودٌ حَاصِلُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾³ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁴ وَمَا خَصَّ مُؤْمِنًا مِنْ غَيْرِ مُؤْمِنٍ. فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ عَلَى مَقَامِهِ الَّذِي هُوَ عَيْنُهُ؛ مُسْلُوبُ الْأَوْصَافِ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ تَلَبُّسٌ بِصِفَةِ مُحَمَّودَةٍ وَلَا مَذْمُومَةٍ، فَهُوَ عَلَى أَصْلِهِ، وَأَصْلُهُ الصَّفَارُ؛ وَيُرِيدُ الْحَقُّ ظَهْرَ الصِّفَاتِ فِيهِ، فَلَا يَدَّ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ هَوِيَّتِهِ، الَّتِي تَقْتَضِي لَهُ الْفَنَى عَنِ الْعَالَمِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁵ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ يَدْرُ لَرِيهِ تَعَالَى: «إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ فَلَنْ تُعْبِدَ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَوْ قَالَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَقَالَ الْمُنْكَرُ مَا شَاءَ مِمَّا يَلِيقُ بِهِ، مِنْ حَيْثُ إِنكَارِهِ؛ لَجَهْلِهِ. وَمِثْلَ هَذِهِ النِّفَحَاتِ تَهْبُّ عَلَى قُلُوبِ الْعَارِفِينَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، فَإِنْ نَفَقُوا بِهَا؛ كَفَرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَتَحَلَّاهُمْ صَاحِبُ الْبَلِيلِ:

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ وَهَبَ	وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ عَصَمَ
فَلَمْ يَقُلْ مَا شَاءَتْهُ قَوْلُهُ	وَهُوَ الَّذِي قَالَ بِهِ مَنْ عَصِمَ
فَيَحْجُبُ ⁶ اللَّهُ بِهِ مَنْ حُرِمَ	وَيُفْهِدُ اللَّهُ بِهِ مَنْ رَجِمَ

1 طيفور: أبو يزيد البسطامي.

2 ص 56

3 [الأخلاق: 33]

4 [الأنبياء: 107]

5 [آل عمران: 97]

6 ص 56

ورد في الخبر «أنه من تواضع لله رفعه الله» وهو عين نزول الحق إليه¹ «ومن تكبر على الله وضعه الله» وما وضعه إلا بشهود عظمته، فإنه تعالى: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾² ولما قال ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم» علمنا أننا ما نرى من الحق إلا ما نحن عليه، فمن شاء فليعلم ومن شاء لا يعلم. وهذه كلمة نبوية حق كلها، فإن العمل ما يعود إلا على عامله، وقد أضاف الأعمال إلينا؛ فمن علم منا من هو العامل منا؛ عليم من يعود إليه العمل في الرد. وهذا القدر من الإشارة في هذا الحديث كافٍ.

ولما كان الله هو الكبير المتكبر، عَلمنا نسبة الكبير إليه، وتَحَيَّرَ من تحيَّر في نسبة التكبر إليه. فلو علم نزول الحق لعباده إذ ليس في قوة الممكن نيل ما يستحقه الحق من الفنى عن العالم، وفي قوة الحق مع غناه، من باب الفضل والكرم، النزول لعباده - (لَعَلَّتْ تلك النسبة).

فإن جمل أحد من العباد قنَّز هذا النزول الإلهي، وتعاظم العبد في نفسه لنزول الحق له، ولم يعلم أن نزول الحق لعباده ما هو لعين عباده؛ وإنما ذلك لظهور أحكام³ أسمائه الحسنی في أعيان الممكنات، فلنفسه نزل لا لخلقته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾⁴ فما خلقها إلا من أجله، والخلق نزول من مقام ما يستحقه من الفنى عن العالمين.

فالمختل من العباد خلاف هذا، وأنه تعالى - ما نزل إلا لما هو المخلوق عليه من علو القدر والمنزلة؛ فهذا⁵ أحمل الجاهلين. فأعطى الحق هذا النزول، أو ما توهمه الجاهل أن يتسنى الحق بالتكبر عن هذا النزول، ولكن بعد هذا النزول لا قبله وجودا وتقديرا، لا بد من ذلك. فالكبير ليس كذلك، وسيرد تحقيق هذا الفصل في آخر الكتاب في الباب الثامن والخمسين لمن شاء الله تعالى.

فهذه المنازلة تعطيك أن الحق مرآة العالم؛ فلا يرون فيها غير ما هي صورهم عليه، وهم في صورهم على درجات، فهذا حصر لياب هذه المنازلة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 كتب فوقها: "له" وبجانبها حرف خ، معا

2 [البقرة : 255]

3 ص 57

4 [النارعات : 56]

5 هناك خط فوق الكلمة ربما ينير إلى مسحها.

6 [الأحزاب : 4]

الباب الثلاثون وأربعائة في معرفة منازلة: إِنَّ خَيْرَكَ أَوْصَلْتُكَ إِلَيَّ

كُلُّ مَنْ حَارَ وَصَلَ	وَالَّذِي اهْتَنَى اقْصَلَ
وَهُوَ نَقْتُ ثَابِتٍ	لِلَّذِي عَزَّ وَجَلَّ
وَهُوَ ¹ نَقْتُ حَاصِلٍ	لِلْبَيْدِ قَدْ عَقَلَ
فَإِذَا قَالَ نَقِي	إِنَّهُ اهْتَنَى عَقَلَ
وَتَرَاهُ زَاهِيًا	فِي حُلِيٍّ وَفِي حُلَلٍ
كَاشِفًا غُورَئِهِ	مِثْلَ مَا جَاءَ الْمَثَلُ

(المثل) قوله (عليه الصلاة والسلام): «رُبَّ كَاسِيَةٍ عَارِيَةٍ» قال الله تعالى - في الحيرة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَنَبَّهُونَ²﴾ ومن باب الحيرة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ³﴾، ﴿وَمَا زَمَيْتَ إِذْ زَمَيْتَ⁴﴾ وكذلك: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ والقتل ما شوهد إلا من المخلوق، فنفي ما وقع به العلم الضروري في الحس.

قال رسول الله ﷺ في هذه المنازلة: «لا أحصي ثناء عليك» وهذا مقام عِزَّة الحيرة «أنت كما أثبتت على نفسك» وهذا حال الوصول. وقال الصديق في هذه المنازلة: "المعز عن درك الإدراك إدراك" فتحير فوصل. فالوصول إلى الحيرة في الحق، هو عين الوصول إلى الله.

والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلي؛ لاختلاف الصور عليهم في العين الواحدة، والحدود تختلف باختلاف الصور، والعين لا يأخذها حدًا، ولا تُشاهد، كما أنها لا تُعلم. فمن وقف مع الحدود التابعة للصور

1 ص 57 ب.

2 [النوبة : 115]

3 [الصفات : 96]

4 [الأخلاق : 17]

حار، ومَن علم أن ثمَّ عينا هي التي تتقلب في الصور، في¹ أعين الناظرين لا في نفسها؛ علم أن ثمَّ ذاتا مجهولة لا تُعلم ولا تُشهد.

فتحصّل من هذا أن العلماء بالله أربعة أصناف: صنّف ما له علم بالله إلّا من طريق النظر الفكريّ، وهم القائلون بالسلوب. وصنّف ما له علم بالله إلّا من طريق التجلّي، وهم القائلون بالثبوت والحدود. وصنّف ثالث يحدث لهم علم بالله بين الشهود والنظر؛ فلا يتقون مع الصور في التجلّي، ولا يصلون إلى معرفة الذات الظاهرة بهذه الصور في أعين الناظرين.

والصنف الرابع ليس واحدا من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله قابل لكلّ معتقّد، كان ما كان ذلك المعتقد.

وهذا الصنف ينقسم إلى صنفين: صنّف يقول: "عين الحقّ هو المتجلّي في صور الممكنات"، وصنّف آخر يقول: "أحكام الممكنات - وهي الصور الظاهرة في عين الوجود- (هي) الحقّ. وكلّ قال ما هو الأمر عليه؛ ومن هنا نشأت الحيرة في المتحمّرين، وهي عين الهدى في كلّ حائر. فمن وقف مع الحيرة حار، ومَن وقف مع كون الحيرة هدى؛ وصل. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 58
2 [الأحزاب : 4]

الباب الأحد والثلاثون وأربعمئة في معرفة منازل¹: مَنْ حَجَبَتْهُ حَجَبَتُهُ

حِجَابُ الْعَبْدِ مِنْهُ وَلَيْسَ يَنْزِي بِأَنْ وَجُودَهُ عَيْنُ الْحِجَابِ
فِيَا قَوْمَ اسْمَعُوا قَوْلِي تَعَزَّوْا بِمَا قَدْ قَالَ فِي أُمِّ الْكِحَابِ
فَلَقِظْتُ "نَسْتَعِينُ" قَدْ أَظْهَرْتَنَا وَأَفْعَالِي وَعَيْنِي فِي تَبَابِ
فَنَحْنُ، السَّائِينَ، بِكُلِّ قَفَرٍ وَنَحْنُ، الْوَاقِفِينَ، بِكُلِّ بَابِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُلَاسِنُ قَوْمَهُ﴾² فإذا خاطبهم؛ ما يخاطبهم إلا بما تواطؤوا عليه. وإذا ظهر لهم في فعل من الأفعال؛ فلا يظهر لهم إلا بما ألفوه في عاداتهم. ومن عاداتهم، مع الكبير عندهم، إذا مشى، أن يحجبوه؛ ومعناه: أن يكونوا له حجة بين يديه، كما قال: ﴿نُورُهُمْ يَتَنَسَّيْ أَيْدِيهِمْ﴾³ وسبب ذلك أن الكبير لو تقدم الجماعة لم يُتَرَفَّ، ولم تتوقر اللواعي إلى تعظيمه؛ فإذا تقدم الحجاب بين يديه؛ طُوقوا له؛ وتأهبت العامة لرؤيته، وحصل في قلوبها من تعظيمه⁴ على قدر ما يعرفونه من عظمة الحجة في قوسهم؛ فيعظم شأنه.

فإذا أراد الله تعظيم عبد عند عباده؛ عدل به عن منزلته، وكساه خلعتَه، وأعطاه أسماؤه، وجعله خليفة في خلقه، وملكه أئمة الأمور، وتحمل الفاشية⁵ بين يديه، كما يحمل الملك الفاشية بين يدي ولي عهده، وإن كان في المنزلة أعظم منه.

ولا بد لمن هذه حالته، أن يعطي المرتبة حقها، فلا بد أن ينحجب عن رتبة عبوديته، وعلى قدر ما ينحجب عنها، ينحجب عن رتبة، ولا يمكن إلا هذا؛ فإن الحضرة في الوقت له، والوقت وقته، والحكم للوقت في كل حاكم.

ألا ترى الحق يقول عن نفسه؛ إنه كل يوم في شأن؟ فهو بحسب الوقت؛ لأنه لا يعطي إلا بحسب القابل، فالقبول وقته، حتى يجري الأمور على الحكمة. ولما كان الوقت لصاحبه؛ حكم عليه بما يظهر به. وقال ﷺ: «لَا يُؤَمَّنُ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُقْتَدَ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» ولو كان الخليفة بنفسه، إذا دخل

1 ص 58 ب.

2 [إبراهيم: 4]

3 [التحریم: 8]

4 ص 59

5 الفاشية: الشَّلَّةُ أو الفطاء.

دار أحد من رعيته، فالأدب الإلهي المعتاد، يحكم عليه، بأن يحكم عليه رب البيت؛ فحيثما أقعده قعد، ما دام في سلطانه؛ وإن كان الخليفة أكبر منه وأعظم، ولكن حكم المنزل حكم عليه، فردّه مروّسا.

ألا ترى أنّ وجود العبد، وأعني¹ به العالم، ما ظهر إلا بوجود الحقّ وإيجاده؛ لأنّ الحكم له؛ ثم تأخّر المتقدّم وتقدّم المتأخّر؟ فلم يظهر للعلم بالله عين؛ حتى أظهره العلم بالعالم؛ فكان ذلك جزاء الإيجاد، وعاد ذلك الجزاء على العالم بذلك الناظر فيه؛ إذ لم يكن الحقّ محلاً للجزاء؛ فعاد عمل العبد عليه، كما عاد عمل الحقّ على الحقّ، بما وقع به النشاء عليه من الهدئات.

وقد اتفق لعارفين من أهل زماننا، فقال لي أبو البدر: دخلت على الواحد منها بميفارقين، فذكرت له شأن العارف الذي ببغداد، فقال لي: إنه من جملة من يمضي-أمري فيه. قال: فجئت إلى العارف الآخر ببغداد، فقلت له: إنّي أدخلت بميفارقين على الوكاف، فذكرت له شأنك، فقال لي: إنّي رأيته في جملة من يمضي أمري فيه من خولي. فقال: كنا يزعم، والله؛ لقد رأيته يحمل الفاشية بين يدي. قال أبو البدر: فحرث بينها، وكلاهما صادقان عندي، فأزِلْ عني هذه الفتنة؟ فقلت له رحمه الله:- كلّ واحد منهما صدق، وأنّ كلّ واحد منهما رأى صاحبه في سلطانه وفي محله، والحكم لصاحب المحلّ، فذلك كان حكم المحلّ، لا حكم مراتبها. وأمّا مقامهما فلا يُعرف من هذا، وإنما يُعرف من أمر آخر. فسّر بذلك، وعرف² أنّه الحقّ.

فينبغي للمنصف أن يعرف المواطن وأحكامها؛ أين موطن الغضب الإلهي من موطن الرضا؟ يفعل العبد فعلا فيسخط ربه به عليه؛ فهو جنى على نفسه، والحقّ يحكم ذلك الواقع بين عفو ومواخضة. ويفعل ذلك العبد فعلا يرضي به ربه؛ فهو الذي أرضاه كما أسخطه؛ فالحقّ مع عباده بحسب أحوالهم، غير هذا ما يكون.

انظر في أحوال الخلق في الكتيب، إذا نزلوا على الحقّ، هنالك يتفرّج العارفون فيما ذكرناه، فإذا عادوا إلى جنّاتهم وأهليهم، وتجلّى الحقّ لهم؛ يتغيّر الحال منهم؛ لكون المنازل لهم، ومنزل الكتيب له.

إذا كان الحقّ سمعك وصرّك؛ فقد نزل بك. فإن تأدّبت معه في النظر والاستماع؛ بقي عندك، وإن أسأت الأدب؛ رحل عنك. وصورة الأدب معه موجودة فيما شرع لك أن تعامله به. فإذا دخلت عليه في بيته، وهو المسجد، كان له الحكم فيك، بسبب إضافة البار إليه، والحكم له؛ فأرجب عليك أن تحييه بركعتين، وأن لا تعمل فيه ما لم يأذن لك في عمله، فاعلم ذلك. هو الله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل³.

1 ص 59 ب.

2 ص 60

3 [الأحراب : 4]

الباب الثاني والثلاثون¹ وأربعائة
في معرفة منازلة: ما ارتديت بشيء إلا بك فاعرف قدرك،
وذا عجب؛ شيء لا يعرف نفسه

إِنَّ الرِّدَاءَ الَّذِي لَا يَنْدِرِي لِإِسْمِهِ هُوَ الرِّدَاءُ الَّذِي الرَّحْمَنُ لَا يَسْتَعِ
 بِهِ تَزَيَّنَ عِنْدَ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْمَلَأَ الْقُلُوبَ حَارِسُهُ
 فَإِنْ بَدَتْ مِنْهُ أَخْلَاقٌ تَجِدُّ بِهِ عَنِ الْهَدَى فَرَسُولُ اللَّهِ سَافِسُهُ

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾² وقال: ﴿إِنَّ الْبَيْنَ يَبَايَعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾³
 وقال تعالى- في الخبر عنه: «وسعني قلب عبدي المؤمن» فالأمر حق، ظاهرة صورة خلق؛ فهو من وراء
 ما بدا، كما أن المرتدي من وراء ردائه. فالعبد هو كبرياء الحق وعظمتُهُ، فإنه قال: «الكبرياء ردائي».

ولهذا كان الخلق محلَّ عظمة الله؛ لأنَّ العظمة صفة في المعظم، لا في المعظم، ولو كانت في المعظم؛
 لما تعوذ منه من لا يعرفه. قال الله لأبي يزيد لما خلع عليه أسمائه: "اخرج إلى عبادي بصورتي؛ فمن رآك
 رآني" فلما خطا خطوة غشي عليه، فقال: "رُدُّوا عليَّ حيي؛ فإنه لا صبر له عني".

فمن عرف نفسه عرف الله، ومن عرف الله لم يعرف نفسه، والعلم بالله تعالى- حملك بك، والعلم
 بك علمك بالله، فإنك منه كما قال: ﴿بِحَيْمًا مِنْهُ﴾⁴ ما هو منك، وليس إلا معرفة المنزلة والقدر ﴿إِنَّا
 أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁵ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾⁶ فأنت ليلة القدر؛ لأنك من طبيعة وحق،
 فنشهد لك بعظم القدر، قبل نزول القرآن عليك، وأنت ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾⁷ أي خير من الكل؛ لأنه

1 ص 60.
 2 [النساء : 80]
 3 [الفتح : 10]
 4 ص 61
 5 [الجمانية : 13]
 6 [القدر : 1]
 7 [الشعراء : 193، 194]
 8 [القدر : 3]

منتهى العدد البسيط، الذي يقع فيه التركيب إلى ما لا يتناهى. كذلك ما يخلق الله لا يتناهى دائماً؛ فإنه خالق على الدوام، وجاء بالشهر لشهرة ذلك، في كل شهر من الألف "ليلة القدر" لا بدّ من ذلك، فإن خير الشهور ما كان فيه ليلة القدر؛ فهي خير من ألف شهر فيه¹ ليلة القدر؛ فهي جامعة لكل أمر؛ فهي العامة في جميع الموجودات.

فالعبد في هذه المنازلة حافظاً محفوظاً. حافظ من حيث أنه يحفظ المرتدي به؛ غيرة وصوناً. ومحفوظ من حيث أن المرتدي محتاط عليه؛ لئلا يضيع؛ فإنه معرض للضياع؛ فإنه مخلوق؛ فلا بدّ له من حافظ؛ هذا² جزاء دوري، فانهم. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 في الهامش بقلم آخر: "ليس" وبجانبها: ط، صح.

2 ص 61 ب.

3 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والثلاثون وأربعاء
في معرفة منازلة: انظر أي تجلٍ يدمك
فلا تسألني؛ فنعطيك؛ فلا أجد من يأخذه

لا تَطْلُبَنَّ تَجَلِّيَا	يُفْنِيكَ عَنْكَ فَإِنِّي
أَعْطِي وَلَسْتُ بِأَخِيذٍ	إِفْنَاءٍ عَيْنِيكَ، فَإِنِّي
عَنْ مِثْلِ هَذَا	أَمْرًا عَلَيْهِ يَنْبَغِي
عَيْنُ الْبَقَاءِ وَلَا تَكُنْ	بِمَا تَسْعَى تَكْتَنِي

قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّ لَكُمْ شَوْكُكُمْ﴾¹.

اعلم أنَّ البقاء والفناء لا يُعقلان في هذا الطريق إلا مضافين: الفناء عن كذا، والبقاء مع كذا. ولا يصحّ الفناء عن الله أصلاً؛ فإنه ما تَمَّ إلا هو؛ فإن الاضطراب يزُدُّك إليه. ولهذا تَسْعَى تعالى - لنا بالصمد؛ لأنّ الكون يلجأ إليه في جميع أموره، ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾² فلم يبق أن يكون فناؤك إلا عنك، ولا تقنى عنك حتى تقنى عن جميع الأكوان والأعيان، أعني³ فناء أهل الله.

فإن أتعفك الحق بتخفة منه تعالى - فتخفُّ من جملة أكوانه؛ فهي محدثة. فتطلبك التحفة لتقبلها؛ فتجدك فانياً عنها؛ فعادت إلى معطيا؛ فكان ذلك سوء أدب منك في الأصل؛ حيث سألت ما قادك إلى مثل هذا؛ فإن الله يعطي دائماً، فينبغي للعبد أن يكون قابلاً دائماً. فلا تسأل إن كنت من أهل الله إلا عن أمر إلهي، أعني على التعمين، وإلا فاسأل الله من فضله من غير تعيين.

واعلم أنَّ تجليات الحق على نوعين: تجلٍ يفنيك عنك وعن أحكامك، وتجلٍ ييقبك معك ومع أحكامك. ومن أحكامك ملازمة الأدب في الأخذ والعطاء. فمثل هذا التجلّي فاسأل؛ ما دمت في دار التكليف. فإذا انتقلت إلى غير هذا الوطن؛ فكن بحسب ذلك الوطن. ولولا التكليف ما وقعت من الله

1 [المائدة : 101]

2 [هود : 123]

3 ص 62

4 ق: ليقبها

وصية لأحد من عباد الله؛ لما أوصى العلم بالأمور إلا وقد علم أن للوصية أثرًا في الأمور. وسيرد الكلام في تحقيق الوصايا في آخر باب من أبواب هذا الكتاب - إن شاء الله - **هُوَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**¹.

1 [الأحزاب : 4]

الباب الرابع والثلاثون وأربعائة
في معرفة منازلة¹: لا يحجبك²: "لو شئت"،
فإني لا أشاء بعد، فاقبت

إِنَّ الْمَشِيئَةَ عَزُوشُ النَّاتِ لَيْسَ لَهَا	فِي غَيْرِهَا نِسْبَةٌ تَبْدُو وَلَا أَثَرُ
هِيَ الْوُجُودُ فَلَا عَيْنَ تُفَاهِرُهَا	تَقْنِي وَتُقَدِّمُ لَا تُبْقِي وَلَا تَنْزُرُ
عَزَتْ فَلَيْسَ يَرَى سُلْطَانَهَا مَلَكٌ	وَلَيْسَ يُذَكِّرُهَا فِي الصُّورَةِ الْبَشَرُ-
يَكُونُ آدَمَ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ	لَأنَّ فِيهِ جَمِيعَ الْكَوْنِ مُخْتَصَرُ-
لَهُ الْمُقَالِيدُ فِي الْأَكْوَانِ أَجْمَعِهَا	لَهُ التَّكْوِيلُ وَالْآيَاتُ وَالشُّورُ
فِي تَنْزِيلِهِ أَنْ قَالَ: تَذَكَّرْهُ	فِي صُورَةٍ هِيَ فَمَنْسُ الْحَقِّ أَوْ قَمَرُ
مَعَ التَّنْزِيلِ عَنْ تَشْيِينِهِ خَالِقِنَا	وَقَدْ حَوَّثَهُ بِمَا قَدْ قَالَهُ الصُّورُ

قال الله ﷻ: ﴿مَا يَسْأَلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾³ وإن عارضته المشيئة. وما في النسب أعجب منها؛ لاستصحاب "لو" لها. و"لو" لها أثر، ما لها أثر؛ فهو حرف عجيب.

اعلم أنه ما اختص آدم بالخلافة إلا بالمشيئة، ولو شاء جعلها فحين جعلها من خلقه. قلنا: لا يصح أن تكون إلا في مستى الإنسان الكامل، ولو جمعها في غير الإنسان من المخلوقات؛ لكان ذلك الجامع عين الإنسان الكامل؛ فهو الخليفة بالصورة التي خُلق عليها.

فإن قلت: فالعالم كله إنسان كبير، فكان يكفي؟ قلنا: لا سبيل. فإنه لو كان هو عين الخليفة؛ لم يكن ثم على من! فلا بد من واحد جامع صور العالم وصورة الحق، يكون (هذا الواحد)، لهذه الجمعية، خليفة في العالم، من أجل الاسم "الظاهر"، يعبر عن ذلك الإمام بالإنسان الكبير القدر، الجامع الصورتين.

1 ص 62.

2 مكتوبة بالهاش مع إشارة التصويب

3 ص 63

4 [ق: 29]

فبعض العالم أكبر من بعض الإنسان، لا بالجمع. فإنه في الإنسان الكامل ما ليس في الواحد الواحد من العالم. فما هو بالمشيئة إلا في النوع الإنساني؛ لكون هذا النوع فيه خلفاء، ثم تم تأثيره في الجميع؛ فيطلب من الحق أن يمدّه؛ فيمدّه وهذا أثر في الصورة الحقيقة. ويطلب¹ أيضا الأمر في العالم فيمضي. ثم إنه مؤثر فيه من العالم ومن الحق.

فاختلط الأمر، والتبس على أهل الله. فطلب بعض العارفين الخروج من هذا الالتباس. فأطلعه الله على صورة الأمر؛ فرأى ما لا يمكن التلطف به إلا لرسول قد عَصِمَ! فكن أنت ذلك الطالب حتى ترى ما رأيت؛ فنقول كما قلنا:

مَلِكْتَنِي مَلِكٌ كَسَرَى إِذْ تَمَلَّكَ "كُنْ" كَوْنِي؛ فَكُنْتُ بِـ "كُنْ" مَلَكًا وَلَمْ أَكُنْ
لِكَيْتِي كُنْتُ "كُنْ" وَالْكَوْنُ مَمْلُوكَةٌ وَكُلُّ كَوْنٍ لَكُمْ فَالْكَوْنُ لَمْ يَكُنْ

وهو قوله: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً﴾² ثم شبه الإماء بلمح البصر أو هو أقرب، وكذلك هو أقرب. فانظر حكمة الله تعالى- في هذا التشبيه، وما حوته تلك اللمحة من الكثرة في الوحدة؛ فعندها تعرف ما هو الأمر؛ فانثبث ولا تفتبه؛ تكن من الأمناء الأخفاء الأبرياء.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ﴾³ ﴿لَوَعَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَفْتَهُمْ﴾⁴ يقتضي- نفي العلم بكذا، ونفي المشيئة عن الحق. كما يقتضي قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمُ لِإِذَا﴾⁵ وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ﴾⁷ فاثبت العلم والمشيئة معًا لله. وعلم الله لا يخلو من أحد أمرين، وكذلك إرادته: إما أن تكون صفة له قائمة به، زائدة على ذاته وإن كان مشبو الصفات يقولون: "لا هي هو، ولا هي غيره" ولكن لا بد أن يقولوا بأنها زائدة؛ كما يعتقد الأشعري- أو تكون عين ذاته؛ إلا أن لها نسبة خاصة لأمر ما؛ تسمى بتلك النسبة علما، وهكنا سائر ما تسمى به مما يطلبه تعالى-. فما أثبت ولا نفي إلا تعلق العلم والإرادة، ولكن ما ورد الكلام إلا بنفي العلم بأمر ما، والإرادة.

1 ص 63 ب.

2 [القمر : 50]

3 [يونس : 16]

4 [الأخلاق : 23]

5 ص 64

6 [النور : 63]

7 [البقرة : 185]

فتعلم قطعاً أنّ نفي العلم عِلْمٌ، وأنّ العلم تابع للمعلوم؛ يصير معه حيث صار، أو يتعلّق به على ما هو عليه في نفسه. وذاتّه لا ينتفي عنها الوجود، ولا كلّ ما ثبت له القيد من صفة وغيرها. فما بقي أن ينتفي إلّا التعلّق الخاص؛ وهو أمر يحدث، أو نسبة؛ كيف شئت فقل. ولا يتوجّه النفي والإثبات إلّا على حادث، أي على ممكن، سواء كان ذلك الحكم موصوفاً بالوجود أو بالعدم. فناب العلم هنا مناب التعلّق؛ حين نفيته بأداة "لو" في قوله: ﴿وَلَوْ عِلْمٌ﴾، و﴿لَوْ شَاءَ﴾، فما عِلْمٌ وما شاء، هذا هو الأمر الحادث المعين. فقد علم أنّه ¹ علم ² ولا يقال: إنّه قد شاء أن يقول: لو شاء؛ فإنّ المشيئة متعلّقة بالعدم، ولا يصحّ أن يحدث القول في ذات الله؛ فإنّه ليس بمحلّ للحوادث؛ فلا يقال: قد شاء أن يقول. والتحقيق أنّه ما أراد من المراد، إلّا ما هو المراد عليه من الاستعداد في حال عدم؛ أن يكون به في حال الوجود، أو يتّصف به عند انتفائه عن الوجود، أو انتفاء حكم الوجود عنه. كيف شئت فقل.

ولمّا بان الفرقان بين المشيئة والعلم؛ عِلِمُنَا أنّهما نسبتان لذات العالم والمريد، أو صفتان في مذهب من يقول بالصفات من المتكلمين. ولولا عِلْمُنَا بالأصل الذي هوّن علينا سماع مثل هذا؛ لكانت الحيرة في الله أشدّ. والأصل ما هو إلّا أنّ الله تعالى - ما أرسل رسولا إلّا بلسان قومه؛ لأنّه يريد إفهامهم. فمن الحال أن يخرج في خطابه إيّاهم عمّا تواطؤوا عليه في لسانه؛ فوجد الغافل في ذلك راحة.

وأما أهل الشهود فلا راحة عندهم في ذلك؛ لما رأوه من اختلاف الصور على المشهود؛ فاهم مثل أهل اللسان.

وجاءت الطبقة العليا فقالت: علمنا أنّ الشهود تابع للاعتقاد، كما أنّ الخطاب تابع لما ³ تواطأ عليه أهل ذلك اللسان؛ فهان عليهم الأمر؛ فرأوه في كلّ معتقّد؛ كما فهموه في كلّ لسان؛ فما حاروا، واهتدوا ﴿وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ⁴.

1 ص 64 كعب.

2 ق: "لو علم" وهذا مصروف واضح في "لو" فهنا منه أنه أراد به شطبه، والعبارة لم ترد في س، وانتبت في هـ: "لو علم"

3 ص 65

4 [الأحزاب: 4]

الباب الخامس والثلاثون وأربعمئة

في معرفة منازلة: أخذت العهد على نفسي؛ فوقتا وقيت،
ووقتا على يد عبي لم أف، ويتنسب عدم الوفاء إلى عبي؛ فلا تعترض؛ فإني هناك

وَعَدْنَا وَأَوْعَدْنَا؛ فَأَمَّا وَعِيدُنَا	فَأَمْرُكُهُ إِنْ شِئْتُ وَالْوَعْدُ نَاجِزٌ
فَلِإِنِّي كَرِيمٌ وَالْكَرِيمُ تُرُوتُهُ	كَأَقْدَ ذَكَرْنَا، وَالْقَضَاءُ يُنَاجِزُ
فَلِإِنْ هُمْ إِشْقَادُ الْوَعِيدِ لِصِدْقِهِ	تَلْقَاءُ قَزَمٌ لِلْسَّخَاحِ مُبَارِزُ
فَيَرْذَعُهُ عَنْ هَمِّهِ بِتُقُودِهِ	لَأَنَّ لَهُ الرَّحْمَى فَمِنْهَا يُبَارِزُ
وَلَيْسَ ² يَزَى الْإِفْثَادَ إِلَّا مُقْصَرٌّ.	يَحْمُولٌ بِمَا قُلْنَا عَنْ الْحَقِّ عَاجِزُ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾³ هذا في الوعد. وقال في الوعيد: ﴿يَتَغَيَّرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَتَذَبُّ مَنْ يَشَاءُ﴾⁴.

فاعلم أنَّ هذه المنازلة هي قوله: "لِإِنْ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي" وهي قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁵ فإذا وعد العبد وعدا، وشاء الله أن يخلف ذلك العبد وعده وما عاهد عليه؛ شاء من العبد أن يشاء نقض العهد، ولولا ذلك ما تمكن للمخلوق أن يشاء. فشاء العبد عند ذلك - نقض العهد وإخلاف الوعد، بمشيئة الله في خلق مشيئة العبد. فهو قوله: "ووقتا لم أف" فلا تعترض على العبد؛ فإنه مجبور في اختياره بمشيئتي.

ولكن ينبغي لصاحب هذه المنازلة إذا رأى من وقع منه مثل هذا، أن ينظر إلى خطاب الشرع فيه؛ فإن رأى أن ذلك الحل الظاهر منه مثل هذا؛ من نقض العهد وإخلاف الوعد، قد أطلق الحق عليه لسان الذم؛ فيذمه بدم الحق؛ فيكون حاكيا. ولا يذمه بنفسه، هذا هو الأدب. وليس ذلك إلا في الخير.

1 قرم: سيد

2 ص 65 ب.

3 [الكهف: 30]

4 [آل عمران: 129]

5 [الإنسان: 30]

كما يقيم الحدود على المعتدي؛ بأمر¹ الحق، لا بنفسه. ولهذا ليس للبعد أن يؤقت حداً، ولا يشرعه.

وأما في الوعيد، إذا لم يكن حداً مشروعاً، وكان لك الخيار فيه، وعلمت أن تركه خير من فعله عند الله؛ فلك أن لا تفني به، وأن تتصف بالخلف فيه. مثل قوله (ص): «من حلف على يمين، فرأى خيراً منها، فليكفر عن يمينه، وليأت الذي هو خير». قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفُضْلِ بَيْنَكُمْ وَالسُّعَةِ أَنَّ يُؤْتُواهُمُ²﴾. قال الشاعر:

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمْخِلُفٍ إِيْعَابِي وَمُنْجِزٍ مَوْعِدِي

وإنما عوقب بالكفارة؛ لأنه أمر بمكارم الأخلاق، واليمين على ترك فعل الخير من مذام الأخلاق؛ فعوقب بالكفارة. وهو عندنا على غير الوجه الذي هو عند العامة من الفقهاء؛ فإن الله قد جعل لنا عيناً نظره به. وهو أن المسيء في حقنا الذي خیرنا الله بين جزائه بما أساء، وبين العفو عنه؛ أنه لنا أساء إلينا؛ أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون إليه، حتى لو كشف الله النطاء بيننا وبين ما لنا من الخير في الآخرة في تلك المساءة حتى نراه عياناً، لقلنا: إنه ما أحسن أحدًا في حقنا ما أحسن هذا الذي قلنا عنه: إنه أساء في حقنا؛ فلا يكون جزاؤه عندنا الحرمان³. فنعفو عنه؛ فلا نجازه، ونحسن إليه بما عندنا من الفضل على قدر ما تسمح به شؤسنا. فإنه ليس في وسعنا، ولا يملك مخلوق في الدنيا، ما يجازي به من الخير من أساء إليه، ولا يجد ذلك الخير ممن أحسن إليه في الدنيا. ومن كان هذا عهده ونظره؛ كيف يجازي المسيء بالسيئة إذا كان مخيراً فيها؟ فلما آلى وحلف من أسيء إليه، فما وفى المسيء حقه، وإن لم يقصد المسيء إيصال ذلك الخير إليه، ولكن الإيمان قصد.

فينبغي له أن يدعو له: إن كان مشركاً بالإسلام، وإن كان مؤمناً بالتوبة والصلاح. ولو لم يكن ثم إخبار من الله بالخير الأخراوي لمن أسيء إليه، إذا صبر ولم يجاز؛ لكان المقر في العرف بين الناس كافياً فيها في التجاوز، والعفو، والصفح عن المسيء؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق. لولا إساءة هذا المسيء إلي؛ ما اتصف أنا، ولا ظهرت متي هذه المكرم من الأخلاق. كما أنني لو عاقبته؛ انتفت عني هذه الصفات في حقه، وكنت إلى الذم أقرب متي إلى أن محمد على العقاب؛ فكيف والشرع قد جاء في ذلك بأن أجر من

1 ص 66

2 [النور: 22]

3 ص 66 ب.

4 "وكت...العقاب" ناجة بالهامش بخط آخر مع إشارة التصويب

يعفو ويتجاوز ولا يجازي؛ أنه على الله؟ فقد علمت أن قوله: "وقتا وَفَيْتُ ووقتا لم أفِ" أن ذلك راجع للوعد والوعيد بوجه، وراجع لما في خلق الله من الوفاء، وعدم الوفاء، من كونهم ما فعلوا الذي فعلوه إلا بمشيئة الله؛ فهو بالأصالة إليه.

ولهذا قال: "فلا تعترض" إلا أن يكون الحق هو المعترض، بأمره إياك أن تعترض؛ فاعترض. فإنه لا فرق عند ذلك - بين أن تعترض، أو تقيم الحد إذا كنت من أولي الأمر فيمن عين لك أن تقيمه؛ حتى لو تركته لكنت عاصيا، مخالفا أمر الله. فالمؤمن العالم المستبرئ لنفسه لا تقوته أمثال هذه المشاهد والمواقف؛ فإنه لا يزال باحثا عن مكارم الأخلاق حتى يتصف بها، ويقوم فيها قيام الأدباء الأمناء. ويراعون الشريعة في ذلك؛ فترب مكرمة عرفا لا تكون مكرمة شرعا. فلا تجمل أستاذك إلا الحق المشروع؛ فإذا أمرك فامتثل أمره، وإذا نهاك فالتزم عما نهاك، وإذا خيرك فاعمل الأحب إليه والأرجح. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب السادس والثلاثون وأربعائة
في معرفة منازلة: لو كنت عند الناس
كما أنت عندي؛ ما عبدوني

لَوْ أَنَّ جَنْسَكَ وَالْأَكْوَانَ أَجْمَعَا يَذُرُونَ مِنْكَ الذِّيْ أَنْزَلَهُ مَا عَبَدُوا
سِوَاكَ¹ إِذْ كُنْتَ مَشْهُودًا لَهُمْ وَأَنَا غَنِيٌّ وَلَوْلَا وَجُودُ الْغَنِيِّ مَا جَحَضُوا
إِنِّي حَبَبْتُكَ عَنْ قَوْمٍ بِصُورَتِكَ الثَّنِيَا وَلَوْ عَلِمُوا الْقُضْوَى لَمَّا عَبَدُوا²
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْأَسْمَاءَ مَا وَقَفُوا مَعَ الْمِثَالِ وَلَمْ يَضْرِبْهُمْ الْجَسَدُ
وَلَا تَقَيَّرَ أَحْوَالُ تَقْوَمَ بِهِمْ وَلَا تَرَكَبَ أَضْدَادٌ وَلَا عَدُوٌّ
وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِصُورَتِنَا وَلَيْسَ يُتَكَبَّرُ فِي ذَاتِنَا أَحَدٌ
لَكِنَّهُمْ غَلَطُوا فِينَا وَقَامَ بِهِمْ لِيُثْلِحُوا جَنِّ لَمْ أَغْصِبْهُمْ حَسَدُ

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾³ وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁴ وقال لبعض خلفائه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾⁵ ومن هنا تعرف مراتب الناس من الخلفاء، وأن الخلفاء يفضل بعضهم بعضاً. وقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ» وما خلقه حتى استوى على العرش، وما استوى على العرش إلا "الرحمن".

ولمّا عمّت رحمته الله أبا يزيد البسطامي، ولم ير للكون فيها أثراً يزيل عنها حكم العموم، قال للحق: لو علم الناس منك ما أعلم؛ ما عبدوك. وقال له الحق تعالى: يا أبا يزيد؛ لو علم الناس منك ما أعلم؛ لرجعوك.

1 ص 67 ب.

2 مكتوب في الهامش: بالكسر: اتروا. وبالفتح: جمدوا. يشير إلى معنى الكلمة إذا كسرت الباء أو صحت.

3 [الأنبياء : 107]

4 [البقرة : 30]

5 [ص : 26]

6 ص 68

7 "ما عبدوك... ما أعلم" ناجة في الهامش بقلم قريب من الأصل مع إشارة التصحيح

فاعلم أنّ الذي يريد أن يستنيب في¹ عبادته من يقوم فيهم مقامه؛ لا بدّ أن يكسوه صفته ونعته؛ فيكون الخليفة هو الظاهر، والذي استخلفه (هو) الباطن. فيكون كَسُورُ الأعراف (باطنة فيه الرحمة) لأنّه الحقّ الذي غلبت رحمته غضبه (وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)² فما العذاب في ظاهره، وإنما العذاب قبّله؛ فيراه قبلاً من استخلف عليهم. وقد حدّ الحقّ حدوداً له يعاملهم بها، ليكون إذا قام بها عند المؤمن بها وبه- محموداً؛ لا يتطرق إليه ذمّ، كما لا يتطرق لمن استخلفه؛ فـ(مَنْ يَطْلِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)³. فلا يذمّه إلّا من لا يعرفه ولا يعرف الله.

فالراح مئة من له رحمتان: رحمة طبيعّية وهي ذاتية له اقتضاها مزاجه- ورحمة موضوعة فيه من الله بخلقه على الصورة. وهذه الرحمة تتضمن مائة رحمة التي لله؛ فإنّ لله مائة رحمة بعدد أسمائه؛ فإنّ له -عالي- تسعة وتسعين اسماً ظاهرة، وأخفى المائة للوترية؛ فإنّه يحبّ الوتر؛ لأنّه وتر. فلكلّ اسم رحمة، وإن كان من أسمائه المنتقم؛ ففي انتقامه رحمة سأذكرها في باب الأسماء الإلهيّة من هذا الكتاب إن شاء الله.

فللرحيم من العباد مائة رحمة، ورحمة من أجل الوترية؛ فإنّه يحبّ الوتر؛ لأنّه يحبّ الله. ودرجات الجنة مائة درجة، لكلّ درجة رحمة. وللنار مائة درك، في كلّ درك رحمة مبطونة، تظهر لمن هو في ذلك البرك بعد حين. فإنّ الغضب مغلوب، وبالرحمة مسبوق⁴. فما يظهر في محلّ إلّا والرحمة قد سبقته إلى ذلك (الحلّ)⁵؛ فيقال بها؛ تغلبه؛ لأنّ الدفع أهون من الرفع. فلا حكم للغضب في المفضوب عليه إلّا زمان المغالبة خاصة؛ فإنّ هذا الحلّ هو ميدانها. فينال هذا الحلّ من المشقة فيما يطراً بين الرحمة والغضب، بقدر ما تنوم الحارّة بينها إلى وقت غلبة الرحمة.

وبالرحمة الطبيعّية تنفع الشفاعة من الشافعين، لا بالرحمة الموضوعة. فإنّ الرحمة الإلهيّة الموضوعة تصحبها في العبد العزّة والسلطان، فهي لا عن شفقة. والرحمة الطبيعّية عنها تكون الشفقة. ولو لم تصحب الرحمة الإلهيّة العزّة، وتتنزّه عن الشفقة؛ ما عذّب الله أحداً من خلقه أصلاً. فهذه الرحمة التي يجدها العبد على خلق الله هي حكم الرحمة الطبيعّية، لا الرحمة الموضوعة؛ فإنّ الرحمة الموضوعة لا⁶ تقوم إلّا بالخلفاء. ألا ترى الإنسان إذا رأى الخليفة بماقّب ويظلم ويجور على الناس؛ كيف يجد الشفقة على المظلومين المعاقبين، ويقول: ما عنده رحمة، ولو كنت أنا مقامه لرحمتهم، ولرفعت هذا الظلم عنهم؟ فإذا وليّ هذا القاتل ذلك

1 ن: "فيهم" ووفقها مباشرة: "في"

2 [الحديد: 13]

3 [النساء: 80]

4 ص 68 ك.

5 ن: مسبوقة

6 لم ترد في ن، وأبتناها من ه، من

7 ص 69

المنصب؛ حبه الله عن الرحمة الطبيعية التي تورث الشفقة، وجعل فيه الرحمة التي تصحبها العزة والسلطان؛ فيرحم بالمشيئة، لا بالشفقة، ولا للحاجة؛ لأنه العزيز الغني في نفسه. فيظلم ويعاقب ربما أكثر من الآخر الذي كان يذمه على ذلك قبل حصوله في مقام الخلافة. فإذا قيل له في ذلك، يقول: والله؛ ما أدري إذا لم يكن عالماً- فإني لا أجد في نفسي- إلا ما ترون، والآن قام لي عنر الذي تمنني فيما كان يفعله، وكنت أجد عليه في ذلك.

وأخبرني صادق أن مثل هذا وقع من الإمام الناصر لدين الله رحمه الله- أحمد بن الحسن، مع أيه المستضيء، بحضور الوزير، وأنه عتب مع الوزير في حق أيه. فلما أنفضت إليه الخلافة، ظهر منه ما ظهر من أيه بما أخذه عليه. فنبهه الوزير على قوله. فقال: الحال الذي كنت أجد في ذلك الوقت ذهب عني، وما أجد الساعة إلا ما ترى أثره، والآن قام عندي عنر أبي رحمه الله-

فضمون هذه المنازلة: أن الله أنشأ الحمدي على ما أنشأ عليه محمد ﷺ فأنشأ بالمؤمنين رموفاً رحماً، وأرسله رحمة للعالمين، حتى أن دعاءه على رغل وذكوان (كان) من الرحمة بهم لئلا يخذلوا طغياناً، فيزدادوا من الله بعداً. ومن رحمته قال (ص): «لأنهم على السبعين» أو قال: «لو علمت أن الله يغفر لهم لزدت على السبعين» إذ قيل له: ﴿إِنْ تَشْتَغِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾¹. فلو عرف الناس من محمد ﷺ ما علم الله منه بما تجلله الله عليه؛ ما عبد الله أحد بما كلفه؛ بل كان الناس يتبعون أهواءهم بعلم؛ لأن الله ما أخذ من اتبع هواه، إلا لكونه اتبع هواه بغير علم. فحرمان الجهل أوقع بهم. قال تعالى: ﴿يَتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾²، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾³ وقوله تعالى- لداود ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁴ ولم يقل: "عن الله" وسبيل الله (هو) ما شرعه لنار القرار التي هي محل سعادتك. وأما تمام الآية؛ فهو من أعجب الإشارات الإلهية لأهل الفهم عن الله وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾⁵. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَبْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 ص 69.

2 التوبة : 80

3 الروم : 29

4 القصص : 50

5 ص : 26

6 ص : 26

7 الأحزاب : 4

الباب السابع والثلاثون¹ وأربعة
في معرفة منازلة: من عرف حظه من شرعتي عرف حظه مني،
فإنك عندي كما أنا عندك؛ مرتبة واحدة

مَنْ كَانَ لِي كُنْتُ لَهُ كَثَلٍ مَا هُوَ لَا أَزِيدُ
فَالشَّرْعُ غَيْبٌ ظَاهِرٌ لَهُ مَقَامَاتُ الْقَيْدِ
يَسْتَعْدِمُ الْكَوْنُ كَمَا يَخْدُمُهُ بِلَا مَزِيدِ
فَمَنْ يَتَّقِي بِتَقْوَاهُ فَهُوَ وَفِي الْفُهُودِ
لَهُ التَّزُولُ نَحْوَنَا كَمَا لَنَا عَيْنُ الصُّوْدِ
إِلَيْهِ فِي أَعْمَالِنَا وَهُوَ الْحَفِيفُ وَالشَّهِيدُ
فَصَنَّا بِإِلَهِ الْكَثْفِ وَلَنَابِ الشُّهُودِ

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾². رأيت سائلا يسأل شخصا: بوجه الله، أو بجرمة الله عندك؛ اعطني شيئا. ومعي عبد صالح يقال له: مُتُور، من أهل أستجة. ففتح الرجل صرة فيها قطع فضة صفار وكبار، فأخذ يطلب على أصفر ما فيها من القطع. فقال لي العبد الصالح: أتدري على ما يطلب؟ قلت له: قل. قال: على قيمته عند الله وقدره. فكلما³ أخرج قطعة كبيرة، يقول بلسان الحال: ما نساوي مثل هذه عند الله. فأخرج أصفر ما وجد؛ فأعطاه إياها.

إلا أن الله وصف نفسه بالغيرة، وعلم من أكثر عباده أنهم عيون جزيل المال وأنفسه في هوى نفوسهم وأغراضهم، فإذا أعطى أكثرهم الله؛ أعطى كسرة باردة، وفلسا، وثوبا خفيفا، وأمثال هذا، هذا هو الكثير والأغلب. فإذا كان يوم القيامة، وأحضر الله ما أعطى العبد من أجله؛ بينه وبين عبده حيث لا يراه أحد،

1 ص 70

2 [البقرة: 152]

3 ص 70 ب.

فأحضر ما أعطى لغير الله، فيقول له: يا عبدي؛ أليست هذه نعمتي التي أنعمتُ بها عليك؟ أين ما أعطيتُ لمن سألك بوجهي؟ فيعين ذلك الشيء التافه الحقير، ويقول له: فأين ما أعطيتُ لهوى نفسك؟ فيعين جزيل المال من ماله. فيقول: أما استحييتُ منِّي أن تقابلني بمثل هذا، وأنت تعلم أنك ستقف بين يدي، وسأترك على ما كان منك؟ فما أعظمها من خجلة! ثم يقول له: قد غفرتُ لك بدعوة ذلك السائل؛ نفرحه بما أعطيته. لكنتي قد ربيتها لك، وقد محقتُ ما أعطيته لهوى نفسك؛ فإن صدقتك أخذتها وربيتها لك. فيحضرها أمام الأَشهاد، وقد رجع الفلاس أعظم من جبل أحد، وما أعطى لغير الله قد عاد هباء منثورا. قال الله تعالى: ﴿يَنْفَحُ اللَّهُ الرِّيَّاءَ وَيَرْبِّي الصَّدَقَاتِ﴾¹.

فالعارِفون² بالله؛ صغيرهم كبير، وكبيرهم لا أعظم منه؛ فإنهم لا يُعطون الله إلا أنفس ما عندهم، وأحتر ما عندهم؛ فكلمهم الله، وكل ما عندهم الله. العبدُ وما يملكه لسيِّده. فيعطون بيد الله، ويشاهدون يد الله هي الآخذة، وهم مبرِّزون في العطاء والأخذ مع غاية الاستقامة، والمشي على سنن الهدى والأدب المشروع. فيكونون عند الحق بمنزلة ما هو الحق في قلوبهم؛ يعظمون شعائر الله، وحرَمات الله؛ فيعظمهم الله يوم يقوم الأَشهاد برأى منهم، ويقيم الآخرين على مراتبهم؛ فذلك "يوم التفان" فيقول فاعلُ الشر: "يا ليتني فعلت خيرا" ويقول فاعلُ الخير: "ليتني زدت".

والعارِف لا يقول شيئا؛ فإنه ما تغيَّر عليه حال؛ كما كان في الدنيا كذلك هو في الآخرة، أعني من شهوده ربه، وتبرَّيه من الملك والتصرُّف فيه؛ فلم يَمُ له³ عمل مضاف إليه؛ يتحسَّر على ترك⁴ الزيادة منه، وبذل الوُسع فيه. وما كان منهم من زلل مقدر، وقع منهم بحكم التقدير؛ فإن الله يتوب عليهم فيه؛ بتبديله على قدر الزلة سواء؛ لا يزيده ولا ينقص. فإن العارف في كل نفس تائب إلى الله في جميع أفعاله الصادرة منه؛ توبة شرعية، وتوبة حقيقية. فالتوبة المشروعة⁵ هي التوبة من المخالفات، والتوبة الحقيقية هي التبرُّي من الحول والقوة؛ بحول الله وقوته. فلم يزل العارف واقفا بين التوبتين، في الحياة الدنيا في دار التكليف.

فإن كان له اطمئنان إلهي على أنه قد قيل له: «افعل ما شئت فقد غفرتُ لك» فإن ذلك لا يخرج

1 [البقرة : 276]

2 ص 71

3 ق: لهم

4 تاجه بالهامش بقلم الأصل

5 ص 71 ب.

عن تبرّيه، ولم تبق له بعد هذا التعريف توبة مشروعة؛ لأنّه بين مباح، وتذوّب، وفرض؛ لا¹ حَظٌّ له في مكروهه، ولا محظور²؛ لأنّ الشرع قد أزال عنه هذا الحكم في النار الدنيا؛ ورد ذلك في الخبر الصحيح عن الله في العموم، وفي أهل بدر في الخصوص، لكنّه في أهل بدر على الترجي، وفي وقوعه في العموم واقع بلا شك. فمن أطلعه الله عليه من نفسه بأنّه من تلك الطائفة؛ فذلك بشرى من الله في الحياة الدنيا. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾³ هذا حال المؤمن التقي؛ فكيف بحال العارف النقي؛ الذي ما لبس ثوب زور، وما زال نورا في نور؟! فمن حافظ على آداب الشريعة، وأعطى الطبيعة ما أوجب الله عليه من حقّها، وما تعدّى بها منزلتها؛ كان من العارفين الأدباء، وأصحاب السرّ الأمّناء ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 "فرض، لا" فاجة بالهامش قلم الأصل.
2 ق: "مباح" وصححت بالهامش بعد إشارة المسح.
3 لوقس: 63، 64
4 ص 72
5 [الأحراب: 4]

الباب الثامن والثلاثون وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ قرأ كلامي رأى غمامتي
فيها سُرُج ملائكتي تنزل عليه وفيه، فإذا سكث رُلِقَتْ عنه ونزلت أنا

كَلَامِي لَيْسَ غَيْرِي وَهُوَ غَيْرِي	وَأِنْ الْمَلَأُ لِلْأَمْثَالِ حِصْدُ
قُلْتُ لِلْعَارِفِينَ: إِذَا قَرَأْتُمْ	كَلَامَ اللَّهِ فَالْوَجْدَانُ قُلْدُ
دَلِيلِي فِي شَهَادَتِهِ حُرُوفُ	وَفِي الْقَيْبِ الْمَعَانِي وَهِيَ حَدُ
وَأَسْبَلْتُ السُّخُورَ فَمَا رَأَاهُ	فَعَيْنُ الْقُرْبِ فِي التَّحْقِيقِ بَقْدُ
فَمَنْ قَرَأَ الثَّرَانَ فَلَا يَتَكَبَّرْ	وَلَا يَنْظُرْ ¹ فَإِنَّ السُّمَّ شُهْدُ

قال² الله تعالى- في آية طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ³﴾ وأنزلها الله في قلوب المؤمنين من أمة محمد ﷺ وهذا وأمثاله كانت هذه الأمة المحمدية ﴿غَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁴ قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵.

فما كان شهادة في غير هذه الأمة؛ نزل غيا في هذه الأمة؛ فوجده أهل الأنواق في قلوبهم؛ فكانت صفة من صفاتهم، وكانت فيمن تقدم هذه الأمة من الأمم أجنيته عنها. فعلامه هذه الأمة في قلوبهم: «استفت قلبك وإن أفنك المفتون» ومع كونها منزلة في قلوبهم، أشهدا الله تعالى- بعض أصحاب محمد ﷺ في تلاوته القرآن، وكانت له فَرَسٌ؛ فجعلت تحبسط؛ فرفع رأسه؛ فرأى غمامة فيها سُرُج؛ كلما قرأ؛ نزلت ردت منه، وإذا سكث؛ ارتفعت. فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «تلك السكينة نزلت للقرآن» فرأى هذا الصاحب ممثلاً خارجاً عنه ببصره؛ ما كان فيه. فكان الحق له مرآة؛ رأى صورة

1 كعب تعنيا قلم الأصل: "يسع" وما يشير إلى صواب أي منها

2 ص 72 ب.

3 [البقرة: 248]

4 [آل عمران: 110]

5 [الفتح: 4]

6 ص 73

ما في قلبه فيها؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ اللَّهَ، وَ﴿يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾¹ كُنَّا ذَكَرَ اللَّهُ لَنَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. وَالطَّمَأْنِينَةُ سَكِينَةٌ أَنْزَلَهَا الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. فَكَانَتْ آيَاتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ظَاهِرَةً، وَآيَاتُنَا فِي قُلُوبِنَا. وَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَرِثَةِ الْحَمِيدِينَ، وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.

فَوَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ يُعْرِفُونَ فِي الْعُمُومِ؛ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَرَقِ الْعَوَائِدِ، وَوَارِثُ مُحَمَّدٍ ﷺ مَجْهُولٌ فِي الْعُمُومِ، مَعْلُومٌ فِي الْخُصُوصِ؛ لِأَنَّ خَرَقَ عَادَتِهِ إِنَّمَا هُوَ حَالٌّ وَعِلْمٌ فِي قَلْبِهِ. فَهُوَ فِي كُلِّ نَفْسٍ يَزْدَادُ عِلْمًا بِرَبِّهِ؛ عِلْمٌ حَالٌ وَذَوْقٌ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ. وَقَدْ تَبَّهَ الْجَنِيدُ عَلَى ذَلِكَ؛ بِاخْتِلَافِ أَجَوِبَتِهِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي الْجُلُوسِ الْوَاحِدِ؛ لِاخْتِلَافِ دَقَائِقِ الزَّمَانِ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْقَشِيرِيُّ فِي صَدْرِ رِسَالَتِهِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَيْهِ. وَكَلَّمَا أَزْدَادَ الْحَقِّدِيِّ عِلْمًا بِرَبِّهِ؛ أَزْدَادَ قُرْبًا؛ فَهُمْ الْمُتَقَرَّبُونَ، وَأَحْوَالُهَا الظَّاهِرَةُ تَجْرِي بِحَكْمِ الْعَوَائِدِ؛ فَيُتَقَرَّبُونَ وَلَا يُتَقَرَّبُونَ، وَيَأْتُونَ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ فِي طَرِيقِ النَّصْحِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. فَلَا تَعْرِفُ الْعَامَّةُ قَدْرَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا² اعْتَادَتْ مِنْ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ مِثْلَ هَذَا إِذَا تَكَلَّمُوا فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ ﷻ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْلِ، وَلَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ عِلْمِ اللَّيْلِ وَبَيْنَ عِلْمِ النَّوَقِ.

وَأَمَّا عُلَمَاءُ الرُّسُومِ فَيُكْفَرُونَهُمْ غَالِبًا، مَعَ كَوْنِهِمْ يَسْلُمُونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ؛ إِذَا قُلَّ عَنْهُ فِي قُرْآنٍ، أَوْ خَبَرَ إِلَهِيٍّ وَغَيْرِ إِلَهِيٍّ. فَانْظُرْ مَا أَشَدَّ هَذَا الْعَمَى؟! وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ (اللَّهُ) رَسُولًا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ آيَةُ ظَاهِرَةٍ فِي الْعُمُومِ، كَمَا ظَهَرَتْ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ. فَمَا ظَهَرَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْقُولَةِ فِي الْعُمُومِ؛ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا؛ رَفَقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى - بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِقَامَةِ حُجَّةٍ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ وَكَذَّبَ مَا جَاءَ بِهِ. أَلَا تَرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي قَدْ عُرِفَ، وَجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْخَبَرُ الصَّحِيحُ؛ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ بِكَرَّةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَذَكَرَ لِأَصْحَابِهِ مَا ذَكَرَ مَا جَرَى لَهُ فِي إِسْرَائِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَعَالَى - أَنْكَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ؛ لَكُونِهِمْ مَا رَأَوْا لِنَلْكَ أَثَرًا فِي الظَّاهِرِ، بَلْ زَادَهُمْ حِكْمًا فِي التَّكْلِيفِ؟ وَمُوسَى ﷺ لَمَّا جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، كَسَاهُ اللَّهُ نُورًا عَلَى وَجْهِهِ يُعْرِفُ بِهِ صِدْقُ³ مَا ادَّعَاهُ؛ فَمَا رَأَاهُ أَحَدٌ إِلَّا عَمِي مِنْ شِدَّةِ نُورِهِ؛ فَكَانَ (مُوسَى ﷺ) يَتَرَفَّقُ حَتَّى لَا يَتَأَذَّى النَّاضِرُ إِلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رُؤْيَاهُ.

وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو يَعْزَى بِالْمَغْرِبِ مُوسَى الْوَرِثِ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ هَذِهِ الْكِرَامَةَ؛ فَكَانَ مَا يَرَى أَحَدٌ وَجْهَهُ إِلَّا عَمِي؛ فَيَمْسَحُ الرَّاقِي إِلَيْهِ، وَجْهَهُ، يَثُوبُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ؛ فَيَرِدُّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ. وَمَنْ رَأَاهُ فَعَمِي شَيْخُنَا أَبُو

1 [الرعد : 28]

2 ص 73 ب.

3 ص 74

مدين رحمة الله عليهما- حين رحل إليه. فمسح عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى؛ فردَّ الله عليه بصره. وخرق عوائده بالمغرب مشهورة. وكان في زمانى، وما رأيته؛ لما كتبت عليه من الشغل. وكان غيره من الأولياء المحمدين، ممن هو أكبر منه في العلم والحال والقرب الإلهي، لا يعرفهم أبو يعزى، ولا غيره.

فمن جعل الله آيته في قلبه، وكان على بينة من ربه في قربه؛ فقد ملأ يديه من الخير كله، واختصه، واصطنعه لنفسه، وكساه الصفة الحجابية؛ غيره منه عليه؛ فلم تشهد حاله الأبصار في الدنيا؛ وهم الأخفاء الأبرياء. فمن تحقّقهم بالحق، وليسوا برسل مشرّعين، حجبهم الحق، لاحتجابه، إلى يوم القيامة؛ فيظهرهم الله في الموطن الذي يتجلّى الله فيه لأبصار عباده، ويظهر بنفسه وعيِّنه للمخاض¹ والعام. فهناك يُعرف قدر الحمدي في القرب الإلهي بمقامه، في تلاوته كلام ربه ﷻ وهو سكونه لما يتلوه من كشفه، واطّلاعه على معانيه. فهو في حال تلاوته يستذكر ما عنده؛ فيطلع على نفسه، ويسمعه الله شر كلامه ونظمه بتأييد الروح القدس؛ لما جاء في النظم المستقى شعرا من فسخ الشيطان، ألا مثل هذا النظم. وقد صحّ في الخبر أن حسان بن ثابت لما أراد أن يهجّو قريشاً، ينادى بذلك عن رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «قل يا حسان؛ فإن روح القدس يؤيدك ما دمت تتأخّر عن عرض رسول الله» فلم يجعل للشيطان عليه سيلاً. وإذا كان هذا لمن ينادى؛ فما ظنك بحال من ينطق عن الله بالله؟ فيكون القائل منه، عند قوله، زبّه ﷻ كما ورد في الصحيح: «إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حده» في الصلاة، والحاضرون ما سمعوا إلا صوت المصلّي. وكلامه بهذا المتكلم به؛ ما ينسبه الحق تعالى جلالة- إلا إلى نفسه، لا إلى المصلّي. فاعلم أيّها الوليّ الحميم- ذلك تسعد إن شاء الله-.

كلامي ² ليس غيبي وهو غيبي	كما قلنا: زميت وما زمينا
فيا نفسي إذا طلبت نفوس	بمشهدك التخيلاً قول: هيتا
ولا تبخل فإن البخل شوم	وتقلو بالنطاء إذا علوتا
وكُن حقا ولا تظهر برؤو	وكُن عين القرآن إذا تلوتا
لأن الله لم يمنع لغيب	يناديه بنا يثلوه صوتا
فإن يثلوه بحق قال غيبي	وكان بحاله المشهود ميتا

1 ص 74 ب.

2 ص 75

لأن الحق ليس مرآة حيّ لنا كتبوا على الأخياء مَوْتًا

فكلُّ مَنْ تَلا، وسكن لما تلا بصدق، بصورة ظاهر وحكمة¹ باطن؛ فذلك تالٍ، وصاحبُ سَكينة. فإن هو تَلا، وسكن ظاهرا، ولم يسكن باطنا، والسكونُ الباطنُ (هو) فَهْمُ المعنى الساري² في الوجود من تلك الآلة المتلوة؛ لا يقتصر بها على ما تدلّ عليه في الظاهر خاصة؛ فمن تلا هكذا؛ فليس بصاحب سَكينة أصلا، ولا هو وارثُ محمديّ، وإن كان من أمة محمد ﷺ. فإن تَلا، وسكن باطنا، ولم يسكن ظاهرا، وتعدى الظاهر المشروع؛ فذلك ليس بوارث، ولا محمديّ، ولا بمؤمن، وهو أبعد الناس من الله؛ فإن الروح القدسّيّ أوّل من يرميه ويرمي به، والنبيّ محمد ﷺ يقول لربه فيه يوم القيامة: «صحفا صحفا»، والله عند ذلك لا يسعده ولا يساعده. وأعظم حسرة تقوم به؛ إذا عاين يوم القيامة مَنْ سكن إليه إذا تَلاه ظاهرا وباطنا؛ فيرى ما سكن إليه باطنا قد سعد به هذا الآخر، وشقي هو به. وما شقي إلا بعدم سكون الظاهر؛ فيفوته خير كثير، حين فاته الإيمان به؛ فإنه أقى البيت من ظهره، لم يأت من بابه. جعلنا الله وإياكم من تلا فسكن، وفي التلوين في تلاوته بحسب الآيات - ثبت وتمكّن، إنه المَلِيّ بذلك، والقادر عليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 الحرف الأخير مصل في ن. والترجيح من ه. س

2 ص 75 ب.

3 [الأحزاب : 4]

الباب¹ التاسع والثلاثون وأربعمئة
في معرفة منازلة: قاب قوسين الثاني²
الحاصل بالورثة النبوية للخواص متا

قاب قَوْسَيْنِ لَنَا مِنْ قُلُوبِنَا	قاب قَوْسَيْنِ لِمَنْ أُشْرِي بِهِ
غَيْرَ أَنِّي وَارِثٌ مُسْتَعْدِمٌ	وَلَنَا يَلْتَأَهُ مِنْهُ فَاتَّبِعْهُ
فَحَلَالٌ وَحَرَامٌ بَيْنَ	مَا هُنَا يَنْتَهِيَا مِنْ مُفْتَبَةٍ
إِنَّمَا الشُّبْهَةُ مَنْ قَالَ: أَنَا	عَيْنٌ مَنْ أُشْرِي بِهِ، مَا أَنَا بِهِ
وَهُوَ يَنْدِرِي أَنَّهُ وَارِثُهُ	لَيْسَ يَنْدِرِي ذَلِكَ غَيْرَ الْمُتَّبِعَةِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾³ وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»⁴ وذكر أن الأنبياء «ورثوا العلم وما ورثوا دينارا ولا درهما» فالوارث مستخدم بالمعنى من ورث منه ما جمعه، غير أن الموروث في مثل هذا الورث - ما نقصه شيء من علمه، بورثة الوارث منه. ففارق ميراث الدينار والدرهم بهذه الحقيقة. والله يرث الأرض ومن عليها مما تعلق به علمه من العلم ابتلائي؛ فهذا هو قدر ميراث الحق من عباده، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤُنَّكُمْ حَتَّى نَقْلَمَ﴾⁵ فاستخدمهم بما ابتلاهم حتى يعلم ﴿الْمُجَاهِدِينَ﴾ من عباده ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ويبلوا أخبارهم. وما عدا هذا النوع في حق الحق فهو علم، لا علم وراثة.

فكان الورثة من طريق المعنى استخدموا من ورثوا منه العلم الذي حصله من الله بحكم الكسب ابتداء وبحكم التكليف؛ كل ذلك ورثوا منه الورثة من علماء الأمم. وما ورثوا منه قرب قاب قوسين، وهو

1 ص 76

2 تاجة في الهامش بقلم آخر

3 [الأنبياء: 105]

4 ص 76 ب.

5 [محمد: 31]

6 تاجة بالهامش بقلم الأصل

قولنا: "الثاني" أعني الذي ينبغي للأولياء من هذا التقريب الحمدي، من قرب منه هذا القُرب. فالأول من ذلك له ﷺ والثاني للوارث، وهو عينه. وإنما جعلناه ثانياً لكونه ما حصل له، حتى تهتم به هذا الرسول المعين ﷺ فناه¹ منه. فهو في غاية البيان؛ لا يقبل الشبهة هذا العلم الموروث، مثل ما يقبلها العلم النظري.

ولهذا به أبو المعالي (الجويني) لما ذكر النظر، قال بحصول العلم عقيب النظر ضرورة. فلو كان ذلك العلم الحاصل عقيب النظر نتيجة النظر ضرورة؛ لما قبل الدخّل بعد ذلك، ولا الشبهة، مثل ما لا يقبل ذلك العلم الضروري. فتأولوا على إمام الحرمين ما لم يقصده بكلامه. وإنما أراد ﷺ ما أردناه: أنّ النظر جعله الله سبباً من الأسباب؛ يفعل الأشياء عنده، لا به. فإذا وفق النظر في الدليل حقّه؛ خلق الله له العلم الضروري في نفسه، ليس غير هذا؛ فاعتماده على العلم الضروري الذي لا يقبل الشبهة. فإن لم يُخلق له العلم الضروري؛ فهو العالم الذي يقبل الدخّل فيما عِلّمه؛ فيعلم عند ذلك أنّه ما علمه علماً ضرورياً. ولهذا ما يقبل الدخّل إلّا لدليله، لا ما يقول أنّه علمه عقيب النظر. فرجوعه، أو توقّفه عما كان أنجح له ذلك الدليل؛ أخرجه أن يكون ذلك عنده علماً ضرورياً.

فليفرّق الوارث في علمه برّه؛ بين ما يأخذه وزناً، وبين ما يأخذه ابتداءً من غير وراث. فأبى عامل من العالمين عميل بأمر مشروع له من نصّ لا من تأويل، وحصل له عن ذلك العمل عِلْمٌ بالله؛ فهو من العلم الموروث². ثم إنّه لا يخلو ذلك النصّ المعمول به؛ هل كان شرعاً لمن قبل محمد ﷺ؟ أو لم يكن إلّا من الشرع المختصّ به؟ لا من الشرع المقرر الذي قرره لأئمته، مما كان الله قد تعبد به نبيّاً قبله؟ فوارثٌ مثل هذا (هو) وارثٌ من كان ذلك العمل شرعاً من الأنبياء، بلغوا ما بلغوا، ووارثٌ أيضاً محمداً ﷺ فيه؛ فهو وارثٌ من وارث.

فإن كان من اختصّ به رسولُ الله ﷺ فالوارث (هو) وارث محمد ﷺ فيه خاصة، لا ينتسب إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام. ويميّز بذلك عن سائر ورثة الأنبياء عليهم السلام - قبله، ويحشر - بذلك العلم في صفوف الأنبياء عليهم السلام - وخلف محمد ﷺ فإنّ نشأة الآخرة تشبهه، في بعض الأحكام، النشأة البرزخية؛ فترى نفسها وهي واحدة - في صور كثيرة، وأماكن مختلفة، في الآن الواحد.

فيري نفسه إن كان وراث عن وارث خلف محمد ﷺ، وخلف كلّ نبي؛ كان ذلك العمل شرعاً له. ولو

1 ص 77. ويمكن قراءة اللفظة: لما له
2 ص 77 ب

كانوا مائة ألف لرأى نفسه في أماكن على عددهم، وفي صور؛ ويعلم أنه هو¹، وليس غيره في كل صورة. وهو مع كونه واحدا- عين كل صورة. وهكذا يكون يوم القيامة. فلإن النبي ﷺ يطلبه الناس في مواطن القيامة، فيجدونه من حيث طلبهم- في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب، في الوقت الذي يجده الطالب الآخر في الموطن الآخر بعينه. فمن لم يجده في طلبه في موطن ما؛ فإنما ذلك لكونه طلبه في غير الموطن الذي يقتضيه طلبه. فإن طلبه في موطن اقتضى حاله الجهل²؛ لَوْجَدَهُ³. فذلك الجهل إذا وقع، إن وقع- فسببه ما ذكرناه، وهو غير واقع، والله أعلم.

ثم نرجع ونقول: وإن كان ذلك العمل الذي أقيم فيه العبد، لا عن نص مشروع، بل كان قلْد فيه مجتهدا من علماء الأمة؛ صاحب نظر وتأويل فيما حكم به، لا عن نص من⁴ ذلك المجتهد اتبعه؛ فإنه يكون يوم القيامة وارث ذلك المجتهد، ومتبعا إياه، ومتبعا أيضا- النبي ﷺ. وإن كان ذلك في نفس الأمر شرعا له كما تقدم.

وإن كان العامل لا عن نص، ولا عن تقليد؛ بل كان عن ظر واجتهاد وفقه؛ فهذا لا يكون وارثا في مثل⁵ هذه المسألة؛ إلا⁶ إن أصاب الحكم فيها. فإن أصاب الحكم كان وارثا، وإن أخطأ الحكم لم يكن وارثا، ويُحْشَر في صف من هذه صفته، ولم صف مخصوص.

ثم هم في المواطن بحسب ما يكون عليه ذلك الحكم من مصادفة من تقدمه أنه شرع له؛ فتكون له صور متبعة خلف ذلك الموروث منه، كان من كان. والكل خلف محمد ﷺ. وتختلف مراتبه خلف رسول الله ﷺ وخلف الرسل عليهم السلام- لاختلاف ما ظهر له في النبي عمل به. فإن انفرد به جملة عن كل رسول، ونبي، ومجتهد؛ فإنه يكون أمة وحده كقَس بن ساعدة؛ قال فيه رسول الله ﷺ: «إنه يُعْصَى يوم القيامة أمة وحده» مع كونه خلف محمد ﷺ لا بد من ذلك، من حيث أنه ﷺ أعطاه المادّة التي ظهر فيها، حتى انفرد له ما لم يخطر له إلا في تلك المسألة النازلة، وأخطأ فيها حكم رسول الله ﷺ لا بد من ذلك. بخلاف حكم المصيب.

1 ص 78

2 آية بالهاش بقلم الأصل

3 يمكن قراءتها في ق: لوجه

4 كانت في ق: "في" وشطب وفوقها بقلم الأصل: "من"

5 آية بالهاش بقلم الأصل

6 ص 78 ب

فتحقّق هذه المنازلة فإنّها غريبة في المنازلات، قليلٌ من أهل الله مَنْ تكون له؛ فإنّها تنبئ عن تحقيق عظيم، وذوق¹ غريب، ورفع إشكال. وليس يكون في القيامة أدلّ، ولا أعرف بمواطن القيامة، ولا بصور ما فيها؛ أعظم من صاحب هذه المنازلة، ولا تحصل إلّا بالوهب الإلهي لمن حصلت له ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 79
2 [الأحزاب : 4]

الباب الأربعون وأربعائة في معرفة منازلة: اشتد ركن من قوي قلبه بمشاهدتي

إِنَّ الْقَوِيَّ الَّذِي مَا زَالَ يَنْشُدُنِي	عِنْدَ الشُّنُونِ وَمَا فِي الْحَقِّ مِنْ خَرَجٍ
فَمَنْ يُعَانِدُنِي فَيَنْفَا أُنُوءُ بِهِ	مِنْ الْخَصَائِقِ تَلَيَّرَقِي عَلَى تَرْجِي
وَلَوْ بَرَأَ لَفَدَا بِنَاطِرِهِ	وَبِالْقُفُوسِ وَبِالْأَزْوَاحِ وَالْمَهْجِ
لَكِنْ لَهُ حُجُبٌ عَلَى الْعُيُونِ فَهُمْ	فِي الضُّلَيْقِ فِي الْمَلَأِ الْقُلُوبِ فِي فَرْجِ
إِنِّي مَرِيضٌ عَلَى الْقَلْبِ مُبْتَلِسٌ	فِي الدَّلِّ وَالْمُقْلَةِ السُّجْلَاءِ وَالِدَعِجِ ¹
إِنِّي ² لَفِي طُلُفَاتٍ مِنْ تَرَائِكُهَا	غَرَفْتُ مِنْ بَحْرِهَا اللَّجْجِ فِي اللَّجْجِ
النَّاسُ فِي سَيْفٍ ³ هَذَا الْبَحْرِ فِي يَمٍّ ⁴	أَيُّ السَّوَابِلِ يَا هَذَا مِنَ النَّبِجِ ⁵ !

قال الله عز وجل جلاله- حكاية عن نبيّه لوط عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾⁶ فقال رسول الله ﷺ في الصحيح عنه: «يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» يعني من القبيلة⁷.

فاعلم أن أقوى الأقوياء من كان الحق قواء. ومع هذه القوة بهذه الصفة، فما يكون إلا ما سبق به الكتاب، ولا كتب إلا ما علم، وما علم إلا ما هو عليه المعلوم، فلا تبدل لكلمات الله⁸، وما يبدل القول لديه، وما هو بظلام للعبيد.

1 السجلاء: الواسعة. و الدعج: شدة السواد مع شدة البياض وهي هنا للعين.

2 ص 79 ب.

3 ميف البحر: ساحله

4 يمكن قراءتها في ق: يتم

5 النجج: فيج البحر: معظمه

6 [هود: 80]

7 "يعني من القبيلة" تاجية في الهامش قلم آخر مع إشارة التصويب

8 [يونس: 64]

فقلوه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ أي همة فعالة. وَمَنْ كَانَ الْحَقَّ قُوَاهُ، فلا همة تفعل فِعْلَ مَنْ هذه صفته؛ لكن الأمر على ما قَرَّرناه من سَبْقِ الكتاب. فلا يقع إِلَّا ما هو الأمر عليه. فآداة "أو" إنما أعطته الإمكان، لا غير. فلو أراد بالقوة إظهار الأمر الذي جاء به فيهم، وأراد بالركن الشديد؛ إذ لم يتمكن¹ الأمر فيهم أن يحمي نفسه عنهم، حتى لا يؤثرُوا فيه، فهذا ﷻ ذكر الأمرين: القوة، والإيواء. ولا شك أَنَّ الرسل عليهم السلام- هم أعلم الناس بالله، فلا يَأْوُونَ إِلَّا إلى الله، وهو قوله ﷻ: «يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» يعني بذلك إيوائه إلى الله، فَأَوَى إلى مَنْ يفعل ما يريد، ولا اختيار في إرادته، ولا رجوع عن علمه؛ فَأَوَى إلى من لا تبدل لديه.

فَا الْجَبْرِ إِلَّا ظَاهِرٌ مُتَحَقِّقٌ	فَأَتَمَّ تَخْوِيرٌ وَمَا تَمَّ مُتَقَلِّبٌ
فَلَا تَهْزِينَ فَلَا تُؤْمَرُ مَا قَدْ سَبِقَتْهُ	فَالِإِنْ لَمْ تَوَاقِفْهُ فَمَا يَنْفَعُ الْهَزْبُ
فَعِلْمُ الْإِلَهِيِّ عَيْنُ حَالِي فَا أَنَا	عَلَيْهِ فَأَمْلِكُهُ عَلَيْهِ إِذَا كُتِبَ
فَأَنْتَ سَبَقْتَ الْقَوْلَ وَالْعِلْمَ وَالَّذِي	يُؤَدِّي إِلَى الْفَوْزِ الْعَظِيمِ أَوْ الْقَطْبِ

فلا ركن أشد من ركنك، وما نفعلك. وإنما قلنا: إِنَّكَ أَشَدُّ الْأَرْكَانِ مَنْ كُنَ الْقَضَاءُ مَا جَرَى عَلَيْكَ إِلَّا بِمَا كَتَبْتَ بِدَاك²؛ وهو ما أعطته قدرتك؛ فَأَضَافَ الْفِعْلَ إِلَيْكَ. وليس إِلَّا ما قَرَّرناه من أَنَّهُ مَا عِلْمُ مَنْكَ إِلَّا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ. فإذا وَهَى رُكْنُكَ، بالنظر إلى غرضك، فَلَمْ تَفْسَكَ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ الْمَحْكُومَ بِهِ تَابِعٌ أَبَدًا لِحَالِ الْمَحْكُومِ بِهِ عَلَيْهِ. فالمحكوم عليه هو الذي جنى على نفسه، لا الحاكم بالمحكوم به. وإنما تعددت الأركان من أجل الحُجُبِ التي أرسلها الحق بينك وبين الأصل، وكون الأمر جعله مثل البيت على أربعة أركان: ركن العلم، وركن القول -وهو قوله ﷻ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾³- وركن المشيئة، وركن الأصل؛ وهو أنت، وهو الركن الأول من البيت، والثلاثة الأركان توابع. فمن الناس من استند في حاله إلى علم الله فيه، ومنهم من استند إلى مشيئته، ومنهم من استند إلى ما كتب الله عليه.

وصاحبُ النوق مَنْ يرى جميعَ ما ذَكَرناه، ووقف مع نفسه، وقال: "أنا الركن الذي مرجع الكل إليه". فهو الأول الذي انبنى من هذا البيت. ولكن صاحبه عزيز؛ فَإِنَّ الصَّحِيحَ عَزِيزٌ، فَالْكَلِّ مَعْلُولٌ عَنْدهم.

1 من 80

2 من 80.

3 [الجبابة : 29]

وعندي: إنَّ العالم هو عينُ العلة والمعلول، ما¹ أقول: إنَّ الحقَّ علةٌ له، كما يقوله بعض النظار؛ فإنَّ ذلك غاية الجهل بالأمر. فإنَّ القائل بذلك ما عرف الوجود، ولا من هو الموجود؟ فأنت بما هذا - معلول بعلة، والله خالقك، فافهم.

واعلم أنَّه من أوجدك له، لا لك؛ ففي حقِّ نفسه عيّل، لا في حقِّك؛ فما أنت المقصود لعينك. قال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾² فذكر ما ظهر وهو: مسعى الإنسان، وما استتر وهو: مسعى الجن. فإذا نظرت إلى هذا الخبر، وسعدت أنت بهذه الوجوه؛ فإنما سعدت بحكم التبعية. فاعلم ما يقول له إذا قرّر عليك التعم؛ فإنما يقررها عليك لسان الإمكان. فإن شئت فاسمع واسكت، وإن شئت فتكلّم كلاماً يسمع منك؛ وليس إلّا أن تقول له ما قاله. فبكلامه تحتج³؛ إن أردت أن تكون ذا حجة. وإن تأدبت وسكت؛ فإنه يعلم منك على ما سكت وانطويت عليه.

فأكلُ حقٍّ ينبغي أن يقال ولا يذاع، ولا سميّاً في موطن الإشهاد، والخصم قويّ، والحاكم الله، ولا يحكم إلّا بالحقّ الذي سأل منه رسول الله ﷺ أن يحكم به في قوله: ﴿قُلْ رَبِّ اخْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَقْنَاءُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾⁴ ولولا ما هو الرحمن ما اجترأ العبد أن يقول: ﴿رَبِّ اخْكُم بِالْحَقِّ﴾ فإنه - تعالى - ما يحكم إلّا بالحقّ، فإنه ما يتعدى علمه فيه الذي أخذه منه أزلا، وظهر حكمه أبداً ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 81

2 [النار: 56]

3 هرا في ق: تحتج

4 ص 81 ب.

5 [الأنبياء: 112]

6 [الأحزاب: 4]

الباب الأحد والأربعون وأربعائة
في معرفة منازل: عيون أفئدة العارفين
ناظرة إلى ما عندي، لا إليّ

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مَا عِنْدِي لَمَا نَظَرْتُ	عُيُونُ أَفئدة العارفين سِوَاكَ
فَإِنْ ظَلَرْتُ بِعَيْنِ الْجَنَحِ نَحْطُ بِنَا	وَأِنْ ظَلَرْتُ بِأُخْرَى كَانَ ذَاكَ هَوَاكَ
مَا فِي الْوُجُودِ وَجُودٌ غَيْرَ خَالِقِهِ	وَمَا هُنَا عَيْنٌ شَيْءٍ لَا يَكُونُ هُنَاكَ
بَلْ كُلُّهُ عَيْنُهُ جَمَعَا وَتَهَرَّقَ	إِنْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا كَوْنِي فَلَيْسَ بِذَاكَ

قال¹ الله ﷻ في العارفين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ النُّعْمِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ ولم يقل: "علموا" ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾² ولم يقولوا: "علمنا" ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ولم يقل: "نعلم" ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَعُ﴾ وما قالوا: "نتحقق" ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾³ وهي الدرجة الرابعة. ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ ولم يقل: "بما علموا" ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُخْسِنِينَ﴾⁴ والجَنَّت عند الله. فلها قال: "ناظرة إلى ما عندي" فإنه قال في حق طائفة أخرى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاجِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁵ على أن تكون "إلى" حرف أداة غاية، لا يكون اسم جمع النعمة؛ فإن ذلك في اللفظ يحمل. ولهذا ما هي هذه الآية نص في الرؤية يوم القيامة.

وإذا كان الأمر هكذا؛ فاعلم أن الله قد فرق بين العارفين والعلماء بما وصفهم به، وميز بعضهم عن بعض؛ فالعلم صفته، والمعرفة ليست صفته. فالعالم إلهي، والعارف رباني، من حيث الاصطلاح. وإن كان العلم والمعرفة والفقه كله بمعنى⁶ واحد؛ لكن يُعقل بينها تميز في الدلالة، كما تميزوا في اللفظ؛ فيقال في الحق: إنه عالم، ولا يقال فيه: عارف، ولا فقيه. ويقال هذه الثلاثة الألقاب في الإنسان. وأكمل الثناء - تعالى - بالعلم على من اختصه من عباده، أكثر مما أتى به على العارفين؛ فقلنا أن اختصاصه بمن شاركه في

1 ص 82

2 [المائدة : 83]

3 [المائدة : 84]

4 [المائدة : 85]

5 [القيامة : 22، 23]

6 ص 82 هـ.

الصفة، أعظم عنده؛ لأنه يرى نفسه فيه. فالعالم يرى الحق، ولا يكون العارف، ولا الفقيه مرآة له تعالى. وكل عالم عندنا لم تظهر عليه ثمرة علمه، ولا حكم عليه علمه، فليس بعالم؛ وإنما هو ناقل. والعلم يستصحب الرحمة بلا شك. فإذا رأيت من يدعي العلم، ولا يقول بشمول الرحمة؛ فما هو صاحب علم. فإن الرحمة تتقدم بين يدي العلم؛ تطلب العبد، ثم يتبعها العلم، هذا هو علم الطريق الذي درج عليه أهل الله وخاصته، وهو قوله: ﴿أَتَيْنَاهُ زَحَمَةً مِنْ عَيْنَيْنَا وَعَلَفْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا﴾¹ وهذا هو علم النوق، لا علم النظر.

واعلم أن العارفين هم الموحّدون. والعلماء، وإن كانوا موحّدين، فمن حيث هم عارفون، إلا أن لهم علم النسب؛ فهم يعلمون علم أحدية الكثرة، وأحادية التمييز، وليس هذا لغيرهم. ويتوحد² العلماء وحّد الله نفسه؛ إذ عرّف خلقه بذلك. ولما أراد الله سبحانه أن يصف نفسه لنا بما وصف به العارفين، من حيث هم عارفون، جاء بالعلم؛ والمراد به: المعرفة؛ حتى لا يكون لإطلاق المعرفة عليه تعالى - حكم في الظاهر، فقال: ﴿لَا تَقْلُوبُونَهُمْ اللَّهُ يَتْلُوهُمْ﴾³ فالعلم هنا بمعنى المعرفة، لا غير.

فالعارف لا يرى إلا حقًا وخلقًا، والعالم يرى حقًا وخلقًا في خلق؛ فيرى ثلاثة؛ لأن «الله وتر يحب الوتر» فهو مع الله على ما يحبّه الله مع الكثرة، كما ورد: «إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحد» «إنّ الله وتر يحب الوتر» فما تسقى إلا بالواحد الكثير، لا بالواحد الأحد.

وإنما قلنا في العارف: إنّه ربّاني؛ فإنّ الله لما ذكر من وصفه بأنّه عرف، قال عنه: إنّه يقول في دعائه: "ربّنا"، لم يقل غير ذلك من الأسماء، وقال رسول الله ﷺ فيه مثل ذلك: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» وما قال: "عَلِمَ" ولا قال: "إِلَه" فلزنا الأدب مع الله تعالى - ومع رسوله ﷺ؛ فأنزلنا كلّ أحد منزله من الأسماء والصفات. ومن أراد تحقيق الفرق بين المعرفة والعلم؛ فعليه بمطالعة ما ذكرناه في "مواقع النجوم" لنا؛ فإنّي شفيت في ذلك الغليل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [الكهف : 65]

2 ص 83

3 [الأخلاق : 60]

4 [الأحزاب : 4]

الباب¹ الثاني والأربعون وأربعائة
في معرفة منازلة: من رآني وعرف أنه رآني
فما رآني

مَا يَرَانِي غَيْرَ الَّذِي مَا يَرَانِي	مَنْ رَأَانِي وَقَالَ يَوْمًا رَأَانِي
وَبِمَا رَأَى الْقَلْبُ هَذَا	إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي وَجُودِي
بِحَنَانٍ يَفْكَرُهُ أَوْ عِيَانٍ	يَذْهَبُ الْعِلْمُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ
فِي سُلُوبٍ يُعْطِيكَهَا فِي يَسَانٍ	فَلْيَلِي يَنْفِي الثُّبُوتَ وَيَقْضِي
فِي كُشُوفٍ يَكُونُ أَوْ فِي جِنَانٍ	وَعُيُونٍ تَعْلَقُ بِبِشَالٍ
وَالَّذِي تُذَرِّكُ الْجُثُثُ كِيَانِي	هُوَ لَا مُذَرِّكَ يَبْقِي وَعَقْلٍ

قال الله تعالى- إن² موسى قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال له ربه: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾³ لأنه قال: "أنظر" بالهمزة- فلو قال بالنون، أو بالياء، والتاء، ربما لم يكن الجواب: "لَنْ تَرَانِي" والله أعلم. والسؤال بجل في قوله: ﴿أَنْظُرْ﴾ والجواب بجل في قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾.

اعلم أن رؤية المرئي تعطى العلم به، ويعلم الراقي أنه رآه أمراً ما، وقد أحاط علماً بما رآه. ورأينا الذي يرى الحق لا تنضبط له رؤيته إياه، وما لا ينضبط لا يقال فيه: إن الذي رآه عرف أنه رآه؛ إذ لو رآه لَعَلَّمَهُ، وقد علم بتنوع الصور عليه في ترداد رؤيته مع أحدية العين في نفس الأمر؛ فما رآه حقيقة. فلا يعلم الحق إلا من يعلم أنه ما رآه.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ بعيني؛ فإن الرؤية بأداة "إلى" رؤية العين. قال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ بعينك؛ لأن المقصود من الرؤية حصول العلم بالمرئي، ولا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما تراه في الرؤية التي

1 ص 83 هـ.

2 ص 84 هـ.

3 [الأعراف : 143]

تقدّمْتُ؛ فلا يحصل لك علم برؤية أصلا في المرئي؛ فقال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ فإني لا أقبل من حيث "أنا" التنوع، وأنت ما ترى إلا متنوعا، وأنت ما تتوَعَّث. فما رأيتي، ولا رأيْتُ نفسك.

وقد رأيْتُ، فلا بدّ أن تقول: "رأيْتُ الحقَّ" وأنت ما رأيتي؛ فلم تصنُق، أو تقول: "رأيْتُ نفسي" وما رأيْتُ نفسك؛ فلم تصنُق. وما¹ ثمّ إلا أنتَ والحقُّ، ولا واحد من هذين رأيْتُ، وأنت تعلم أنّك رأيْتُ؛ فما هذا الذي رأيْتُ؟ فلن تراني بعينك. فهل إذا كان الحقُّ بصرَك؛ هل يمكن أن تصنُق في أنّك رأيته إذا رأيْتُ؟ أو الحال واحدة في بصره إذا كان في مادّة عينك، أو بصرَك؟ وهذا مشهّد من مشاهد الحيرة في الله تعالى.

ولا تتعجّب من طلب موسى عليه السلام رؤية ربّه؛ فإنّه ثمّ مقامٌ يقتضي طلب الرؤية، والإنسان بحكم الوقت؛ فإنّ الوقت حكمه مطلق؛ حقّا وخلقا. وهذا القدر كاف في هذه المنازلة؛ فإنّ مجالها لا يتسع لأكثر من هذه العبارة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 ص 84.

2 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والأربعون وأربعمئة في معرفة منازلة: واجب الكشف العرفاني

فَوَاجِبُ الْكَشْفِ عِزْفَانٌ بِأَحَادٍ	إِنَّ الْمَعَارِفَ تُعْطَى وَاحِدًا أَبْنَا
مِنْ نَفْسِهِ وَلَهُ الْإِسْعَادُ فِي النَّادِي	فَلِإِنْ تَعْنَى إِلَى قَانٍ قَلْبُ لَهُ
الْعِلْمُ وَتَنَا فِإِسْعَادٍ بِإِسْعَادٍ	تُسَاعِدُ الْعِلْمَ وَتَنَا إِذْ يُسَاعِدُهَا
عِلْمٌ كَغُفْرَةٍ وَالْحُكْمُ لِلْبَادِي	لَا تَقْلُوبُهُمُ اللَّهُ يَغْلِبُهُمْ

اعلم أيدينا الله وإياك - أن الذي أوجب الكشف² العرفاني الطمع الطبيعي في الروبوتية؛ ليشهد ما هو عليه الرب من الصفات المؤثرة في الأكوان؛ فيظهر بها في رويته عن كشف وتحقيق؛ فلا يتعدى بالصفة أثرها. فإن الأسماء الإلهية تتقارب، وربما يختل من لا كشف له عليها، ولا ذوق له فيها؛ أنها متداخلة أو مترادفة، وإنما هي في أنفسها مشبهة، ولا يصل إلى تحقيق ذلك أحد إلا بالكشف.

إلا أن هنا دقيقة؛ وهي أن نسبة ذلك الاسم الإلهي إلى الرب تعالى - ما يكون على مثل نسبته إلى المخلوق؛ فإن الأمور إذا نسبت إلى شيء؛ تختلف نسبتها باختلاف من تُنسب إليه، وإن كان معنى ذلك الاسم المنسوب على حقيقة واحدة. فإذا اطلع أهل الكشف من نفوسهم على تهيؤ الحال التي تتأثر لها؛ يشوقها ذلك إلى تحصيل الوجوه التي تبقي عليها الأدب مع الله إذا أثر بها؛ لأنها قد علمت بالخبر الإلهي أنها مخلوقة على الصورة الإلهية، وأن³ الخلافة ما صحت لها إلا بالصورة، وأن كل إنسان ما هو على الصورة؛ فإنه ثم إنسان حيوان، وإنسان خليفة، ولم يعلم هذا الإنسان الطالب أي إنسان هو؛ هل هو الحيوان؟ أو الإمام؟

فأوجب له هذا الاطلاع أن يطلب من الحق تجلياً خاصاً في رويته، ويرى انفعال الأكوان عنه، كما قال الصديق: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله" فيرى صدور الأكوان عنه في الأكوان، ويرى صورة

1 ص 85

2 ق: "الكشف" مع إشارة بمسح حرف الواو

3 ص 85 هـ.

التعلّق؛ وهل يكون الحقّ في ذلك التجلّي - على صورة ما يتكوّن عنه؟ أو على صورة النّسبة التي يتكوّن بها، التي يقول للشيء: "كن" فيكون ذلك الشيء، ويرى من أين يقبل المأمور بالتكوين التكوّن: هل يقبله من أمر وجودي، أم لا؟ فإذا ظهر؛ هل يظهر بصورة الاسم الذي قال به الحقّ له: "كن"؟ أو يكون هو عين الصورة التي قال بها: "كن" فكانت في حقّ الحقّ اسماً، وفي جوهر المكوّن فيه خلقاً وصورة؟ وإذا كانت بهذه المثابة؛ فهل تبقى تلك الصورة الاسميّة على ما شهد بها في الحقّ؟ أو تظهر بذلك الاسم في صورة أخرى لتكوين عين أخرى لاختلاف الأمثال، لما بينهم من التميّز الذي به يقال: هذا ليس هذا، أو هذا مثل هذا؟

كلّ هذا يطلبه العارف حتّى¹ يقف عليه من نفسه، وهذا هو الشخص الذي يدعو إلى الله على بصيرة، ويكون من نفسه على بصيرة. ويرى تأثير الخلق في الخلق؛ هل هو أمر صحيح؟ أو هو تأثير حقّ في خلق؟ أو خلق في حقّ؟ أو حقّ في حقّ؟ أو هو المجموع؟ أو لا أثر في نفس الأمر؟ وإن ظهر أنّه أثر كما تقدّم في الرؤية؛ هل المرئيّ الحقّ؟ أو نفس الراي؟ وليس هذا وليس هذا، مع ثبوت مرئيّ لا يعرف ما هو؟ كذلك ربما يكون ثبوت أثر في الكشف وفي الوقوع. فإن جئنا محلّه حقّاً أو خلقاً؛ لم يصدق هذا الجفّل، وما تمّ إلّا حقّ وخلق؛ فأين محلّ الأثر؟ وهذا من أشكال ما تروم النفس تحصيله.

فإذا اطّلع العارف على الوجه الصحيح؛ انتقل من درجة المعرفة إلى درجة العلم؛ فكان عالماً إلهياً بعد ما كان عارفاً ربّانياً. ولا يقال: "إلهي"² إلّا فبين هذه صفته؛ فإنّ له الأمر العامّ الجامع. فإذا نظرت إليه؛ قلت: إنّه حقّ. ثمّ تنظر إليه؛ فتقول: إنّه خلق. ثمّ تنظر إليه؛ فتقول: لا حقّ، ولا خلق. ثمّ تنظر إليه؛ فتقول: حقّ، خلق. فتحار فيه حيرتك في الله؛ فحينئذ تعرف أنّه قد حصل الصورة، وإنّه فارق الإنسان الحيوان. ومتى لم يعرف الإنسان هذا من نفسه ذوقاً، وحالاً، وكشفاً، وشهوداً، فليس بالإنسان المخلوق² على الصورة، الذي له الإمامة في الكون، صاحب العهد؛ فإنّ الله لا ينال عهد الظالمين، وليس عندهم سيّء صورته، فاعلم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 86

2 ص 86 هـ.

3 [الأحزاب : 4]

الباب الرابع والأربعون وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ كُتِبَ لَهُ كِتَابُ الْعَهْدِ الْخَالِصِ لَا يَشْقَى

لَيْسَ يَمْخُو اللَّهُ خَيْرًا قَدْ كُتِبَ	هَكَذَا دَلُّ دَلِيلِي فَوَجِبَ
وَكُنَّا حُكْمَ تَجَلِيهِ فَا	يَتَجَلَّى ثُمَّ مِنْ بَقْدُ اخْتِجِبَ
كُلَّ مَا أُعْطَاكَ عِلْمًا لَا تَرَى	بَقْدَ هَذَا الْعِلْمِ بِحَمَلًا يَتَقَلَّبُ
وَلِهَذَا عَمِلُوا وَاجْتَهَدُوا	فَلِهَذَا الرَّبُّ فَاسْتَجِدَّ وَاقْتَرِبَ
يَحْكُمُ الْجُودُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ	مَا لَهُ مِنْ ذَاتِهِ حُكْمُ غَضَبٍ
فَيَكُونُ ¹ الْكُلُّ فِي رَحْمَتِهِ	بِافْتِنَانٍ وَوُجُوبٍ قَدْ كُتِبَ
يُظْلَعُ الشَّيْطَانُ فِي رَحْمَتِهِ	وَكُنَّا حُكْمَ غَيْبٍ يَكْتَسِبُ

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾² ألا إنه العهد الذي خلص لنفسه في وفاء العبد به، ما استخلصه العبد من الشيطان، ولا من الباعث عليه؛ من خوفٍ ولا رغبة، ولا جنة ولا نار. فإنه قد يكون الباعث للمكلف مثل هذه الأمور في الوفاء بعهد الله؛ فيكون العبد من الخالصين، ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصاً من حدٍّ مَنْ يعطي المشاركة فيه؛ فيميل العبدُ به عن الشريك. ولهذا قال فيه: ﴿حَقَّقَاءَ لِلَّهِ﴾³ أي مائلين به إلى جانب الحق الذي شرعه، وأخذَه على المكلفين من جانب الباطل؛ إذ قد سبَّاهم الحقُّ مؤمنين، في كتابه؛ فقال في طائفة إنهم ﴿آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾⁴ فكساهم حلة الإيمان. فما الإيمان خصوصاً بالسعداء، ولا الكفر خصوصاً بالأشقياء؛ فوقع الاشتراك، وتُمَيَّزُ قرائن الأحوال. فلم يبق يُعْرِفُ الإيمان من الكفر، ولا الإيمان من الإيمان، ولا الكفر من الكفر، إلاَّ⁵ بلباسه.

1 ص 87

2 [الزمر : 3]

3 [الحج : 31]

4 [التكوير : 52]

5 ص 87 ب.

فالمهد الخالص هو الذي لَمَّا أخذ الله ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾¹ ثم ولد كُلَّ بَنِي آدَمَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وهو قوله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» وهو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أَحَدٌ غَصْبًا فاستخلص منه؛ بل لم يزل خالصًا لنفسه في نسِّ الأمر، طاهرًا مطهرًا. ولكن هنا نكتة لا يمكن إظهارها؛ كما كان الحقُّ منزهاً لنفسه؛ ما هو منزَّةٌ لتزنيه عباده؛ ولهذا قال من قال من العارفين: "سبحاني".

فإذا وُلِدَ المولود ونشأ محفوظاً قَبْلَ التكليف كسهل بن عبد الله، وأبي يزيد البسطامي، ومن اعتنى الله به من أمثالهما؛ ممن كان من الناس قبلهما، وبعدهما، وفي زمانها ممن لم يصل إلينا خبره، كما وصل إلينا خبر هذين السيدين، ولم يرزأه في عهده هذا شيء مما ذكرناه آخفاً؛ فبقي عهده على أصله خالصاً، وهو الدين الخالص لا الخُلُص، فقام بالعبد من غير استخلاص؛ فما هو من العباد الذين أمرُوا أَنْ يعبُدُوا الله مخلصين؛ إذ لا فعل لهم في الاستخلاص؛ بل لم يعرفوا إلا هذا الدين الخالص، من غير شوبٍ خالطه؛ حتَّى يستخلصوه منه؛ فيكونون مخلصين. هذا لم يذوقوا له طعماً مثل² ما ذاقه الغير. ومَنْ كان هذا حاله من الدين فهو صاحب المهد الخالص فلا يشقى. فإنه لا يشقى إلا أهل المكابدة والمجاهدة في استخلاص الدين، ممن أمرهم الله أَنْ يستخلصوه منه، وليس على الحقيقة إلا هوى أنفسهم؛ وهؤلاء في المرتبة الثانية من السعادة.

والطبقة الأولى هم الذين يغبطهم الأنبياء والشهداء؛ أصحاب المنابر يوم القيامة، المجهولون في الدنيا. فهم لا يشفعون، ولا يستشفعون، ولا يرون للشفاعة قدراً في جنب ما هم فيه من الحال الطاهر القدوس، لا المقدس. ومن هذا المقام قال أبو يزيد: "لو شَقَعَنِي اللهُ فِي جَمِيعِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي بِعَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُ مَا شَقَعَنِي إِلَّا فِي لُقْمَةِ طِينٍ". يعني خلق آدم من طين، ونحن منه كما قال: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾³ خلقت تلك النفس من طين. فانظر ما أعجب إشارة أبي يزيد! ولِمَا كَ أَنْ يَخْطُرَ لَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ احْتِقَارٌ مِنْهُ لِمَقَامِ الْحَمْدِ الَّذِي لِحَمْدِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَفْتَحُ فِيهِ أَمْرُ الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ مَقَامٌ جَلِيلٌ.

1 [الأعراف: 172]

2 ص 88

3 [النساء: 1]

4 ن: احتقرا

واعلم أنه ما سمي مقاما محمودا لجُزء الشفاعة؛ بل لما فيه من عواقب الثناء الإلهي، الذي يُثني رسول الله ﷺ بها على ربه ﷻ مما لا يعلم بذلك الثناء الخاص اليوم. فما حمد إلا من أجل¹ الله، لا من أجل الشفاعة، ثم جاءت الشفاعة تبعاً في هذا المقام؛ فيقال له عند فراغه من الثناء: «سل تُعطه، واشفع تُشفع» فيشفع في الشافعين أن يشفعوا، فيبيح الله الشفاعة² للشافعين عند ذلك فيشفعون. فلا يبقى ملك، ولا رسول، ولا مؤمن، إلا ويشفع، من هو من أهل الشفاعة.

وأهل العهد الخالص على منابرهم ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾³ على قوسهم، ولا على أحد؛ لأنهم لم يكن لهم تبع في الدنيا. وكل من كان له تبع في الدنيا، فإنه وإن آمن على نفسه، فإنه لا يأمن على من بقي وعلى تابعه؛ لكونه لا يعلم: هل قصر وفترط فيما أمر به، أم لا؛ فيحزنه الفرع الأكبر عليه؟ تقول بعض النساء من العارفين لجماعة من رجال الله: "أرايتم لو لم يخلق جنة ولا ناراً؛ أليس هو بأهل أن يُعبد؟ تشير هذه المرأة إلى الدين الخالص، وهو هذا المقام، وهي رابعة العدوية ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁴ ويقول فيه أبو يزيد الأكبر: "لا صفة لي" فلو استخلص عهده لكان مخلصاً، وإذا كان مخلصاً كان ذا صفة؛ فلم يصدق في قوله، وهو عندنا صادق.

وهذه الطائفة هم الذين عمهم قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وهذا العهد الخالص؛ فأمسكه الله عليهم، ﴿فَبِمَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي من وقى بعهده؛ فإن التَّخَبُّ (هو) العهد ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ لأن العبد ما دام في الحياة الدنيا لا يأمن التبديل؛ فإن الله يفعل ما يريد. وما يدري العبد على الحقيقة مما كان عليه من الحال في حال عدمه؛ إذ كان مشهوداً لله، لا لنفسه، إلا ما مضى، وما يقع فهو في علم الله؛ فلا يأمن مكر الله لعلمه بالله ﴿وَمَا يَدَّبُلُوا تَبْدِيلًا﴾⁵. فلله رجال هذه المثابة، جعلنا الله منهم. فما أعظم بشارتها من آية، ولا بلغ إلينا تعيين أحدٍ من أهل هذه الصفة إلا طلحة بن عبيد الله، من العشرة، صح فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هذا من قضى نَحْبَهُ» وهو في الحياة الدنيا؛ فأمن من التبديل. وهذا عظيم.

1 ص 88.

2 "يشفع في... الشفاعة" آية بالهامش مع إشارة التصويب

3 [الأنبياء: 103]

4 [المائدة: 54]

5 ص 89

6 [الأحراب: 23]

ويدخل في هذا المقام وإن لم يبلغ فيه مبلغ من له العهد الخالص بالأصالة- من عاهد¹ الله على القيام بدينه عند توبته، فوقى بما عاهد عليه الله. قال لي السيد سلطان الدبلي: "إن له خمسين سنة ما خطر له خاطر سوء" فثل هذا يلحق بهؤلاء إذا مات عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ²﴾ وكل من جدد عهدا مع الله فهو من الخالصين، ما هو ممن له الدين الخالص.

فصاحب الدين الخالص، مما تجدد له من الله حكم بشرع ما لم يكن يعرفه قبل ذلك، وقد كلفه الحق به في كتابه أو³ على لسان رسوله؛ فإن هذا العبد يتلقاه بالدين الخالص، والعهد الأول، ولا يضربه جملة بالمسألة المتيقنة الخاصة. هذا لا يقدح في صاحب هذا المقام، كأبي بكر الصديق الذي ما رأى شيئا إلا رأى الله قبله؛ بالدين الخالص، والعهد الإلهي الذي كان عليه، وفي شهوده. ولها أنا واجهه رسول الله ﷺ بالإيمان برسالاته؛ بآزر، وما تلكا، ولا طلب دليلا على ذلك منه؛ بل صدقه بذلك العهد الخالص؛ فإنه رأى رسالاته هناك، كما رأى رسول الله ﷺ نبوته قبل وجود آدم كما روي عنه: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» أي لم يكن موجودا، وإنما عرف بذلك لقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ⁴﴾ وكان هذا قبل الميثاق قبل وجود جسد آدم، فلما وجد آدم وقبض الحق على ظهره، واستخرج منه كأمثال النثر، يعني ينثر؛ أشهدهم على أنفسهم كما جاء في القرآن؛ فشهدوا؛ فهذا هو الميثاق الثاني. والميثاق الأول هو ما أخذه على الأنبياء. فلما ولدوا (هؤلاء النرية) ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ⁵﴾ ومنهم من خذله الله فأشرك. جعلنا الله من قضى نجه ولم يبدل، آمين بعزته ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁶﴾.

1 ق: عهد
2 [الفتح : 10]
3 ص 89
4 [الأحزاب : 7]
5 [الأحزاب : 23]
6 [الأحزاب : 4]

الباب¹ الخامس والأربعون وأربعائة
في معرفة منازلة: هل عرفت أوليائي
الذين أدبهم بأدبي؟!

أَنْبِيَاءُ اللَّهِ مَا أَدَّبَهُمْ	غَيْرُهُ فَاغْتَصَصُوا بِالْأَدَبِ
فَهُمُ السَّادَةُ لَا تَغْذُلُهُمْ	هَكَذَا عَيْنُهُمْ فِي الْكُتُبِ
فَالَّذِي يَفْشِي عَلَى آثَارِهِمْ	هُوَ مَغْلُودٌ بِذَا فِي التَّجَبِ
فَإِذَا كَانَ كَذَا ثُمَّ كَذَا	لَمْ يَزَلْ لِقَاكَ خَلْفَ الْحُجُبِ
أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِمْ تَابِعُهُمْ	فَتَرَاهُ مِثْلَهُمْ فِي النَّصَبِ
لَزِمُوا الْخِزَابَ حَتَّى وَرِمَتْ	مِنْهُمْ أَقْدَامُهُمْ فِي قُرْبِ

قال الله تعالى:- ﴿قُلْ² إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ³ وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ذَلَّ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ذَلَّ. فَالْحُبُّ ذَلِيلٌ، وَالْحُبُّ ذُو إِدْلَالٍ وَذِلَالٍ. وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ أَدَبِي».

واعلم أنه لتعريف الله بمنزل الخلق عنده من وقي وغيره، طريقتين: الطريق الواحدة (هي) الكشف؛ فيرى منازل الخلق عند الله؛ فيعامل كل طائفة بمنزلها من الله. والطريق الأخرى: ملازمة الأدب الإلهي. والأدب الإلهي هو ما شرعه لعباده في رسله، وعلى ألسنتهم. فالشرائع آداب الله التي نصبها لعباده. فمن وقي بحق شرعه فقد تأدب بأدب الحق، وعرف أولياء الحق. فإذا رأيت من جمع الخير يديه وملأها به؛ فتعلم أنه قد أخذ بأدب الله؛ فإن رسول الله ﷺ يقول لربه -وهو الصادق العالم بربه-: «والخير كله بيدك».

فالخير، إذا أردت أن تعرفه، فاعلم أنه جاع مكارم الأخلاق، وهي معروفة عزفاً وشرعاً. وكل ما تراه

1 ص 90
2 ص 90.
3 [آل عمران : 31]

من إقامة الحدود على مَنْ لو لم يأمرك الحقّ بذلك لكنت تغفو عنه، فذلك لا يقدح في مكارم الأخلاق مع هذا الشخص. فإنك ما فعلت به ما فعلت لنفسك؛ وإنما الله فعل بعبد ما شاء على يدك¹، وكلاكما عبد سيّد واحد. وإنما كلامنا فيما يرجع إليك، لا لأمر سيّدك. فإنه من مكارم الأخلاق في العبيد؛ امتثال أوامر سيّدهم في عبادته، والوقوف عند حدوده ومراسمه فيهم ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ²﴾ فكونهم حادّوا الله ورسوله؛ هو الذي عاد عليهم. فهم جئوا على أنفسهم، ما جنى عليهم صاحب مكارم الأخلاق.

فمن تعرّض لأمرٍ فقد أحبّ أن يُعرّض إليه فيه؛ لما فعلت معه في عدم ودك فيه - إلا ما أحبب. ولا تكون مكارم الأخلاق إلا أن تفعل³ مع الشخص ما يحبّه منك. فإنه قد بغضك أولاً؛ لإيمانك بالله واليوم الآخر، واتخذك عدواً. فمن مكارم خلقك معه أن تتلطّف به في إيمانه، فإن لم ينفع فلتنفّاه بالقهر، فإن لم يفعل ولجّ؛ فقد رث على قتله؛ فاقتله بمكارم خلقي منك حتى لا يبقى في الحياة الدنيا؛ فيزيد كفراً وطغياناً؛ فيزيده الله عذاباً، كما فعل من شهد الله له بأنه رحيم؛ وهو خسر؛ اقتلع رأس الغلام وقال: إنه طبع كافراً؛ نلو عاش أرق⁴ أبوه طغياناً وكفراً، وانتظم الغلام في سلك الكفار. فقتله الخضر - رحمة به وبأبوه. أما الصبيّ فحيث أخرجه من الدنيا على الفطرة؛ فسعد الغلام، والله أعلم، وسعد أبواه، وهذا من أعظم مكارم الأخلاق.

كان بعض الصالحين يسأل الله الفزاة، فلا يسهّل الله له أسبابها، ويحول بينه وبين الجهاد في سبيل الله. وكان من الأولياء الأكابر عند الله، ممن له حديث مع الله. فبقي حائراً في تأخّره، وتعذّر الأسباب عليه، مع ما قد حصل في نفسه من حبّ الجهاد لما فيه من مرضاة الله، ولما للشهداء عند الله. فلما علم الله أنّه قد ضاق صدره لذلك؛ أعلمه الله بالطريقة التي كان يأخذ العلم عن الله بها. فقال له: "لا يضيق صدرك من أجل تعذّر أسباب الجهاد عليك، فإنّي قضيتُ عليك؛ لو غزوت لأيسرت، ولو أسرت لتنصّرت ومثّ نصراتنا، وإن لم تغز بقيت سالماً في بيتك، ومثّ عبداً صالحاً على الإسلام". فشكر الله على ذلك، وعلم أنّ الله تعالى - قد اختار له ما هو الأسعد في حقّه. فسكن خاطره، وعلم أنّ الله قد

1 ص 91

2 [المجادلة: 22]

3 ق. س: فعل

4 ص 91 ب.

اختار له ما له فيه¹ الخير عنده. فهذا أيضا، من آداب الله الذي ينبغي للعبد أن يتأدب بها مع الله.

فإذا رأيت من سلم واستسلم، وقامت به آداب الحق، وقام بها في نفسه، وفي عبادته، وتأدب مع الصفة لا مع الأشخاص، وبتخيل صاحب الصفة أنه تأدب معه، وما عنده خبر بحال هذا الأديب؛ فإنه ينظر العالم بعين الحق، وعين الحق تنظر إليهم بما أعطاهما علم الله بهم، وعلم الله بهم ما هم عليه من الأحوال. فإن النوات التي تقوم بها الأحوال، لا تحكم عليهم، من حيث نواتهم، سعادة ولا شقاء، وإنما ذلك بما يقوم بالنوات من الصفات. فالصفات لا تتصف بالشقاء لأنها، ولا بالسعادة. والنوات الحاملة للصفات لا تتصف أيضا- لنفسها وعينها، بسعادة ولا شقاء. فإذا قامت الصفات بالنوات، وظهرت أحكامها فيها؛ انصفت النوات بحسب ما حصل من الامتزاج الذي لم يكن ولا لواحد منها على الافراد؛ فقل عند ذلك- في الشخص: سعيد أو شقي.

فانظر ما أعجب حديث السعادة والشقاء؛ حيث لم يظهر واحد منها إلا بحسب الامتزاج. كما لم يظهر سواد² المداد إلا بامتزاج العنق والوراج، كما لم يظهر بياض الشقة إلا بين الشقة والقصرة. فالخوف كله من التركيب، والآفات كلها إنما تطرا على الشخص من كونه مركبا، والخروج عن التركيب يعقل وليس بواقع في العالم، أصلا، المركب. ولهذا قال أبو يزيد: "إنه لا صفة له" فإنه أقيم في معقولة بساطته؛ فلم ير تركبا؛ فقال: "لا صفة لي" فصدق. ولكنه غير واقع في الوجود الحسي العيني؛ فما تم إلا مركب يقبل السعادة أو الشقاء؛ بحسب ما تقتضيه مُزجته. فقد فرغ ركب، وما كان فراغه عن مانع شغل، وإنما أراد بذلك التنزيه؛ أي أن الأمور لا تقع إلا على ما هي عليه في نفسها. ومن عصمه الله من الزلل الذي يقتضيه هذا المشهد؛ فقد اعتنى الله به الاعتناء الأعظم. ومن هنا زلت الأقدام. كما جاء في الشريعة. نظيره لما ذكر النبي ﷺ من سبق الكتاب على العبد بالسعادة أو بالشقاء، فقالت الصحابة: يا رسول الله؛ ففيم العمل؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل منيسر لما يسر له».

وقد بين الحق بأرساله عليهم أسباب الخير وطرقه، وأسباب³ الشقاء والشر وطرقه، وجعل السلوك في طريق الخير بشري؛ فانظرها في نفسك. فإن وجدت الأمر عندك إذا كنت في الخير مثلا- واجدا باطنك وظاهره فيه على السواء، غير مرتاب؛ فتلك البشري؛ فانفرج بها في السعادة، فإن الله ما يذلك.

1 ص 92

2 ص 92.

3 ص 93

وإن رأيت الخير في ظاهرك، وتجد في باطنك نكتة من شك أو اضطراب فيما أنت فيه من عبادة، ويقع لك خاطر يقدح في أصلها بما يخالف ظاهر الفعل؛ فاعلم أن الله لم يعطك إيماناً، ولا نور قلبك بنوره؛ فأنك على نفسك أو اضحك؛ فما لك في الآخرة من خلاق. هذا ميزانك في نفسك، وأنت أعرف بنفسك، وما يخطر لك فيها. ولهذا قال رسول الله ﷺ في الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس» فإنه يبدو لله منه هذا الخاطر الذي يقدح في الإيمان، من الشك القائم به، إن الأمر الذي هو فيه من الشرع ما هو على ما يعطيه الظاهر، هذا هو البلاء المبين. «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس» يعني من المخالفات، والذي يبدو لله من باطنه خلاف هذا؛ من نور الإيمان والصدق مع الله؛ في أن هذا الحال التي هو عليها يخالف لأمر الله؛ فيبكي باطنا ويخالف ظاهراً؛ فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس. فقد أبان ﷺ في هذا الخبر ما الناس عليه في أنفسهم.

ثم لتعلم أن في ترجمة هذه المنازلة من الحق إشارة لطيفة المعنى في استفهامه ﷺ عما هو به عالم مثل قوله للملائكة: «كيف تركتم عبادي؟» والملائكة تعلم أنه تعالى - أعلم بعباده منهم، ﴿أَلَا تَقْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾² وجميع ما هم فيه خلقه تعالى - ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بسؤاله ﴿الْخَبِيرُ﴾ بما سأل عنه لأنه واقع. فكل علم عنده عن وقوعه فهو به خير، وتعلقه به قبل وقوعه هو به علم. فمن أدب الملائكة ليعلمهم بما قصد الحق منهم - أجابوه تعالى - فقالوا: «تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون» لأن عروج الملائكة عنهم ونزولهم عليهم كان عند صلاة العصر وصلاة الصبح. كذا ورد الخبر.

فأقول مجيباً للحق: عرفتم لما عرفت آدابك؛ فنسبتم إليك، فقلت: هؤلاء أولياء الله، وعلامتهم: إذا رؤوا ذكر الله؛ لتحققهم بالله؛ وليس إلا العبادة المحضة الخالصة التي لا تشوبها روية بوجه من الوجوه؛ فهذه³ آدابك. وكل نمت يرى فيهم، فيه رائحة روية، فهو أدب الخلافة، لا أدب الولاية. فالوحي ينصر ولا ينتصر، والخليفة ينتصر وينصر، والزمان لا يخلو من منازع، والوحي لا يسامح؛ فإن سامح فليس بوحي، ولا يؤثر على جناب الحق شيئاً؛ فهو كله لله. والخليفة هو الله في وقت، وللعالم في وقت. فوقنا يرجح جناب الحق غيرة، ووقتاً يرجح جناب العالم؛ فيستغفر لهم، مع ما وقع منهم، بما يغار له الوحي. وهؤلاء هم المفترسون؛ الذين تولى الله آدابهم بنفسه. يقول الخليفة: «لأن يدين على السبعين» في وقت، ويدعو على

1 ص 93.

2 [الملك: 14]

3 ص 94

رغل وذكوآن وعصية في وقت، وأين الحال من الحال؟

فالخليفة يختلف عليه الأحوال، والولي لا يختلف عليه الحال. فالولي لا يتهم أصلاً، والخليفة قد يتهم
لاختلاف الحال عليه؛ لما يدعي دعوى إلّا ويمجزه¹، مع صدقه، حال آخر يبدو منه. فأدّاب الأولياء
آداب الأرواح الملكية. ألا ترى إلى جبريل ~~عليه السلام~~ يأخذ حال البحر فيلقمه فرعون حتى لا يتلفظ بالوحيد،
ويسابقه مسابقة؛ غيرة على جناب الحق، مع علمه بأنه قد علم أنه لا إله إلا الله. وغلبه فرعون؛ فإنه قال
كلمة التوحيد بلسانه كما أخبر الله تعالى- عنه في² الكتاب العزيز؟! والخليفة يقول لعمه³: «قلها في أذني؛
أشهد لك بها عند الله» وهو يأبى. وأين هذا الحال من حال قول الخليفة الآخر: «زب لا تنز على الأرض
من الكافرين دياراً»⁴؟ ولعلمهم لو طال عليهم الأمد لرجعوا، أو في أصلاهم من يؤمن بالله؛ فتقرّ به أعين
المؤمنين.

فأدّاب الأولياء غضب في المنضوب عليهم لا رجوع فيه، ورضا في المرضي عنهم لا رجوع فيه؛ فإن
ذلك أدب الحق، والحق الواقع الواجب وقوعه. وآداب الخلفاء: الرضا في المرضي عنهم، والعفو وقتا
والنضب وقتا في المنضوب عليهم. ولهذا خصّ الأولياء دون غيرهم في قوله: "هل عرفت أوليائي؟" والكل
أولياء، ولكن أولياء لأسماء إلهية. وهؤلاء أولياء ياء الإضافة؛ فهم أولياء إنيّة، لا أولياء أسماء. وسأعزّك
بالفرق بين أسماء الكتابات والأسماء الظاهرة لمن شاء الله- في باب الأسماء من آخر هذا الكتاب ~~هو~~ والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل⁵.

1 عليها إشارة صرح، ومقابلها في الهامش: "ويكذّبه" وهم منه صفة أي من الظالمين

2 ص 4 صوب.

3 عمه: المقصود به أبو طالب ثم رسول الله (ص)، وجرى هذا الحديث معه عند احضاره.

4 [فوح: 26]

5 [الأحزاب: 4]

الباب السادس والأربعون وأربعائة
في معرفة منازل: في تعمير نواحي الليل
فوائد الخيرات

تَوَاشِيءُ اللَّيْلِ فِيهَا الْحَيَّرَ أَجْمَعُ	فِيهَا التَّزُولُ مِنَ الرَّحْمَنِ بِالكَرَمِ
يَذْنُو ¹ إِلَيْنَا بِنَا حَتَّى يُسَاعِدَنَا	بِمَا يَذْلِيهِ مِنْ طَرَائِفِ الْحِكَمِ
فَالْكُلُّ يَغْبِذُهُ وَالْكُلُّ يَشْكُرُهُ	إِلَّا الَّذِي خُصَّ بِالْخُسْرَانِ وَالنِّعَمِ
إِنَّ السَّوْءَ تَرَاهُ وَقَدْ غَفَلْتَهُ	يَبْكِي وَيَذْعُوهُ فِي ذَاخٍ مِنَ الظُّلَمِ
يَا رَبِّ يَا رَبَّ لَا يَنْبَغِي بِهِ بَدَلًا	خُلُقًا غَضِبْنَا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقَلَمِ ²

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَكَ عَلَى خَلْقِ عَظِيمٍ﴾³ وقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾⁴ ولما سُئِلَتْ عائشة عن خلق رسول الله عليه وسلم - قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» وإنما قالت ذلك لأنه أفرَدَ الخلق، ولا بد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعاً لمكارم الأخلاق كلها. ووصف الله ذلك الخلق بالعظمة، كما وصف القرآن في قوله: ﴿وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾⁵ فكان القرآن خُلُقَهُ.

فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ من لم يدركه من أمته؛ فليُنْظَر إلى القرآن. فإذا نظر فيه؛ فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ فكان القرآن انتشأ صورة جسمية يقال لها: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. والقرآن كلام الله، وهو صفته؛ فكان محمدًا صفة الحق تعالى - بجملة؛ فلمن يُطِيع الرسولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ⁷ لأنه لا ينطق عن الهوى؛ فهو لسان حق.

فكان ﷺ ينشئ في ليل هيكله، وظلمة طبيعته، بما وقفه الله إليه من العمل الصالح الذي شرعه له، صوراً عملية ليلية؛ لكون الليل محل التجلي الإلهي الزماني من اسمه النهر تعالى - يستعين بالحق؛ لتجليه

1 ص 95

2 جاء في القلم: أي في سورة القلم؛ إشارة إلى الآية الكريمة فيها: "وَلَيْسَ لَكَ عَلَى خَلْقِ عَظِيمٍ"

3 [القلم: 4]

4 [المزمل: 6]

5 [الحجر: 87]

6 ص 95 ب.

7 [النساء: 80]

في إنشائها على الشهود، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾¹ ولم تكن هذه الصور إلا الصلاة بالليل دون سائر الأعمال. وإنما قلنا بالاستعانة؛ لقوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» وقوله: ﴿اسْتَغِيثُوا بِاللَّهِ﴾² ولا يطلب العون إلا من له نوع تعمّل في العمل، وهو قوله: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾³.

فكن أنت يا وارثه- هو المراد بهذا الخطاب في هذا العمل؛ فيكون محمد ﷺ ما يُقَد من البار البنا؛ لأنه صورة القرآن العظيم. فمن كان خُلُقَه القرآن من ورثته، وأنشأ صورة الأعمال في ليل طبيعته؛ فقد بعث محمدا ﷺ من قبره. فحياة رسول الله ﷺ بعد موته (هي) حياة سُنته، ومن أحياء فكأنما أحياء الناس جميعا؛ فإنه المجموع الأتم، والبرنامج الأكل.

ولهذا قال في ناشئة الليل إنها ﴿أَقْوَمُ قِيْلًا﴾⁴ ولا أقوم قِيْلًا من القرآن، وكذلك ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي أعظم تمهيدا؛ لأنه قال: ﴿مَا قَرَرْتُنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁵ وليس إلا القرآن الجامع، وأشد ثباتا؛ فإنه لا يُنسخ كما نُسخَت سائر الكتب قبله به، وإن ثبت ما ثبت منها مما ورد في القرآن. ولهذا جاء بلفظ المفاضلة في الثبوت، فهو أشد ثبوتا منها لاتصاله بالقيامة، وفيه ما في الكتب وما ليس في الكتب، كما كان في محمد ﷺ ما كان في كل نبي، وكان فيه ما لم يكن في نبي؛ لأن القرآن كان خُلُقَه؛ فأُعطي هو وأُمَّته ما لم يُعطَ نبي قبله.

فإذا أنشأ من أنشأ صورة هذه الأعمال الليلية، وتَفَخَّ الحق لشهوده من كونه معينًا له أرواحها فيها؛ قامت حية ناطقة عن أصل كريم الطرفين: بين عبد متحقق بعبوديته؛ موفٍ حق سيده، لم يلتفت إلى نفسه، ولا إلى صورة ما خلقه الله عليها التي توجب له الكبرياء ببل كان عبدا محضا مع هذه المنزلة، ولهذا قَدِمَ ﴿يَاكَ تَقْبُدُ﴾ فإنه ما قبل الصورة إلا في ثاني حال، فقال بذاته: ﴿يَاكَ تَقْبُدُ﴾، وقال بالصورة: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁶ ثم رجع فقال: ﴿وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁷ فجمع بين الأمرين- وبين أمر ربٍّ عظيم؛ وقاه حَقَه على قدر ما شرعه له، لا يطالب

1 [الإسراء : 78]

2 [الأعراف : 128]

3 [الفاتحة : 5]

4 ص 96

5 [المرمل : 16]

6 [الأمام : 38]

7 ص 96.

8 [الفاتحة : 5]

9 [الفاتحة : 6، 7]

10 ق: "وبين أمر عظيم" وكتب فوق "أمر" لفظ "رب" فربما كان يقصد أنها بدلا عنها، أو أنها معها.

بغير ذلك؛ فإنه تعالى - هو الذي آدبه، أي جمع له وفيه جميع فوائد الحيرات.

فلما نشأت هذه الصورة العملية اللبئية بين هذين الطرفين الكريمين، كانت وسطا جامعة للطرفين؛ فكانت عبدا سيّدا، حقّا خلقا. وهذه الصفة أنشأ الله العالم ابتداء؛ فإنّ له في أسماؤه ونعوته الطرفين؛ فإنه وصف نفسه بما يتعالى به عن الخلق، ووصف نفسه بما هو عليه الخلق، ولم يزل بهذين النعتين موصوفا لنفسه، وهما طرفا بقيض، فجمع بين الضدين. ولولا ما هو الأمر على هذا؛ ما خلق الضدين في العالم، والمثلان ضدان؛ فيها ضدا المماثلة؛ حتى تعلم أنّ العالم على صورته في قبول الضدين؛ بل هو العالم عين الضدين صورة من أنشأه؛ فظهر العالم بالأصالة بين الطرفين، ومشى الأمر في خلق ما خلق الله¹ بأيدي العالم.

فللعالم إنشاء الصور، وللحقّ أرواحها وحياتها، كما قال في حقّ عيسى - **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ²﴾** في الصورة الخلقية **﴿فَيَكُونُ طَائِرا بِإِذْنِ اللَّهِ³﴾** فجعل الصورة للخلق، وكونها طائرا للحقّ. وفي إنشائك قال: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ⁴﴾** هو مثل **﴿تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ⁵﴾** ثم قال: **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي⁶﴾** وهو قوله: **﴿فَتَكُونُ طَائِرا بِإِذْنِي⁷﴾**. فمن كان مع الحقّ في مقام الشهود والجمع عند إنشاء العبد صور الأعمال؛ قامت حيّة ناطقة، وإن أنشأها على غير هذا النعت من الجمع والشهود؛ كانت صورا بلا أرواح؛ كصور المصوّرين الذين يقول الله لهم يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتكم» فلا يستطيعون؛ لأنّ الإحياء ليس لهم، وإنما هو الله. وأعني الإحياء الذي تقع به الفائدة من الحيّ. فإنّ الطبيعة تعطى حياة في الصورة، ولكن حياة لا فائدة معها، وهي الحياة التي توجد في المعنات. فليس في قوّة الطبيعة أكثر من وجود الإحساس، لا غير.

وأما القوى الروحانية التي عنها تكون الصانع العملية بالتفكر؛ فمن الروح الإلهي⁸. فمن علم مراتب الأرواح؛ يعلم ما أوماننا إليه في هذه المعجالة. **﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁹﴾**.

1 ص 97

2 [المائدة : 110]

3 [آل عمران : 49]، ولفظة "طائرا" هنا وفق قراءة ورش عن نافع.

4 [الحجر : 29]

5 [المائدة : 110]، ولفظة "طائرا" هنا وفق قراءة ورش عن نافع.

6 ص 97 ب.

7 [الأحزاب : 4]

الباب السابع والأربعون وأربعمئة
في معرفة منازل: مَنْ دخل حضرة الصّليح
نطق عني

يَكُونُ الْإِلَٰهُ هُوَ النَّاطِقُ	إِذَا طَهَّرَ الْعَبْدُ مِنْ كَوْنِهِ
زَكْوَعُ الصَّلَاةِ هُوَ الصَّادِقُ	كَثْلُ الْمُصَلِّي إِذَا قَامَ مِنْ
فَلَيْسَ يَقُومُ بِهِ عَائِقُ	يَثُوبُ عَنِ الْحَقِّ فِي نُطْقِهِ
وَكُلُّ شَرَابٍ لَهُ زَائِقُ	فَكُلُّ كَلَامٍ لَهُ صَادِقُ

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾¹ يعني: بها. ولا تشهد إلا بالأجنبية؛ إذ² لا بد من مشهود عليه. وإن لم يكن على ما قلناه، وكان عين الشاهد عين المشهود عليه، فهو إقرار، لا شهادة. وما ذكر الله تعالى - أنه إقرار؛ فدلّ على أن الجوارح ارتبطت بالنفس الناطقة، ارتباط الملك بملكه كما هو الأصل عليه. والأصل هو الحق، ولم يزل في أزله مدبراً، فلا بد أن يكون تدبيره في مدبر معين له أزلاً، وليس إلا أعيان الممكنات. فهي مشهودة له في حال عدما؛ فإنها ثابتة³. فيدبر فيها ما يكون من تقدم بعضها على بعض، وتأخرها في تكوين أعيانها، وصور ما يوجد فيها. وهناك هو سرُّ القدر الذي أخفى الله تعالى - علمه عن خلقه؛ حتى يظهر الحكم به في الصور الموجودة في رأي العين.

فكذلك لنا أراد الله إنشاء الأرواح المدبرة؛ فهي لا تكون إلا مدبرة؛ فإن لم يكن لها أعياناً وصوراً يظهر تدبيرها فيها؛ بطلت حقيقتها؛ إذ هي لئانها مدبرة. هكذا هو الأمر عند أهل الكشف.

وهنا سرٌّ عجيب غريب أومئ إليه ابن شاء الله - في هذا التفصيل. فنقول: إن الله أنشأ هذه الصور الجسدية من نور، و نار، و تراب، و ماء معين، على اختلاف أصول هذه النشآت المتعددة. فعندما كملت

[النور : 24]

2 ص 98

3 "فإنها ثابتة" منبته في الهامش بخط آخر مع إشارة الصحيح

4 ص 98

التسوية في الصورة التي هي محل تدبير الأرواح المدبرة؛ أنشأ الله منها، أي من قبولها، ما ينفخ فيها من أوجدها، وهو الفيض الدائم، أرواحا مدبرة لها، قائمة بها على صورة قبولها. فتفاضلت الأرواح لتفاضل النشآت؛ فلم يكونوا على مرتبة واحدة، إلا في كونهم مدبرين. فالأرواح المدبرة إنما ظهرت بصور مزاج القوالب؛ فلا تعدى الأرواح، في التدبير، ما تقتضيه الهياكل المدبرة. فانظر إلى أعيان الممكنات لله قبل ظهورها في عينا؛ لا يمكن أن يظهر الحق فيها¹ إلا بصورة ما قبله؛ فما هي على صورة الحق في الحقيقة؛ وإنما المدبر على صورة المدبر؛ إذ لا يظهر فيه منه إلا على قدر قبوله، لا غير. فليس الحق إلا ما هو عليه الخلق؛ لا يرى من الحق ولا يعلم غير هذا، وهو في نفسه على ما علم، وله في نفسه ما لا يصح أن يعلم أصلا. وذلك الأمر الذي لا يعلم أصلا هو الذي له بنفسه، المشار إليه بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾².

وهذا الذي نهناك عليه من العلم بالله تعالى - ما أظهرناه باختيارنا؛ ولكن حكم³ الجبر به علينا؛ نتحفظ به، ولا نتقل عنه؛ فإنه يعلمك الأدب مع الله تعالى. ومن هذا المقام نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَا تَنْفُسُكُمْ﴾⁴ أي ما أعطيتك إلا على قدر قبولك. فالفيض الإلهي واسع؛ لأنه واسع العطاء؛ فما عنده تقصير، وما لك منه إلا ما قبله ذاتك. فذاتك حجرث عليك هذا الواسع، وأدخلتك في الضيق.

فذلك القدر الذي حصل تدبيره فيك؛ هو رُبُّكَ الذي تعبد، ولا تعرف إلا هو. وهذه هي العلامة التي يتحول لك فيها يوم القيامة على الكشف، وهي في الدنيا في العموم على الغيب، يعلمها كل إنسان من نفسه، ولا يعلم أنها المعلومة له؛ ولهذا تقول العامة: إن الله ما عودني إلا كذا وكذا. فإذا فهمت هذا علمت أن الحق معك على ما أنت⁵ عليه، ما أنت معه. وقد نبهك على هذا في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَلَا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَعَهُ﴾⁶ ما أنتم معه. ولا يصح أن يكون أحد مع الله؛ فالله مع كل أحد بما هو عليه ذلك الواحد من الحال. فانظر إلى أفراد العالم؛ فما تراه فيه؛ فذلك عين الحق، لا غيره.

1 ق: "لها" وصححت فوقها "لها" بإشارة الصواب

2 [آل عمران: 97]

3 ص 99

4 [النساء: 79]

5 ق: "كنت" وكب فوقها بظلم الأصل: "أنت".

6 [الحديد: 4]

فَلَيْسَ¹ وَزَاءَ هَذَا الْكَشْفِ كَشْفٌ وَلَا مِنْ بَعْدِ هَذَا الْوَضْفِ وَضْفٌ
فُسُبْحَانَ الَّذِي يَسْدُو وَيَخْفَى وَشَاهِدُهُ بِأَنَا شَرَعٌ وَعُرْفٌ

فلا يصح التجريد عن التدبير؛ لأنه لو صح؛ بطلت الربوبية، وهي لا تبطل. فالتجريد مُحال، فلا
مستند للتجريد؛ لأنك لا تعقل إلهًا إلا مدبرًا فيك؛ فلا تعرفه إلا من نفسك؛ فلا بد أن تكون على
تدبير؛ فلا بد من جسم وروح؛ دنيا وآخرة، كل دار بما يليق بها من النشآت، وتنوع أرواحها لتنوعها
صورة الخلق والحق، كما تقدم ذكره في هذا الكتاب، في هذا المعنى في الترجمة عن الحق.

كُرِّ كَيْفَ شِلْتُ فَإِنِّي كَمَا تَكُونُ² أَكُونُ

هكذا هو الأمر في عينه، فَمَا اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ³.

1 ص 99
2 ق: "تناه" وكب فوقها هلم الأصل: "تكون".
3 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والأربعون¹ وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ كَشَفَتْ لَهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدِي بُهِتَ،
فَكَيْفَ يَطْلُبُ أَنْ يَرَانِي؛ هِيَاهُ!

إِذَا كَانَ مَا عِنْدَهُ حَاقِمًا	عَلَيَّ فَكَيْفَ بِنَا إِذْ تَرَاهُ
فَلَيْسَ تَرَاهُ بِسَوَى عَيْنِهِ	وَهَلْ تَمَّ عَيْنٌ تَرَاهُ بِسَوَاءِ
يُعَالِطُنَا بِوُجُودِ السَّوَى	وَعَيْنُ السَّوَى هُوَ عَيْنُ الْإِلَهِ
فَمَا مَكَانُنَا لَمْ يَزَلْ قَائِمًا	وَجُودًا وَفَقْدًا بِنَا فِي جِهَةِ
فَلَسْنَا بِسَوَاءٍ وَلَا نَحْنُ هُوَ	فَقَيْنُ ضَلَالَتِنَا مِنْ هُدَاهُ

قال الله ﷻ: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾² ولهذا كفر، وما كان إلا الشُّرُوءُ والفُرُوبُ³؛ وهو الوجدان والفقد. هذه شمس حق شرقت من المشرق، ولولا شروقها ما كان مشرقاً ذلك الجنب، ﴿فَأَبَتْ هِيَ مِنَ الْمُغْرِبِ﴾. وهذا في الحقيقة لو أتى بها؛ أي لو شرقت من المغرب؛ لكان مشرقاً؛ لما شرقت إلا من المشرق. فُهِتَ الكافر، وهو موضع البُهِت؛ لأنه غلِمَ أنه حيث كان الشروق لها؛ أتبعه اسم المشرق؛ فليس للمغرب سبيلٌ في نفس الأمر. فَمَا بُهِتَ الكافر إلا مِنْ عَجْزِهِ: كيف يوصل إلى إفهام الحاضرين مع قصورهم- موضع العلم فيما جاء به إبراهيم الخليل عليه السلام؟ فأظلم عليه الأمر، وتخبَّط في نفسه؛ فظهرت حجة إبراهيم الخليل عليه السلام أمام الحاضرين.

وإنما نسب الكفر إليه بالمسألة الأولى، فإنه علم ما أراد الخليل بقوله: ﴿زَيْيَ الَّذِي يُخْبِي وَيُبْهِتُ﴾ فستر؛ فسُي: كافراً، فقال: ﴿أَنَا أَخِي وَأُمِّيْتُ﴾ ويقال فمن أبقى حياة الشخص عليه إذا استحق قتله، أن يقال: أحياه. ولم يكن مراد الخليل إلا ما فهمه نمرود. فعُدل إبراهيم إلى ما هو أخفى في نفس الأمر وأبعد، وهو أوضح عند الحاضرين. فجاء بالمسألة الثانية: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ في أمر إبراهيم؛ كيف عدل

1 ص 100
2 [البقرة : 258]
3 ص 100 ب

إلى ما هو أخفى في نفس الأمر وأبعد؛ لإقامة الحجة؟! وقامت له¹ الحجة عليه عند قومه. فكان بهته في هذا الأمر المعجز الذي أعمى بصر الحاضرين عن معرفة عُذْرِهِ من الأوضح إلى الأخفى، فحصل من تعجبه وبهته في نفوس الحاضرين عَجْزُهُ، وهو كان المراد. ولم يقدر نمرود على إزالة ما حصل في قلوب العارفين الحاضرين من ذلك؛ فَعَلِمَ صدقَهُ، ولكنَّ الله ما هداه، أي ما وقَّفه للإيمان، لقوله ﷻ؛ فَإِنَّهُ عَالِمُ بَأْتِهِ (أي إبراهيم) على الحق.

ولا يصحُّ بَهْتٌ إِلَّا فِي تَجَلٍّ مَا عِنْدَ الْحَقِّ، وما عند الحقِّ إِلَّا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَا يَظْهَرُ إِلَيْكَ إِلَّا بِكَ؛ فَتَعَيَّرَ بِهِ فَيْكَ، وَتَكَبَّرَ مَا أَنْتَ بِهِ مُعَيَّرٌ فِيهِ؛ وَذَلِكَ لَجَهْلِكَ بِكَ وَبِرَبِّكَ. لَأَنْتَ لَوْ عَرَفْتَ نَفْسَكَ عَرَفْتَ رَبَّكَ. فَمَا تَمَّ إِلَّا خَلْقٌ؛ وَهُوَ مَا تَرَاهُ وَتَشْهَدُهُ. وَلَوْ فَتَشَّتْ عَلَى دَقَائِقِ تَغْيِيرَاتِكَ فِي كُلِّ نَفْسٍ، لَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُ حَالِكَ، وَأَنَّهُ، مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا هُوَ عَيْنُ ذَلِكَ كُلِّهِ. فَالْحَقُّ خَلْقٌ، وَمَا الْخَلْقُ حَقٌّ. وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ؛ أَلَيْسَ مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ ذَلِكَ جَبَلُ مُوسَى ﷺ؛ فَصَعَقَ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْبُهْتِ، وَمَا أَصْعَقَهُ إِلَّا مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ مَنْ طَلَبَ أَنْ يَرَى رَبَّهُ؛ فَلَقَا عِلْمَ مُوسَى ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، مِنْ صُورَةِ الْحَقِّ مَعَ الْعَالَمِ، قَالَ: ﴿تَبَّتْ إِلَيْنِكَ﴾ أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي² كُتِبَتْ طَلِبَتُهَا أَوَّلًا؛ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُهُ مِنْكَ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾³ بقولك: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ فَإِنَّكَ مَا قُلْتَ ذَلِكَ إِلَّا لِي، وَهُوَ خَيْرٌ؛ فَلَنَلِكَ الْحَقَّهَ بِالْإِيمَانِ، لَا بِالْعِلْمِ. وَلَوْلَا مَا أَرَادَ الْإِيمَانُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ مَا صَحَّتِ الْأَوَّلِيَّةُ؛ فَلِإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَمْ يَكُنْ (قَبْلَهُ غَيْرُهُ).

فَكُلُّ مَنْ آمَنَ بَعْدَ الْبُهْتِ أَوْ الصَّعَقِ؛ فَقَدْ آمَنَ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ فَهُوَ صَاحِبُ عِلْمٍ فِي إِيمَانٍ. وَهَذَا عَنِزُ الْوُجُودِ فِي عِبَادِ اللَّهِ، وَقَلِيلٌ فِي أَهْلِ اللَّهِ مَنْ يَبْقَى مَعَهُ الْإِيمَانُ مَعَ الْعِلْمِ. فَإِنَّهُ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى الْأَوْضَحِ؛ وَهُوَ الْعِلْمُ؛ فَقَدْ انْتَقَلَ عَنْ إِيمَانِهِ. وَالْكَامِلُ هُوَ الْمُؤْمِنُ فِي حَالِ عِلْمِهِ، بِمَا هُوَ بِهِ مُؤْمِنٌ، لَا بِمَا كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا؛ فَيُقَالُ فِيهِ: مُؤْمِنٌ عَالِمٌ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 101

2 ص 101 ب

3 [الأعراف: 143]

4 [الأحزاب: 4]

الباب التاسع والأربعون وأربعائة
في معرفة منازلة: قول من قال عن الله:
ليس عبيدي من تعبد عبيدي

العَبْدُ مَنْ لَا عَبْدَ لَهُ	سُبْحَانَهُ مَا أَكْمَلَهُ
قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ	كُلَّ وَجُودٍ أَمَلَهُ
مُسْتَبَيَّهَا وَمُخَيَّرَهَا	مُجْمَعَةً مُفَضَّلَةً
سَوَاءٌ إِذْ عَدَّهُ	وَيَقْدَ هَذَا فَضْلَهُ
بِكُلِّ عَيْنٍ أَشْهَدَهُ	بِكُلِّ عِلْمٍ فَضْلَهُ
فَقَاتِنَا أَنَا بِهِ	فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَلَهُ
حُزْنًا الْكَمَالَ كُلَّهُ	أَنَا وَهُوَ وَالْكُلَّ لَهُ

قال الله ﷻ لحمد (ص): ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ²﴾ فقلنا: الأمر كله لله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ³﴾ فهو الخلق والأمر.

اعلم أنه لا يملك المملوك إلا سيده، ولهذا يسمي الترمذي الحكيم الحق سبحانه:- مُلْكُ الْمُلْك. غير سيده ما يملك عبد؛ فإن العبد في كل حال يقصد سيده؛ فلا يزال يصرف سيده بأحواله في جميع أموره. ولا معنى للملك إلا التصريف بالقهر والشدّة، ومما لم يقدّر السيد بما يطلبه به العبد فقد زالت سيادته من ذلك الوجه.

وأحوال العبد على قسمين: ذاتية وعرضية. وهو بكل حال منها يصرف في سيده، والكل عبيد الله.

1 ص 102

2 [آل عمران : 154]

3 [الأعراف : 54]

فمن كان دنيء المنة، قليل العلم، كثيف الحجاب، غليظ القفا؛ ترك الحق وتعبّد عبيد الحق؛ فنانزع الحق في رويته؛ فخرج من عبوديته. فهو وإن كان عبداً في نفس الأمر، فليس هو بعبد مصطنع، ولا مختص. فإذا لم يتعبّد أحداً من عباد الله؛ كان عبداً خالصاً لله؛ فنصرف في سيّده بجميع أحواله. فلا يزال الحق في شأن هذا العبد خلّاقاً على النوام، بحسب انتقالاته في الأحوال. قال ﷺ: «خادمُ النّوم سيّدُهم» لأنّه القائم بأمورهم؛ لأنّهم عاجزون عن القيام بما تقتضيه أحوالهم. فمن عرف صورة التصريف؛ عرف مرتبة السيّد من مرتبة العبد؛ فيتّصف العبد بامتثال أمر سيّده، والسيّد بالقيام بضرورات عبده. فلا يتفرّغ العبد مع ما قرّناه من حاله، مع سيّده. أن يقتني عبداً يتصرّف فيه؛ لأنّه يشهد عياناً أنّ ذلك العبد الآخر يتصرّف في سيّده تصرّفه؛ فيعلم أنّه بطله عبدٌ لله؛ وإذا كان عبداً لله؛ لم يصحّ أن يتعبّده هذا العبد؛ فما ملك عبدٌ إلّا بحجاب.

لقيت سليمان الدنبلّي، فأخبرني في مباسطة كانت بيني وبينه في العلم الإلهي. فقلت له: "أريد أن أسمع منك بعض ما كان بينك وبين الحق من المباسطة؟" فقال: "نعم؛ باسطني يوماً في برّي في الملّك، فقال لي: إنّ ملّكي عظيم. فقلت له: ملّكي أعظم من ملّكك! فقال لي: كيف تقول؟² فقلت له: ميثلك في ملّكي، وليس بملك في ملّكك! فمن أعظم ملّكا؟ فقال: صدقت". أشار إلى التصريف بالحال والأمر، وهو ما قرّناه. فإذا علمت هذا؛ علمت قدرك، ورتبتك، ومعنى رويّتك، وعلى من تكون ربّاً في عين عبد، وهو بالعلم قريب، وبالحال أقرب، والدّ في الشهود ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَعْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 102 ب

2 ص 103

3 [الأحزاب : 4]

الباب الخمسون وأربعائة

في معرفة منازلة: مَنْ بُتَ لظهوري كان بي لا به،
سببانه- كان به لا بي، وهو الحقيقة، والأول مجاز

إِذَا بُتَ الْقَبْدُ فِي مَوْطِنٍ	فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْبَائِثُ
إِذَا قُلْتُ: يَا رَبِّ هَبْ لِي كَذَا	وَأَعْطَاكَهُ فَهُوَ الْقَائِثُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ غَيْنَنَا	فَبِاللهِ قُلْ لِي مِنَ الْمَائِثِ؟
إِذَا ¹ جِئْتُ لَيْلًا إِلَى مَنْزِلِي	وَبِتُّ بِهِ فَهِيَ الْبَائِثُ؟
هُوَ الْحَقُّ يَنْطَلِقُ فِي كَوْنِهِ	بِمَا شَاءَ وَأَنَا الصَّامِتُ
فَلَوْلَا اللَّجَيْنُ ² وَأَمْنَالُهُ	لَنَا فَضْلُ الْقَسْجَدِ ³ الصَّامِتِ
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ وَمِنْ عِزِّهِ	إِذَا تَكَلَّمَ الْعَالَمُ الْبَائِثُ
وَلَيْسَ يَفَارُ عَلَى عِزِّهِ	فَقَبْدُ الْإِلَهِ هُنَا الْبَائِثُ

قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾¹. اعلم أن عباد الله الذين أهلهم الله له، واختصهم من العباد؛ على قسمين: عبادٌ يكونون له به، وعبادٌ يكونون له بأنفسهم. وما عدا هؤلاء فهم لأنفسهم بأنفسهم، ليس لله منهم شيء. فلا كلام لنا مع هؤلاء، فإنهم جاهلون، ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

فأما العباد الذين هم له تعالى - بأنفسهم؛ فهم الذين تحققوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾² فهم العبيد الصِّمَّة، الشداد، الأشداء، الرحماء بينهم. وعلامتهم الاختصاص بجميع الأحوال؛ من نناء وبقاء، ومحو وإثبات، وغيبة وحضور، وجمع وفرق، إلى ما يقبله الكون من الأحوال. وكذلك من

1 ص 103 ب

2 اللجين: الفضة

3 المسجدة الذهب

4 [النص: 88]

5 ص 104

6 [النباتات: 56]

نعمتهم التي تنسب إلى المقامات من تركلي، وزهد، وورع، ومعرفة، ومحبة، وصبر، وشكر، ورضا، وتسليم، إلى سائر المقامات المذكورة في الطريق؛ فإن قوسهم قبل التفتير والتحويل؛ من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام.

ولكن ذلك كله لله؛ لئنا سمعوا دعاء لئاهم من هذه الأمور كلها؛ فدخلوا عليه بها ذوقا وحالا، لا علما ولا اعتقادا. فإن سائر المؤمنين، والعلماء -علماء الرسوم- يعلمون هذه الأمور كلها، ولكن لا قدم لهم فيها. فهؤلاء إذا تجلّى لهم الحق؛ لم يثبتوا لظهوره؛ لأنّ الحديث إذا ظهر له القديم يحو أثره؛ إذ لا طاقة للمحدث على رؤية القديم. ولهذا جاء الخبر الصحيح الإلهي بأنّ الحق قد يكون بصير- العبد وسمعه؛ حتى يثبت لظهور الحق في التجلي، أو في الكلام. ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان الحق سمعه؛ ثبت لكلام الله؛ فكلّمه¹، فلما وقع التجلي، ولم يكن الحق عند ذلك بصير موسى كما كان سمعه؛ صُبق ولم يثبت. فلو كان بصيره؛ ثبت.

وأما العبيد الآخرون؛ فهم له به. فيثبتون في كلّ موطن مهول من حادث وقديم؛ للقوة الإلهية السارية في ذواتهم؛ فلا يبقى حال ولا مقام إلّا ويظهرون به وفيه بطريق التحكم به والتصرف فيه. فهم يملكون الأحوال والمقامات، ولا يملكهم شيء إلّا ما قرّناه من الأمر الذي يملكه الحق؛ إذا كان الحق مُلك المُلْك؛ فبذلك القدر يكونون في ذواتهم. فبه تعالى- يسمعون ويصرون، ويأكلون ويشربون، وينامون ويقومون، وله يسمعون ويصرون، ويأكلون ويشربون، وينامون ويقومون. وهو قول رسول الله ﷺ في بعض خطبه في الثناء على الله: «فإنما نحن به وله».

فإذا اجتمع عبدان: الواحد له بنفسه، والآخر له به؛ أنكر من هو له بنفسه على من هو له به، ولم ينكر من هو له به على من هو له بنفسه؛ لأنّه عبدٌ محض خالص، والآخر حقٌّ محض خالص. والصورة الظاهرة منها: صورة خلق، والباطنة من هو الله بنفسه: صورة خلق، والصورة الباطنة من الآخر: صورة حق. فهذا يتصرف بحق² في حقٍّ لخلق، والآخر يتصرف بخلق في خلقٍ لخلق. ومنهم من يتصرف في حقٍّ لخلق بخلق، أعني من الذين هم بأنفسهم.

فخرى العوائد لمن كان الله بنفسه، والمنزلة لمن كان الله بالله. فهؤلاء أصحاب كرامات، وهؤلاء أهل منازل. وأصحاب الكرامات معلومون عند الله، معلومون عند الخلق. وأهل المنازل معلومون عند الله

وعند أبناء الجنس، مجهولون عند الخلق. إلا أن أهل خرق العوائد يَنْطَلِقُ في حالهم المكرُ الإلهي والاستدراج، وأهلُ المنازل مَخْلُصُونَ من المكر؛ لأنهم على بصيرة ويَنبَغُ من ربهم؛ فهم أهل وصول إلى عين الحقيقة. جعلنا الله وإياكم من عبيد الاختصاص آمين بعزته ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

الباب الأحد والخمسون وأربعمئة في معرفة منازل: في الخارج معرفة المعارج

لَوْلا وَجُودُ الْكَوْنِ فِي الْمَعَارِجِ مَا لَاحَ عَيْنُ الْحَرْفِ بِالْخَارِجِ¹
أَخْرَجَهُ² ضَرْبٌ مِثَالِ لَيْلِي قَدْ اِزْتَمَى فِي رَتَبِ الْمَعَارِجِ
فَالنَّفْسُ الدَّارِجُ فِي طَرِيقِهِ يَسِينُ عَنْ مَنَازِلِ الْمَنَارِجِ

قال الله تعالى: ﴿تَفْرَحُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾³ وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾⁴ وقال تعالى: ﴿رَفِيعَ الثَّرَاجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾⁵.

اعلم أنَّ الممكنات هي كلمات الله التي لا تنفذ، وبها يظهر سلطانها الذي لا يبعد. وهي مُركَّبات؛ لأنها أتت للإفادة، فصدرت عن تركيب يعبر عنه في اللسان العربي بلفظة: "كن" فلا يتكوّن عنه إلّا مركّب من روح وصورة. ثمّ تلتحم الصور بعضها ببعض لما بينها من المناسبات، فتحدث المعاني فينا بحدوث تأليفها الوضعي. وما وقع فيها الوضع في الصور المخصوصة إلّا لأنها؛ لا بحكم الاتفاق، ولا بحكم الاختيار؛ لأنها بأعيانها أعطت العلم الذي لا يتحوّل، والقول الذي لا يتبدّل، والمشينة الماضية.

فهي في الشهادة بحسب ما هي عليه في الغيب؛ فهي في الغيب بصورة كلّ ما تنقلب إليه في الظاهر بما لا نهاية له في الغيب من التقلب. وهو في الظاهر يبدو مع الآتات؛ إذ لا يصحّ دخول ما لا يتناهى في الوجود؛ لأنّ ما لا يتناهى لا ينقضي؛ فلا يقف عند حدّ. والمادّة التي ظهرت فيها كلمات الله -التي هي العالم- هي نفس الرحمن؛ ولهذا عبر عنه بالكلمات، وقيل في عيسى عليه السلام: إنه كلمة الله.

ثمّ اعلم أنّ الله تعالى- لما أظهر من كلماته ما أظهر؛ قدر لهم من المراتب ما قدر. فمنهم الأرواح

1 ق: "في الخارج" ومصححة فوقها مباشرة بقلم الأصل.

2 ص 105 ب

3 [المعارج : 4]

4 [فاطر : 10]

5 [غافر : 15]

6 ص 106

النورية، والنارية، والترائية، وهم على مراتب مختلفة، وكلهم أوقفهم مع نفوسهم، وأشهدهم إياها، واحتجب لهم فيها. ثم طلب منهم أن يطلبوه، ونصب لهم معارج يعرجون عليها في طلبها إياه¹؛ فدخل لهم بهذه المعارج في حكم الحد، وجعل لهم قلوبا يعقلون بها، ولبعضهم فكرا يتفكرون به. ثم جعل من معارجهم قبي المثلثة عنه من جميع الوجوه، ثم تشبه لهم بهم؛ فأثبت عين ما نفى. ثم نصب لهم الدلالة على صدق خبره إذا أخبرهم؛ فتفاضلت أفهامهم لتفاضل حقائقهم في نشأتهم.

فكل طائفة سلكت فيه مسالك، ما خرجت فيها عما هي عليه؛ فلم يجدوا في انتهاء طلبهم² إياه غير نفوسهم. فمنهم من قال بأنه هو، ومنهم من قال بالعجز عن ذلك، وقال لم يكن المطلوب متا إلا أن نعلم أنه لا يعلم؛ فهذا معنى العجز. ومنهم من قال: يعلم من وجوه وعجز عن العلم به من وجه.

ومنهم من قال: كل طائفة مصيبة فيما ذهب إلى، وأنه الحق؛ سواء سعد أو شقي؛ فإن السعادة والشقاء من جملة النسب المضافة إلى الخلق، كما نعلم أن الحق والصدق نسبتان محمودتان، ومع هذا فلها مواطن تدّم فيه شرعا وعقلا؛ فما تم شيء لنفسه، وما تم شيء إلا لنفسه؛ وبالجملة فالخلق كله مرتبط بالله ارتباطا يمكن بواجب، سواء عديم أو وجد، وسعد أو شقي. والحق من أسبائه مرتبط بالخلق؛ فإن الأسماء الإلهية تطلب العالم طلبا ذاتيا؛ فما في الوجود خروج عن التقيد من الطرفين؛ فكما نحن به وله، فهو بنا ولنا؛ وإلا فليس لنا رب ولا خالق، وهو ربنا وخالقنا. فبنا لكونه به، ولنا لكونه له. إلا أن له الإمداد فبنا الوجودي، ولنا فيه الإمداد العلمي. فتكليفه إيانا تكليف له؛ فبنا تكلف التكليف؛ فما كلفنا سيوانا؛ ولكن به لا بنا.

فتداخلت المراتب؛ فهو الرفيع الدرجات مع النزول الناقى، والخلق في النزول مع المروج والصعود الناقى؛ فما خرج موجود عن تأثير وجودي³ وعدي، ولا مؤثر في الحقيقة إلا النسب؛ وهي أمور عدمية؛ عليها روائح وجودية. فالعدم لا يؤثر من غير أن تشتم منه روائح الوجود، فالوجود لا أثر له إلا بنسبة عدمية. فإذا ارتبط النقيضان رهما الوجود والعدم- فارتباط الموجودين أقرب؛ فما تم إلا ارتباط والتفاف. كما به تعالى: ﴿وَالْتَفَتِ السَّائِى السَّائِى﴾⁴ أي التفأ أمرنا بأمره وانعقد؛ فلا ينحل عن عقده أبدا. ولنا تم،

1 ق: "إياها" ثم كتب حرف الهاء فوق "ها".

2 ص 106 ب

3 ص 107

4 تاج في الهامش بقلم الأصل

5 [القيامة: 29]

وهو الصادق، بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ فأثبت وجود ربه بك ﴿يُؤْمِنُ بِكَ﴾ يعني يوم يكشف عن الساق، ﴿النَّسَائِ﴾¹ رجوع الكل إليه: من سعيد، أو من شقي، أو من تائب، أو من استراح.

قال ﴿الَّذِينَ فِي الدِّجَالِ﴾: «إن جنته نار، وناره جنة» فأثبت الأمرين، ولم يزلها. فالجنة جنة ثابتة، والنار نار ثابتة، والصور الظاهرة لرأي العين قد تكون مطابقة لما هو الأمر عليه في نفسه، وقد لا تكون. وعلى كل حال فيها أمران لا بدّ منها؛ خيالا كان أو غير خيال. وإذا ارتبط الأمران كما قلنا- هذا الارتباط، فلا بدّ من جامع بينهما، وهو الرابط؛ وليس إلّا ما تقتضيه ذات كل واحد منهما، لا يحتاج إلى أمر وجودي زائد. فارتبطا لأنفسهما؛ لأنّه ما تمّ إلّا خلق وحقّ؛ فلا بدّ أن يكون الرابط أحدهما أو كلاهما. ومن المحال أن ينفرد واحد منهما بهذا الحكم دون الآخر؛ لأنّه لا بدّ أن يكونا عليه من قبول هذا الارتباط؛ فبهما ظهر، لا بواحد منهما.

ومع هذا الارتباط فما هما مغلان؛ بل كل واحد منهما ليس مثله شيء. فلا بدّ أن يميّزا بأمر، ليس في واحد منهما أمر الآخر، به يشار إلى كل واحد منهما. فالافتقار موجب للميل وقبول الحركة، والغنى ليس حكمه ذلك في الغنى. فإنا نعلم أنّ بين المغناطيس والحديد مناسبة وارتباطا لا بدّ منه، كارتباط الخلق والخالق، ولكن إذا مسكنا المغناطيس؛ جذب الحديد إليه؛ فعلمنا أنّ في المغناطيس الجذب، وفي الحديد القبول؛ ولهذا اتفعل بالحركة إليه. وإذا مسكنا الحديد؛ لم ينجذب إليه المغناطيس. فهما وإن ارتبطا؛ فقد افترقا وتميّزا. فالتاس؛ بل العالم، فقراء إلى الله، والله غنيّ عن العالمين.

هَكَكْنَا صُورَةَ الْوُجُودِ فَلَا تَلْتَفِتْ سِوَاهُ
فَبِهِ كَانَ شَفَعْنَا وَهُوَ الْوَاحِدُ الْإِلَهِ

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

[1] القيامة : 30

[2] ص 107 ب

[3] الأحزاب : 4

الباب الثاني والخمسون وأربعائة¹
في معرفة منازلة: كلامي كله
موعظة لعبيدي لو انتظروا

فَهَوِ الْمَوْفَى حَقُّ كُلِّ مَقَامٍ	مَهْمَا وَعَظْتَ فِعْظًا بَعَيْنِ كَلَامِي
مَغْنَاهُ إِلَّا إِنَّهُ يَفْهَمُ	جَمْعَ الْقُلُومِ قَدِيمَتَهَا وَحَدِيثَهَا
الْجَامِعَاتُ لِعَيْنِ كُلِّ كَلَامٍ	وَفِدَائُهُ أَلْفَاظُنَا وَخُرُوفُنَا
تَالِ الْأَنَامِ بِهِ يَفْهَرُ مَلَامٍ	فَتَقُولُ: قَالَ اللَّهُ بِالْحَرْفِ الْإِنِّي
وَالْكَشْفُ يَأْتِي مَا تَرَى أَخْلَامِي	فَتَرَدُّهَ أَخْلَامُنَا بِنَلِيلِهَا
بِمَقَارِحِ الْأَزْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ	وَالْحَكْمُ لِلْأَمْرَيْنِ عِنْدَ مَنْ ارْتَقَى
وَالْحَكْمُ لِلْإِقْدَامِ فِي الْأَقْدَامِ	فَانْظُرْ إِلَيْهِ مَتَرَهَا وَمُسَبَّهَا
نُورٌ يَمَارِجُهُ كَيَانُ ظِلَامٍ	عِلْمُ ² الْوُجُودِ؛ ضِيَاءُهُ وَظَلَامُهُ
فَنَفْسٌ تُشَاهِدُ فِي حِجَابِ غَمَامٍ	مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِبَيْتِهِ
حَكْمَتْ عَلَيْهِ مَشَارِقُ الْأَنَامِ	إِنِّي حَكَمْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِوَيْلِ مَا
مَعَ كَوْنِهِ يَنْسَوُ عَلَى الْحُكَامِ	فَالْهَرُ مَخْكُومٌ عَلَيْهِ وَحَاكِمٌ
مَعَ كَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَامِ	حَكَمْتُ عَلَيْهِ شَرَائِعَ وَذَلَالِ
يَدُوكَ لَكَ الْإِحْكَامُ فِي الْأَحْكَامِ	وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ فَظَرْتَ بَعَيْنِيهِ

قال الله تعالى - لبيته ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاجِدَةً﴾³ فقال بعض السامعين: ﴿سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾⁴ فاعتنى الله بأهل الإيمان فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵ فالتفت

1 ص 108

2 ص 108 ب

3 [سبأ : 46]

4 [الشعراء : 136]

5 [التاريات : 55]

إلى القابل، وما التفت إلى المعرض. فلم يرتبط الوجود إلا بالمؤمن، وهو سبحانه - "المؤمن، المهيمن" على على المؤمنين. فجاء الله عندنا - على هذا الاعتناء العمل بما شرع، والمبادرة لما به نهى وأمر؛ اعتناء باعتناء؛ وهو أحق بنا. فإن اعتناءنا بالقبول يعود علينا نفعه؛ لافتقارنا إلى ذلك النفع، واعتناؤه بنا امتنان منه؛ لأنه غني حيد بفناه. فوعظنا بالحوادث الواقعة على خلاف الأغراض مما تنفر عنه طباغنا، وذكرنا بأننا مفرضون لحلولها بنا؛ إلا أن يعصم الله في بعضها، لا في كلها. فإن متهى الدوائر وأعظمها الموت، ولا بد منه بأي وجه كان.

ولست أعني بالموت إلا الانتقال عن هذه الدار؛ فإن الشهيد منتقل، وإن لم يتصف بالموت. هكذا أمرنا المؤدب أن قول؛ فإن لنا نصيبا من الأدب الإلهي الذي أدب به رسوله ﷺ؛ فليس أدب الله خاصا بأحد دون أحد. فمن قبله سيد، وكان ممن أدبه الله، وانتمى إلى الله في الأدب وهو أحسن الأدب. وقد نهانا أن نقول لمن يقتل في سبيل الله: إنه ميت، ولا نحسب أنه ميت؛ بل هو حي عند ربه روي إيماني - يرزق. وذكرنا تعالى - بموعظته ذكرى حال؛ إذ أصاب من قبلنا بوقوع تلك الدوائر عليهم.

اللَّهُ الْفِعْلُ فِعْلُ الْقَهْرِ فَانْظُرْ	بِقُوتِكَ إِذْ أَرَيْتَكَ سَنَا الْوُجُودِ
تَكُنْ لِي؛ إِنْ تَكُنْ لِي؛ أَنْتَ كُلِّي	وَأِنْ لَمْ تَعْتَبِرْ فَالْجُودُ جُودِي
لَقَدْ بَشَا وَمَا خَفْنَا عِقَابًا	وَقَدْ أَعْنَى الْمَجِيدُ عَنِ الْمَجِيدِ
فَقُلْ لِلْمُتَكَبِّرِينَ صَبِيحَ قَوْلِي	لَقَدْ غَبِثْتُ عَنِ إِحْسَانِ الْمَجِيدِ

وذكر بأمور أخبر عنها في المستقبل، عند الانتقال إلى النار الآخرة، تقع بالعباد؛ مما يُبسرُ وقوعها، وما لا يُبسرُ، وما يوافق الغرض ويلائم الطبع، وما لا يلائم الطبع ولا يوافق الغرض، وما يدل على النكامل والنقص. فذكر بالرغبة في ذلك، والرهبة من ذلك. وذكر بنفسه لما علم تعالى - أن إفراط القرب حجاب عظيم عن القرب، وقد قال إنه أقرب إلينا من جبل الوريد، وجبل الوريد نعلم قوته ولا تراه أبصارنا، كذلك قرب الحق منا؛ نؤمن بقربه ولا تتركه أبصارنا. فلذلك ذكر بنفسه، لا يُبسرُ؛ لأنه حفيظ، والحفظ يطلب القرب بلا شك؛ فنحن بيقينيه، وهو ³ معنا حيث ما كنا.

1 ص 109

2 ص 109 ب

3 ص 110

لا؛ بل أينما كنا، ونستغفر الله من عثرات اللسان، وإن كان من عند الله؛ فالأدب أوّل¹، ولا سبّا فيها ينسب إلى الجنب الإلهي؛ لا ينبغي للأديب أن يتكل على المعنى؛ بل الأدب في مراعاة الألفاظ؛ فإنّه تعالى- لم يعدل إلى لفظ دون غيره سدى؛ فلا تعدل عنه؛ فإنّ العدول عنه إلى مثله في المعنى تحريف بغير فائدة، ويتعّدّ العدوّ من الكبراء بهذا القدر. فهي مرّة قدم، ومكر خفي، وروعنة نفس، وإظهار مرتبة دنيّة؛ يتخيّل مظهرها أنّها زلفى، وأنّها رتبة أسنى وأعلى.

فلما ذكر بنفسه؛ ذكر أنّه إليه يرجع الأمر كله؛ يعلم أنّ المرجع إليه؛ فلا تقوم في شيء نحتاج فيه إلى الاعتذار عنه، أو نستحي منه عند المرجع إليه. والعبد الصحيح العبادة؛ مع الموافقة لا يكون له إدلال، فكيف مع المخالفة؟ ولما ذكر بنفسه؛ أحال عباده على أنفسهم، وقال لهم؛ إن عرفتم نفوسكم عرفتموني. فمن الأدب أن نرجع بالنظر إلى نفسي؛ فإن ظنرت فيه وتركت نفسي؛ فما تأدّبت، وإذا لم أكن أدبياً؛ لم تكن من أهل البساط؛ فخرمت المشاهدة؛ فخرمت العلم الذي يعطيه الشهود. فإنّي إن ظنرت فيه حتى أعرفه؛ فربما² أعرفه المعرفة التي تليق بهذا النظر، وليست المطلوبة؛ فإنّ الذي طلب سبحانه- أن نعرفه (هو) معرفة الارتباط به. وتلك المعرفة التي عدل إليها من عدل لا تعطي الارتباط؛ فلم تحصل الفائدة التي قصد الله بها عبده. فالأديب يرجع بالنظر إلى نفسه؛ عن أمر ربه. فإذا عرف نفسه فكراً أو شهوداً؛ عرف ارتباطه بربه؛ فعرف ربه تقريباً وتشبيهاً؛ معرفة عقلية، شرعية، إلهية، تامة، كاملة غير ناقصة، كما شاء الحق. فإنّه تعالى- أبان لنا في هذه الإحالة عن أحسن الطرق والعلم به؛ فتبين لنا ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ و﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾³.

وقال في حقّ من عدل عن هذا النظر، بالنظر فيه ابتداء: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ فلو رجعوا إلى ما دعاهم إليه من النظر في نفوسهم؛ لم يكونوا في مرية من لقاء ربهم؛ فإنّهم يمدونه في عين نفوسهم. ثمّ تمّ وقال: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾⁴ وأراد هنا شبيّة الوجود، لا شبيّة الثبوت؛ فإنّ الأمر هناك لا يتّصف بالإحاطة.

فمن وقف مع ما ذكرناه؛ كان ممن أثق؛ فإن شاء أخذ بنصيبه من الورث فوعظ، وإن شاء بقي في

1 تاجة بالهامش بقلم الأصل

2 ص 110 ب

3 [صلت: 53]

4 [صلت: 54]

النظر على حاله بنفسه دائما؛ فإنَّ النفس بجزء لا ساحل له، لا يتناهى النظر فيها دنيا¹ وآخرة. وهي الدليل
الأقرب؛ فكَلِّمُوا ازداد نظرا ازداد علما بها، وكَلِّمُوا ازداد علما بها ازداد علما بربه **هُوَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ عِنْدِي**
السَّبِيلُ².

1 ص 111
2 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والخمسون وأربعائة
في معرفة منزلة: كرمي ما وهبتك من الأموال،
وكرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن الجاني عليك

حَكَمَ الْكَرِيمُ بِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ ذَلِكَ الْمُسْقَى عِنْدَنَا كَرَمُ الْكَرَمِ
فَهُوَ الَّذِي يَسْبُ النِّعَمَ لِإِنَائِهِ وَلَدْنِهِ بِالْبَرْهَانِ يَفْتَحُ النِّعَمَ
انْظُرْ لِحَبْدِ الْحَبْدِ إِنْ حَقَّقْتَهُ مَا عِنْدَهُ مَنَعٌ وَلَا فِي ذَلِكَ دَمٌ

قال الله تعالى - معلماً ومنبهاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾¹ فنبهه حتى يقول: "كرمك".
فهذا من باب كرم الكرم. فما أمرك بالعفو² عن جنى عليك؛ إلا ليفو عنك إذا جنيت عليه في ظنك، وما
جنيت إلا على نفسك، وظنك أرداك حيث ظننت أنك جنيت عليه. كما قال (تعالى): ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ
اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾³ ﴿فَمَا زَبَحَتْ
تَجَارِيزُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾⁴.

اعلم أنَّ أعظم الجنايات من بهتك، وهو أن ينسب إليك ما لم يكن منك. وإن ظهر منك؛ فيكون من
كرم خُلُقِكَ أن تصدقه فيما نسب إليك؛ إشاراً لجناحه على نفسك. وهو على خُلُقِ كَرِيمٍ في ذلك، وقد علم
منك أنك تادبت معه؛ فما يكون جزاؤك عنده؟ فشل هذا لا يبلغ كنه ما يستحقه من الإفضال عليه
والإنعام؛ لأنَّ الأعراض عند ذوي الهيئات والمروءات أعظم في الحرمة من الدعاء والأموال.

وما فعل مثل هذا في حقك إلا ليرى صبرك وتحملك مثل هذا الأذى والجفاء؛ فإنه يعلم أنك تعلم براءة
ساحتك مما نسب إليك من المذام التي كانت منه، لا منك؛ إيجاداً وحكماً، وأنت بريء منها؛ إيجاداً
وحكماً؛ فلم تُقِسْ له سراً، ولم تنازعه؛ ففرت زائدنا على ما تستحقه - بدرجات الصابرين، والراضين⁵،
والمؤثرين، واستعذبت كل ذلك في جنبيه.

1 [الإضطرار : 6]

2 ص 111 ب

3 [هصلت : 22، 23]

4 [البقرة : 16]

5 ص 112

وتبها تبارك وتعالى على عظيم المنزلة لمن هذه صفته، بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وأعظم العفو على الجناية العظيمة من العظيم الشأن، ثُمَّ زَمِيهِ بِهَا مَنْ لَمْ تَصِدْرْ مِنْهُ؛ تَزَيُّهَا لَهُ وَإِثَارًا لِنَفْسِهِ، قَالَ: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾¹. فَيَا لَيْتَ شِعْرِي؛ لِمَ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ: "فَأَجْرُهُ عَلَى صَبْرِهِ وَإِثَارِهِ كَذَا وَكَذَا"؟. فَتَنَّبَهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَجَابِ ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَافِلِينَ﴾² وَالزَّيْمِ الْحُضُورَ وَالْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ قَلْبُكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ، الَّذِينَ جَعَلُوا نَفْسَهُمْ وَقَايَةَ اللَّهِ. جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْ أَقْنَاهُ بِنَفْسِهِ، لَا بِهِ؛ فَيَحْشُرُ فِي زِمْرَةِ الْأَدْبَاءِ. وَفِي هَذِهِ الْإِشَارَةِ، فِي كَرَمِ الْكَرَمِ، غِنًى وَكَفَايَةٌ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [الشورى : 40]

2 [الأعراف : 205]

3 [الأحزاب : 4]

الباب الرابع والخمسون وأربعائة
في معرفة منازلة: لا يقوى معنا في حضرتنا غريب
وإنما المعروف لأولي القرى

أولو القرى هم الحكماء فينا	وفي أموالنا ولنا القياد
فإن ¹ جاء القرين يقيم يوماً	ويدخل مسرعاً وهو المراد
قرين قرابة وقرين قرين	جمعتها فيخسنا العباد
فما أحد يدوم به شقاء	ولا كوز يزول ولا نساد

قال الله تعالى - أمراً لنبه عليه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾². ورد في الخبر في إثبات النسب بيننا وبين الله: «إن الله يقول يوم القيامة: اليوم أضغ نسبك وأرفع نسي؛ أين المتقون؟» وهم الذين جعلوا قوسهم وقاية يحمون بها جانب الله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾³ أي أشدكم وقاية؛ لأنه جاء في باب "أفعل". فالمدار (قام) على صحة النسب الإلهي. فإذا صح النسب؛ لم تبق غربة في حق من صح نسبه، ولا يصح النسب حتى يقع التناسب في الصفة.

فإذا كان العبد أحدي الذات في شأنه، معروفاً عند الله، مجهولاً في العالم؛ لا يعرف نسبه، ولا يُنال منصبه؛ يُسأل الله به، ويلجأ إليه عند الاضطرار من غير تعيين ولا تمييز، وهو الذي يدعى به إذا جاءت الشدائد، فيقول صاحبها: "اللهم بحرمة الصالحين عندك؛ افعل لي كذا وكذا". فهو المجهول المعين، ولم يتولد عنه أمرٌ يوجب تمييزه عند الأجانب من الأجانب، ولم يبدل عليه؛ لأنه لا يبدل عليه حتى يكون مطلوباً، والذي لا يؤبه له لا يطلب، ثم إنه يكون على حالة لا يترتب فيها أحدٌ من خلق الله إلا من له هذا المقام. فإذا كان يمثل هذه الصفات صح النسب.

1 ص 112 ب
2 [الشورى : 23]
3 [الحجرات : 13]
4 ص 113

ورد في الخبر أنّ اليهود قالت لحمد عليه السلام: «انصب لنا ربك. فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾¹.

نَسَبُ اللَّهِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ	فَانْظُرُوا فِيهِ تَقَرُّوْا مَا هُوَ
أَحَدِيّ إِنَّا بِهِ صَمَدٌ	لَيْسَ يَنْدَرِي مَا هُوَ إِلَّا هُوَ
لَمْ تَلِهْهُ الْعُقُولُ إِذْ نَظَرَتْ	وَهُوَ النَّاطِرُ الَّذِي مَا هُوَ
وَاجِدٌ مَا يَكُونُ عَنْهُ زَكِيٌّ ²	لَا وَلَا وَاجِدٌ قُلٌّ مَا هُوَ
هُوَ ³ عَيْنُ الْوُجُودِ فَهُوَ حَسْبِي ⁴	وَكَثِيرٌ فَلَيْسَ إِلَّا هُوَ
فَانْظُرُوا الْحَقَّ فِي تَنَاقُضِ مَا	قُلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فخصرته لا تحمل الغرياء؛ لأنه وصل للرجم؛ فهو أرحم الرحماء. فقرابته مجهولة، والجاهلون بها منهم أنزلهم بخلهم منزلة الغرياء الذين لا نسب بينهم وبينه، وهو سبحانه- ما يعامل عبده إلا بما جاء به، لا يزيد عليه، وهو قوله: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ⁵﴾ فهو لم في اعتقادهم: جاز جنس. فهم قطعوا رحمهم؛ نقطعهم الله. فما أشرف العلم بالأنساب؛ ولهذا كانت العرب تثابر على علم الأنساب، حتى قال الله ما قلناه من إثبات النسب بالطريقتين: طريق «أرفع نسبي»، وطريق «الرحم شجرة من الرحمن» وهو قوله: «الولد يسر أبيه».

فكم بين رجل يأتي يوم القيامة عارفاً بنسبه، مُدْبِلاً بقرابته، متوسلاً إلى الرحمن بربحه، وبين من يأتي جاهلاً بهذا كله، يعتقد الأجنبية ويُغَدِّدُ المناسبة؟! وإن عِلْمَ بالخبر؛ فيكون عنده بمنزلة كون أبيه آدم منه، وهو ابن آدم، فيجمل هنا مثل ذلك، فإن هذا النسب⁶ لا يعطي سعادة عنده، وهو غلط؛ بل يعطي ويعطي.

ولقد رأيت ذلك ذوقاً بمكة في عمرة اعتمرتها عن أبنائنا آدم عليه السلام فظهر في ذلك في مبشرة رآها بعض الناس لنا وللجماعة التي أمرتهم في تلك الليلة بالاعتقاد معي عن أبنائنا آدم؛ رأى فيها من التقريب الإلهي،

1 [الإخلاص: 1]

2 أفتت في الهامش بقلم آخر شرح زكي: شفع. وفي التاموس: الزكي (مقصود): الشفع من العدد.

3 ص 113 ب

4 أفتت في الهامش بقلم آخر شرح لفظ حسي: "الوتر". وفي التاموس: المسورة: المرة الواحدة. وحسي: الماء الخليل.

5 [صلى: 23]

6 ص 114

وفتح أبواب السماء، وعروج تلك الجماعة، وتلقّهم الملائة الأعلى بالتأهيل والسهل والترحيب؛ إلى أن بُهِتَ ودُهِلَ بما رأى. فإنَّ رَجَمَ آدَمَ مَنَّا رَجَمَ مقطوعة عند أكثر الناس من أهل الله، فكيف حالُ العامة في ذلك؟ ولقد وَصَلَتْها بحمد الله، وَوَصَلَتْ بِسَبِي، وَجَرِي فيها على سَنَتِي¹، وكان عن تولىق إلهي؛ لم أرَ لأحد في ذلك قَدَمًا أمشي على أثره فيها؛ فحمدت الله على الإنعام. وما احدثتُ إلى ذلك إلَّا بالنسب الإلهي؛ فإنه أبعد مناسبة. وقد نَقَعَ وَذَكَرَ، وما تَقَطَّنَ الناس لقول الله تعالى- في غير موضع: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾² ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾³ يَذْكُرْ، ولا أحد ينتبه لهذه الأبوة والبنوة، ولا يتذكر إلَّا أولو الألباب. جعلنا الله وإياكم من بَرِّ أباء. وما أشبه هذا الذِّكْرَى من الله في بني آدَمَ بقوله: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾⁴ وأين زمانُ هَارُونَ منها، فاعلم⁵ ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 سَنَتِي الطريق وَصَلَتْ: محبته

2 [الأعراف : 26]

3 [يس : 60]

4 [مريم : 28]

5 ص 114 ب

6 [الأحزاب : 4]

الباب الخامس والمحسون وأربعائة

في معرفة منازلة: مَنْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بظاهري لا يسعد أبدًا،
وَمَنْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بباطني لا يشقى أبدًا، وبالعكس

الحُكْمُ لِلْقَدَرِ الْمَعْلُومِ وَالنَّسَبِ	أَمْرٌ تَحَقُّقُهُ، مَا الْحُكْمُ لِلنَّسَبِ
هَذَا بِلَالٍ وَخَبَابٌ وَأَيْنَ هُمَا	مِنْ الْقُنُومَةِ فَالْأَحْكَامُ لِلنَّسَبِ
فَاللَّهُ يَجْعَلُنَا مِنْ ذَا عَلَى حَذَرٍ	فِي غَيْرِ تَحْمِيدٍ وَلَا كَدٍّ وَلَا نَصَبٍ
أَوَّلَا الشَّرِيعَةُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِهَا	مَا كُنْتُ مَنْ يَتَّقِي مَصَارِعَ التَّوْبِ
يَا رَحْمَةً سَبَقَتْ يَا رَحْمَةً شَمَلَتْ	وَمَا هُمَا بِمَحَلِّ الْحَسْرِ- وَالْعُظْبِ

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾² تنبئنا أنه الوجود كله؛ فإن هنا تقسيمه؛
فليس إلا هو. والنعيم نعيمان: نفسيّ- وهو الباطن، وحسيّ- وهو الظاهر في النفس الحساسة. والعذاب
عذابان: نفسيّ وهو الباطن، وحسيّ وهو الظاهر. والحال حالان: حالّ سابق وهو الأول، وحالّ لاحق
وهو الآخر. وما تمّ إلا رحمة سابقة، وغضب لاحق، ثم رحمة شاملة سارية في الكل؛ فهي لاحقة سابقة:
فيفض، ويرضى؛ فيعذب رحمة لفضبه ليزول الغضب. فإظفر ما أحكم تعذيبه؛ كيف أدرج الرحمة فيه
لإزالة الغضب حتى يزول حكمه؛ فتشمل الرحمة بنفسها من حقت عليه كلمة العذاب؟! فبرحمته عذب مَنْ
عذب؛ لأنه لولا العذاب لتسرمد الغضب، وهو أشدُّ على الم غضوب من العذاب الواقع به لمن عقل ما
أقول.

وإذا كان الأمر كما قرأناه -وهو كما ذكرناه- فقد تكون في الإقبال الظاهر سعادة ليسعد به المقبول
عليه، وقد تكون في الإقبال الظاهر شقاوة ليشقى به المقبول عليه، وقد تكون في الإقبال الباطن مثل ما
ذكرناه في الإقبال الظاهر. والمقبول عليه غيبٌ وشهادة، وروح وصورة، وحيوان وناطق؛ فلا بدّ من

النفس والحنس أن يتفعلا لهذه الإقبالات، وأحكام النسب بها يظهر حكم الحاكم في¹ المحكوم عليه. وقد ذكر الله أن الهوية العائدة عليه، هي عين هذا الذي ذكرناه؛ فلم يقع مصروف منه إلا فيه.

نبه على ذلك بقاتل نفسه، وأن الجنة محترمة عليه؛ فلا حجاب عليه؛ فإنه ظاهر له، لا يمكن أن يستتر عنه هو، وجعل ذلك مبادرة له؛ لأنه ذكر أمرين؛ من أول وآخر. فقد يبادر الآخر فيكون له حكم الأوليّة، ويكون للأول بالنسبة إلى هذا المبادر حكم الآخريّة. ولهذا جاءت العبارة التي ذكرها الترجمان عن الله²: «بادرني عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة» فلا يستره شيء بعد هذا الكشف؛ لأنه يعلم من سبق ومن لحق، كما ﴿يَتْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾³ فلا يظهر ﴿الْغَيْبُ﴾ لتحصيله العلم ذوقا الذي كتبه المعلوم. فإنّ المعلوم متقدّم بالرتبة على العلم، وإن تساوقا في الزمن من كون المعلوم معلوما، لا من كونه وجودا أو عدما؛ فإنه (أي المعلوم هو) المعطي العالم العلم. فلا بدّ في الكون من سعادة وشقاء، ولو يبرد الهواء وحرّ. فما زاد: فما يلائم المزاج كان سعادة، وما لا يلائمه كان شقاء. ثمّ تمشي بهذا الحكم على الفرض، والكمال، والشرعية، وتحكم في ذلك كلّ حكك بالملامة وعديها، فافهم. فإنّي أريد الاختصار والتنبيه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 115 ب

2 المختصود بالترجمان هنا: محمد رسول الله

3 [الملك : 14]

4 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والخمسون¹ وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ تحرك عند سماع كلامي؛ فقد سمع؛
يريد الوجد الذي يعطي الوجود

لَوْلا سَمَاعُ كَلَامِ اللَّهِ مَا بَرَزْتُ أَغْنَانَا وَسَعَتْ مِنْهُ عَلَى قَدَمِ
إِلَى الْوُجُودِ، وَلَوْلا السَّمْعُ مَا رَجَعْتُ عَلَى مَذَارِجِهَا لِخَالَةِ الْقَدَمِ
فَنَحْنُ فِي بَرَزْخٍ وَالْحَقُّ يَشْهَدُنَا بَيْنَ الْخَلُوبِ وَبَيْنَ الْحَكَمِ بِالْقَدَمِ
لَيْسَ التَّكُونُ بِمَنْ لَا كَلَامَ لَهُ إِنَّ التَّكُونُ عَنْ قَضٍ وَعَنْ كَلِمِ

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾² يعني حكم ما توجه عليه أمر "كن" كان ما كان. فبعدمه به ويوجد، فليس متعلقه إلا الأثر. ولهذا سماه في اللسان العربي: كلاما، مشتقا من الكلام؛ وهو الجرح، وهو أكثر في المجرع. فلما³ وجد الأثر؛ سمي ما وجد عنه: كلاما، كان ما كان، فافهم.

والحركة انتقال من حال إلى حال؛ أي من حال يكون عليه السامع، إلى حال يعطيه سماعه عند كلام المتكلم. وهو فيه بحسب فهمه؛ فهو مجبور على الحركة. ولهذا لا تُسَلَّمُ الصوفية حركة الوجد الذي يبقى معه الإحساس بمن في المجلس، حتى تُسَلَّمْ له حركته بالله. فهما أحس؛ تعين عليه أن يجلس؛ إلا أن يعرف الحاضرين بأنه متواجد، لا صاحب وجد؛ فتُسَلَّمْ له ذلك. ولكن لا تحمد هذه الحالة عندهم على كل حال؛ لأنهم يكرهون الحركة في الأصل بنفس المتحرك، ويحمدونها بالهرك.

فأصل السماع، الذي يقول به أهل الطريق، شرف، وهو يسري في كل شيء. فلا يختص به حال إيقاع وغناء على طريق خاص طبيعي؛ فإن الوزن الطبيعي إنما يؤثر فيما تركب من الطبيعة على مزاج خاص، لا يشترط في حركة الطبع الفهم. بخلاف حركة النفوس العقلية، وإن كان للطبيعة فيها أثر في أصل

1 ص 116
2 [النحل : 40]
3 ص 116 ب

وجودها؛ ولكن ليست لها في النفوس العاقلة تلك القوة إلا بالفهم؛ فلا يحرّكه إلا الفهم. ألا ترى انكثاثات ما ظهرت، ولا تكونت، إلا بالفهم، لا بعدم الفهم؛ لأنها فهمت معنى "كن" فتكونت؟ ولهذا قال¹: ﴿فَيَكُونُ﴾ يعني ذلك الشيء؛ لأنه فهم عند السماع ما أراد بقوله: ﴿كُنْ﴾ فبادر لفهمه دون غير التكوين من الحالات. فما سُميت هذه الحركة بـ"الوجد" إلا لحصول الوجود عندها، أعني وجود الحكم؛ سواء كان بعين أو بلا عين؛ فإنه عين في نفسه هذا الكائن.

ثم إن الحق أعطى هذه الصفة لعباده، وجعل نفسه سامعا، وأقام نفسه محلا لتكوين ما يطلبه منه العبد في سؤاله، سماء: إجابة، وجعل ذلك بلفظ الأمر، كما جعل "كن"؛ ليريه أن الحقائق لأنفسها تكون أحكامها؛ ما هي بجعل جاعل لمن عقل وعلم الأمور على ما هي عليه؛ فإن العلم بهذا النوع (هو) من العلوم المحترنة عن أكثر الناس، بل يحرم كشفها لهم من العارف بها؛ لما يؤدي إلى ذلك من إنكار الحق، مع علمهم بأن المعاني توجب أحكامها لمن قامت به عقلا؛ يريدون أن ذلك لذاتها؛ ولهذا تمكّن المتكلم بالرد على من يقول بالإرادة الحادثة لا في محل.

وأما كلام الله من الشجرة لموسى، فهو² عند بعضهم دليل على أن الكلام يتسبب لمن خلقه. كما تقول الطائفة الأخرى: إن السمع تعلق بالمناسب وهو الخطاب من الشجرة- وليس إلا كلام الله كما قال: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾³ ومعلوم بماذا تعلق السمع منه؟ وهؤلاء القائلون بأن المتكلم (هو) من قامت به صفة الكلام.

وأهل الكشف الذين يرون أن الوجود لله بكل صورة؛ جعلوا الشجرة هي صورة المتكلم، كما كان الحق لسان العبد، وسمعه، وصره؛ بهويته، لا بصفته. كما يظهر في صورة تكرر، ويتحول إلى صورة تُعرف؛ وهو هو، لا غيره؛ إذ لا غير. فما تكلم من الشجرة إلا الحق؛ فالحق صورة شجرة، وما سمع من موسى إلا الحق؛ فالحق صورة موسى، من حيث هو سامع، كما هو الشجرة من حيث هو متكلم، والشجرة شجرة، وموسى موسى؛ لا حلول؛ لأن الشيء لا يحل في ذاته؛ فإن الحلول يعطي ذاتين، وهنا إنما هو حكمان.

1 ص 117

2 ناقة بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب

3 [التوبة : 6]

4 ص 117 ب

فَالْحِشُّ يَشْهَدُ مَا الْأَلْبَابُ تُكْكِرُهُ وَالْقَطْلُ يَعْلَمُ مَا الْإِخْسَاسُ يَزْمِي¹ بِهِ
فَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى فِي صُورِهِ وَاَنْظُرْ إِلَى حُكْمِهِ فِي حُسْنِ تَرْغِيهِ
تَرَاهُ عَيْنَ الَّذِي يَرَاهُ مِنْ كُتُبِ وَلَيْسَ يَنْدَرُهُ مَنْ يَنْدَرُهُ إِلَّا بِهِ

فانظر إلى هذه النكت الإلهية في هذه المنازل ما أخصرها! وما أعطاها للأمور على ما هي عليه في
إيجاز! ﴿وَاللَّهُ² يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 كسب فوق المرفعين الأخيرين حرف م مكسورا، إشارة إلى أن الكلمة قرا هنا: "تزم"

2 ص 118

3 [الأحراب : 4]

الباب السابع والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: التكليف المطلق

حُكِّمَ التكاليف بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مِنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ الْمُنْفُوتِ بِالنَّاسِ
فَالْأَمْرُ مِنِّي لَهُ كَالْأَمْرِ مِنْهُ لَنَا فَإِنْ دَعَانَا أَتَيْنَاهُ عَلَى الرَّاسِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ يقول للرسول أن يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِهْتُ أَجِبْتُ دَعْوَةَ النَّاسِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾¹ يعني إذا دعوتهم إلى القيام بما شرعته لهم، وكل ذلك شرع. فقد أدخل نفسه فيما كلف به عباده، وجعل الأمر بأيديهم في ذلك. فهو إعلام على الحقيقة - بما هو الأمر عليه، ما هو بالجمل؛ فإنه يتعالى عن الجمل فيما ينسبه لهويته، إلا إذا ظهر بصورة خلق؛ فيقضي ما يعطيه البصر: أن أحكام ما وقعت عليه العين مجعولة. وتعطي الحقيقة: أن الأمر ما هو كما تدركه العين. فلا تزال المنازعة بين القلب والعين في² المعارف الإلهية في الخصوص، كما تعرفه العامة في العموم في المحبة. ولنا في ذلك في النسب³ على ما وقع في العموم:

يَسْؤُوكَ رُوحِي بِلَا شَكٍّ إِلَى التَّلْفِ هَذَا الَّذِي يُؤَادِي مِنْ هَوَى شَرِّ
أَقُولُ لِلْقَلْبِ: قَدْ أَوْزَغْتَنِي سَقَمًا فَقَالَ: عَيْنُكَ قَادَتْني إِلَى التَّلْفِ
لَوْ لَمْ تَرِ الْعَيْنُ مَا أَمْسَيْتُ جَلْفَ ضَيِّ فَإِنْ أُمْتُ فِيهِ مَا لِلْحَبِّ مِنْ خَلْفِ
إِنَّاكَ قَسَمْتُ مَا عَشِيْدِي عَلَى بَدَنِي مِنْ الضُّيِّ وَالْجَوَى وَالنَّمْعِ وَالْأَتْفِ

فالتكليف المطلق يُطْلَقُ، ويراد به أمران: الأمر الواحد أن يعم الإنسان أجمعه، مثل قوله: «يصبح على كل سلامي منكم صدقة» وهو قوله: ﴿إِنَّا كَتَبْنَا فِي الْإِنشَانِ إِذْ خَلَقْنَاهُ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾. ومن هذا الباب - أعني إطلاق التكليف - ما اجمعت فيه جميع الشرائع، ولم تنفرد به شرعة دون أخرى، وهو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾⁴ نعم⁵ وأطلق. والأمر الآخر من الإطلاق إدخاله

1 [البقرة : 186]

2 ص 118 ب

3 النسب: التشيب

4 [الشورى : 13]

5 ص 119

نَفْسُهُ مَعْنَا تَعْرِيفًا أَنَّهُ مَأْمُورٌ وَأَمْرٌ، وَنَاوٍ وَمَنْهِيٌّ ﴿زَيْنًا لَا تَوَاجِدُنَا﴾¹ ﴿زَيْنًا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا﴾ ﴿زَيْنًا وَلَا تَحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، وَالْأَمْرُ: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ﴿فَانصُرْنَا﴾، هَذَا مِمَّا عَنْ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ. وَالْجَوَابُ مِنْهُ فِي الصَّحِيحِ: «قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ فَعَلْتُ». وَالْأَمْرُ مِنْهُ: ﴿اقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾²، الْجَوَابُ مِمَّا عَلَى قَسَمَيْنِ، بِخِلَافِ مَا كَانَ مِنْهُ: جَوَابٌ مُوَافِقٌ لِحُجَّتِهِ وَهُوَ قَوْلُنَا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾³، وَجَوَابٌ غَيْرُ مُوَافِقٍ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ لِإِجَابَتِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾⁴، وَهَذَا كَلَامٌ مِّنْ أَتَقَدَّهُ اللَّهُ عَنْ سَعَادَتِهِ، وَقَرَّبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْإِجَابَةُ شَفَاوَتُهُ. فَقَدْ أَبْنَتْ لَكَ عَنْ إِطْلَاقِ التَّكْلِيفِ، وَهَذَا مِنْ إِنْصَافِ الْحَقِّ عِبَادَةَ لِيُطْلَبَ مِنْهُمْ النُّصَفُ.

ثُمَّ إِنَّهُ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ جَمِلَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مِمَّنْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ شِقَاءٌ - مُسْتَعِدًّا إِلَيْهَا، لَمْ يَقُمْ فِيهِ مَقَامُ الْإِنْصَافِ؛ فَأَعْمَى عَلَيْهِمْ؛ فَعَمُوا؛ فَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ إِلَيْهِ؛ وَأَشْقَامَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قَلِيلٌ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾⁵ لِأَنَّ النِّزَاعَ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؛ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا تَمَّ إِلَّا حُكْمَانِ؛ مَا تَمَّ ذَاتَانِ، فَافْهَمْ.

وَعِنْدَنَا مَا كَانَتْ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، إِلَّا مِنْ كَوْنِ الْعِلْمِ تَابِعًا لِلْمَعْلُومِ؛ مَا هُوَ حَاكِمٌ عَلَى الْمَعْلُومِ. فَإِنْ قَالَ الْمَعْلُومُ شَيْئًا؛ كَانَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ⁶ عَلَيْهِ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ: مَا عَلِمْتُ هَذَا مِنْكَ إِلَّا بِكَوْنِكَ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَدَمِكَ، وَمَا أَبْرَزْتُكَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطَيْتَنِي مِنْ ذَاتِكَ بِقَبُولِكَ. فَيَعْرِفُ الْعَبْدُ أَنَّهُ الْحَقُّ؛ فَتَنْدَحِضُ حُجَّةُ الْخَلْقِ فِي مَوْقِفِ الْإِعرْفَانِ الْإِلَهِيِّ الْخَاصِّ. وَأَمَّا فِي الْعُمُومِ فَالْأَمْرُ فِيهِ قَرِيبٌ، وَالْحُكْمُ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ فَهْمِ الرِّجَالِ فِيهِ؛ فَمَا كُلُّ أَحَدٍ تَقَامَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ، تَقَامَ عَلَى الْآخَرِ. فَلِكُلِّ صِنْفٍ حُجَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ، بِهَا يَظْهَرُ عَلَى عِبَادِهِ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ بِالْحُجَّةِ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾⁷ حَيْثُ يَظْهَرُ عَلَى كُلِّ صِنْفٍ بِمَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ لِلَّهِ عَلَيْهِ. فَلَوْلَا إِطْلَاقُ التَّكْلِيفِ مَا كَانَ خَصْمًا، وَلَا عَمَلٌ لَنَا مَعَهُ مَجْلِسُ حُكْمٍ، وَلَا نَاضِرُنَا. فَافْهَمْ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁸.

1 [البقرة : 286]

2 [المرسل : 20]

3 [البقرة : 285]

4 [البقرة : 93]

5 [الأصنام : 149]

6 ص 119 ب

7 [الأصنام : 18]

8 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والخمسون وأربعمئة في معرفة منازلة: إدراك الشُّبُحات الوجهية

سُبُحاتُ الوجهِ تُدركُنا وفي الإِنْزَاكِ تُقَدِّمُنا
غَيْرَةُ¹ مِنْهَا عَلَيْهِ قَهْلُ أَحَدٍ مِنْكُمْ يَهْمُنَا
كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ فَلَمْ نَلْفِ مَوْجُودًا يُعْرِفُنَا

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾² وقال ﷺ في الحجب الإلهية المرسلة بينه وبين خلقه إنه تعالى: «لو رفعها لأحرقت سبحاتُ الوجه ما أدركه بصره من خلقه» وقيل له ﷺ: «أرأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه». فهذه الحجب؛ إن كانت مخلوقة؛ فكيف تبقى للسبحات؛ فإنها غير محجوبة عنها؛ لكن اعلم أنه سرُّ أخفاه الله عن عباده، سَمَّى ذلك الإخفاء: حجباً نوريةً وظلاميةً. فالنور منها (هو) ما حجب به من المعارف الفكرية به، والظلمة منها (هي) ما حجب به من الأمور الطبيعية المعتادة. فلو رفع هذه الحجب عن بصائر عباده؛ لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.

وهذا الإحراق إنما هو اندراج نور أدنى³ م فيه؛ بل هم هو، في نور أعلى؛ كاندراج أنوار الكواكب في نور الشمس⁴. كما يقال في الكوكب، إذا كان تحت الشعاع، مع وجود النور في ذات الكوكب: إنه محترق؛ فلا يراد به العدم؛ بل تبدل الحال على العين الواحدة في نظر الناظر. فانتقل الهمم عليه وعنه بانتقال الحكم؛ كان الحطب حطباً، فلما احترق سَمِيَ: فخماً، والجوهر واحد ومعلوم أن الكواكب على ضوئها في نفسها، ولكن لا نراها لضعف الإدراك. فلورفعها في حق العلماء؛ لראوا نوسهم عينه؛ وكان الأمر واحداً. لكثرة رفعها عنهم؛ فرأوا ذواتهم ذاتاً واحدة؛ فقالوا ما حكى عنهم من: "أنا الله" و"سبحاني". لكن العاقبة لم تُرفع عنهم؛ فلم يشهدوا الأمر على ما هو عليه ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾⁵. وأسَرُّ العارِفون النجوى؛ أدبا مع

1 ص 120

2 [النور : 35]

3 تاجة بالهائش قلم الأصل

4 ص 120 ب

5 [طه : 62]

الله؛ فإنهم الأدباء.

قال عليه السلام: «لا تُطُوطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» فما قال الشارع للعارفين . . . أشدّ تكليفا من هذا الحكم؛ لأنّه أمرهم بالمراقبة لكلّ شخص شخص. فهم يراقبون العالم من أجل هذا الحديث؛ لأنهم أهل حكمة؛ فمن رأوا فيه الأهلية؛ أعطوه؛ لئلا يتصفوا بالظلم في حقّه، وإن لم يروا فيه أهلية؛ لم يعطوه؛ لئلا يتصفوا بالظلم في حقّها. فلا يزالون مراقبين العالم دائما¹ أبدا، وهذا حظهم من قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾². فمن راقب بعين الله؛ لم يشغله شأن عن شأن؛ فهو يتصرّف في كلّ شيء بناته؛ لأنّه إلهي المشهد، والقبول من³ المتصرّف فيه؛ فالمصرّف مستريح من هذا الوجه. ومن راقب بعين نفسه من خلف حجاب ذاته- فهو في غاية من الجهد والتعب؛ فلا يزال في نصيب ما دامت هذه صفته.

فَبِالتَّوْبِ تُدْرِكُ أَنْوَارُهُ وَبِالتَّوْبِ يُدْرِكُ مَا يُدْرِكُ
فَمَنْ يَكُنْ يَنْفَعِ حَقُّ لَهُ يَمْلِكُ بِالنَّاتِ وَلَا يَمْلِكُ

وهذا القدر من الإشارة في هذه المنازلة كافٍ لمن عقل. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 121

2 [الأحراب : 52]

3 ناجة بالهامش بقلم الأصل

4 [الأحراب : 4]

الباب التاسع والخمسون وأربعمئة
في معرفة منازلة: ﴿وَرَأَيْتُمْ عِنْدَنَا لَيْنَ الْمُضْطَلَّقِينَ الْأَخْيَارِ﴾¹

ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ مُضْطَلَّقٌ ذُو الظُّلْمِ وَالسَّابِقِ وَالْمُقْتَصِدِ
وَرَأَيْتُمْ كِتَابَهُ فَاغْتَلَوْا بِالْعِلْمِ فِي ذَلِكَ عَنِ الْمُفْتَقِدِ
وَاخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ فَاغْتَلَتْ هُمُتُهُمْ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ شُهِدِ

قال الله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُمْ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَقْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَبَيْنَهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾³ أي كل ذلك بأمر الله.

فالظالم لنفسه؛ لعلمه بقدرها عند الله؛ فهو يظلم لها، لا يظلمها، فيعطي كل ذي حق حقه، إلا الحق؛ فإنه لا يعطيه كل حقه؛ بل يعطيه من حقه تعالى - ما يستحق به: أديا، وما لا يستحق به أديا يظلمه فيه من أجل نفسه، حتى يلحق برتبة الأنبياء. فخل هذا الظلم من الفضل الإلهي على عبده. فمن كان مشهده هذا سمي: ظالما لنفسه، مع أنه مصطفى. وما أوقفه على ذلك إلا علمه بالكتاب، فهو يحكم به كما قال النبي عنده علم من الكتاب لسليمان عليه السلام: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾⁴ فلو لا الكتاب ما علم آصف بن برخيا ذلك.

وأما المقتصد فهو⁵ الذي اقتصد في كل موطن على ما يقتضيه حكم الموطن؛ فهو يحكم الموطن، لا بحكم نفسه. وهم أهل الله الأخفاء، الأبرياء. فشهد الظالم: ما يجب للحق فلا ينسبه إليه، ومشهد المقتصد: المواطن وما تستحق. فالظالم يدخل في حكم المقتصد. ولهذا كان المقتصد وسطا؛ لأنه على حقيقة ليست للطرفين، وفيه من حكم الطرفين ما يحتاج إليه أو يندرج فيه.

وأما السابق بالخيرات فهو الذي يتهيأ لحكم المواطن قبل قدومها عليه. وتجمع هذه الأحوال في الشخص الواحد؛ فيكون ظالما، مقتصدا، سابقا بالخيرات. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 [ص: 47]

2 ص 121 ب

3 [فاطر: 32]

4 [الحمل: 40]

5 ص 122

6 [الأحزاب: 4]

الباب الستون وأربعمئة
في معرفة منازلة: الإسلام والإيمان والإحسان
الأول والثاني¹

عَلِمْتُ أَنِّي هَمْتُ	وَلَكِنْ مَا فَهِمْتُ
مُرَادَ اللَّهِ فِيهِ	لِكُونِي مَا شَهِدْتُ
فَإِسْلَامَ بَدَى	بِقَوْلِي: قَدْ سَلِمْتُ
بِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ	بِهِ أَيْضًا نَوَمْتُ
وَأَيْمَانَ خَفِيَ	وَلَكِنْ مَا كَتَمْتُ
وَإِحْسَانَ ² أَرَاهُ	بِنَفْسِيهِ نَقَلْتُ
تَعَالَى عَنْ شُكُودِي	لَأَنِّي قَدْ جَمَلْتُ
بِأَنَّ الْحَقَّ فِيهِ	وَحَقًّا مَا نَصَدْتُ
وَعَلِمِي شَاهِدِي لِي	بِأَنِّي قَدْ شَهِدْتُ

قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾³ وقال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾⁴ وورد في الخبر الصحيح الفرق بين الإيمان، والإسلام، والإحسان. فالإسلام عمل، والإيمان تصديق، والإحسان رؤية، أو كالرؤية.

فالإسلام اعتقاد، والإيمان اعتقاد، والإحسان إسهاد. فمن جمع هذه النعمت، وظهرت عليه أحكامها؛ عمّ تجلّى الحق له في كلّ صورة؛ فلا ينكره حيث تجلّى، ولا يظهره في الموطن الذي يحب أن يخفى. فيساعد الحقّ لعلمه بإرادته لعلمه بالمواطن وما يستحقّه. فما أشرف هذه المنزلة لمن تدلّى عليها من شرف؛ فهو

1 الإحسان الثاني: إحسان الإحسان

2 ص 122 ب

3 [الحجرات : 14]

4 [الرحمن : 60]

المؤمن للمؤمن، والحسن للمحسن، وهو المسلم للسلام.

فإنَّ الحقَّ إذا فعل ما يريد منه العبد؛ فقد اتقاد له، فيقول العبد: "رب اغفر لي" فيغفر له؛ لأنَّه صادق في قوله: «هل من مستغفر¹ فأغفر له؟» فلقد فات الناس خير كثير؛ ليجملهم، وما توغلوا فيه من تزيه الحق حتى أكذبوه. ولهذا قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾² وليس الحقُّ إلَّا ما قاله عن نفسه. فلولا ما علم أنَّ العالم يعلمه ما قال لهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ فحاجة الحق في نفسه إلى ظهوره، أعظم من حاجة المظهر له إلى إظهاره. فإنَّ الحقَّ قد حجب علينا إظهار الحق في مواطن؛ كالغيبية والتمية وكم الأسرار، وكلها حق ممنوع الظهور في الكون القوي، لا في عينه من حيث هو صفة لمن قام به؛ فهو الظاهر الخفي.

فالإحسان من الحق: رؤية، ومن العبد: كآته. والإيمان من الحق والخلق على حقيقته. وكذلك الإسلام عند العارفين به. غير أنَّه لا يقال في الحق: "إنَّه مسلم" فما كلَّ ما يُدرى يقال، ولا كلَّ ما يُشهد يُذاع، صدور الأحرار قبور الأسرار ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 123

2 [النساء : 171]

3 [الأحزاب : 4]

الباب الأحد والستون وأربعائة
في معرفة منازلة: مَنْ أَسْدَلْتُ عَلَيْهِ حِجَابَ كُنْفِي
فَهُوَ مِنْ ضَنَاتِي؛ لَا يَعْرِفُ وَلَا يُعْرَفُ

إِنَّ الضَّائِقَ عِنْدَ اللَّهِ فِي سِتْرٍ	مُحْتَضِرُونَ فَلَا تُذَرَى وَلَا تُذَرِي
يَقَارُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا حُجِبَتْ	بَيْنَ اللَّيَالِي ضَوْفًا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
فَلَا يَرَاهَا سِوَى مَنْ لَا يَقْبِذُهُ	نَفْسٌ يَجْرُدُهُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ
يَتَنُوءُ لِنَظَائِرِهِ مِنْ خَلْفِ زَائِرِهِ ²	مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

قال الله تعالى: ﴿خُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾³ وهم العارفون إشارة لا تفسيراً- المجهولون في العالم؛ فلا يظهر منهم ولا عليهم ما يعرفون به. وهم لا يشهدون في الكون إلا الله، لا يعرفون ما العالم؛ لأنهم لا يشهدونه عالمًا.

فالحق سارٍ ولكن لنس يذريه إلا الذي قال فيه إنه فيه

لكل ملك خزّم وخزّم، وهؤلاء العارفون العلماء به خزّم وخزّم، الذي هم فيه العوائد العامة؛ فما سترهم إلا بما هو مشهود للعلم والخاص. فالعالم يشهد الحق اعتقاداً وعيناً، ويشهد العالم جسداً، وهؤلاء يشهدون الحق عيناً، ويشهدون العالم إيماناً؛ لكون الحق أخبرهم أنّ ثمّ عالمًا؛ فيؤمنون به، ولا يرونه. كما أنّ العالم يؤمنون بالله، ولا يرونه. فهم (= هؤلاء العارفون) شهداء حقّ بحقّ، وهم في مقعد صدق فيما تحقّقوا به.

1 ص 123 ب

2 الزوافر: أحلاص الجنين. وزارة الرجل: أنصاره وخاصته. والزائرة: الكاهن.

3 [الرحمن: 72]

4 ص 124

فإن قيل لهم: فقولكم بالشاهد والمشهود فرق؟ فيقولون عند ذلك: اليس تشهد ذاتك بذاتك؟ فأنت غيرك!. وكلامهم في هذا كله مع الحق: شهداء، ومع الإيمان بأنَّ ثَمَّ عالماً: أدباء وإيماناً. فهم المؤمنون حقاً، والعلماء صدقاً.

وهذا بعض ما وقفنا عليه من منازل الحق؛ فإنَّها أكثر من أن يحصرها عدُّ، أو يضبطها حدٌّ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

وها نحن بحمد الله ومعرفته وإلهامه- نشرع في الأقطاب، والهجيرات التي كانوا عليها؛ أبتغي بذلك- الإعلام بأنَّه من عمل على ذلك؛ وجد ما وجدوا، وشهد ما شهدوا؛ إذ بنيتُ كتابي هذا؛ بل بناء الله -لا أنا- على إفادة الخلق؛ فكلَّه فتح من الله تعالى- وسلكْتُ فيه طريق الاختصار -أيضاً- عن سؤال من العبد ربَّه في ذلك؛ لأنَّه لا يقتضي حالنا إلَّا إبلاغ ما أمر الحقُّ بإبلاغه ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾² ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

وانتهى السفر التاسع والعشرون بانهاء الباب الأحد والستين وأربعمئة من هذا الكتاب، يتلوهُ إن شاء الله الباب الثاني والستون وأربعمئة في الأقطاب المحمديين ومنازلهم، والحمد لله حقَّ حمده، وسلام على عباده الذين اصطفى.⁴

1 [الأحزاب : 4]

2 [إبراهيم : 27]

3 ص 124 ب

4 ثابت بالهامش شهادة محمد بن إسحق التتوي في مقابلة هذه النسخة بالنسخة الأولى بعد عامين من وفاة الشيخ ابن العربي، كما يلمح: "معرضت بالنسخة الأولى، وكتبتها بخط الشيخ رحمه الله، وذلك بحلب المحروسة، وتم ذلك أول ربيع الأول سنة أربعين وستمئة. كُتِبَ محمد بن إسحق خادم الشيخ رحمه الله وكانت المراجعة بقرآنه، وسمع بالقراءة.. محمد الحسين أبو بكر بن بشار بن زكريا البصري. وتم ذلك في مؤرخه".

وبجانب ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1764

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
95ب	5	1	الفاتحة	21	134	3	آل عمران
96ب	5	1	الفاتحة	102	154	3	آل عمران
96ب	6، 7	1	الفاتحة	88	1	4	النساء
111ب	16	2	البقرة	8	78	4	النساء
23	18	2	البقرة	8	78	4	النساء
67ب	30	2	البقرة	99	79	4	النساء
39	40	2	البقرة	60ب	80	4	النساء
119	93	2	البقرة	68	80	4	النساء
70	152	2	البقرة	95ب	80	4	النساء
23	171	2	البقرة	17ب	100	4	النساء
64	185	2	البقرة	123	171	4	النساء
7	186	2	البقرة	27ب	3	5	المائدة
118	186	2	البقرة	44ب	54	5	المائدة
72ب	248	2	البقرة	88ب	54	5	المائدة
56ب	255	2	البقرة	82	83	5	المائدة
100	258	2	البقرة	82	84	5	المائدة
70ب	276	2	البقرة	82	85	5	المائدة
119	285	2	البقرة	61ب	101	5	المائدة
119	286	2	البقرة	97	110	5	المائدة
90ب	31	3	آل عمران	97	110	5	المائدة
97	49	3	آل عمران	25ب	119	5	المائدة
56	97	3	آل عمران	119ب	18	6	الأنعام
98ب	97	3	آل عمران	42ب	31	6	الأنعام
72ب	110	3	آل عمران	96	38	6	الأنعام
65ب	129	3	آل عمران	13ب	79	6	الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
31ب	103	6	الأنعام	79ب	64	10	يونس
47	103	6	الأنعام	17ب	72	10	يونس
119	149	6	الأنعام	71ب	64، 63	10	يونس
114	26	7	الأعراف	79ب	80	11	هود
39ب	54	7	الأعراف	7ب	123	11	هود
102	54	7	الأعراف	29ب	123	11	هود
43	102	7	الأعراف	61ب	123	11	هود
95ب	128	7	الأعراف	29	92	12	يوسف
84	143	7	الأعراف	26ب	108	12	يوسف
101ب	143	7	الأعراف	15	28	13	الرعد
87ب	172	7	الأعراف	73	28	13	الرعد
112	205	7	الأعراف	39	31	13	الرعد
39	17	8	الأفقال	3	41	13	الرعد
39	17	8	الأفقال	58ب	4	14	إبراهيم
44ب	17	8	الأفقال	124	27	14	إبراهيم
53ب	17	8	الأفقال	8ب	21	15	الحجر
57ب	17	8	الأفقال	97	29	15	الحجر
23	21	8	الأفقال	95	87	15	الحجر
63ب	23	8	الأفقال	14ب	9	16	النحل
56	33	8	الأفقال	4	33	16	النحل
83	60	8	الأفقال	4	33	16	النحل
117	6	9	التوبة	116	40	16	النحل
69ب	80	9	التوبة	24ب	8	17	الإسراء
57ب	115	9	التوبة	95ب	78	17	الإسراء
33	16	10	يونس	65ب	30	18	الكهف
63ب	16	10	يونس	82ب	65	18	الكهف
19ب	26	10	يونس	114	28	19	مريم

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
108ب	136	26	الشعراء
61	193, 19	26	الشعراء
	4		
121ب	40	27	الثل
24ب	78	27	الثل
69ب	50	28	القصص
29ب	70	28	القصص
54ب	88	28	القصص
103ب	88	28	القصص
87	52	29	العنكبوت
69ب	29	30	الروم
4ب	4	33	الأحزاب
6	4	33	الأحزاب
8ب	4	33	الأحزاب
11	4	33	الأحزاب
14	4	33	الأحزاب
21	4	33	الأحزاب
23ب	4	33	الأحزاب
28ب	4	33	الأحزاب
38	4	33	الأحزاب
44ب	4	33	الأحزاب
46ب	4	33	الأحزاب
48ب	4	33	الأحزاب
50ب	4	33	الأحزاب
52ب	4	33	الأحزاب
55ب	4	33	الأحزاب
57	4	33	الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
46ب	85	19	مريم
51	5	20	طه
53ب	12	20	طه
54	14	20	طه
120ب	62	20	طه
15	114	20	طه
26ب	89	21	الأنبياء
88ب	103	21	الأنبياء
76	105	21	الأنبياء
56	107	21	الأنبياء
67ب	107	21	الأنبياء
81ب	112	21	الأنبياء
41ب	25	22	الحج
87	31	22	الحج
25ب	11, 10	23	المؤمنون
66	22	24	النور
97ب	24	24	النور
49	35	24	النور
120	35	24	النور
64	63	24	النور
12ب	23	26	الشعراء
12ب	24	26	الشعراء
13	25	26	الشعراء
13	26	26	الشعراء
13	27	26	الشعراء
13	28	26	الشعراء
17ب	109	26	الشعراء

رقم الصفحة	رقم آية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم آية	رقم السورة	اسم السورة
58	4	33	الأحزاب	119ب	4	33	الأحزاب
60	4	33	الأحزاب	121	4	33	الأحزاب
61ب	4	33	الأحزاب	122	4	33	الأحزاب
62	4	33	الأحزاب	123	4	33	الأحزاب
65	4	33	الأحزاب	124	4	33	الأحزاب
67	4	33	الأحزاب	89ب	7	33	الأحزاب
69ب	4	33	الأحزاب	29	13	33	الأحزاب
72	4	33	الأحزاب	89	23	33	الأحزاب
75ب	4	33	الأحزاب	89ب	23	33	الأحزاب
79	4	33	الأحزاب	25	35	33	الأحزاب
81ب	4	33	الأحزاب	43ب	41	33	الأحزاب
83	4	33	الأحزاب	121	52	33	الأحزاب
84ب	4	33	الأحزاب	108ب	46	34	سبا
86ب	4	33	الأحزاب	105ب	10	35	فاطر
89ب	4	33	الأحزاب	121ب	32	35	فاطر
94ب	4	33	الأحزاب	114	60	36	يس
97ب	4	33	الأحزاب	9ب	96	37	الصفافات
99ب	4	33	الأحزاب	12ب	96	37	الصفافات
101ب	4	33	الأحزاب	39ب	96	37	الصفافات
103	4	33	الأحزاب	57ب	96	37	الصفافات
105	4	33	الأحزاب	41ب	24	38	ص
107ب	4	33	الأحزاب	67ب	26	38	ص
111	4	33	الأحزاب	69ب	26	38	ص
112	4	33	الأحزاب	69ب	26	38	ص
114ب	4	33	الأحزاب	121	47	38	ص
115ب	4	33	الأحزاب	87	3	39	الزمر
118	4	33	الأحزاب	33	4	39	الزمر

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
4	31	47	محمد
76ب	31	47	محمد
72ب	4	48	الفتح
60ب	10	48	الفتح
89	10	48	الفتح
112ب	13	49	الحجرات
122ب	14	49	الحجرات
20، 2ب	18	50	ق
2	29	50	ق
63	29	50	ق
108ب	55	51	التاريات
5	56	51	التاريات
57	56	51	التاريات
81ب	56	51	التاريات
104	56	51	التاريات
46ب	48	52	الطور
51	8	53	النجم
51	9	53	النجم
52	10	53	النجم
8ب	49	54	القمر
63ب	50	54	القمر
122ب	60	55	الرحمن
123ب	72	55	الرحمن
51ب	3	57	الحديد
115	3	57	الحديد
99	4	57	الحديد
68	13	57	الحديد

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
2	19	39	الزمر
105ب	15	40	غافر
12	60	40	غافر
21ب	5	41	فصلت
113ب	23	41	فصلت
23	26	41	فصلت
29	53	41	فصلت
110ب	53	41	فصلت
110ب	54	41	فصلت
111ب	23، 22	41	فصلت
20	35، 34	41	فصلت
24ب	7	42	الشورى
5	11	42	الشورى
9	11	42	الشورى
10	11	42	الشورى
35	11	42	الشورى
45ب	11	42	الشورى
118ب	13	42	الشورى
112ب	23	42	الشورى
17ب	40	42	الشورى
112	40	42	الشورى
23	58	43	الزخرف
4	76	43	الزخرف
4	76	43	الزخرف
61	13	45	الجالية
80ب	29	45	الجالية
23ب	24	47	محمد

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
82	22، 23	75	القيامة
65ب	30	76	الإنسان
24ب	13، 14	80	عبس
24ب	15، 16	80	عبس
111	6	82	الإنشطار
10	8	82	الإنشطار
20ب	12	82	الإنشطار
8	8	91	الشمس
50	2	93	الضحى
41ب	11	93	الضحى
61	1	97	القدر
61	3	97	القدر
42ب	9	101	القارعة
113	1	112	الإخلاص

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
91	22	58	الجدالة
58ب	8	66	التحريم
93ب	14	67	الملك
115ب	14	67	الملك
95	4	68	القلم
105ب	4	70	المعارج
25	23	70	المعارج
94ب	26	71	نوح
95	6	73	المزمل
96	6	73	المزمل
18	9	73	المزمل
119	20	73	المزمل
3	14	75	القيامة
107	29	75	القيامة
107	30	75	القيامة

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
أحيوا ما خلقتم	صحيح البخاري 1963،	97
أرأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه	صحيح مسلم 3941 صحيح مسلم 261، سنن الترمذي 3204	120
استفت قلبك وإن أفنك المفنون	مسند أحمد 17320،	3،
أصبحت بعضاً وأخطأت بعضاً	سنن الدارمي 2588	72ب
اعملوا فكل ميسر لما يسر له	صحيح البخاري 6524، صحيح مسلم 4214	16
افعل ما شئت فقد غفرث لك	صحيح البخاري 4568، صحيح مسلم 4787	92ب
إن أحق ما أخذتم عليه (أجزاً) كتاب الله	صحيح مسلم 4553، صحيح ابن حبان 627	71ب
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يتيقن	صحيح البخاري 5296، سنن الدارقطني 3083	18ب
بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار	صحيح البخاري 3885، مسند أحمد 21747	93، 2
إن الكعبة لقا بُنيت فُصرت بهم النفقة، فتركوا من البيت سبعة أذرع في الجحر	أخبار مكة للأزرقي 179	36ب
إن الله احتجب عن العقول، كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أتم	تفسير الألوسي - (5) / 482، تفسير حقي - (8) / (75)	32
إن الله أدبني فأحسن أدبي	فيض القدير - (1) / 291، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - (1) /	90ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
--------	-------------	-----------------

(1)

إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ إِفْذَاقَ قَضَائِهِ وَقَدَرَهُ سَلَبَ نَوِيَّ الْعُقُولِ عَقُولَهُمْ؛	مسند الشهاب القضاعي	41ب
حَتَّى إِذَا أَمْضَى قَدْرَهُ فِيهِمْ رَدَّهَا عَلَيْهِمْ لِيَعْتَبِرُوا	1294	
إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورِهِ	صحيح مسلم 4731،	14،
	مسند أحمد 7021	67ب
إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ	صحيح مسلم 612، مسند	9، 44،
	أحمد 18834	74ب
إِنَّ اللَّهَ وَتَرَى يَحِبُّ الْوَنَرَ	صحيح مسلم 4835، سنن	83
	أبي داود 1207	
إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي؛ أَيْنَ الْمُتَّقُونَ	المعجم الأوسط للطبراني	112ب
إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةِ فَلَنْ تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ	صحيح مسلم 3309، مسند	52
	أحمد 203	
إِنَّ جَنَّتَهُ نَارًا، وَنَارَهُ جَنَّةً	صحيح مسلم 5222، سنن	107
	ابن ماجه 4061	
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ	صحيح البخاري 3005،	19ب
	صحيح مسلم 5050	
إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا	صحيح البخاري 2531،	83
	وصحيح مسلم 4836	
أَنْسَبَ لَنَا رَيْكَ. فَزِلْتُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾		113
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِنِسَاءٍ يَصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ	صحيح البخاري 1، سنن	19
إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَرَمَ الْأَخْلَاقِ	أبي داود 1882	
	مسند الشهاب القضاعي	5ب
	1080	
إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ	المستدرک علی الصحیحین	56ب

للحاكم 7714، شعب	إنه أشد شوقاً إلى لقاء أحبائه منهم إليه
الإيمان للبيهقي 6823	إنه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر على الله وضعه الله
46ب	إنه يُبعث يوم القيامة أمةً وحده
56ب	إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر. وقال: على طهارة
78ب	دلائل النبوة للبيهقي 424
43ب	المستدرک على الصحيحين
للحاكم 548، صحيح ابن	
حبان 804	
18	الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أدناها إمالة الأذن عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله
115ب	بإدري عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة
صحيح البخاري 3204، مستخرج أبي عوانة 105	
43ب	الحمد لله على كل حال
مصنف ابن أبي شيبة - (7)	
(90 /	
شعب الإيمان للبيهقي 102ب	خادمُ القوم سيدهم
8173	
3	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
سنن الترمذي 2442، سنن النسائي 5302	
27ب	الرؤية يراها الرجل المسلم أو تُرى له
صحيح مسلم 4203، موطأ مالك 1506	
57ب	رُبَّ كاسية عذرية
صحيح البخاري 112، المستدرک على الصحيحين	
للحاكم 8694	
113ب	الرحم شجنة من الرحمن
سنن الترمذي 1847، المستدرک على الصحيحين	
للحاكم 7375	

الحديث	تخريج الحديث	صفحة الخطوط
سحقاً سحقاً	صحيح البخاري 6097، 75ب	
سل ثقله، واشفع تُثَقِّلْ	صحيح مسلم 367، صحيح البخاري 3092، 88ب	
الصوم لا يثقل به	صحيح مسلم 284، سنن النسائي 2190، 5	
الصوم لي	مسند أحمد 21122، صحيح البخاري 1771، 5	
العلماء ورثة الأنبياء، (والأنبياء) ورثوا العلم وما ورثوا ديناراً ولا درهما	صحيح مسلم 1944، سنن أبي داود 3157، 76	
فإنما نحن به وله	سنن الدارمي 351، سنن أبي داود 925، 104ب	
فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار	مراسيل أبي داود 55، الأربعون حديثاً للأجري 2، 6، القضاء والقدر للبيهقي 60	
قد فعلت، قد فعلت	مسند أحمد 11762، 119	
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني 7287، موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	
قل يا حسنان! فإن روح القدس يؤيدك ما دمت تناخ عن عرض رسول الله	صحيح مسلم 4545، 74ب، المستدرک علی الصحیحین للحاکم 6102	
قلها في أنبي: أشهد لك بها عند الله	صحيح البخاري 1272، 94ب، صحيح مسلم 35	
كان خُلِقَ القرآن	مسند أحمد 23460، 95، المعجم الكبير للطبراني	

الكبرياء ردائي	سنن أبي داود 3567، 60ب
	سنن ابن ماجه 4164
كلّ مولود يولد على الفطرة	صحيح البخاري 1296، 87ب
	صحيح مسلم 4803
كلا والله؛ لا يخزيك الله أبدا	صحيح البخاري 4572، 5
	صحيح مسلم 231
كنت سمعه وبصره	صحيح البخاري 6021، 9ب،
	المعجم الكبير للطبراني 12ب،
	7738 26ب
كنت نبيا وآدم بين الماء والطين	الإبانة الكبرى لابن بطّة 89ب
	1879، المستدرک علی
	الصحيحين للحاكم 4174
كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: «تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون	صحيح البخاري 522، 93ب
	صحيح مسلم 1001
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك	صحيح مسلم 751، سنن 57ب
	النسائي 169
لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم	المستدرک علی الصحيحين 120ب
	للحاكم 7816، مسند عبد
	بن حید 677
لا يؤمن الرجل في سلطانه، ولا يفقد على تكرمته إلا بإذنه	صحيح مسلم 1078، 59
	مسند أحمد 16472
لأنزيدن على السبعين أو قال: لو علمت أنّ الله يغفر لهم لزدت	تفسير ابن أبي حاتم 69ب
على السبعين	10647
لو دلّيتم بحبل ليهبط على الله	سنن الترمذي 3220، 51
	مسند أحمد 8472

الحدث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
لو رفعها لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه	120	
لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي	تفسير القشيري - (1 / 46 (178)، البحر المديد - (6 / 357 /	
ما تقرب (إلّي) أحد بأحبّ إلّي بما افترضته عليه» فجعله أحبّ إليه. ثم قال: «ولا يزال العبد يتقرب إلّي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه وصره	صحیح البخاري 6021، 19ب صحیح ابن حبان 348	
من حلف على يمين، فرأى خيرا منها، فليكفر عن يمينه، وليأت الذي هو خير	صحیح مسلم 3115، سنن النسائي 3725	66
من عرف نفسه عرف ربه	أدب الدنيا والدين 83، 29 للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 369)	
نَ لله سبعين ألف حجاب، أو سبعين حجابا من نور وظلمة	المعجم الكبير للطبراني 49 5670، مسند أبي يعلى الموصلي 7359	
الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا	فيض القدير 6433، 11 حديث أبي الفضل الزهري 710	
نور أتى أراه	صحیح مسلم 261، مسند أحمد 20427	48ب، 49ب
هذا ممن قضى نجبه	سنن الترمذي 3127، 89 سنن ابن ماجه 123	
هل من مستغفر فأغفر له	صحیح مسلم 1265، 122ب شمب الإيمان للبيهقي 3453	
واجعل ذلك الوارث منا	سنن الترمذي 3424، 26ب السنن الكبرى للنسائي	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
	10234	
واجعلني نورا	صحيح مسلم 1279، 49ب مسند أحمد 2436	
والشر ليس إليك والخير كله يديك	صحيح مسلم 1290، سنن 8، 8ب الترمذي 3344	
وإنما الأعمال بالخواتم	صحيح البخاري 6117، 2ب مسند أحمد 21768	
وسعني قلب عبدي المؤمن	الزهدي لأحمد بن حنبل 60ب 429	
الولد يرأيه	تفسير حقي - (2 / 113ب (165)، المقاصد الحسنة - (236 / 1)	
يا ابن آدم؛ خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي	البحر المديد - (3 / 5 (248)، فيض القدير - (5) (466 /	
برحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد	صحيح البخاري 3121، 79ب، صحيح مسلم 216 80	
يصبح على كل سلامى منكم صدقة	صحيح مسلم 1181، سنن 118ب أبي داود 1094	
ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليل	صحيح البخاري 1077، 51 وصحيح مسلم 1261	

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
33	إِنَّ "لو" خَرَفَ امتناع لامتناع	لوجوب ب	7	الرمز
90	أنبياء الله ما أَدَّبَهُمْ	بالأدب ب	6	الرمز
114ب	الحَكْمُ لِنَقْدِ المعلوم والنَّسَبِ	لِلنَّسَبِ ب	5	البسيط
58ب	حِجَابُ العبدِ مِنْهُ وليس يَدْرِي	الحِجَابِ ب	4	الوافر
80	فما الجَبَرُ إِلَّا ظَاهِرٌ متَحَقِّقٌ	منقلب ب	4	الطويل
86ب	ليس يمحو الله خيراً قد كُتِبَ	فوجب ب	7	الرمز
9	مَنْ رَأَى الحَقَّ جَهِاراً عَلَّنا	حِجَابِ ب	4	الرمز
103	إِذَا ثَبَّتَ العبدُ فِي مَوْطِنٍ	الثابت ت	8	المتقارب
52ب	إِذَا مَا كُنْتُ عَيْنِي فِي وَجُودِي	وَأَنَا ت	15	الوافر
122	عَلِمْتُ أَنِّي هُنْتُ	فهمت ت	9	مجزوء الوافر
75	كلامي لبس غيري وهو غيري	رميتا ت	7	الوافر
79	إِنَّ القَوِيَّ الَّذِي مَا زَالَ يَشْهَدُنِي	حرج ج	7	البسيط
105	لَوْلا وَجُودُ الكونِ فِي المَارِجِ	بالمخرج ج	3	الرجز
11ب	إِذَا مَا دَعَاكَ اللهُ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ	العبد د	11	الطويل
109ب	أَلَدَّ الفَعْلُ فَعْلُ القَهْرِ فَاظْطَرَّ	الوجود د	4	الوافر
84ب	إِنَّ المَعَارِفَ تُعْطَى واحداً أهدأ	بأحد د	4	البسيط
112	أولو القُرْبَى هُمْ الحَكَامُ فِينَا	القياد د	4	الوافر
121	ثلاثة كلهم مصطفى	والمقتصد د	3	السرج
34	دلالات الوجود على وجودي	الشهود د	10	الوافر
43	قلبي على كُلِّ حالٍ فِي قَلْبِهِ	عدد د	6	البسيط

رقم الخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
72	كلّامٍ ليس غيري وهو غيري	ضدّ د	5	الوافر
67	لو أنّ جنسك والأكوان أجمعها	عبدوا د	7	البسيط
70	من كان لي كمنّي له	أزيد د	7	مجزوء الرجز
123ب	إنّ الضائق عند الله في ستر	تدري ر	4	البسيط
62ب	إنّ المشيئة غزّش ذات ليس لها	أثر ر	7	البسيط
14ب	عين القلوب من الوجود الناظر	تناظر ر	6	الكامل
30	فالحكم للخال والأحوال حاكمة	والبشر ر	8	البسيط
16ب	فقد حرنا وقد حارا	حارا ر	7	الهزج
17	فمن كان سميع الحق فالحق سامع	ناظر ر	2	الطويل
20	نفس الكريم كريمة في كلّ ما	والأقدار ر	3	الكامل
4ب	إذا كانت اعمالى إلى خالقي تقزى	نخزى ز	6	الطويل
65	وعذنا وأوعذنا؛ فأما وعيذنا	ناجز ز	5	الطويل
35ب	إنّ الليل مثلت الأركان	محسوس سن	13	الكامل
60ب	إنّ الرداء الذي لا يندري لا يبتة	لا يسه س	3	البسيط
118	حكم التكليف بين الله والناس	بالناسي س	2	البسيط
6	كلّ شيء بقضاء وقدر	بقضا ض	7	الرمل
55	فأبته الخلق مضبوطة	تنضبط ط	4	المقارب
51ب	فلا دؤ ولا تنل	هبوط ط	2	مخلع البسيط
44ب	من أحبّ الفنا أحبّ لقائي	الرجوعا ع	6	الخفيف
99ب	فليس وراء هذا الكفيف كشف	وصف ف	2	الوافر
118ب	يسوق رُوحى بلا شك إلى التلّف	شرف ف	4	البسيط

رقم الخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
97ب	إذا ظَهَرَ الْعَبْدُ مِنْ كَوْنِهِ	الناطق ق	4	المتقارب
121	فبالنور تُذَرِّكُ أَنْوَارُهُ	يدرك ك	2	المتقارب
81ب	لو كان عندك ما عندي لَمَا نَظَرْتُ	سواك ك	4	البسيط
47	طَالِبُ الْعِلْمِ لَيْسَ يُذَرِّكُ ذَاتِي	محالا ل	5	الخفيف
45ب	فَأَتَمَّ إِلَّا الْحَقُّ وَالْحَقُّ فَاعِلٌ	منفعل ل	1	الطويل
57	كُلُّ مَنْ حَازَ وَصَلَ	افصل ل	6	مجزوء الرمل
55ب	يُعَامِلُ الْحَقُّ بِمَا يُعَامَلُ	مقابل ل	6	مخلع البسيط
2ب	إِذَا كَانَ عِلْمُ الْحَقِّ فِي الْحَقِّ يَحْكُمُ	يتحكم م	7	الطويل
17	إِنَّ الرِّسَالَةَ أَجْرُهَا مَتَحَقِّقٌ	يستخدمه م	4	الكامل
111	حُكْمُ الْكَرِيمِ بَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ	الكرم م	3	الكامل
56	فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ وَهَبَ	عصم م	3	السريع
116	لَوْلَا سَمَاعُ كَلَامِ اللَّهِ مَا بَرَزَتْ	قدم م	4	البسيط
108	مِمَّا وَعَظْتَ فَمِيطَ بَعَيْنُ كَلَامِي	مقام م	13	الكامل
94ب	نَوَاشِئُ اللَّيْلِ فِيهَا الْخَيْرُ أَجْمَعُهُ	بالكرم م	5	البسيط
35	أَصَحُّ الْبَرَاهِينِ بَرَاهَانُ "إِنَّ"	عينا ن	7	المتقارب
2	إِنَّ خَوْفَ الْكِتَابِ شَرٌّ تَوَمِّي	وفينا ن	3	الخفيف
31	تَوَجُّدُ زَيْدٍ لَا عَنْ كَشْفِ بَرَاهَانٍ	الثاني ن	9	البسيط
119ب	سُبُحَاتُ الرَّجَاءِ تُذَرِّكُنَا	تعدنا ن	3	المدید
99ب	كَيْفَ شَتَّ فَإِنِّي	أكون ن	1	المجتث
61ب	لَا تَظْلِمُنَّ نَجْمِيًّا	فإتيي ن	4	مجزوء الكامل
37ب	مَا إِنْ أَقُولُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ	بالبرهان ن	7	الكامل

رقم الخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	المحرر
63ب	مَلِكْتِي مُلْكٌ كَسِرَى إِذْ تَمَلَّكَ "كُنْ"	أَن ن	2	البسيط
83ب	مَنْ رَأَى وَقَالَ يَوْمًا رَأَى	براني ن	6	الخفيف
21	مَنْ يَفْهَمُ الْأَمْرَ فَذَاكَ الَّذِي	عين ن	6	السريع
100	إِذَا كَانَ مَا عِنْدَهُ حَاكِمٌ	نراه هـ	5	المقتارب
23ب	إِنَّ التَّوَاقِعَ بَرَهَانٌ يَدُلُّ عَلَى	يعطيها هـ	4	البسيط
38ب	إِنِّي رَأَيْتُ وَجُودًا لَسْتُ أَذْرِيهِ	فيه هـ	12	البسيط
101ب	الْعَبْدُ مَنْ لَا عَبْدَ لَهُ	أكله هـ	7	مجزوء الرجز
117ب	فَالْحِسْ يَشْهَدُ مَا الْأَلْبَابُ تُكْذِرُهُ	به هـ	3	البسيط
123ب	فَالْحَقُّ سَارٍ وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْدَرِيهِ	فيه هـ	1	البسيط
14	فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا بِهَا	به هـ	3	الرجز
13ب	فَمَا عَرَفَ الْحَقُّ إِلَّا بِنَا	به هـ	1	المقتارب
13ب	فَمِنْهُ إِلَيْنَا وَمِنَّا إِلَيْهِ	عليه هـ	1	المقتارب
76	قَابَ قَوْسَيْنِ لَنَا مِنْ قَلْبِنَا	به هـ	5	الرمز
28ب	مَا فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ فَاَنْظُرُوهُ كَمَا	هو هـ	5	البسيط
50ب	مَا قَابَ قَوْسَيْنِ إِلَّا قُطْرُ دَائِرَةٍ	والله هـ	7	البسيط
113	نَسَبَ اللَّهِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ	هو هـ	6	الخفيف
49	النُّورُ كَيْفَ يَرَاهُ الظُّلُّ وَهُوَ بِهِ	تجليه هـ	5	البسيط
107ب	هَكَذَا صُورَةُ الْوُجُودِ	سواه هـ	2	مجزوء الخفيف
53ب	وَذَاكَ الَّذِي قَالُوا وَذَاكَ الَّذِي عَنُوا	سواه هـ	2	الطويل
مجموع الآيات 422				

استشادات

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
47ب	بِفَعْلٍ وَيَفْعَلْ وَأَفْعَلَةٍ	العدد د	1	البسيط	
66	وإني إذا أوعذته أو وعذته	موعدي د	1	الطويل	عامر بن الطفيل
46	مَلِكُ الثَّلَاثِ الْإِنْسَاتِ عِنَانِي	مكان ن	3	الكامل	هارون الرشيد
25	مَلِكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَنَقَّهَا	وراءها هـ	1	الطويل	قيس بن الخطيم
مجموع الآيات			6		

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	13، 13ب، 36ب،	الإنسان الكامل	14، 63
إبليس	100ب، 101	إنسان حيوان	85ب، 86
الإثبات	36ب	إنسان كبير	63
الأحدية - أحدية	28، 104	الإيثة	55
الأحد - أحدية الكثرة	29، 33ب، 47ب،	أول - آخر	115
أحدية الوصف	82ب، 84	الإيثار	54، 55
الأخفاء	47ب	الإيمان/تصديق	122ب
آدم	63ب، 74، 122	بحر	79ب، 110ب
	5، 14، 36ب،	البرنامج الأكل	96
	62ب، 63، 67ب،	البيت	80ب
	87ب، 88، 89ب،	بيتة الله	28ب، 74، 105
الإرث - الوارث	113ب، 114	التجليث	35ب، 37، 37ب
	25ب، 26ب، 27،	التجريد	99ب
استدراج	76ب، 77، 77ب	التجلي العام في	60
الاستقامة	105	الكثرة/ تجلي الكثيب	
الاسم	71	التجلي في الشيء	85ب
إله المعتقدات	30	التجلي للشيء	10، 85ب
أم الكتاب	58	ترجمان الحق	115ب
إمام مبین	58ب	التصرف	12ب، 102، 102
الإمامة - الإمام	24		102ب، 103
الأمانة	86ب		
	50		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
التلقي	52	خطوة	49
التلون	75ب	الدفتر الأعظم	24
التوحيد	7، 7ب، 73، 94	دقيقة	4، 85
الثبوت	58، 83ب، 96، 110ب	النوق / أول التجلي	48ب
جبريل	24، 61، 94	رب في عين عبد	103
الجمعية	63	الروية العامة	99ب، 99
حب فرائض - حب	19ب، 32، 32ب	الرحمة الطبيعية - الرحمة الموضوعة	68ب، 69
نوافل		الرحمن - الرحيم	54ب
الحجاب	58ب	الرداء	60ب
الحجاب الأعلى	49، 49ب	رداء / ظهور	60ب
حجاب / العبد	58ب	الروح الحمدي	74ب
الحق	17	سجن الرحمن	24ب
حق الحق / أنت	85ب	سر القدر	98
الحق المشروع	67	سفير الحق	24
حق خالق	60ب، 61	السكينة	73
حق خلق	86	سوى الله - سوى	100
حق في خلق	86	الشروق - المشرق	13، 13ب، 100، 100ب
الحيرة	34، 57ب، 58، 84ب	الشرعة	114ب
الحضر	91، 91ب	شهداء حق بحق /	123ب، 124
الخلافة - خليفة	63، 85ب، 94	العارفون	
خلق حق	13ب	الشهود	44

المصطلح	صفحة المخطوط
شهود في وجود	34
صاحب الصورة	63
صاحب العهد	65ب، 86ب، 87ب، 88، 89
الصاحب المجهول	43
الصفة	5، 49ب، 51ب، 74، 79ب، 82ب، 85، 89، 92، 96ب، 112ب، 117
صورة الحق - صورة الحق الظاهر	63، 14، 13ب
صورة العالم	13ب، 14
ضلال الهدى	31، 47
الطائفة	54ب
طريق/السلوك	93
الظاهر والباطن	51ب، 115
الظل	49
العالم	124
عالم الأمر	123ب
العبد المحض	104ب
العذاب/المجهل/	29، 115
حجاب حتي	67ب، 68
العرش	
عرش النات/ المشيئة	62ب
العلم	101ب
العهد الإلهي	89ب
عين القلب	14ب، 16
غربة	112ب
غيب النيب	67ب
القطرة	87ب، 91ب
الفقر	107ب
الفناء	54ب، 61ب، 62، 104
الفيض	98ب، 99
القدم	64
قدم - على قدم	41ب، 116
القرآن الكبير/	75، 75ب
الوجود	
القرب	52، 76ب
القلب	16، 16ب
القول الإلهي	30، 53ب
الكتاب الجامع/ آدم	63
كتاب الوجود/ القرآن	3ب
الكثير الواحد -	83
الواحد الكثير	
كرامة	74

المصطلح	صفحة المخطوط
شهود في وجود	34
صاحب الصورة	63
صاحب العهد	65ب، 86ب، 87ب، 88، 89
الصاحب المجهول	43
الصفة	5، 49ب، 51ب، 74، 79ب، 82ب، 85، 89، 92، 96ب، 112ب، 117
صورة الحق - صورة الحق الظاهر	63، 14، 13ب
صورة العالم	13ب، 14
ضلال الهدى	31، 47
الطائفة	54ب
طريق/السلوك	93
الظاهر والباطن	51ب، 115
الظل	49
العالم	124
عالم الأمر	123ب
العبد المحض	104ب
العذاب/المجهل/	29، 115
حجاب حتي	67ب، 68
العرش	
عرش النات/ المشيئة	62ب
العلم	101ب
العهد الإلهي	89ب
عين القلب	14ب، 16
غربة	112ب
غيب النيب	67ب
القطرة	87ب، 91ب
الفقر	107ب
الفناء	54ب، 61ب، 62، 104
الفيض	98ب، 99
القدم	64
قدم - على قدم	41ب، 116
القرآن الكبير/	75، 75ب
الوجود	
القرب	52، 76ب
القلب	16، 16ب
القول الإلهي	30، 53ب
الكتاب الجامع/ آدم	63
كتاب الوجود/ القرآن	3ب
الكثير الواحد -	83
الواحد الكثير	
كرامة	74

المصطلح	صفحة المخطوط
مرآة العالم	14، 82ب
مرآة القديم	13ب، 14
مرآة تجلي الحق بالعالم	14
مرآة وجود الإنسان	14
مريد- مراد	34، 64ب
المشيئة/ عرش الذات	32ب، 62ب، 63
المعرفة	86
مقام العبادة والعبودية	54
مقام قرب التوافل-	19ب
مقام قرب الفرائض	
المكر	105
المنازلة	52، 65ب، 78ب، 79
ميثاق- ميثاق النرية	87ب، 89ب
الميزان	37، 39ب، 41
الميزان الإلهي	41ب، 42، 42ب
نار أعمال	39ب
نار جحيم	42ب
نبوة الوارث	26ب، 27
نجيب	33
النعمة	5
نكته	25ب، 87ب، 93

المصطلح	صفحة المخطوط
الكشف العرفاني	84ب، 85
الكشف والشهود	9
كفر	100ب
كلمة التوحيد	94
الكلمة الذاتية	32ب
الكمال	102، 109ب، 115ب
الكون	62ب، 28ب
اللوح (المحفوظ)	24ب
ليلة القدر	61، 123ب
المؤمن	40ب
المثل	96ب
المعمل	7
الحمدي	69، 73، 74ب، 75ب
الحق والإثبات	28، 104
المختصر	62ب
مختصر الحق	62ب
مرآة	14
مرآة الحادث	13ب، 14، 35
مرآة الحق	14، 82ب
مرآة الرجل الكامل	14

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
نور الأيمان	93ب	الوجه الخاص	33ب
نون	54	الوجود	116
النباء	9ب	الوحدة	63، 7ب
النجير	124	الوحي	48ب
الممة	102	ولي-الولاية	94
الهوية	52، 115ب	الوهم	52
الواحد الكثير	83	يد الله-اليدان	71، 28
وارد	16ب	يقين	2
الوجد	116، 116ب، 117		

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	13، 13ب، 36ب، 100ب، 101	87ب، 88، 88ب، 92ب	
إيليس	36ب	114	بلال الحبشي
أبو البر التاشكي	59ب	10	الترمذي (أبو عيسى)
أبو المعالي الجويني	77	24، 61، 94	جبريل
أبو بكر الصديق	16، 57ب، 85ب، 89ب	73	الجنيد (أبو القاسم)
أبو عبد الله	15ب	70	الحاج مدور
الكتافي			يوسف الأستجي
أبو مدين	74	36ب	الحجاج بن يوسف الثقفي
أبو يعزى يوللنور	74	74ب	حسان بن ثابت
آدم	5، 14، 36ب، 62ب، 63، 67ب، 87ب، 88، 89ب، 113ب، 114	102	الحكيم الترمذي
الأشعري (أبو الحسن)	64	114ب	خباب بن الأثر
إياس (قاضي)	21ب	5	خديجة بنت خويلد
باقل	21ب	91، 91ب	الحضر
الباقلاني (أبو بكر بن الطيب)	15ب	69ب	داود (النبي)
البخاري	19	107	الدجال
البسطامي (أبو يزيد)	5ب، 41ب، 51ب، 54ب، 55ب، 61، 68	88ب	رابعة العدوية
		24ب	رضوان

الاسم	صفحة المخطوط
قيس بن الحطيم	25
كسرى	16ب، 63ب
لوط (النبي)	79ب، 80
مدور	70
المستضيء	69
مسلم (الإمام)	27ب
موسى (النبي)	5، 12ب، 13، 73ب، 74، 84، 84ب، 101، 104، 104ب، 117، 117ب
الناصر لدين الله	69
أحمد بن الحسن	
غروذ	13، 100ب، 101
هارون (النبي)	114
هارون الرشيد	45ب
ورقة بن نوفل	5
الوكاف	59ب
يعقوب (النبي)	73
يونس (النبي)	51ب

الاسم	صفحة المخطوط
روح القدس	74ب، 75ب
سليمان (النبي)	121ب
سليمان النبلي	41ب، 89، 102ب
سهل بن عبد الله	87ب
التستري	
الشبلي	43ب
طالوت	72ب
طلحة بن عبيد الله	89
عائشة (أم المؤمنين)	95
عبد الله بن الزبير	36ب
عبد الله بن عباس	41ب
عبد الملك بن مروان	36ب
عمر بن الخطاب	19، 23ب
عيسى (النبي)	97، 106
فرعون	12ب، 13، 94
قس بن ساعدة	78ب
القشيري	73
قضيبة البان	10

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة الخطوط
أستجة	70
بغداد	59ب
بيت الله الحرام	35ب، 36ب
جبل أحد	70ب
الطائف	41ب
فاس	15ب
الكعبة	36ب
المدينة المنورة	29
المشرق	13، 13ب، 100ب
المغرب	13، 13ب، 15ب، 74، 100ب
مكة المكرمة	41، 41ب، 114
ميفارقين	59ب

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة الخطوط
التوراة		24
الزبور		76
مواقع النجوم	ابن العربي	83
رسالة القشيري	أبو القاسم القشيري	73
الجامع الصحيح	الترمذي	10

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة الخطوط
الأشعرية	64
الحسبانية	15ب
القدماء	13ب
المعتزلة	13ب

المحتويات

179.....	رموز مستخدمة في التحقيق
183.....	الباب الأحد عشر وأربعمئة في معرفة منازل: «فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار» من حضرة: كاد لا يدخل النار فخلوا الكتاب ولا تخفوني، فإني وليكم على السواء في مثل هذا
186.....	الباب الثاني عشر وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ كان لي لم يذل ولا يخزي أبداً
188.....	الباب الثالث عشر وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ سألني فما خرج من قضائي، وَمَنْ لم يسألني فما خرج من قضائي
189.....	وَصَلِّ تَنْبِيه
191.....	الباب الرابع عشر وأربعمئة في معرفة منازل: ما ترى إلّا بحجاب
194.....	الباب الخامس عشر وأربعمئة في معرفة منازل: من دعاني فقد لَدَى حقّ عبوديته، ومن ألصق نفسه فقد أنصفني
198.....	الباب السادس عشر وأربعمئة في معرفة منازل: عين القلب
201.....	الباب السابع عشر وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ أجره على الله
201.....	(النوع الأول ممن أجره على الله: الرسل)
202.....	النوع الثاني ممن أجره على الله: (المهاجر إلى الله ورسوله)
203.....	النوع الثالث ممن أجره على الله: (العاقلون عن الناس)
206.....	الباب الثامن عشر وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ لم يفهم لا يوصل إليه شيء
209.....	الباب التاسع عشر وأربعمئة في معرفة منازل: الصكوك، وهي المنافع والتوقيعات الإلهية
215.....	الباب العاشر عشرون وأربعمئة في معرفة منازل: التخلص من المقامات
218.....	الباب الأحد والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ طلب الوصول إلى بالليل والبرهان لم يصل إلى أبداً، فإِثمه لا يقبضه شيء
226.....	الباب الثاني والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ رَدَّ إلى فعلي فقد أعطاني حقّي، ولنصفني مما لي عليه
231.....	الباب الثالث والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ غار عليّ لم ينكرني
233.....	الباب الرابع والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: أحبك للبقاء معي، وتحبّ الرجوع إلى أهلك، فقف حتى أنتقي منك، وحينئذ تمرّ عني. قال الله تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) فهو المحبّ المحبوب
236.....	الباب الخامس والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ طلب العلم صرفاً بصره عني
239.....	الباب السادس والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: المرء الذي قال منه رسول الله ﷺ حين استقهم عن رؤية ربّه، فقبل له: رأيت ربك في ليلة الإسراء؟ قال: «نور لئي أراه»
241.....	الباب السابع والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: (قاب قوسين)
243.....	الباب الثامن والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: الاستقهم عن الإنبيئين
247.....	الباب التاسع والعشرون وأربعمئة في معرفة منازل: مَنْ تصاعر لجلالي، نزلتُ إليه، ومن تعظم عليّ، تماظمتُ عليه

- الباب الثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: إن خيرتك أوصلتك إليّ 249
- الباب الواحد والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: من حجبته حجبته 251
- الباب الثاني والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: ما ارتدبت بشيء إلا بك فأعرف لك ذلك، وإذا عجب شيء لا يعرف نفسه 253
- الباب الثالث والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: انظر أي تجل يحملك فلا تسألني، فمطيك، فلا أجد من يأخذه 255
- الباب الرابع والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: لا يحجبنيك: "لو شئت"، فإني لا أشاء بعد، فأتيت 257
- الباب الخامس والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: أخذت العهد على نفسي، فوقتاً وفيتت، ووقتا على يد عدي لم أض، ويمنب عدم الوفاء إلى عدي، فلا تعرض، فإني هناك 260
- الباب السادس والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: لو كنت عند الناس كما كنت عندني، ما عبدوني 263
- الباب السابع والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: من عرف حظه من شريحتي عرف حظه مني، فبك عندني كما أنا عندك مرتبة واحدة 266
- الباب الثامن والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: من قرأ كلامي رأى علمتي فيها سرّج ملانكي تنزل عليه وفيه، فإذا سكنت رفقت عنه ونزلت أنا 269
- الباب التاسع والثلاثون وأربعمئة في معرفة منزلة: قاب قوسين للثاني الحاصل بالورثة للنبوة للخواص منّا 273
- الباب الأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: اشتد ركن من قولي فله بمشاهدي 277
- الباب الواحد والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: عيون أفنة العارفين ناظرة إلى ما عندني، لا إليّ 280
- الباب الثاني والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: من رآني وعرف أنه رآني لما رآني 282
- الباب الثالث والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: واجب الكشف العرفي 284
- الباب الرابع والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: من كتب له كتاب العهد الخالص لا يشقى 286
- الباب الخامس والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: هل عرفت أوليائي الذين أكتبهم بأدي؟ 290
- الباب السادس والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: في تعمير نواشئ الليل فوائد الخيرات 295
- الباب السابع والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: من دخل حضرة التطهير نطق عني 298
- الباب الثامن والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: من كشفت له شيئاً مما عندني بهت، فكيف يطلب أن يراني هيهات! 301
- الباب التاسع والأربعون وأربعمئة في معرفة منزلة: قول من قال عن الله: ليس عدي من تحب عدي 303
- الباب الخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: من ثبت لظهوري كان بي لا به، حبيته كان به لا بي، وهو الحقيقة، والأول مجاز 305
- الباب الواحد والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: في المخارج معرفة المعارج 308
- الباب الثاني والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: كلامي كله موعظة لسيدي لو اقتضوا 311
- الباب الثالث والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: كرمي ما وهبتك من الأموال، وكرمي ما وهبتك من 315
- عنوك عن الجاني عليك.

الباب الرابع والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: لا يقوى معنا في حضرتنا هريب وإنما المعروف لأولى القربى	317
الباب الخامس والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: مَنْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بظاهري لا يمسدْ أبداً، وَمَنْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِباطني لا يشقى أبداً، وبالعكس	320
الباب السادس والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: مَنْ تحرَّك عند سماع كلامي؛ فقد سمع؛ يريد الوجد الذي يعطي الوجود	322
الباب السابع والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: التكليف المطلق	325
الباب الثامن والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: إدراك المثجات الوجهية	327
الباب التاسع والخمسون وأربعمئة في معرفة منزلة: (وَلَهُمْ عِنْدَنَا لَمَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارُ)	329
الباب العشرون وأربعمئة في معرفة منزلة: الإسلام والإيمان والإحسان الأول والثاني	330
الباب الحاد والعشرون وأربعمئة في معرفة منزلة: مَنْ أسَلْتُ عَلَيْهِ حجاب كُفِّي فهو من ضناني؛ لا يعرف ولا يُعرف	332

الفهارس

فهرس الآيات وفقاً لتسلسل السور والآيات	337
فهرس الأحاديث النبوية	343
فهرس الشعر	350
استشادات	354
مصطلحات صوفية	355
فهرس الأعلام	360
فهرس الأماكن	362
فهرس الكتب	363
فهرس الفرق	363

السفر الموي في ثلاثين من الفتوح المكيّة

1 العنوان ص 1ب، وكتب بجانبه: "قول به". وتحت عبارة: "إنشاء سينما وشيخنا الإمام الأعظم الفرد الوارث الأكل شيخ الإسلام والمسلمين سلطان الحقتين محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحائلي، رضي الله عنه وأرضاه به من". ويليّه بخط الشيخ ابن العربي: "رواية مالك هذه الحلة محمد بن إسحق القنوي عنه". ويليّه بخط حديث: "وقف هذا الكتاب صاحبه المذكور اسمه بخط المؤلف أعلاه هذا المكتوب رضي الله عنهما، في المكان والشرط المذكورين في أوائل الكتاب وآخره، قبل الله منه، ليس لأحد تغيير شرطه. فمن نقله بعد ما سمعه فإيما إله على الذين يملونه، إن الله سميع عليم". ثم طابع دفعة برقم 1874، وختم الأوقاف الإسلامية برقم 1756،. وبجانبه إشارة إلى عدد الصفحات أنها 247 صحيفة.

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ 》	آيات قرآنية
“ ”	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجوقية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن... الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4هـ تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4هـ (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).
أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم
الفصل السادس في هجرات الامم
ومفاداتهم المحمدية

الكتاب الثاني

والسور رابع مائة في الامم

المحمدية وما نزلهم

الانجيل في الزمان لانت يضيحه

ولا مقام ولا حال يعينه

مرغى العنان على الالحاق نشاته

قامت فلا ادر بنا ربينة

من مال ان له نعمنا فليس له

علمه عنده ان يزدو به

فعلنا ان علمنا يشين به

وجعلنا هو في علمي رزقنا

مال الله تعالى عن الاله والاله الا على وما لنا الا له

مقام معلوم وقال ما اهل ثوب لا مقام لهم فاشبه لهم كنه

شيء يشبه هذه الاله الاخرى واصل باب الامم

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الفصل السادس في هجرات الأقطاب ومقاماتهم المحدثية

الباب الثاني والستون وأربعائة

في الأقطاب المحدثين ومنازلهم

الْيَثْرِيُّ الَّذِي لَا تَقْتَ يَضِطُّهُ وَلَا مَقَامٌ وَلَا حَالٌ يَتَّقِيَهُ
مُرَخًى الْمَنَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ نَفْثَةً قَامَتْ فَلَا أَحَدٌ مِمَّا يَبِينُهُ
مَنْ قَالَ إِنَّ لَهُ تَقْتًا فَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِهِ عِنْدَمَا يَتَدَوُّ مُكُونُهُ
فَعِلْمُنَا إِنْ عَلِفْنَاهُ يُثِينُ بِهِ وَتَحَلُّنَا هُوَ فِي عِلْبِي بَرِيقُهُ

قال الله تعالى - عن الملائكة والملا الأعلى: ﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَقْلُومٌ﴾² وقال: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾³ فاشبهه ﴿لَيْسَ كَقَوْلِ شَيْءٍ﴾⁴ أي تشبه هذه الآية الآية الأخرى. وأصل باب الأقطاب قوله⁵ ﴿كَلِمَ رَاعٍ﴾ حتى الإنسان على جوارحه وجميع قواه؛ من بادية وهي الظاهرة، وحاضرة وهي الباطنة.

فاعلم أنَّ الأمور كثيرة مختلفة في العالم. فكلُّ شيء يدور عليه أمرنا من الأمور؛ فذلك الشيء قطب ذلك الأمر. وما من شيء إلا وهو مركب من روح وصورة؛ فلا بد أن يكون لكل قطب روح وصورة. فروحه تدور عليه أرواح ذلك الأمر الذي هذا قطبه، وصورة ذلك القطب تدور عليه صور ذلك الأمر الذي هذا قطبه. يسمى الوجه الواحد من القطب: جنوبياً وهو الروح، والآخر: شمالياً وهو الصورة. فمن جملة أصناف العالم الأناسي⁶؛ وهم المقصودون من وجود العالم بالقصد الثاني، لا بالقصد الأول. وأما القصد الأول؛ فالقصد بوجود العالم (هو) عبادة الله، أعني عبادة العرفان للحادث لكمال الوجود. غير أنه في كل صنف من أصناف العالم تام غير كامل، وما كل إلا بهذه النشأة الإنسانية الكاملة، وما عدا الكاملة فهو الإنسان الحيوان المستقى بالحد: حيواناً ناطقاً⁷، والأقطاب من الكمل.

1 السلسلة ص 2

2 [الصفات : 164]

3 [الأحزاب : 13]

4 [الشورى : 11]

5 ص 2ب

6 ق: جنوبي

7 ق: شمالي

8 ق: "الإنساني" وصحت فوقها: "الأناسي" مع إشارة التصويب، ولكن من غير إشارة المسح

9 "حيواناً ناطقاً" كتب في ق: "حيوان ناطق"

ثم إن الله جعل العالم الجسمي والجسماني في منزلين: منزل يسقى الدنيا، ومنزل يسقى الآخرة، وجعل سكانها: الإنس والجان، والمعتبر فيهما: الإنس، والمعتبر من الإنس: الكمل لا غير؛ وهم الذين ذكّرهم¹: "الله" لا يزيدون عليه في قوسهم، هذا ذكّرهم في قوسهم وفي خلواتهم باللسان. وأمّا في العموم ف(ذكّرهم): "لا إله إلا الله" ثم بعدها أنواع الذكّر من "سبحان الله" المقيد والمطلق، و"الحمد لله" كذلك، و"الله أكبر" كذلك، و"لا حول ولا قوة إلا بالله" كذلك.

فعمر بهذا الصنف المقصود من العالم أولاً: النار الدنيا من البارين، وجعل سكانهم فيها بآجال مستأنة ينتهون إليها، ثم ينتقلون عند فراغ مدتهم إلى النار الآخرة. وتقلّتهم على ضربين: منهم من ينتقل بموت؛ وهو مفارقة الحياة الدنيا؛ فيحيا بحياة الآخرة، ومنهم من ينتقل بالحياة الدنيا من غير موت؛ وهو الشهيد في سبيل الله خاصة، وما يقال فيه بأنه أفضل من الميت؛ إلا أنه أفضل من بعض الموتى.

ثم إن الله جعل هذا الصنف الإنساني في الدنيا أئمة كثيرين، ثم بعث في كلّ أمة رسولا ليُعَلِّمها ما هو الأمر عليه الذي خُلِقوا له، ويُعلِّمهم بما للحقّ عليهم أن يفعلوه، وما لهم إذا فعلوا ذلك - من الخير عند الله في النار الآخرة، وماذا عليهم، إذا لم يفعلوا، من العقوبة عند الله في النار الدنيا - إذا علم ولاية أمرهم ذلك. وفي الآخرة. ثم جعل الفضل فيهم: فمنهم الفاضل والأفضل من الأمم ومن الرسل، وختم الأمم بأئمة محمد ﷺ² وجعلهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾³ وختم بمحمد ﷺ جميع الرسل عليهم السلام - وختم بشرعه جميع الشرائع؛ فلا رسول بعده يشرّع، ولا شريعة بعد شريعته تنزل من عند الله؛ إلا ما قرره شرعه من اجتهاد علماء أمته، في استنباط الأحكام من كتابه وسنة نبيه.

وأعني بالسنة: الحديث، لا من قياس. وأعني بالقياس هنا: قياس فرع على فرع، لا قياس فرع على أصل؛ فإن قياس الفرع على الأصل هو المستنبط الذي ثبت بالاجتهاد، وجعله الفقهاء أصلاً رابعاً، كما جعلوا الإجماع أصلاً ثالثاً؛ وهو إجماع الصدر الأول، وقالوا: إنهم ما أجمعوا على أمر إلا ولا بدّ أن يعرفوا فيه نصّاً يرجعون فيه إليه، إلا أنّه ما وصل إلينا، مع قطعنا به. فإنّه من الحال أن يجمعوا على حكم لا يكون لهم فيه نص؛ لأنّ نظرهم ونظرهم مختلفة؛ فلا بدّ من الاختلاف؛ وقد أجمعوا على أمر؛ فذلك الحكم مقطوع به عندنا أنهم فيه على نص من الرسول ﷺ. ولا حكم بإجماع بعد إجماع الصدر الأول.

1 ص 3

2 ص 3 ب

3 [آل عمران: 110]

4 ق: "لهو" وفي س: "فذلك هو" وما انتبهاه فن ه

فلما كان الأمر على ما قترناه في هذا الباب؛ فاشتغلنا بمذكر الأقطاب المحمديين لكون¹ محمد ﷺ «سيد الناس يوم القيامة»، وهو وأمه: الآخرون الأولون؛ فاعتبرنا من الرسل محمدا ﷺ، ومن الأم أمته

ﷺ

واعلم أن الأقطاب المحمديين على نوعين: أقطاب بعد بعثته، وأقطاب قبل بعثته. فالأقطاب الذين كانوا قبل بعثته فهم الرسل؛ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا. وأما الأقطاب من أمته الذين كانوا بعد بعثته إلى يوم القيامة؛ فهم اثنا عشر قطبا، والختان خارجان عن هؤلاء الأقطاب؛ فهم من المفردين. وسيأتي في آخر الكتاب ذكر الحتم، ويأتي بعد هذا الباب ذكر الاحتمى عشر قطبا مستوفى إن شاء الله تعالى.

فأما منازل الأقطاب المحمديين الذين هم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين - فلا سبيل لنا إلى الكلام على منازلهم؛ فإن كلامنا عن ذوق، ولا ذوق لنا في مقامات الرسل عليهم السلام. وإنما أدواقنا في الوراثة خاصة. فلا يتكلم في الرسل إلا رسول، ولا في الأنبياء إلا نبي أو رسول، ولا في الوارثين إلا رسول أو نبي أو ولي، أو من هو منهم؛ هذا هو الأدب الإلهي. فلا تُعرف مراتب الرسل إلا من الحتم العام الذي يختم الله به الولاية العامة في آخر الزمان؛ وهو عيسى - بن² مريم، روح الله. فإن سئل عن ذلك؛ فهو يترجم عنهم وعن تفاضلهم؛ فإنه رسول منهم.

وأما نحن فلا سبيل إلى ذلك. فكلما في أقطاب الأم؛ الذين هو ورثة أنبيائهم وأرسلهم، وفي أقطاب هذه الأمة المحمدية المتأخرة المنعوتة بالخيرية على جميع الأم السالفة؛ مؤمنهم وكافرهم. فكافرهم شر³ من كافري الأم، ومؤمنهم خير من مؤمني الأم؛ فلهم التقدم؛ كما ورد في الخبر في قرish أنهم المقدمون على جميع القبائل في الخير والشر، وجعل الإمامة فيهم؛ سواء عدلوا أم جاروا. فإن عدلوا فلرعييتهم ولهم، وإن جاروا فلرعييتهم وعليهم، يعني: ما فرطوا فيه من حقوق الله، وحقوق من استراهم الله عليهم. فأقطاب هذه الأمة المختارة مقدمون على الأقطاب المتقدمين في الأم السالفة، أعني الأقطاب الوارثين المتبعين آثار رسلهم.

ثم نرجع ونقول: إن أقطاب هذه الأمة المحمدية على أقسام مختلفة. وما أعني بالأقطاب الذين لا يكون في كل عصر منهم إلا واحد، إنما نذكر ذلك في الاحتمى عشر - قطبا في الباب الذي يلي هذا الباب، وإنما أذكر في الأقطاب المحمديين كل من دار عليه أمر جماعة من الناس في إقليم أو جهة. كالإبدال في الأقاليم

1 ص 4

2 ص 4ب

3 كانت في ق: "خير" عليها إشارة مسح وصحيح قلم الأصل: "شر".

4 ص 5

السبعة؛ لكل إقليم بدل هو قطب ذلك الإقليم. والأوتاد الأربعة؛ لهم أربع جهات يحفظها الله بهم من شرق، وغرب، وجنوب، وشمال؛ لكل جهة وتد. وكأقطاب الشرى؛ فلا بد في كل قرية من ولي لله - تعالى - به يحفظ الله تلك القرية؛ سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة؛ فذلك الولي قُطْبُهَا.

وكذلك أصحاب المقامات. فلا بد للزهاد من قطب يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه، وكذلك في التوكل، والمحبة، والمعرفة، وسائر المقامات والأحوال؛ لا بد في كل صنف صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام. ولقد أطلعني الله تعالى - على قطب المتوكلين؛ فرأيت التوكل يدور عليه كأنه الرحي حين تدور على قطبها؛ وهو عبد الله بن الأستاذ الموروري، من مدينة مورور ببلاد الأندلس. كان قطب التوكل في زمانه؛ عايته وصحبته بفضل الله، وكشفه لي. ولما اجتمع به عزته بذلك؛ فتبسم، وشكر الله تعالى -.

وكذلك اجتمع بقطب الزمان، سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة بمدينة فاس. أطلعني الله عليه في واقعة، وعزني به.

فاجتمعنا يوما بستان ابن حيون بمدينة فاس، وهو في الجماعة لا يؤتة له. فحضر في¹ الجماعة وكان غريبا من أهل بجاية؛ أشل اليد - وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله، معتبرون في طريق الله، منهم أبو العباس الحصار، وأمثاله. وكانت تلك الجماعة بأسرها، إذا حضروا يتأذّبون معنا؛ فلا يكون المجلس إلّا لنا، ولا يتكلّم أحد في علم الطريق فيهم غيري، وإن تكلموا فيما بينهم رجعوا فيها إليّ.

فوقع ذكر الأقطاب، وهو في الجماعة. فقلت لهم: يا إخواني؛ إنّي أذكر لكم في قطب زمانكم عجبا!. فالتفت إليّ ذلك الرجل الذي أراني الله في منامي أنّه قطب الوقت، وكان يختلف إلينا كثيرا، ويحبّنا. فقال لي: قل ما أطلعك الله عليه، ولا تُسمّ الشخص الذي عيّن لك في الواقعة، وتبسم، وقال: الحمد لله. فأخذت أذكر للجماعة ما أطلعني الله عليه من أمر ذلك الرجل. فتعجب السامعون! وما سمعته، ولا عيّنته. وبقينا في أطيب مجلس مع أكرم إخوان إلى العصر، ولا ذكرت للرجل أنّه هو. فلما انقضت الجماعة، جاء ذلك القطب، وقال: جزاك الله خيرا؛ ما أحسن ما فعلت؛ حيث لم تسم الشخص الذي أطلعك الله عليه، والسلام عليك ورحمة الله. فكان سلام وداع، ولا علم لي بذلك. فما رأيته بعد ذلك في المدينة إلى الآن!.

فالأقطاب² المحمديّون هم الذين ورثوا محمدا ﷺ فيما اختص به من الشرائع والأحوال، مما لم يكن في

1 ص 5
2 ص 6

شرع تقدّمه، ولا في رسول تقدّمه. فإن كان في شرع تقدّم شرعه وهو من شرعه، أو في رسول قبله وهو فيه ﷺ؛ فنلك الرجل وارث ذلك الرسول المخصوص، ولكن من محمد ﷺ؛ فلا ينسب إلا إلى ذلك الرسول، وإن كان في هذه الأمة. فيقال فيه: موسويّ إن كان من موسى، أو عيسويّ، أو إبراهيميّ، أو ما كان من رسول، أو نبيّ. ولا ينسب إلى محمد ﷺ إلا من كان بمثابة ما قلناه بما اختصّ به محمد ﷺ وليس أعمّ في الاختصاص من عدم التقييد بمقام يميّز به. لما يميّز الحمديّ إلا بأنّه لا مقام له يتعيّن؛ فقامه أن لا مقام.

ومعنى ذلك ما نبّهته؛ وهو أنّ الإنسان قد تغلب عليه حالته؛ فلا يعرف إلا بها؛ فينسب إليها ويتعيّن بها. والحمديّ نسبة المقامات إليه نسبة الأسماء إلى الله؛ فلا يتعيّن في مقام ينسب إليه، بل هو في كلّ نفس، وفي كلّ زمان، وفي كلّ حال؛ بصورة ما يقتضيه ذلك النفس، أو الزمان، أو الحال. فلا يميّز تميّذه؛ فإنّ الأحكام الإلهيّة تختلف في كلّ زمان؛ فيختلف باختلافها؛ فإنّه ﷻ كلّ يوم في شأن. فكنلك الحمديّ وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ² وَلَمْ يَلْهُوْا بِالْأَفْهَامِ﴾. والقلب ما سميّ إلا بتقلّبه في الأحوال والأمور دائماً مع الأنفاس.

فمن عباد الله من يعلم ما يتقلّب فيه في كلّ نفس، ومنهم من يغفل عن ذلك. فالتقلب الحمديّ أو المفرد هو الذي يتقلّب مع الأنفاس علماً، كما يتقلّب معها حالاً كلّ واحد من خلق الله. فما زاد هذا الرجل إلا بالعلم بما يتقلّب فيه وعليه، لا بالتقليب؛ فإنّ التقليب أمر يسري في العالم كلّ وفيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك على التّصريح والتّعيين، وإن علموه على الإجمال. فنزلهم على قدر علمهم فيما يتقلّبون فيه وعليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ³﴾ وشرّح هنا الباب ونشطه يطول؛ فربما الاختصار على ما ذكرناه وأومأنا إليه وتوخينا، وفي ذكرنا هيجرهم بين مقامهم، والله وليّ التوفيق.

الباب الثالث والستون وأربعمئة

في معرفة الاتي عشر قطبا

الذين¹ يدور عليهم عالم زمانهم

لَا تَقْنِي عَشْرٌ مَعَ الْعَقْدِ	مُنْتَهَى الْأَسْمَاءِ فِي الْعَقْدِ
فِي وَجُودِ الْحَقِّ مِنْ عَدَدِ	فِيهِمْ جُفُظُ الْوُجُودِ وَمَا
وَهُوَ الْمُنْعَوْتُ بِالْأَحَدِ	وَهُوَ الْمُنْعَوْتُ بِالْعَدَدِ
فِي الَّتِي قَامَتْ بِهَا عَمَدِ	ظَهَرَتْ أَحْكَامُ نَشْأَتِهِمْ
فِي أَبٍ مِنْهَا وَفِي وَلَدِ	ثُمَّ فِي الْأَرْكَانِ حُكْمُهُمْ

قال الله تعالى- لبيته ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ² وَعَزَّ وَفَعَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يقول: يميلون عن أسمائه، لا بل يقول: يميلون في أسمائه إلى غير الوجه الذي قصد بها ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾³ من ذلك؛ فكلُّ يُجْزَى بما مال إليه فيما أوحينا يقول: ﴿أَتَبِعَ⁴ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾⁵ ولا تِلْ يميلهم؛ فإني خلقتك متبعا لا متبعا -اسم مفعول، لا اسم فاعل- ولذلك قال له عند ذكر الأنبياء: ﴿فَبِهَذَا مِثْلَهُ﴾⁶ لا بهم، و"هدام" ليس سيوى شرع الله فقال: ﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾⁷ وذكر من ذكر. فكان الشارع لنا (هو) الله الذي شرع لهم؛ فلو أخذ عنهم لكان تابعا، فافهم.

فأقطاب هذه الأمة اثنا عشر قطبا، عليهم مدار هذه الأمة، كما أن مدار العالم الجسمي والجسماني في الدنيا والآخرة على اثني عشر برجا قد وكلهم الله بظهور ما يكون في النارين من الكون والفساد، المعتاد وغير المعتاد. وأما المفردون فكثيرون، والختمان منهم، أي من المفردين، فما هما قطبان. وليس في الأقطاب من هو على قلب محمد ﷺ، وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ﷺ والحنم منهم، أعني: خاتم الأولياء الخاص. فأما الأقطاب الاثنا عشر- فهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام- فالواحد منهم على قلب، وإن شئت قلت: على قدم، وهو أولى؛ فإني هكذا رأيته في الكشف بأشيلية، وهو أعظم في

1 ص 7

2 [الإخلاص : 1]

3 [الأعراف : 180]

4 ص 7 ب

5 [الأنعام : 106]

6 [الأنعام : 90]

7 [التورى : 13]

الأدب مع الرسل؛ والأدب مقامنا، وهو الذي أرتضيه¹ لنفسي ولعباد الله، فنقول:

إِنَّ الْأَوَّلَ أعني واحدا منهم- على قدم نوح عليه السلام والثاني على قدم إبراهيم الخليل عليه السلام والثالث على قدم موسى عليه السلام والرابع على قدم عيسى عليه السلام والخامس على قدم داود عليه السلام، والسادس على قدم سليمان عليه السلام والسابع على قدم أيوب عليه السلام والثامن على قدم إلياس عليه السلام والتاسع على قدم لوط عليه السلام والعاشر على قدم هود عليه السلام والحادي² عشر على قدم صالح عليه السلام والثاني عشر- على قدم شعيب عليه السلام ورأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، وكلمت منهم هودا أخا عاد دون الجماعة. ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين -أيضا- من كان منهم، ومن يكون إلى يوم القيامة؛ أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين.

وصاحب³ من الرسل وانتفعت به سيوى محمد ﷺ جماعة؛ منهم إبراهيم الخليل، قرأت عليه القرآن. وعيسى بُثَّ على يديه. وموسى أعطاني علم⁴ الكشف والإيضاح، وعلم قلب الليل والنهار. فلما حصل عندي؛ زال الليل، وبقي النهار في اليوم كله؛ فلم تغرب لي شمس ولا طلعت؛ فكان لي هذا الكشف إعلاما من الله أنه لا خطأ لي في الشقاء في الآخرة. وهود عليه السلام سألته عن مسألة فعزفني بها؛ فوقعت في الوجود كما عزفني بها. هذا إلى زمان؛ هؤلاء عاشر⁵ من الرسل: محمدا ﷺ وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وهودا⁶، وداود. وما بقي فروية، لا صحة.

واعلم أن كل قطب من هؤلاء الأقطاب له لبث في العالم أعني دعوتهم- فمن بُعث إليهم آجال مخصوصة مسقة تنتهي إليها، ثم تُسَخَّر بدعوة أخرى، كما تُسَخَّر الشرائع بالشرائع. وأعني بدعوتهم: ما لم من الحكم والتأثير في العالم. فلنذكر مُدَّة أعمارهم في حياتهم الدنيا. فمنهم من كان عمره في ولايته ثلاثا وثلاثين⁷ سنة وأربعة أشهر، ومنهم من كانت مدته ثلاثين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما، ومنهم من دامت مدته ثمانيا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومنهم من دامت مدته خمسا وعشرين سنة، ومنهم من دامت مدته⁸ اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وعشرين يوما، ومنهم من دامت مدته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، ومنهم من دامت مدته ست عشرة سنة وثمانية أشهر، ومنهم من دامت مدته ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما، ومنهم من دامت مدته إحدى عشرة سنة

1 ص 8

2 بالأصل: والحادي الأحد

3 ص 8

4 ق: وهود

5 ق: ثلاثة وثلاثون

6 ص 9

وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومنهم من دامت مدته سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام، ومنهم من دامت مدته ثمان سنين وأربعة أشهر، ومنهم من دامت مدته خمس سنين وستة أشهر وعشرين يوماً.

وهجيرهم واحدٌ وهو: "الله الله" بسكون الهاء وتحقيق الهمزة- ما لهم هجير سواه. وما عدا هؤلاء الأقطاب من أقطاب القرى، والجهات، والأقاليم، وشيوخ الجماعات؛ فأنواع كثيرة، وهي التي أذكر منها في هذا الفصل ما تيسر، وما أذكر ذلك إلا لأجل نتيجة ذلك الذكر لمن دام عليه على الحال المعروفة في الذكر في ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾¹ ولو لم قصد ذلك؛ لم يكن في ذكرني وتعييني له في هذا الكتاب منفعة.

فلنذكر أولاً من أحوال هؤلاء الأقطاب ما تيسر مع أحديّة هجيرهم². وإنما توخّد (هجيرهم) لتوحد مقام القطبية؛ فذلك هو هجير القطبية، لا هجير الشخص. ولكل واحد منهم هجير في أوقاتٍ خلاف هذا. وقال عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله» يريد: لا يبقى قطب يكون عليه مدار العالم، ولا مقرّد يحفظ الله بهتته العالم، وإن لم يكن قطباً. فلا تقوم الساعة إلا على شرار الناس.

(القطب الأول وهو على قدم نوح)

فإنما أحد الأقطاب نهو على قدم نوح عليه السلام فله من سور القرآن سورة "يس"؛ فإنه لكل قطب سورة من القرآن من هؤلاء الاثني عشر. وقد تكون لمن سيّاهم من الأقطاب -الذين ذكرناهم- السورة من القرآن، والآية الواحدة من القرآن. وقد يكون للواحد منهم ما يزيد على السورة، وقد يكون منهم من له القرآن كله؛ كأبي يزيد البسطامي؛ ما مات حتى استظهر القرآن. فلنذكر ما يختص به هؤلاء الاثنا عشر- من سور القرآن.

فهذا القطب الواحد له سورة "يس" وهو أكمل الأقطاب حكماً. جمع الله له بين الصورتين الظاهرة والباطنة؛ فكان خليفة في الظاهر بالسيف، وفي الباطن بالهمة³. ولا أسمى ولا أعينّه؛ فإني نهيت عن ذلك، وعرفتُ لأني أمرُمتُ من تعيينه باسمه. وليس في جماعة هؤلاء الأقطاب من أوتي جوامع ما تقتضيه القطبية غير هذا، كما أوتي آدم عليه السلام جميع الأسماء، كما أوتي محمد عليه السلام جوامع الكلم. ولو كان ثم قطب على قدم محمد عليه السلام لكان هذا القطب؛ إلا أنه ما تمّ أحدٌ على قدم محمد عليه السلام إلا بعض الأفراد الأكابر، ولا يعرف لهم عدد. وهم أخفاء في الخلق، أبرياء، علماء بالله، لا يترزّون⁴، ولا يعرفون فيترزّون. مقامهم

1 [الأحزاب : 35]

2 ص 2 وب

3 ص 10

4 يترزّون: يتقصّون

الحفظ فيما يعلمون، لا تدخل عليهم في علمهم شبهة تحيرهم فيما علموه، بل هم على بينة من ربهم. هذا حال الأفراد.

فلنرجع إلى ذكر هذا القطب، فنقول: إن منازلَه عند الله على عدد آيات هذه السورة، وكذلك كل قطب منازلَه على عدد آيات سورتَه، وسُورهم معلومة أذكرها جملة، ثم أذكرها لمن شاء الله تعالى. فالواحد له كما قلنا: سورة يس، والثاني: سورة الإخلاص، والثالث: سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، والرابع: سورة الكافرون، والخامس: سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، والسادس: سورة البقرة، والسابع: سورة المجادلة، والثامن: سورة آل عمران، والتاسع: سورة الكهف؛ وهو الذي يقتله الدجال، ويدرك عيسى - عليه السلام -، والعاشر: سورة الأنعام، والحادي عشر: سورة طه. وهذا القطب هو نائب الحق تعالى- كما كان علي بن أبي طالب نائب محمد ﷺ في تلاوة سورة "براءة" على أهل مكة وقد كان يمث بها أبا بكر، ثم رجع عن ذلك، فقال: «لا يُبلِّغ عني القرآن إلَّا رجل من أهل بيتي» فدعا بعلي، فأمره، فلحق أبا بكر. فلما وصل إلى مكة؛ حج أبو بكر بالناس، وبلغ علي إلى الناس سورة "براءة" وتلاها عليهم نيابة عن رسول الله ﷺ. وهذا مما يدلُّ على صحَّة خلافة أبي بكر الصديق، ومنزلة علي رضي الله عنها- والثاني عشر: سورة "تبارك الملك" فهذه سور الأقطاب من القرآن.

إلَّا أن صاحب سورة "المجادلة" التي هي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ﴾¹ إنما سورتَه: "الواقعة" وله تروُّع بهذه السورة، وكذلك الذي له سورة الإخلاص لا غير، ومنازلهم كما قد ذكرنا. غير أنَّ المنازل بحسب الآيات ومن ذكر وما ذكر فيها، فإنَّ التفاضل في الآيات مشهور⁵ على الوجه الذي جاء، وفضلها يرجع إلى التالي من حيث ما هي عليه الآية في التلاوة متكلِّم بها، لا من حيث أنَّها كلام الله؛ فإنَّ ذلك لا تفاضل فيه، وإنَّما التفاضل يكون فيما تكلم به، لا في كلامه، فاعلم ذلك.

فأمَّا حال هذا القطب (الأوَّل) فله التأثير في العالم ظاهرا وباطنا، يشهد الله به هذا الدين؛ أظهره بالسيف، وعصمه من الجور؛ فحكم بالعدل الذي هو حكم الحق في النوازل، وربما يقع فيه من خالف حكمه من أهل المذاهب مثل الشافعية، والمالكية، والحنفية، والحنابلة، ومن اتهم إلى فتوة إمام لا يوافقها في الحكم هذا القطب. وهو خليفة في الظاهر. فإذا حكم بخلاف ما تقتضيه أدلَّة هؤلاء الأئمة؛ قال أتباعهم بشخطيته في حكمه ذلك، وأنشأوا عند الله جلا شكًا- وهم لا يشعرون؛ فإنه ليس لهم أن يخطئوا مجتهدا؛

1 ص 10 ب

2 ق: الحادي أحد

3 باقة في الهامش مع إشارة التصويب

4 [المجادلة: 1]

5 ص 11

لأنّ المصيبَ عندهم واحد، لا بعينه. ومن هذه حاله فلا يُقدِّم على تخطئة عالم من علماء المسلمين، كما تكلم من تكلم في إمارة أسامة وأبيه زيد بن حارثة حتى قال في ذلك رسول الله ﷺ ما قال. فإذا طُمنَ فمِن قَدَمه¹ رسول الله ﷺ وأمره، وزَجَّحوا نظرهم على نظر رسول الله ﷺ فما ظنُّك بأحوالهم مع القطب؟ وأين الشهرة من الشهرة؟ هيهات! فزنا وخسر المبطلون. فوالله! لا يكون داعياً إلى الله إلّا مَنْ دعا على بصيرة، لا مَنْ دعا على ظلٍّ وحكم به.

لا جرم أنّ من هذه حاله حَجَرَ على أمة محمد ﷺ ما وسَّع الله به عليهم؛ فضيق الله عليهم أمرهم في الآخرة، وشدّد الله عليهم يوم القيامة المطالبة والحاسبة؛ لكونهم شَدَدُوا على عباد الله أن لا ينتقلوا من مذهب إلى مذهب في نازلة؛ طلباً لرفع الحرج، واعتقدوا أنّ ذلك تلاعبٌ بالدين، وما عرفوا أنّهم بهذا القول قد مرقوا من الدين. بل شرعُ الله أوسع، وحكمه أجمع وأنفع، وهو قَوُّهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ. بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَشْلِمُونَ² هذا حال هؤلاء يوم القيامة؛ فَمَا لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ³.

ولهذا القطب مقام الكمال؛ فلا يقبّده نعمت، هو حكيم الوقت؛ لا يظهر إلّا بحكم الوقت، وبما يقتضيه حال الزمان. الإرادة بحكمه؛ ما هو بحكم الإرادة؛ فله السيادة، وفيه عشر خصال:

أولها⁴ الجِلْمُ مع القدرة؛ لأنّ له الفعل بالهتمة؛ فلا يغضب لنفسه أبداً. وإذا انتهكت محارم الله؛ فلا يقوم شيء لغضبه؛ فهو يغضب الله.

والثانية: الأناة في الأمور التي يحمد الله الأناة فيها، مع المسارعة إلى الخيرات. فهو يسارع إلى الأناة، ويعرف مواطنها.

والثالثة: الاقتصاد في الأشياء؛ فلا يزيد على ما يطلبه الوقت شيئاً؛ فإنّ الميزان بيده؛ يزيّن به الزمان والحال؛ فيأخذ من حاله لزمانه، ومن زمانه لحاله؛ فيخفض ويرفع.

والرابعة: التدبير؛ وهو معرفة الحكمة؛ فيعلم المواطن؛ فيلقاها بالأمور التي تطلبها المواطن، كما فعل أبو دجانة⁵ حين أعطاه النبي ﷺ السيف بحقه في بعض غزواته؛ فمضى به الحيلاء بين الصّفيّين، فقال رسول

1 ص 11 ب

2 [الصفات : 24، 26]

3 [المرسلات : 36]

4 ص 12

5 أبو دجانة: بعد أن قاتل جيشا الإسلام والشرك يوم أحد وجيشا للقتال "قال رسول الله ﷺ من أخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال إليه رجال فأمنك عنهم حتى قام إليه أبو دجانة يملك من خزيمة، أحوبي ساعة فقال وما حقنا رسول الله ؟ قال أن ضرب به العدو حتى يتخني قال آخذنا رسول الله بحقه فأغشاه ثيابا وكان أبو دجانة رجلا خبيثا يخال عند الحزب إذا كثرت وكان إذا أظلم بصابة

الله ﷻ وهو ينظر إلى زهوه: «هذه مشية يفيضها الله ورسوله، إلا في هذا الموطن» ولهذا كان مشي رسول الله ﷺ فيه سرعة، كأنما ينحط في صَبَب. فصاحب التدبير ينظر في الأمور قبل أن يبرزها في عالم الشهادة؛ فله التصرف في عالم الغيب؛ فلا يأخذ من المعاني إلا ما تقتضيه الحكمة؛ فهو الحكمم الخبير. فما ينبغي أن يديه بجملًا؛ أبداه بجملًا، وما ينبغي أن يديه مفصلاً؛ أبداه مفصلاً، وما ينبغي أن يديه محكما؛ أبداه محكما، وما ينبغي أن يديه متشابها؛ أبداه متشابها.

والخصلة الخامسة: التفصيل؛ وهو العلم بما يقع به الامتياز بين الأشياء، مما يقع به الاشتراك. فينصل كل أمر عن مثاليه، ومقابليه، وخلافه، ويأتي إلى الأسماء الإلهية القريبة التشابه كالعلم، والخبر، والخصي، والمحيط، والحكم، وكلها من أسماء العلم؛ وهي بمعنى العلم؛ غير أن بين كل واحد وبين الآخر دقة وحقيقة، يمتاز بها عن الباقي، هكذا في كل اسم يكون بينه وبين غيره مشاركة.

والسادسة: العدل؛ وهو أمر يُستعمل في الحكومات، والقسم، والقضايا، وإيصال الحقوق إلى أهلها. وهو في الحقوق شبيه بما ذكر الله عن نفسه أنه ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾² وقوله في موسى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾³ وقوله في ناقة صالح: ﴿لَهَا يَرْزُبُ وَلَكُمْ يَرْزُبُ يَوْمَ مَقْلُومٍ﴾⁴ ويتعلق به علم الجزاء في البارئ، والعدل بين الجنابة، والحد، والتعزير.

والسابعة: الأدب؛ وهو العلم بجوامع الخيرات كلها في كل عالم، وهو العلم الذي يحضره⁵ في البساط، ويمنحه الجلاسة، والشهود، والمكاملة، والمسامرة، والحديث، والخلو، والمعاملة بما في نفس الحق في المواطن من الجلوة. فهذا وأمثاله هو الأدب.

والثامنة: الرحمة؛ ومتعلقتها منه كل مستضعف، وكل جبار. فيستزله برحمته ولطفه، من جبروته، وكبريائه، وعظمته، بأيسر مؤونة في لين، وعطف، وحنان.

والتاسعة: الحياء؛ فيستحي من الكاذب عن الكاذب، ويظهر له بصورة من صدقه في قوله؛ لا يظهر له بصورة من تاعى عنه؛ حتى يعتقد فيه الكاذب أنه قد مشى عليه حديثه، وأنه جاهل بمقامه، وبما جاء

٤ خزانة، فانتصب بها علم الناس أنه سبحانه فلما أخذ الشيف من يد رسول الله ﷺ أخرج بضائحه تلك فصب بها رأسه وجعل يتجفّر بين الصّيقين. قال ابن إسحاق: فغذّي جعفر بن عبد الله بن أسلم، مؤلف عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا ذبلّة يتجفّر إني لأبغضها الله إلا في مثل هذا الموضع. (سيرة ابن هشام 2/66)

1 ص 12

2 [طه: 50]

3 [البقرة: 60]

4 [الشعراء: 155]

5 ص 13

به. فيدلّ في شغله، ثم لا يكون في حقّه عند ربّه إلّا واسطة خير؛ يدعوه بالتجاوز فيما بينه وبين الله عند الوقوف والسؤال يوم القيامة. وقد ورد في الخبر: «إنّ الله يوم القيامة يدعوه بشيخ، فيقول له: ما فعلت؟ فيقول من المقرّبات ما شاء الله، والله يعلم أنّه كاذب في قوله؛ فيأمر به إلى الجنة؛ فتقول الملائكة: يا ربّ؛ إنّ كذب فيما ادّعاء. فيقول الحقّ: قد علمت ذلك، ولكنّي استحيت منه أن أكذب شينته» وما أوصل إلينا رسول الله ﷺ هذا الخبر عن¹ الله؛ إلّا لنكون بهذه الصفة؛ فنحن أحقّ بها؛ لحاجتنا أن يعاملنا الحقّ بها.

والعاشرة: الإصلاح؛ وأعظمه إصلاح ذات البين، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾² وقد ورد في الخبر: «إنّ الله يصلح بين عباده يوم القيامة؛ فيوقف الظالم والمظلوم بين يديه؛ للحكومة والإنصاف، ثم يقول لهما: ارفعا رؤوسكما، فينظران إلى خير كثير؛ فيقولان: لمن هذا الخير؟ فيقول الله لهما: لمن أعطاني الثمن. فيقول المظلوم³: يا ربّ؛ ومن يقدر على ثمن هذا؟ فيقول الله له: أنت؛ بفنوك عن أخيك هذا. فيقول المظلوم: يا ربّ؛ قد عفوت عنه. فيقول الله: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ فإنّ الله يصلح بين عباده يوم القيامة».

(القطب الثاني وهو على قدم الخليل إبراهيم)

وأما القطب الثاني من الاثني عشرة فهو على قدم الخليل إبراهيم عليه السلام وهو الذي له "سورة الإخلاص" الذي حبه إيّاها أدخله الجنة، ولقارنها ثلث القرآن، وله من المنازل بعدد آياتها. وهو صاحب الحجة والبرهان النظري، يكون له خوض في المعقولات؛ فيصيب ولا⁴ يخطئ. وذلك أنّ الناس قد اختلفوا في العلم الموهوب الذي من شأنه أن يدركه العاقل بفكره، ويوصله إليه دليل النظر، فقال بعضهم: مثل هذا العلم إذا وهبه الله من وهبه؛ وهبه بدليله؛ فيعلم الدليل والمندلول، لا بدّ من ذلك.

ورأيت أبا عبد الله الكتّاني بمدينة فاس، إماماً من أئمة المسلمين في أصول الدين والفقه، يقول بهذا القول. فقلت له: هذا ذوقك، كذا أعطاك الحقّ؛ فتوقّك صحيح وحكمك غير صحيح. بل قد يعطيه العلم الذي لا يحصل إلّا بالدليل النظري ولا يعطيه دليلاً، وقد يعطيه إيّاه ويعطيه دليلاً. كإبراهيم الخليل، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾⁵ وهو أكمل من الذي يعطى العلم الذي يوصل إليه

1 ص 13 ب

2 [الأنا: 1]

3 ق: "الطام" وعليها إشارة المسح، وصححت في الهامش بخط آخر.

4 [الأنا: 1]

5 ص 14

6 [الأنا: 83]

بالليل، ولا يعطى الليل. ولا يشترط أحد تخصيص دليل من دليل؛ إنما يعطى دليلاً في الجملة؛ فإن الأدلة على الشيء الواحد قد تكثر، ومنها ما يكون في غاية الوضوح، ومنها ما يغمض كسألة إبراهيم الخليل في إحياء الموتي، وإماتة الأحياء، وعدوله إلى إتيان الشمس من المشرق أن يأتي بها الخصم من المغرب؛ وكلاهما دليل على المقصود.

وهذا القطب من الدعاة إلى الله بالأمر الإلهي، ومسكنه في الهواء في فضاء الجوّ، في بيت جالس على 'كرسي' له نظر إلى الخلق، لا يزال تالياً، عنده جماعة من أهل الله وخاصته، كلامه في الأحدثية الإلهية، وفي أحدثية الواحد، وفي أحدثية الوحدانية بالأدلة النظرية، وما حصلها عن ظهر، ولكن هكنا وهبها الحق تعالى - له. وحاله الحضور دائماً؛ إلا أنه لم يحز مثل ما حاز غيره؛ بل إبان الله له ما وقف عنده، ولم يشغل خاطره بما يوجب عنده الحيرة. قد تفرغ مع الله لقضاء حوائج الناس. يعرف الأسماء الإلهية معرفة تامة، يقول بنفي البلية في جانب الحق.

أخبرني الحق بالطريقة التي جرت العادة أن يخبر بها عباده في أسرارهم؛ أن هذا العبد أعطاه (الله) الرحمة بعباده والصلوة لزوجيه؛ فسأله في أمر؛ فلم يجبه الله إليه، وهو أنه سأل أن يرث مقامه غيبته؛ فقال له: ليس ذلك إليك؛ لا يكون مقام الخلافة بالورث، ذلك في العلوم والأموال، وأما الخلافة فكل خليفة في قوم (يكون) بحسب زمانهم؛ فإن الناس في زمانهم أشبه منهم بآبائهم؛ فإن الحق لا يحكم عليه خلق إلا في العلم، والخلق لا يعرف أن له هذه المرتبة إلا من أعلمه الله بذلك.

ولقد رأيت من فتح الله عليه بصحتي، واستفاد أحوالاً، وعلومًا، وخزق عوائد؛ أعطاه¹ الله ذلك من حسن معاملته مع الله، وأخبرني أنه ما استفاد شيئاً مما هو عليه إلا مِنِّي، وأنا لا علم لي بذلك؛ إنما أدعو إلى الله، والله يعلم من يجب ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِنْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾² وصدقوا، وكذا هو الأمر؛ فلا علم لأحد إلا من يُعلمه الله. وما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم؛ فإنما هو غلبة ظن، أو مصادفة علم، أو جزم على زعم؛ وأما علم فلا. فإن جميع الطرق الموصلة إلى العلم فيها شبهة، لا تثق النفس الطاهرة التي أوقفها الله على هذه الشبهة، أن تقطع بمحصل علم منها إلا بالطريقة الإلهية، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾³ وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَنَةً الْبَيِّنَاتِ﴾⁴ فهو يبين عما في نفسه. ولهذا القطب أسرارٌ عجيبة.

1 ص 14 ب

2 ص 15

3 [المائدة: 109]

4 [الأفال: 29]

5 [الرحمن: 3، 4]

(القطب الثالث وهو على قدم موسى)

وأما القطب الثالث وهو على قدم موسى عليه السلام فسورته: **﴿إِذَا جَاءَ ضُرُّ اللَّهِ وَالْفُتْحُ﴾**¹ ومنازله بعدد آيها، ولها ربع القرآن. وهذا القطب كان من الأوتاد ثم نُقِلَ إلى القطبية. كما كان القطب الثاني من الأئمة ثم نُقِلَ إلى القطبية². وهو (أي هذا القطب الثالث) صاحب جمد ومكابدة، لا ينفك عن الاشتغال بالخلق عند الله. أعطاه الله في منزل النداء: اثني عشر ألف علم ذوقا في ليلة واحدة، ومنزل النداء من أعظم المنازل، وقد عيّناه في منزل المنازل من هذا الكتاب، ولنا فيه جزء مفرد، أعني في طبقات المنازل وكيانها.

فإن علوم هذا القطب علم الافتقار إلى الله بالله، وهو علم شريف ما رأيت له ذاتما لثما ذفته. ومعنى هذا وسره؛ أن الله أطلعه على أن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها. وذلك أن الأسماء لها في ظهور آثارها- السلطان والعزة، والممكنات قد يحصل فيها أثر تضرر به، وقد تنفع به؛ وهي على خطر.

فبقاؤها على حالة عدم أحب إليها لو خُيرت؛ فإنها في مشاهدة ثبوتية حالية، ملتزمة بالتداني ثبوتية، منزلة كل حالة عن الحالة الأخرى، لا تجمع الأحوال عين واحدة في حال الثبوت؛ فإنها تظهر في شبيبة الوجود في عين واحدة، فزيد مثلا الصحيح في وقت هو بعينه العليل في وقت آخر، والمعاق في وقت هو المبطل في وقته ذلك بعينه. وفي الثبوت ليس كذلك؛ فإن الألم (يكون هنا) في³ الثبوت، ما هو في عين المتألم؛ وإنما هو في عينه. فهو ملتزم بثبوته، كما هو ملتزم بوجوده في المتألم، والحل متألم به.

وسبب ذلك أن الثبوت بسيط، مفرد، غير قائم شيء بشيء. وفي الوجود ليس إلا التركيب؛ فحامل ومحمول. فالحمول أبدا منزلته في الوجود مثل منزلته في الثبوت؛ في نعيم دائم. والحامل ليس كذلك؛ فإنه إن كان المحمول يوجب لذة؛ التذ الحامل، وإن أوجب آلاما؛ تألم الحامل. ولم يكن له ذلك في حال الثبوت؛ بل العين الحاملة في ثبوتها تظل في مكانها تكون عليه في وجودها إلى ما لا يتناهى. فكل حال تكون عليها؛ هو إلى جانبها ناظر إليها، لا محمول فيها. فالعين ملتزمة بذاتها، والحال ملتزمة بذاته. فحال الأحوال لا يتغير نوقه بالوجود، وحال الحامل يتغير بالوجود. وهو علم عزيز. وما تعلم الأعيان ذلك في الثبوت إلا بنظر الحال إليها، ولكن لا تعلم أنه إذا حملته تتألم به؛ لأنها في حضرة لا تعرف فيها طعم الآلام، بل تتخذة صاحبا. فلو علمت العين أنها تتألم بذلك الحال إذا اتصفت به؛ لتألمت في حال ثبوتها بنظره إياها؛ لعلها أنها تتلبس

1 (النصر : 1)

2 ص 15 ب

3 ص 16

4 رسمها في: "علة" والترجيح من هـ، س

به، وتحمله في حال وجودها. فتألفها به في¹ الثبوت تنقّم لها. وهذا الفن من أكبر أسرار علم الله في الأشياء. شاهدته ذوقاً إلهياً. لأنه من عباد الله من يُطلعه الله كشفاً على الأعيان الثبوتية؛ فيراها على صورة ما ذكرناها من المجاورة والنظر، ما يرى فيها حالاً ولا عللاً.

بَلْ كُلُّ ذَاتٍ عَلَى انْفِرَادٍ مِنْ غَيْرِ شُوبٍ وَلَا اتِّحَادٍ
وَلَا حُلُولٍ وَلَا انْفِصَالٍ وَلَا انْقِصَابٍ وَلَا انْصَابٍ

فإذا فهمت الفرق بين الوجود والثبوت، وما للأعيان في الوجود، وما لها في الثبوت من الأحكام؛ عِلِمْتُ أَنَّ بعض الأعيان لا تهرِدُ ظهور الأثر فيها بالحال، ما لها في ذلك ذوق. فهي بالحال لو عُرض عليها ذوق الألم في حال الثبوت لضجّت؛ فإن أمرها في حال الوجود إذا حملت الألم؛ قد تحمل الصبر، وقد لا تحمله. وفرضناها في حال الثبوت حاملة، فاقدة للصبر؛ فما لها بلسان الحال ذلك الافتقار إلى طلب الوجود، وإن طلبته بالقول الثبوتي من الله. فإذا وجدت تقول كما قد قل عن بعضهم: "ليتنى لم² أخلق، ليت عمر لم تلده أمه، ليتها كانت عاقراً"، وأمثال هذا.

فتكون الأعيان أقل افتقاراً من الأسماء، والأسماء أشد افتقاراً؛ لما لها في ذلك من النعم، ولا سبباً وهي تشاهد من الحق الابتهاج الذاتي بالكمال من حيث استصحاب الممكنات في ثبوتها لذاته، وأنه منزّه عن أثرها والتأثر بسببها. فهو من حيث ذاته في كمالٍ عن التأثر في حال ثبوت الأعيان وحال وجودها؛ لأنه ما زاد في نفسه علماً بما لم تكن عليه فيها؛ فإنها أعطته العلم بشأنها أولاً، وبذلك الصورة توجد. فالمجاورة في الثبوت حلول في الوجود؛ ففي الثبوت (هو) إلى جانبها، وفي الوجود (هو) حال فيها. فهذا علم واحد من تلك العلوم، فاعلم ذلك.

(القطب الرابع وهو على قدم عيسى)

وأما القطب الرابع الذي على قدم عيسى عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾³ ولها ربع القرآن، ومنازله بعدد آياتها. وهذا القطب من الضنائن المصانين، له التجلي الباطن، كلامه في الجمع والوجود وعلم المزهّد. إذا رأى شبهة في أحد تحوّل بينه وبين العلم -أزالتها، حتى يتبين لصاحبها صورة الحق في ذلك الأمر. له ستمائة مفتاح مقام، في كلّ مقام من العلوم ما شاء الله، له علم الاستزاج والتركيب

1 ص 16 ب

2 ص 17

3 [الكافرون: 1]

4 ص 17 ب

الاعتدالي، لا يعرف الانحراف، ولا النقص، ولا الزيادة. مسكنه بقية أرين، منقطع عن الخلق إلا من شاء الله. عاش طيباً مع الله، إلى إن توفاه الله. وكان من الأوتاد أيضاً، فانتقل إلى القطيعة.

يقول: إن الوجود (هو) وجود الحق، وإن الجمع (هو) جمع الحق صفات القدم والحديث. وهو علم غريب في الجمع، ما رأيت من يقول به من أهل الله غير هذا القطب خافني شاهدت هؤلاء الأقطاب؛ أشهدنيهم الحق، وإن كانوا قد درجوا من الدنيا- وهو العلم الذي وردت به الشرائع في جانب الحق. فنقول: ذلك هو الجمع. وعنده أن الحديث (هو) صاحب دعوى في تلك الصفات المستاة محدثة، ولأجل دعواه قلنا: إنه جمع. وإلا فالأمر واحد؛ كلها صفات قدم في القديم، ومحدثة في الحديث؛ لظهورها فيه، ولم تكن ظاهرة؛ فحدث عند المتصف بها. كما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾¹ وليس إلا كلام الله القديم. فجمعنا عليه ما له، مع نسبته إلينا. فسمي من فعل ذلك: صاحب جمع ووجود؛ فحكوم حكم الممكنات (هو) وجود الحق، لا غيره. فمن فهم الجمع هكذا علم الأمور كيف هيته.

مَنْ دَرَى الْجَمْعَ هَكَذَا عِلْمُ الْأَمْرِ كَيْفَ هُوَ
فَهُوَ الْحَقُّ لَا يَسْوَا هُ فَلَا تَسْمَعْتُهُ

(القطب الخامس وهو على قدم داود)

وأما القطب الخامس الذي على قدم داود عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ ولها نصف القرآن، ومنازله بعدد آيها، وحاله التفرقة، وله مقام المحبة؛ فهو معلول للحب. فدأوه دواؤه، وما له علم يتقدم فيه على غيره إلا علم ثبوت المحبة الإلهية والكونية، ولهذا كان في مقام التفرقة. وكان من الأنمة؛ فنقل إلى القطيعة.

يقول هذا القطب: إن الحب ما ثبت. وكل حب يزول فليس بحب، أو يتغير فليس بحب؛ لأن سلطان الحب أعظم من أن يزله شيء، حتى أن الففلة التي هي أعظم سلطان تحكم على الإنسان- لا يمكن لها أن تهزل الحب من الحب. يمكن عنده أن يففل الإنسان عن نفسه بمحبوبه، ولا يتمكن للمحب أن يففل بأحد عن محبوبه؛ فذلك هو الحب، وذلك هو الحب.

فَدَاءُ الْمَحَبَّةِ مَا لَا يَزُول وَلِإِنَّ الشَّقَاءَ لَهُ مُسْتَجِيلٌ

1 [الأنبياء : 2]

2 ص 18

3 "ما" هنا اسم موصول بمعنى "الذي".

فَلَا تَزْكَنْ إِلَى غَيْرِ ذَا وَلَا تُضْغِنَنَّ إِلَى مَا يَقُولُ

فحبب الله أحببنا الله، وحبب الحق لا يتغير؛ فحبب الكون لا يتغير. فقيل له: فحبب الكون الكون هل يتغير؟ قال: لا؛ لأن الكون محبوب لئانه، والمحبة الناتجة لا يمكن زوالها. قيل له: فقد رأينا من تستحيل مودته! فقال: تلك إرادة؛ ما هي محبة. إذ لو كانت محبةً بُنِيتْ. ألا تراها تُسقى وُدًا لثبوتها، وثبوت حكمها؟ وذلك أنه ما في الحب لغير محبوبه فُضلة من ذاته يمكن للزبل أن يدخل عليه منها. هذا سبب ثبوتها؛ فإنه يشاهد عين محبوبه في كل شيء يشهده؛ فلا يفقده. فلو صح للمحب أن يشهد غير محبوبه² في عين ما؛ يدخل عليه من ذلك ما يزيل حبه، وهذا ليس يواقع في الحب. فالتبس على من هذه حالته حكم الإرادة بحكم الحب. وما كل مرید محب، وكل محب مرید. وما كل مراد محبوب، وكل محبوب مراد. فقام هذا القطب ما ذكرناه، وشأنه عجيب، وتفصيل حاله يطول، ومذهبنا الاختصار.

(القطب السادس وهو على قدم سليمان)

وأما القطب السادس الذي على قدم سليمان عليه السلام فسورته "الواقعة" ولها الحياة الدائمة، ومنازله بعدد آياتها. اختص بعلم الحياة والحيوان، لا يأخذ حالا من أحواله إلا عن ربه؛ فأحواله أحوال ربه، هذبه هذبي الأنبياء كما أمر الله نبيه ﷺ لما ذكر له الأنبياء عليهم السلام - قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَانُهُمْ اقْتَدِهْ﴾ وما قال: "فهم اقتدوه" فعلمنا أن محمدا مساوٍ لجميع من ذكره من الأنبياء ومن لم يذكره؛ فإنه لكل نبي هدى كما ذكر: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾³ فهو سبحانه - نصب الشرائع، وأوضح المناهج، وجمع ذلك كله في محمد ﷺ فمن رآه فقد رأى جميع المقربين، ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين.

وَمَا عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

وأعني بقولي: "إن أحوال هذا القطب أحوال ربه" ما قال الحق عن نفسه من أنه كل يوم في شأن؛ فهذا عبارة عن اختلاف الأحوال. فهو من القوم الذين يشاهدون الحق في شؤونه؛ فينظرون إلى ما له من الشؤون فيهم؛ فيتلبسون بها منه؛ فهم من أحوالهم على بصيرة. فمن هذه حاله؛ ما هو بثل من حاله التخلق بالأسماء الإلهية؛ بل لهذا ذوق، ولهذا ذوق. فثل هذا الرجل يكون مجهول الحال؛ لأن مواطن الحق خفية، لا يدركها إلا من كان مقامه التلبس بالشؤون.

1 ص 18 ب

2 "في كل شيء... محبوه" داجية في هامش ق بخط نسخي جميل مع إشارة التصويب

3 ص 19

4 [الأهم : 90]

5 [المائة : 48]، وتكرر لفظ: ومنهاجا في ق

واللبيل على ذلك أتأ قد جمعنا على أنه لا موجد إلا الله، وأنه حكيم يضع الأمور مواضعها، ولا يتمدى بها موطنها؛ فكل شيء ظهر¹ في العالم فهو حكمة في موضعه. وقد جمعنا أن جميع الخلق، وأن أهل الله؛ أكثرهم يقولون: لو كان كذا عن فعل من الأفعال ظهر في الوجود على يد إنسان- لكان أحسن من هذا الفعل الذي فعلت وأولى؛ يقولون للذي يظهر ذلك الفعل الإلهي فيه وعلى يديه فعل هذا إلا لجهلهم بحكمة الله فيما وقع لهم فيه؟!- مثل هذا القول. فهذا ما وقع من أهل الله إلا بغفلتهم عن الله، لا بجهلهم؛ فإذا ذكروا تذكروا. ويقع من غير أهل الله بجهله، لا بغفلته. فإنه لا يزول عما ذهب إليه في ذلك الفعل من اللوم؛ حتى تبدوا له حكمة الله فيه متى بدت؛ حينئذ يعترف بجهله، ويعرف قصور علمه وعقله.

وما رأيت أحدا من أهل هذا النوق، ولا سمعت بأنه ريء، وهو قريب في غاية الظهور؛ ولكن الأغراض، تمنع، والأهواء من التعمل في تحصيله. وذلك أن حجة من لا يروم تحصيله من أهل الدين يقول: إن الشرع قد أمرنا أن نشكر أشياء، وأن نقول: الأولى ترك هذا من فغله، مع علمي بأن الفعل لله. قلنا: صدقت؛ ولكن ما خرج مثل هذا الاعتراض من شخص قويم رقيق؛ وذلك أنني قلت: إنه يحمل حكمة الله فيما اعترض فيه. فمن اعترض باعتراض الشرع فهو ناقلُ اعتراض الله² فيما اعترض؛ ما هو المعترض، وذلك الاعتراض إذا وُجد من الله؛ يعلم صاحب هذا النوق حكمته ومزكته. وصاحب هذا الحال يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقم الحدود؛ وهو يشاهد حكمة ذلك كله، ويراه في الشئون الإلهية المشهودة له؛ ولا يشهدا إلا عند تكوينها خاصة، هذا هو مقام صاحب هذا الحال.

فإن من أهل الله أيضا من يشاهد هذه الشئون قبل أن يكون الحق فيها؛ وهو الذي يشاهد أعيان الممكنات، في حال عدمها، كما يشهدا الحق. ولهذا يعين الحق منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من الممكنات؛ فإن الحق لا يوجد إلا بما هي عليه في حال عدمها، من غير زيادة ولا نقصان. ومن أهل الله من يشهد الأمر قبل ظهوره في الحس؛ وهو التكوين الآخر، يشهده في الإمام المبين؛ وهو اللوح المحفوظ الحاوي على الحو والإثبات؛ فكل شيء فيه؛ فلذلك الشيء تكوين أول في التسطير. وهذا الكشف دون كشف الذي يراه الله أعيان الممكنات على ما تكون³ عليه في حال الوجود؛ فيحكم بها حكم الله فيها.

ولإدراك هذه الشئون قبل ظهورها في الحس مدارك كثيرة؛ أعلاها ما ذكرناه، أي أقصاها. وبعده مشاهدة الحق في تكوينها؛ فإن ذلك أعلى من مشاهدة المشاهد لآها في الإمام المبين، وفي غيره. ودون هذا الشهود كل شهود يكون للعبد قبل تكوين الشأن. وهذا (= مشاهدة الحق في تكوينها) حال من قال:

1 ص 19 ب

2 ص 20

3 ن: يكون

4 ص 20 ب

"ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه" وهو أعلى حالا من الذي يقول: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله" فإنَّ الأولى كلمة تحقيق، وإن كانت الأخرى مثلها في التحقيق، لكن بينهما فرقان: فالواحد قوله مثل من يقول: "رأيت زيدا يصنع كذا" ويقول الآخر: "رأيت الصانع يصنع كذا" فهذا الفرق بين الشخصين فيما يشهدانه. فإنَّ الأسماء الأعلام ما وُضِعَتْ إلا للتخاطب بها في حال غيبة المسمى بها، وفي الحضور ما هي مطلوبة. وإن جيء بها؛ فإمّا لأدبٍ يقتضيه الحال، وإمّا تأكيد في الإخبار. فقد أبنت لك من حال هذا القطب ما سمعت، وله أحوال كثيرة أعرفها، أفعله في كل قطب، ما أذكر جميع أحواله؛ لأنَّ ذلك يتسع الحرق فيه بحيث أنه لا يفي به الوقت.

(القطب السامع وهو على قدم أيوب)

وأما القطب السامع الذي على قدم أيوب ~~عليه السلام~~ وسورته "البقرة" وهي البيضاء الحامية على سيدة آي القرآن، ومنزله بعدد حروفها، لا آيها.

حال هذا القطب العظمة؛ بحيث أنه يرى أنَّ العالم لا يسمعه؛ لأنَّ ذوقه كونه وبيع الحق قلبه. وقد ورد في الخبر أنَّ الحق يقول: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي» وما كلُّ قلب يسع الحق. وقال: ﴿وَلَكِنَّ تَقْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾² فبين مكان القلوب. فإذا كان مشهود القند كوز الحق في قلبه؛ فكما لا يسمع العالم الحق لا يسمع العالم أيضاً هذا العبد؛ فهذا سبب شهود ضيق العالم عنه.

وما رأيت من تحقق بهذا المقام وشهوده إلا رجلاً بالموصل، من أهل حديثة الموصل، كان بهذه المثابة، وأطلعه الحق على أمر ولم يطلعه على سره فيه. وكان يطلب على من يوضح له حاله، فذكرني له الإمام نجم الدين محمد بن أبي بكر بن شاي الموصل، المدرس بمدرسة سيف الدين بن علم الدين بحلب، في هذا الزمان الذي نحن فيه، وهو سنة ثمان وعشرين وستمائة. فطلب الاجتماع بنا؛ فلما وصل ذكرنا نازلته؛ فأوضحها له؛ فسرني عنه، واستبشر. وخرج لي بحاله لما رأيته؛ فوجنته قد أخذ من مقام العظمة بحظ وافر، لكنه دون ذوق هذا القطب فيه؛ لأنه أخبرني أنَّ النخامة كانت تدور في فيه³، لا يقدر أن يلقيا من فيه؛ لأنه لا يجد لها مَخْلَافاً⁴ فيه خالياً من الحق. وقد علم ما جاء في الأدب في إلقائها في الشرع؛ فكان يتحير. ورأيت آخر مثله بأشيلية من بلاد الأندلس.

1 ص 21

2 [المجلد: 46]

3 فيه: له

4 ص 21 ب

ورويانا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام حتى ظهر عليه منه حال المقام؛ فكان له بيت يسقى: بيت العظمة، إذا دخل فيه ملاءة كله بذاته في عين الناظر؛ حتى نسب إلى علم السمياء في ذلك؛ لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال. والمتمكن في هذا المقام لا يظهر عليه، بالحال ما يدل على أنه صاحب هذا النوق، ولكن نعوته تجري بحكم هذا المقام، لا حاله؛ فإن الحال يعطي خرق العوائد، كما قال صاحب "محاسن المجالس" فيها لما ذكر الأحوال أنها للمريدين قال: والأحوال للكرامات؛ يرهد خرق العوائد، وليست الكرامات¹ في عرف هذا اللسان إلا خرق العوائد مع الاستقامة في الحال، أو تنج الاستقامة في الفور، لا بد من ذلك عندهم. وسبب هذا التحديد؛ أن خرق العادة قد لا يكون كرامة من الله للعبد.

فأكملهم في مقام العظمة من يجهل حاله ولا يعرف؛ فيعرف ما يعامل به، وبحار الناظر فيه؛ إلا أنه على بينة من ربه، وبصيرة من أمره. فمن أراد أن يعرف أحوال هذا الإمام، فليتدبر آيات سورة² البقرة؛ آية بعد آية حتى ينتهيا، فهذا القطب مجموع آيها، وبالله التوفيق.

. . .

(القطب الثامن وهو على قدم إلياس)

وأما القطب الثامن الذي على قدم إلياس عليه السلام وسوره "آل عمران" وهي البيضاء أيضا، ومنزله بعدد آيها. ولست أعني بقولي: القطب الأول، والثاني، أن هذا الترتيب بالزمان، إنما أريد به ترتيب العدد إلى أن يكمل اثنا عشر قطبا؛ فقد يكون الثاني عشر أو غيره هو الأول بالزمان. وإنما أعلمت بذلك لئلا يتوهم من قد أوقفه الله وأطلع على العلم بأزمان هؤلاء الأقطاب، فيرى هذا الترتيب الذي سقناه فيهم أنه ترتيب أزمانهم؛ فلذلك بينت أنه ترتيب العدد، لا غير.

وحال هذا القطب العلم بالمشابه من كلام³ الله، الذي لا يعلم تأويله إلا الله. فيعلمه هذا القطب بإعلام الله خاصة، ولا يعلم أبدا إلا بإعلام الله. فيكون عنده محكما في تشابه؛ فيعرف من أي وجه كان التشابه فيه؛ فيحصل له علم المناسبة التي جمعت بين الله وبين من وقع معه التشابه في الآية كآيات التشبيه كلها، أو توقع التشبيه من طريق دلالة اللفظ المشترك الذي لا يكون إلا لمناسبة خفية؛ فإن المناسبة في التشبيه جلية، وفي الاشتراك خفية. كالنور للعلم جلي؛ فيسمى العلم نورا، والنور نورا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾⁴ وجعلناه - يعني الوحي، وهو العلم - نورا ﴿فَنَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾⁵. وفي

1 "ولست الكرامات" تاجه في الهامش بقلم الأصل

2 ص 22

3 تاجه في الهامش

4 ص 22 ب

5 [الأصام : 122]

6 [الشورى : 52]

الاشتراك كالعين؛ فالمناسبة في العينية في كل مستوى بالعين- خفية. فهي عند هذا القطب جليلة بإعلام الله. وأما أصحاب التأويل بالنظر في ذلك، فما هم على علم، وإن صادفوا العلم. ومن هذا العلم تعلم أن «النساء شقائق الرجال».

ألا ترى حواء خُلِقَتْ من آدم؛ فلها حُكْمَان: حكم الذكورة بالأصل، وحكم الأنوثة بالمعارض؛ فهي من المتشابه؛ فإنَّ الإنسانية تجمع الذكر والأنثى. وأين حقيقة الفاعل من المنفعل لمن هو فيه فاعل، ولا يفعل إلا في مُشَاكِلِهِ؟! وذلك أنه أَوَّل ما أحدث الاشغال في نفسه؛ فظهر فيه صورة ما يفعل عنه؛ وبذلك القوة اقلل عنه ما افعل وظهر؛ كالبديع والاختراع والحق¹. قد قدّمنا تحقيق العلم بالعالم أن العلم يتبع المعلوم، والعلم صفة العالم، والمعطي العلم ما هو المعلوم عليه، ثم يعطي العالم إيجاد المعلوم، كما يعطي الاختراع إيجاد الأمر المختراع وإظهاره في الوجود.

فن هنا نعرف² لما حَبَّبَ الله النساءَ لحمد³. فن أحب النساء حُبَّ النبي ﷺ لهن؛ فقد أحب الله. والجامع (هو) الاشغال لما كان من إعطاء المعلوم العلم ليقال فيه: إنه عالم؛ فهو أَوَّل منفعل لمعلوم. وظهر في عيسى افعاله عن مريم، في مقابلة حواء من آدم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾⁴ فيفهم قول الله ﷻ ﴿وَإِنَّمَا النَّاسُ بِنَافِلِهِمْ مُّشْرِكُونَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ﴾ مثل (خلق) حواء ﴿وَأَنْثَى﴾ مثل (خلق) عيسى، وبالجموع مثل بني آدم باقي النزعة؛ فهي الجامعة لخلق الناس.

ولقد كُتِبَ مِنْ أَكْرَهٍ خَلَقَ اللهُ تعالى- في النساء وفي الجماع، في أَوَّل دخولي إلى هذا الطريق، وبقيت على ذلك نحو⁵ من ثمان عشرة سنة، إلى أن شهدت هذا المقام، وكان قد تقدّم عندي خوف المقت لذلك لَمَّا وَقَفْتُ على الخبر النبويّ أَنَّ الله حَبَّبَ النساءَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فَا أَحَبَّهُنَّ طَبْعًا، وَلَكِنَّهُ أَحَبَّهُنَّ بِتَحْيِيْبِ اللهِ إِلَيْهِ. فَلَمَّا صَدَقْتُ مع الله في التوجّه إليه تعالى- في ذلك، من خوفي مَقَّتْ اللهُ حيث أكره ما حَبَّبَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ؛ فَأَزَالَ عَنِّي ذلك بحمد الله- وَحَبَّبَهُنَّ إِلَيَّ. فَأَنَا أَعْظَمُ الخلق شفقةً عليهنّ، وَأَرْعَى لِحَقْنَهُنَّ؛ لِأَنِّي فِي ذلك على بصيرة، وهو عن نَجْبٍ، لا عن حَبِّ طَبِيعِي.

وما يعلم قدرَ النساءِ إِلَّا من عِلْمٍ وفهم عن الله ما قاله في حقّ زوجتي رسول الله ﷺ عندما تعاونوا عليه وخرجوا عليه، كما ذكر الله في سورة "التحریم" وجعل في مقابلة هاتين المرأتين في التعاون عليه، من

1 حرف الواو يبدو وكأنه مشطوب في ق

2 ص 23

3 [ق: 37]

4 [المحجرات: 13]

5 ق: نحو

6 ص 23 ب

يعاون رسول الله ﷺ عليها وينصره؛ وهو الله، وجبريل، وصالحوا المؤمنين، ثم الملائكة بعد ذلك. وليس ذلك إلا لاختلاف السبب الذي لأجله يقع التعاون.

فَمَ أَمَرَ لَا يُمْكِنُ إِزَالَتُهُ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا بِمَخْلُوقٍ؛ وَلِنَلْكَ أَمْرَنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِاللَّهِ فِي أَشْيَاءَ، وَبِالصَّبْرِ فِي أَشْيَاءَ، وَبِالصَّلَاةِ فِي أَشْيَاءَ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ. وَكَانَ ثُمَّ أَمَرَ، وَإِنْ كَانَ يَبْدُ اللَّهُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى جِبْرِيلَ اقْتِدَارًا عَلَى دَفْعِ ذَلِكَ الْأَمْرِ؛ فَأَعَانَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي دَفْعِهِ إِنْ تَعَاوَنَا (زَوْجَتَاهُ) عَلَيْهِ. وَإِنْ رَجَعَا عَنْهُ، وَأَعْطَا الْحَقُّ مِنْ نَفْسِهِمَا؛ سَكَتَ عَنْهُمَا كَمَا سَكَتَا؛ فَكَانَ لَهَا الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ. وَهُوَ نَعْتُ إِلَهِي؛ فَإِنَّهُ لِحَرَكَتِهَا تَحْرُكُ مَنْ تَحْرُكُ، وَلِسُكُونِهَا سَكَنَ الَّذِي أَرَادَ التَّحْرُكُ. وَكَذَلِكَ صَالِحُوا الْمُؤْمِنِينَ؛ كَانَ عِنْدَهَا (أَيِ الزَّوْجَانِ) أَمَرَ يُنْشِئُهُ فِي الْإِزَالَةِ لِصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبَ مِنْ يُنْشِئُهُ إِلَى غَيْرِهِمْ؛ فَيَكُونُ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ مَعِينًا لِحَمْدِ ﷺ. ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا يَنْسَبُ عَمُومَ الْمَلَائِكَةِ¹ الَّتِي خَلَقَتْ مَسْخَرَةً، يَدْفَعُ بِهَا مَا لَا يَنْدَفِعُ فِي التَّرْتِيبِ الْإِلَهِيِّ إِلَّا بِالْمَلَائِكَةِ، مَعَ انْفِرَادِ الْحَقِّ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ فِي ذَلِكَ وَالْقِيَامَ بِهِ، وَلَكِنَّ الْجَوَازَ الْعَقْلِيَّ.

فَأَخْبَرَ الْحَقُّ بِالْوَأَقِعِ لَوْ وَقَعَ؛ كَيْفَ كَانَ يَقَعُ. فَمَا يَقَعُ إِلَّا كَمَا قَالَهُ، وَمَا قَالَ إِلَّا مَا عَلِمَ أَنَّهُ يَقَعُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَمَا عَلِمَ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ؛ بِمَا شَهِدَهُ أَزَلًا فِي عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ فِي حَالِ عَدَمِهِ. فَانْظُرْ يَا وَلِيَّ- كَيْفَ تَبْدِي الْأُمُورَ حَقَائِقُهَا لَنِي فَهَمَّ وَقَلْبُ! جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ؛ مِمَّنْ "لَهُ قَلْبٌ" يَعْقِلُ بِهِ عَنِ اللَّهِ، "وَالْقَى السَّمْعَ" لِحُطَابِ اللَّهِ، "وَهُوَ شَهِيدٌ" لِمَا يُخْبِرُهُ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ مِنَ الشَّأْنِ.

(القطب التاسع وهو على قدم لوط)

وَأَمَّا الْقُطْبُ التَّاسِعُ الَّذِي عَلَى قَدَمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَسُورَتُهُ "سُورَةُ الْكَهْفِ" وَلَهَا الْعَصْمَةُ وَالْإِعْتَصَامُ، وَمَنَازِلُهُ بَعْدَ آيَاهَا. حَالُهُ الْعَصْمَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُوْثِقِي إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ الَّذِي يُؤْمِدُّ صَاحِبَهُ عَنِ الْبَسَاطَةِ؛ فَهُوَ مُحْفُوظٌ عَلَيْهِ وَقْتُهُ أَبَدًا. وَعِلْمُهُ عَلِمُ الْإِعْتَصَامِ، وَقَدْ عَيَّنَهُ اللَّهُ وَحَصَرَهُ فِي أَمْرَيْنِ: الْإِعْتَصَامُ بِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَاتِلٍ: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾²، وَالْإِعْتَصَامُ الْآخَرَ بِجَبَلِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾³ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ⁴ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَصَمَ بِجَبَلِ اللَّهِ وَقَالَ: إِنَّ الْإِعْتَصَامَ بِجَبَلِ اللَّهِ هُوَ عَيْنُ⁵ الْإِعْتَصَامِ بِاللَّهِ. وَهَذَا الْقُطْبُ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْإِعْتَصَامَيْنِ.

1 ص 24

2 [النساء : 146]

3 [آل عمران : 103]

4 ص 24

5 تاجة في الهامش بقلم الأصل

والفرق بين الاعتصامين أن جبل الله هو الطريق الذي يبرج بك إليه، مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَضَعُ الْكُلُّمُ الطَّيِّبُ وَالْفَعْلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾¹ وليس جبله سيؤى ما شرعه. وتفاضل فهم الناس فيه؛ فمنهم ومنهم. ولذلك فضل الله بعضهم على بعض. فمن لم يخطِ طريقه فهو المعصوم. والتمسك به هو الاعتصام، وعليه حال المؤمنين الذين بلغوا الكمال في الإيمان؛ ومثل هؤلاء يعتصمون بالله في اعتصامهم بجبل الله، وهو قوله: ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُكَ﴾² وقوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾³ وأما الاعتصام بالله فهو قوله ﷺ في الاستعاذة: «وأعوذ بك منك» فإنه لا يقاومه شيء من خلقه؛ فلا يستعاذ به إلا منه.

فإن الإنسان لما حصل في سمعه أنه مخلوق على صورة الحق، ولم يفرق بين الإنسان الكامل وبين الإنسان الحيوان، وتخيل أن الإنسان، لكونه إنساناً، هو على الصورة؛ وما هو كما وقع له. ولكنه بما هو إنساناً هو قابل للصورة، إذا أُعطيها لم يمتنع من قبولها؛ فإذا أُعطيها؛ عند ذلك يكون على الصورة، ويُعدُّ في جملة الخلفاء؛ فلا⁴ يتصرف من هو على الصورة إلا تصرف الحق بها، وتصرف الحق عين ما هو العالم عليه وفيه. وأنت تعلم، بكل وجه، ما العالم فيه؛ من مكلف وغير مكلف، وما يُنكر ويُعرف ولا يعرف ما ينكر. وما يعرف من العالم المكلف إلا الخليفة، وهو صاحب الصورة؛ فالحق له حكم الإنكار، لا للعبد.

فالمعتصم بالله -إذا كان صاحب الصورة- لا يعتصم إلا منه؛ بأن يظهر به في موطن ينكره عليه. وإن كانت صفته؛ فليس له أن يطلبس بها في كل موطن، ولا يظهر به في كل مشهد؛ بل له الستر فيها، والتحلي بها بحسب ما يحكم به الوقت؛ وهذا هو المعبر عنه بالأدب؛ ولو كان مشهده أنه لا يرى إلا الله بالله، وأن العالم عين وجود الحق وأعظم من هذا الصارف عن الإنكار فلا يكون -ولكن لا بد من الإنكار إن صح له هذا المقام- فهو ينكر بحق على حقٍ يَحَقُّ ولا ييالي، وحقته قائمة.

(القطب العاشر وهو على قدم هود)

وأما القطب العاشر الذي على قلب هود عليه السلام فسورته "سورة الأنعام" ولها الكمال والتمام في الطوالات، ومنازله بعدد آياتها. ولهذا القطب علوم جمّة؛ منها علم الاستحقاق الذي يستحقّه كل مخلوق في خلقه، وعلم ما يستحقّه ذلك الخلق من⁵ المراتب. فأما استحقاق الخلق فقوله: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

1 [فاطر : 10]

2 [الفاتحة : 5]

3 [الأعراف : 128]

4 ق: قوله في

5 ص 25

6 ص 25 تب

خَلَقَهُ¹، وَأَمَّا الْمَرَاتِبُ فَالتَّنبِيهِ عَلَيْهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾² وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾³ وَهُوَ أَنْ تَزِيدَهُ عَلَى مَرَاتِبِهِ، أَوْ تَنْقُصَهُ مِنْهَا. وَمَا يُمَيِّزُ الْعَالِمَ الْعَاقِلَ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ. وَمَتَى لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ فَهُوَ جَاهِلٌ بِالْحَقِّ، وَمَتَى عِلْمٌ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ. فَلَا بَدَّ لَصَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ أَنْ يَكُونَ تَامَّ الْعَقْلِ، كَامِلَ الْعِلْمِ؛ وَهَذَا هُوَ الْحِفْظُ الْإِلَهِيُّ، وَالْعَنَاءُ الْعَظِيمُ. وَالسُّلُوكُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الطَّرِيقَةُ الزُّلْفَى- هُوَ السُّلُوكُ الْأَقْوَمُ.

وَلَمَّا أَتَمَّ اللَّهُ خَلْقَ الْعَالَمِ رُوحًا وَصُورَةً، وَأَنْزَلَ كُلَّ خَلْقٍ فِي رَبْقَتِهِ؛ جَمَلَ بَيْنَ الْعَالَمِ التَّحَامُ رُوحَانِيًّا وَجَسْمَانِيًّا؛ لِيُظْهِرَ أَشْخَاصَ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعَالَمِ؛ إِذْ كَانَ دُخُولُ أَشْخَاصِ كُلِّ نَوْعٍ فِي الْوُجُودِ مُسْتَحِيلًا. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُظْهِرَ فَضْلَ الْفَاعِلِ عَلَى الْمُنْفَعِلِ بِالتَّرْقُقِ؛ فَيَعْلَمُونَ فَضْلَ الْحَقِّ عَلَى عِبَادِهِ، وَيَعْرِفُونَ كَيْفَ يَتَحَقَّقُونَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِمْ، وَنَسَبُ إِلَيْهِمُ الْخَلْقَ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾⁴ وَقَالَ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁵ فَذَكَرَ أَنْ تَمَّ خَالِقِينَ؛ اللَّهُ أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا. فَإِنَّهُ تَعَالَى- يَخْلُقُ مَا يَخْلُقُ عَنْ شَهْوَةٍ، وَالْخَالِقُ مِنَ الْعِبَادِ لَا يَخْلُقُ إِلَّا عَنْ تَصَوُّرٍ يُتَصَوَّرُ مِنْ أَعْيَانٍ مُوجُودَةٍ، يَرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهَا، أَوْ يَدْعُ مِثْلَهَا. وَخَلَقَ الْحَقُّ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُ، أَوْ يَخْلُقُ الْخَلْقَ عَلَى مَا هُوَ ذَلِكَ الْخَلْقُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَعَيْنِهِ؛ فَمَا يَكْسُوهُ إِلَّا حَلَّةَ الْوُجُودِ بِتَعْلُقِ يَسْتَى: الْإِبْجَادِ.

فَمَنْ أَوْقَفَهُ اللَّهُ كَشْفًا عَلَى أَعْيَانِ مَا شَاءَ مِنَ الْمَمَكِّنَاتِ؛ فَلَيْسَ فِي قُوَّتِهِ إِيجَادُهَا؛ إِي لَيْسَ بِيَدِهِ خَلْعُ الْوُجُودِ الَّتِي تَلْبِسُهَا تِلْكَ الْعَيْنُ الثَّابِتَةُ الْمَمَكْنَةُ، أَعْنِي بِالْمُبَاشَرَةِ؛ وَلَكِنْ لَهُ الْهَمَّةُ؛ وَهِيَ إِرَادَةُ وَجُودِهَا، لَا إِرَادَةُ إِيجَادِهَا مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ. فَإِذَا عَلَّقَ هَمَّتَهُ بِوُجُودِهَا؛ يَمْلُئُ الْحَقُّ الْقَوْلَ بِالتَّكْوِينِ؛ فَتَعْلَمُ قَوْلَ رَبِّهَا مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ؛ سَوَاءٌ كَانَ الْقَوْلُ عَلَى لِسَانِ الْخَلْقِ، أَوْ كَانَ مِنَ الْحَقِّ بِارْتِضَاعِ الْوَسَائِطِ؛ فَيَتَكَوَّنُ ذَلِكَ الشَّيْءُ، وَلَا بَدَّ. فَيَقَالُ فِي الشَّاهِدِ: قُلْ فَلَانٌ يَهْتَمُّ كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ تَكَلَّمَ يَقَالُ: قَالَ فَلَانٌ كَذَا وَكَذَا، فَانْفَعَلَ عَنْ قَوْلِهِ كَذَا. فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ عَرَفَ مَا لِلْعَبْدِ فِي ذَلِكَ التَّكْوِينِ، وَمَا لِلْحَقِّ فِيهِ؛ فَلَنَلْكَ قَالَ إِنَّهُ ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

فَإِذَا ظَهَرَ عَيْنَ ذَلِكَ الْمَكُونِ، أَمَيَّ شَيْءٌ كَانَ، تَشَوَّفَتْ إِلَيْهِ مَرَاتِبُهُ؛ لِأَنَّ مَزَاجَهُ يَطْلُبُهَا، وَأَعْنِي الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى. فَيَكْتَسِبُ الْاِسْتِعْدَادَ لِأُمُورٍ غَلِيَّةٍ أَوْ ذَرِيَّةٍ بِحَسَبِ⁷ مَا يَعْطِيهِ ذَلِكَ الْاِسْتِعْدَادُ الْمَكْتَسَبُ؛ فَيُظْهِرُ

1 [طه : 50]

2 [الأضام : 91]

3 [النساء : 171]

4 [المائدة : 110]

5 [المؤمنون : 14]

6 ص 26

7 ص 26 تب

في العالم صورة ذلك. فإذا نظر فيه الأجنبي راعني بالأجنبي: الذي لا علم له بالحقائق - ونظر إلى استعماده؛ فأعطاه ظنّه أنّه نازل عن رتبته، أو رتبته فوق ذلك أعني الرتبة التي ظهر فيها - والأمر في نفسه ليس كما ظهر لصاحب هذا النظر. فإنّ الاستعداد المؤثر إنّما هو في الخلق، وهو استعداد ذاتي. وأمّا الاستعداد العرضي فلا حكم له؛ بل الاستعداد العرضي رتبة أظهرها الاستعداد الباقي، وغاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق.

مثال ذلك أن يروا شخصاً ساكناً قد تصوّر العلوم، وأحكّمها، وأعطى من المراتب أخسها ممن لا ينبغي لمن جمع هذه الفضائل والعلوم أن يكون غاية تلك الرتبة. فيقال: إنّ قد خطّ هذا الرجل عن رتبته، وما أنصف في حقّه. وما عندهم خبر بأن رتبته إنّما هي عين تلك الفضائل التي جمعها، وتلك العلوم التي أحكّمها، ومن جعلها هذه المرتبة الحسيسة التي ولّاه السلطان عليها إن كان من الولاة. وإن لم يكن من الولاة، ولا نال شيئاً مع هذا الفضل من المناصب قيل فيه: إنّ محروم. وما هو محروم؛ وإنّما الموطن اقتضى ذلك؛ وهو أنّ الدنيا اقتضت أن يعامل فيها الجليل بالجلال في وقت، وفي وقت يعامل الجليل بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالجلال. بخلاف موطن الآخرة؛ فإنّ العظيم بها يعامل بالعظمة، والحقير بها يعامل بالحقارة. ولو نظر الناظر؛ لرأى في الدنيا من يقول في الله ما لا يليق به - تعالى - ومن يقول فيه ما يليق به من التنزيه والثناء، وأعظم من الحقّ فلا يكون هذا العبد. فمن علم المواطن علم الأمور كيف تجري في العالم، وإلى الله يرجع الأمر كلّهُ؛ ما صحّ منه وما اعتلّ.

فلا تنظر² إلى المناصب، وانظر إلى الناصب الذي يعمل بحكم المواطن، لا بما يقتضيه النظر العقلي. فإنّ الناظر إذا كان عاقلاً علم بمقتله أنّ موطن الدنيا كذا يعطي، ويترك عنه الجواز العقلي الذي يمكن في كلّ فرد فرد من أفراد العالم؛ فإنّ هذا الجواز في عين الشهود ليس بعلم ولا صحيح. وليكن العاقل مع الواقع في الحال؛ فإنّ ذلك صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه؛ لا تعلّق لعاقل بالمستقبل، إلّا إن أطلعه الله كشفًا على أعيان الممكنات قبل وقوعها في الوجود؛ فلا فرق بينه وبين من شهدا في وقوعها؛ لأنّ هذا المكاشف يزول عنه حكم الجواز العقلي فيما كُشف به، وأطلعه الله عليه. فهذا بعض علم³ هذا القطب.

(القطب الحادي عشر وهو على قدم صالح)

وأما القطب الحادي عشر - الذي على قدم صالح ~~القطب~~ "فسوره من القرآن" سورة طه" ولها

1 ص 27

2 ق: ينظر

3 ص 27

4 ق: الحادي أحد

الشرف التام، ومنزله بعدد آياه.

اعلم أن هذا القطب حون سائر الأقطاب- أشرف -هذه السورة- من سائر الأقطاب؛ لأن هذه السورة أشرف سورة في القرآن في العالم السعيد؛ فإنها السورة التي يقرؤها الحق تعالى- في الجنة على عباده بلا واسطة.

وهذا القطب له علوم جمة؛ له البطش والقوة، كما قال أبو يزيد البسطامي وقد سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾¹ فقال: "بطشي- أشد" وكان حاله حال من ينطق بالله. فقول الله عن نفسه إِنَّ بَطْشَهُ شَدِيدٌ على لسان عبده أشد من بطشه بغير لسان عبده، ثم بطشه على لسان عبده الطبيعي أشد من بطشه على لسان عبده الإلهي بما لا يتقارب.

وأكثر علم هذا الإمام في التنزيه والإحاطة، وليس التنزيه والإحاطة التي يعلم هو المفهوم المتعارف؛ بل هو تنزيه التنزيه المتعارف. وجعله في ذلك علم الإحاطة؛ وذلك أن تنزيهه عدم المشاركة في الوجود؛ فهو الوجود ليس غيره. والمعبر² عنه عنده بالعالم إنما هو الاسم "الظاهر" وهو وجهه؛ فما بطن منه عن ظاهره فهو الاسم "الباطن" وهو هويته. فيظهر له، ويغيب عنه.

وأما الآلام واللذات؛ فتقابلُ الأسماء وتوافقها؛ وبها تكثرت الصور. فإنها التي تشكلت؛ فأدرك بعضها بعضاً؛ فكان محيطاً به، منزهاً عنه. فله الستر عنه، والتجلي له. فتختلف عليه الصور؛ فينكر حاله مع علمه أنه هو. وهو ما تسمعه من قول الإنسان عن نفسه: إني في هذا الزمان أنكر نفسي؛ فإنها تغيرت علي، وما كنت أعرف نفسي هكذا. وهو هو، ليس غيره.

فن حيث تشكل الأسماء: له الإمكان، ومن حيث العين القابلة لاختلاف الصور الأسمائية عليها: له الوجوب. فهو الواجب، الممكن، والمكان، والممكن، المنعوت بالحدوث والقدم، كما نعت كلامه العزيز بالحدوث مع اتصافه بالقدم، فقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ الضمير يعود على صور الأسماء إلا الرب ﴿مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٌ﴾³ فنعتة بالحدوث؛ فهو حادث عند صورة "الرحمن". ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ الضمير مثل الأول إلا "الرحمن" ﴿مِنْ ذِكْرِ مِنْ الرَّحْمَنِ مُخَدَّبٌ﴾⁴؛ فنعتة بالحدوث؛ فهو حادث عند صورة الرب. فلن تقدم إتيان ذكر الرب كان ذكر الرحمن جوابه، وإن تقدم ذكر الرحمن كان ذكر الرب جوابه. فالتقدم أبداً من الذكركين قرآن، والثاني⁵ فرقان؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ للمتقدم منها وهو القرآن ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹

1 [البروج : 12]

2 ص 28

3 [الأنبياء : 2]

4 [الشعراء : 5]

5 ص 28

للآخر منها وهو الفرقان.

فهو الأول والآخر كما هو الظاهر والباطل وهو بكل شيء عليم¹ وليس إلا صور² الأسماء، وكل³ للإحاطة. فانحصر الأمر فيه؛ فما قال: ﴿كُنْ﴾ إلا له، ولا كى ﴿يَكُونُ﴾ إلا عنه. ألا تراه تسقى بالدهر، وأنه يقلب الليل والنهار، وليس الدهر غير الليل والنهار، وليس التقلب سوى اختلاف الصور؟ فالأَيَّامُ، والساعات، والشهور، والأعوام؛ هي عين الدهر، وفي الدهر وقع التفصيل بما ذكرنا. فمن وجه هو ساعة، ومن وجه هو يوم، ليل، ونهار، وجمعة، وشهر، وسنة، وفصول، وتوزر.

فَكُلُّ شَيْءٍ هُوَ لَهُ	وَكُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ
فَهُوَ الْوُجُودُ كُلُّهُ	وَقَدْ هُوَ مَا هُوَ لَهُ
يَقْلُبُهُ مَنْ عِلْمُهُ	يَنْهَلُهُ مَنْ بَحْلُهُ
فَأَنْتُمْ أَنَا بِهِ	فِي كُلِّ أَخَوَالِي وَلَهُ
فَأَنْتَ هُوَ مَا أَنْتَ هُوَ	وَأَنْتَ لَهُ مَا أَنْتَ لَهُ
وَلَوْ صَنَعْتَ ضَلْعَهُ	وَلَوْ عَمِلْتَ عَمَلَهُ

فهذا من بعض أنفاس علم هذا القطب، وهكذا مجراه في علومه كلها على كثرتها وتفصيلها.

(القطب الثاني عشر وهو على قدم شعيب)

وأما⁴ القطب الثاني عشر الذي على قدم شعيب ~~القطب~~ فسورته من القرآن سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَنْبِئُكَ الْمَلِكُ﴾⁵ وهي التي تجادل عن قارئها، ومنازلها بعدد آياتها. انظر في جدالها في قوله: ﴿مَا تَرَى ... مِنْ ثَقَاوَتٍ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ... كَرَّتَيْنِ﴾ ينبئه على النظر في المقدمتين ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾⁶ يعني خللا يكون منه الدخل فيما يقم من الليل ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ وهو النظر ﴿خَائِبًا﴾ بعيدا عن النفوذ فيه بدخل أو بشبهة ﴿وَهُوَ خَسِيرٌ﴾⁷ أي قد غي، أي أدركه الميأ. وكل آية في هذه السورة فإنها تجري على هذا النسق إلى أن ختم بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾⁸.

1 (الشورى : 11)

2 (الحديد : 3)

3 ن: "قبول" ولفها خط اتقي إشارة المسح، وفي الهامش استقبلت بـ "صور" بخط مخالف مع إشارة الصحيح.

4 ص 29

5 (الملك : 1)

6 (الملك : 3، 4)

7 (الملك : 4)

8 (الملك : 30)

الا ترى الوجود كله من غير تعليم؟ هل تراه في حال اضطراره يلجأ إلى غير الله؟ ما يلجأ إلا إلى الله بالذات. فلو كان غيراً ما عرفه حتى يلجأ، وهو قول العامة فيمن رزئ: "مالك لما ترجع في رزحك إلا إلى الصبر". والصبر ليس إلا صفة الصابر، فتسمى أيضاً بالصبور. يقول: أنا هو ما ثم غيري.

وهذا عين ما ادّعاء في علمه القطب الذي على قدم صالح صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم-

فَيَا شُعَيْبُ مَا تَمَّ غَيْبٌ لَكِنَّهُ شَاهِدٌ وَغَيْبٌ

فَانْظُرْ إِلَى جَنَّةٍ رَفُضَ الْخَطَابِ فِيهَا مَا فِيهِ زَيْبٌ

لهذا القطب علم البراهين، وموازن العلوم، ومعرفة الحدود. كله روح مجرد لطيفة، حاكم على الطبيعة، مؤيد للشرعة، بين أقرانه ضخمة الدسيمة، يطعم ولا يقطع، وينعم ولا يتنعم، الغالب عليه التفكير ليتذكر، والدخول في الأمور الواضحة ليتذكر. فهو الجهول الذي لا يعرف، والناكرة التي لا تعرف. أكثر تصرفه فيما يتصرف فيه من الأساء الإلهية الامم "المدير، والمنصل، والمنشئ، والخالق، والمصور، والبارئ، والمبدئ، والمعيد، والحاكم، والعدل. ولا يرى الحق في شيء من تجليه دون أن يرى الميزان بيده؛ يخفض ويرفع. فما ثم إلا خفض ورفع؛ لأنه ما ثم إلا معنى وحرف، وروح وصورة، وساء وأرض، ومؤثر ومؤثر فيه. فما ثم إلا شفع، وكل واحد من الشفع وثر؛ فما ثم إلا وثر (والفخر. وليالٍ عشر. والشفع والوثر)² فالشفع يطلب يطلب الشفع، والوثر يطلب الوثر؛ وهو طلب التآر.

فَشَفَعُهُ فِي وَثَرِهِ ظَاهِرٌ وَوِثْرُهُ فِي شَفْعِهِ مُنْذِرٌ

وَجَادَتْ³ الشُّخْبُ بِأَمْطَارِهَا فَكَذَّبْتُ أَرْضُكَ أَخْبَارَهَا

تَقْنَى إِذَا شَاهَدْتَ أَغْيَانَهَا يُسَايِنُ الضُّدُّ بِهَا ضُدَّهُ

وَوِثْرُهُ الْأَخْصَارُ فَيَنْتَابَا بِنَا فَكُلُّ مَا لِلْعَيْنِ مِنْ ظَاهِرٍ

وَوِثْرُهُ فِي شَفْعِهِ مُنْذِرٌ فَكَانَ مَا كَانَ بِأَمْرِ مَرْخٍ

وَأُبْنَتْ مِنْ كُلِّ رَفْجٍ بَهْجٍ بِعَيْنٍ غَيْرِ الْحَقِّ- فَيُنَا الْمُهْجِ

وَشَكْلُهُ بِشَكْلِهِ مُرْدَوِجٍ فِي الْعَالَمِ الْفُلُويِّ بَيْنَ الْفُرْخِ

عَنْهُ، إِذَا حَقَّقْتَهُ، مَا خَرَجَ

جمع لهذا القطب بين التوتين: القوة العلمية، والقوة العملية. فهو صنع لا يفوقه صنعه⁴ بالقطرة، وله في كل علم ذوق إلهي من العلوم المنطقية، والرياضية، والطبيعية، والإلهية. وكل أصناف هذه العلوم عنده

1 ص 29 ب

2 [النجر: 1 - 3]

3 ص 30

4 يمكن قراءتها: "لا فهو صفة" كون الحروف المعجمة مصلة عند الناء الثانية والنون في صنعه

علومٌ إلهية؛ ما أخذها إلا عن الله، وما رآها سوى الحق. ولا¹ رأى لها دلالة إلا² على الحق؛ فكلُّ علم، أو مسألة من ذلك العلم له آية ودلالة على الله؛ لا يعرف لها دلالة على غيره³؛ لاستفراقه في الله؛ لأنه مجنوب مراد، لم يكن له تعقل فيما هو فيه؛ بل وجد فيه أنه هو؛ ثم فتح عينيه؛ فرأى كلَّ شيء رؤية إحاطة بما رأى. فالزيادة التي يستفيد بها؛ إنما هي في تفصيل ما رأى دائماً أبداً. لأنه كلُّ مرقى في الوجود؛ فإنه يتنوع دائماً؛ فلا تزال الإفادة دائماً. وكلُّ استفادة (هي) زيادةٌ علم لم يكن عنده في معلوم؛ لم يزل عالماً به، مشهوداً له.

فهذا قد ذكرنا من أحوال الالهي عشر قطبا ما يتر الله ذكره على لساني ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

فواحد من هؤلاء الأقطاب له الواحد من العدد، وهو صاحب التوحيد الخالص. وآخر له الثاني من العدد، وهكذا كلُّ واحد إلى العاشر. والحادي⁵ عشر له المائة، والثاني عشر له الألف، والمفرد له تركيب الأعداد من أحد عشر- إلى ما لا نهاية له، وذلك للأفراد؛ وهم الذين يعرفون أحديّة الكثرة، وأحديّة الواحد.

جعلنا الله وإياكم ممن فهم عن الله ما سطره في العالم من العلم به سبحانه- البال عليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. المحسان الجواد الكريم المئان ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

1 ص 30 ب

2 مضافة في هامش ق وعليها خط أضي ربما يشير إلى مسحها، وهي ثابته بأصل س.

3 ق: "غيرها" وصححت في الهامش فلم آخر: "غيره" ووفقها حرف ط، وعلى يسارها عبارة: من بعض الظن.

4 [الأحزاب : 4]

5 ق: والحادي أحد

الباب¹ الرابع والستون وأربعائة في حال قطب هجره: لا إله إلا الله

مَنْ كَانَ هَجِيرَهُ نَفْسِي وَإِتْبَاطُ	ذَلِكَ الْإِمَامُ الَّذِي تُبْدِيهِ آيَاتُ
وَتَرٍّ وَلَيْسَ لَهُ شَفَعٌ يُعَدُّهُ	وَمَا تَقِيْدُهُ فِينَا غَلَامَاتُ
وَمَا لَهُ فِي وُجُودِ الثَّنْبِ مِنْ صِفَةٍ	وَمَا لَهُ فِي شُهُودِ النَّابِ لَنَاتُ
تَأْتِرُ الْكُلَّ فِيهِ مِنْ تَأْتِرِهِ	فَنَفَعُهُمْ فِيهِ: أَخْيَاءُ وَأَمْوَاتُ
هُمْ الْمُضَانُونَ لَا تَخْصِي مَنَاقِبَهُمْ	وَلَا تَقُومُ بِهِمُ لِلْمَوْتِ آفَاتُ

قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾².

اعلم أن الهجر هو الذي يلزمه العبد من الذكر، كان الذكر ما كان، ولكل ذكر نتيجة لا تكون³ لذكر آخر. وإذا عرض الإنسان على نفسه الأذكار الإلهية، فلا يقبل منها إلا ما يعطيه استعدادُه؛ فأول فتح له في الذكر (هو) قبولُه له، ثم لا يزال يواظب عليه مع الأنفاس؛ فلا يخرج منه نفس في يقظة ولا نوم إلا به؛ لاستتاره فيه. ومتى لم يكن حال الناصر على هذا؛ فليس هو بصاحب هجر.

فمن كان ذكره: "لا إله إلا الله" فمقول ذكره: الألوهة؛ وهي مرتبة لا تكون إلا لواحد، هو مستق "الله"، وهذه المرتبة هي التي تنفيها وهي التي تثبتها، ولا تنفي عن تنفي عنه بنفي النافي، ولا تثبت لمن تثبت بشيء الثابت المثبت. فثبوتها لها، ونفيها لها، غير ذلك ما هو. فلا ينتج للناكر إلا شهودها، وليس شهودها يؤول العلم بها، وليس معلوم هذا العلم إلا ينسب، والنسبة أمر عدمي، والحكم للنسبة والمنسوب والمنسوب إليه، وبالمجموع يكون الأثر والحكم، مما أفردت واحدا من هذه الثلاثة دون الباقي لم يكن أثر، ولا صح حكم.

فلهذا كان الإيجاد بالفردية، لا بالأحادية. خلافا لمن يقول: إنه ما صدر إلا واحد، فإنه عن واحد. فهو قول صحيح، لا أنه واقع. ثم جاء الكشف النبوي والإخبار الإلهي بقوله عن ذات سُقَى: إلهها، إذا أراد

1 ص 31
2 [محمد: 19]
3 ق: لا يكون
4 ص 31 ب

شيتا فبهذان أمران - قال له: ﴿كُنْ﴾ فهذا أمر ثالث والثلاثة أوّل الأفراد - فظهر¹ التكوين عن الفرد، لا عن الأحد. وهذه كلّها راجعة إلى عين واحدة. فإذا ظهر المكوّن بالتكوين عن "كُنْ"؛ لم يكن غير تجلّ إلهي في صورة ممكن للصورة ممكن - ناظر بعين إلهي. كما أنّه ما سمع فيكون إلّا بسمع إلهي. ولهذا أسرع بالظهور؛ لأنّه المرید والمراد، والقائل والمقول له والقول. فحالّه في التكوين أن ينطق بالله؛ فينسخ فيه؛ "فيكون طائرا بإذن الله"؛ ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ بأمره ﴿فَيَأْتِيَنَّكَ سَفِينًا﴾² لأنّه السامع الذي دعاهنّ.

ولهذا الذّكر من المعارف معرفة النفي والإيجاب، والتكثير والتعريف. وله من الحروف الألف المزايدة، والألف الطبيعيّة، والهمزة المكسورة، وألف الوصل، واللام، والهاء. ومن الكلمات أربعة متقابلة في عين واحدة؛ يقابل النفي منها الإثبات، والإثبات (يقابل) النفي، والنفي (يقابل) الثابت، والثابت (يقابل) المنفي.

فإنّما معرفة النفي فهو اطلاع على ما ليس هو فيما قيل فيه: إنّه هو، وإن كان الذي قيل: "إنّه هو" صحيح كشفًا، لكنّه محالّ عقلا. ولهذا التزم بعض أهل الله ذكّر "الله، الله" ورأيت على هذا الذّكر شيخنا أبا العباس العربي، من أهل الفلبا من غرب الأندلس، والتزم آخرون الهاء من "الله" لهدايتها على الهوية، وجعله ذكّر خاصة الخاصة؛ وهو أبو³ حامد الغزالي وغيره.

وأما الأكابر فيلتزمون: "لا إله إلّا الله" على غير ما يعطيه النظر العقلي؛ أي الوجود هو "الله"، والعدم⁴ منفيّ الذات والعين بالنفي الذاتي، والثابت ثابت الذات والعين بالإثبات الذاتي، وتوجه النفي على النكرة، وهو: "إله" وتوجه الإثبات على المعرفة وهو "الله". وإنما توجه النفي على النكرة وهو: "إله" لأنّ تحتها كلّ شيء، وما من شيء إلّا وله نصيب في الألوهة يدّعيه؛ فلهذا توجه عليه النفي؛ لأنّ الإله من لا يمتّين له نصيب⁵؛ فله الأنصاء كلّها. ولمّا عرف أنّ الإله حاز الأنصاء كلّها؛ عرفوا أنّه مسّى "الله" وكلّ شيء له نصيب؛ فهو اسم من أسماء مسّى "الله" فالكلّ أسماؤه؛ فكلّ اسم دليل على الهوية؛ بل هو عينها. ولهذا قال: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁶ وهذا حكم كلّ اسم تدعونه. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فله أسماء العالم كلّ؛ فالعالم كلّ في المرتبة الحسنى. فالأمر تكبير في عين تعريف، ونكرة في عين معرفة، وتعريف في عين تكبير، ومعرفة في عين نكرة؛ لما تمّ إلّا منكور ومعروف.

1 ص 32

2 [البقرة: 260]

3 ص 32 ب

4 ن: "والعدم" ثم صحت مباشرة إلى: "والعدم" كما هي في س، وصحت في الهامش بلم آخر: "والعدم" مع إشارة التصحيح

5 "في الألوهة يدّعيه... نصيب" فاجبة في الهامش بلم الأصل

6 [الإسراء: 110]

وأما حروف هذا الهجبر؛ فالألف المزادة، وهي كل ألف لها موجب يوجب الزيادة فيها، والزيادة ظهورٌ مثلي على صورتها؛ فتكون ألفان. والألف أبدا ساكنة، فالظاهر أحد الألفين أبدا؛ إما عبد وإما رب، إما حق وإما خلق. والموجب له في ¹ موطن رتبة التقدم وفي موطن رتبة التأخر، وهما موجبان: الواحد ما يدل على الاتحاد وهو التضعيف، والآخر ما يدل على الباعث للتكوين أو للإعدام؛ وهو التحقيق المعبر عنه بالهمزة. وقد يكون هذان الموجبان في مقام النزول مثل: ﴿فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ﴾ ² و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ³ و﴿إِلَهِ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ ⁴، وقد يكون في مقام ﴿رَفِيعَ التَّرَجَّاتِ﴾ ⁵ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ⁶ مثل: ﴿يُخَاطَبُونَ اللَّهَ﴾ ⁷، وأولياء، أولئك، و﴿أُولَئِكَ الْكِتَابُ﴾ ⁸. وقد يكون الموجب في مقام البرزخ وهو الوسط- مثل: ﴿مَنْ خَادَ اللَّهَ﴾ ⁹، و﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ¹⁰، و﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ زُهْنَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ ¹¹.

فإن كان الموجب اسم فاعل- رثا؛ كان الموجب خلقا ¹²، وإن كان الموجب خلقا؛ كان الموجب جفتح الجيم- خلقا. فأنثر ظاهر من خلق في حق: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ¹³، وأثر ظاهر من حق في خلق: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ¹⁴ وذلك إما عن باعث، وإما عن اتحاد. والإيجاد أبدا له الاسم الآخر، ليس له في الأول قدم، والباعث يكون له الأول والآخر. فالباعث حق وخلق، والإيجاد حق وخلق. إلا أنه لا يكون حقا مفزدا إلا بخلق؛ كالمعرفة بالله، من حيث كونه إلها، لا يكون إلا بخلق؛ لا بد من ذلك؛ فهي حق في خلق، والخلق متأخر حيث تجل أبدا.

وأما الألف الطبيعية في ¹⁵ مثل: قال، وسار. فهو الأمر الواحد الذي يجمع الطبيعة فيظهر العالم، فيفنى العالم، وهو الأصل المفرق الجمع. وكل ألف مزادة فإنما تظهر على حكم التشبيه بها. والموجب لهذا الأمر المفرق الجمع إنما هو الفتح وهو الأصل- وقد يكون الفتح بما يُبسر- وهو الرحمة- وبما يسوء وهو

1 ص 33

2 [الموسون : 113]

3 [المصافات : 35]

4 [يونس : 53]

5 [غافر : 15]

6 [الأعلى : 1]

7 [المجادلة : 5]

8 [البقرة : 101]

9 [المجادلة : 22]

10 [مریم : 12]

11 [الحشر : 13]

12 ق: أو خلقا

13 [البقرة : 186]

14 [البقرة : 117]

15 ص 33 ب

فتح العذاب- وهو على نوعين: فتُح عذاب فيه رحمة، وفتح عذاب لا تشوبه رحمة. إلّا عندنا؛ فإنه ما ثمّ عذاب لا تشوبه رحمة قط؛ فإنّ الرحمة وَسِفتُ كلّ شيء.

وأما إلّفا الميل الطبيعيّ -هو مثل¹ الألف التي تسمى: واو علّة وياء علّة- فهو ميلها إلى جانب الحقّ مثل "قولوا" ومثل "فيه".

وأما الهزمة المكسورة في هذا الذّكر؛ فهو باعث الحقّ إلى النزول إلى السماء الدنيا، وإلى كلّ ما يكون لجانب الخلق؛ هذا في باعث الحقّ. وأما إذا كان باعث الخلق؛ فهو أنّ نظره في نفسه يبعثه على التعلّل في تحصيل علمه بره؛ فلذلك كانت الهزمة مكسورة في المنفيّ وفي كلمة الإثبات، والمنفيّ مكسور أبداً.

وأما ألف الوصل فهو وُضِلْ علم تمييز مع وجود تشبيه، إن لم يكن هناك وجود تشبيه فهي ألف قطع، لا ألف وصل.

وأما اللام فهي جبروتية؛ لأنّها من الوسط من ﴿رَفِيعُ الْمَرْجَاتِ﴾².

والهاء³ ملكوتية؛ فإنّها من الصدر من أوّل مجرى النّفس، وهي أصليّة في هاتين الكلمتين؛ في المنفيّ والمثبت. وما ثمّ إلّا هويتان⁴؛ هوية خلق؛ وهي المنفيّة في دعواها ما ليس لها، وهوية حقّ؛ وهي الثابتة فإنّها لم تزل. فإنّ العبد من حيث عينه هالك، وإذا كان الحقّ هويته فليس هو؛ ففي كلّ وجه ما هو هو. فتستفي⁵ هوية الحقّ إذا لبست الخلق، ولا تُنفي هوية الخلق إذا لبست الحقّ؛ فعلى كلّ حال ما ثمّ إلّا حقّ ثابت غير منفيّ.

وأما الكلمات الأربع (فهي): أداة نفي على منفيّ، وأداة إثبات على ثابت. وبقي: لمن يضاف العمل: هل للأداة؟ أو للذي دخلت عليه؟ فإن كان الحكم لمن دخلت عليه؛ فإنه الذي يطلبها؛ فإنه ما انفي بها، وإنما جاءت الأداة معرفةً للسامع بأنّ الذي دخلت عليه منفيّ أو ثابت. وما عملت الأداة فمِن دخلت عليه إلّا تعيين مرتبة العلوّ، أو السفل، أو ما بينهما. فبالأداة تظهر المراتب، ومن دخلت عليه تتعيّن الأداة الخاصّة من غيرها من الأدوات، كما ارتبط وجود الخلق بالحقّ، وارتبط وجود العلم القديم بالحدث. فهذا بعض ما تنتجه "لا إله إلّا الله" من العلم الإلهي، وله ستة وثلاثون وجهاً؛ يعطي كلّ وجه ما لا يعطيه الوجه

1 الحروف المعجمة ص 14

2 [غافر: 15]

3 ص 34

4 ق: هويتين

5 ق: ليستي

الأخر، قد ذكرنا هذه الوجوه في باب النفس بفتح الفاء.

واعلم¹ أنه ما قسّمنا الحروف تقسيم من يعقل على طريق التجويز؛ بل ذلك على الحقيقة. فإن الحروف الحروف عندنا، وعند أهل الكشف والإيمان (وهي) حروف اللفظ، وحروف الرقم، وحروف التخيل - أمم من جملة الأمم، لصورها أرواح مدبرة؛ فهي حية، ناطقة، تسبح الله بحمده، طائفة ربها. فمنها ما يلحق بعالم الجبروت، ومنها ما يلحق بعالم الملكوت، ومنها ما يلحق بعالم الملك. فالحروف عندنا كما هي عند أهل الحجاب؛ الذين أعماه الله، وجعل على بصرهم غشاوة وهم ينظرون، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾³.

فإذا قال العبد: "لا إله إلا الله" كان خلافا لهذه الكلمات؛ فتسبح خالقها، وبحق لها ذلك. والحق منزّه بالأصالة، لا بتزويه المنزّه. وقد نسب تعالى - الخلق لعبده، ووصف نفسه بالأحسن فيه، في قوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾⁴ فيعود تسبيح هذه الكلمة وكل كلمة على قائلها. فإذا كان العبد من أهل الكشف لما لا ذكرناه؛ هو الذي ثقل عنه من الرجال أنه قال: "سبحاني"، ولا يعلم لمن كفره بذلك.

فَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ حَيْثُ كَانُوا	وَلَا تَكُنْ دُونَهُمْ فَتَنْشَقِ
فَإِنَّمَا الْقَوْمُ أَهْلُ كُشْفٍ	أَرَاهُمُ اللَّهَ الْحَقَّ حَقًّا
فَهُمْ ⁵ عِبَادُ الْإِلَهِ صِدْقًا	رَفُوعًا مِنَ الْعِلْمِ كُلِّ مَرْقَى

وقد تقدّم في الحروف في هذا الكتاب كلام مختصر. شاف في الباب الثاني من هذا الكتاب، في صغارها وكبارها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

1 ص 34 ب

2 "الجبروت... بعالم" تاج في هامش ق بلم نسخي جميل، مع إشارة التصويب

3 [الأعراف : 198]

4 [الصافات : 125]

5 ص 35

6 [الأحزاب : 4]

الباب الخامس والستون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: الله أكبر

الله أكبر لَا أُتْبِي مَفَاضَةً فَإِنْ "أَفْعَل" تُنْقِطُهَا وَتَطْلُبُهَا
وَقَدْ تَصَحَّ إِذَا جَاءَتْ عَقَائِدُنَا وَأَنَّهُ يَوْجُودُ الْمَيْنُ يُذْهِبُهَا
إِلَّا إِذَا كَانَ بِالْآيَاتِ يَطْلُبُهَا فَإِنْ أَفْعَلُ تَأْتِي وَهِيَ تَخْجُبُهَا

وردت الستة بلفظ هذا الذكر ولا ستمًا في الصلاة، والأذان لها، والإقامة، وعقيب الصلاة المفروضة، وعند النوم، وفي مواضع كثيرة. وجاء¹ بلفظة "أفعل". وهذه لفظة "أفعل" تأتي في الأغلب بطريق المفاضلة، وفي أماكن لا تقتضي المفاضلة بحسب ما يقتضيه دليل الوقت، فيعقل منها عند ذلك ما يعقل.

فإذا كانت هجيرة لأحد؛ فإن كان المأثر عليها يذكر بها ربه بالمفاضلة؛ كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى؛ فلا يرى إلا مفاضلة، وهو كشف معين سأذكره في هذا الباب. وإن كان الناكِر به ربه يستحيل عنده المفاضلة؛ كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى؛ فلا يرى مفاضلة، وهو كشف معين سأذكره في هذا الباب - إن شاء الله -. وإن كان الناكِر به ربه من حيث هو ذَكَرَ مشروع، لا تخطر له فيه المفاضلة ولا ترك المفاضلة؛ نتج له ما هو الأمر عليه من غير تقييد؛ فيكون ما حصل لمن نوى المفاضلة، ومن لم ينوها؛ تحت علم هذا الناكِر الثالث. وهذه الهجيرات هي قوله تعالى: ﴿وَالنَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالنَّاكِرَاتِ﴾². فالهجير هو الكثرة من الذكر دائما. فإذا تقرر هذا فلنقل:

* * *

فصل: فمن ذكر هذه اللفظة بطريق المفاضلة

اعلم³ أَنَّ المفاضلة في هذا الذكر وأمثاله على قسمين: قسم يرجع الفاضل فيه والمنفصول إلى الحق، وقسم يرجع الفاضل فيه إلى الحق والمنفصول إلى الخلق.

فلنبدا بما يرجع إلى الحق، وهو على قسمين: قسم يرجع إلى هذا الاسم من حيث لفظه، وقسم يرجع إلى غير لفظه من الأسماء. فالذي يرجع إلى لفظه كالكثير في قوله تعالى: إِنَّهُ ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾⁴، واللتكبر

1 ص 35 ب

2 [الأحزاب : 35]

3 ص 36

4 [الرعد : 9]

في قوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾¹ فيكون الكبير أفضل من المتكبر؛ لأنَّ الكبير لنفسه هو كبير، والمتكبر تتمثل في حصول الكبرياء. وما هو بالذات أفضل مما هو بالتعقل؛ فإنَّ التمثل أكسباً. وإنما كان التكبر من صفات الحق؛ لما كان من نزوله في الصفات إلى ما يعتقد أصحاب النظر وأكثر الخلق أنَّه صفة المخلوق؛ فلما علم ذلك منهم وهو سبحانه - قد وصف لم نفسه بتلك الصفات حتى طعموا فيه، وضلُّ بها قوم عن طريق الهدى، كما اهتدى بها قوم في طرق الحيرة - قام لم تعالى - في صفة التكبر عن ذلك النزول؛ ليُغْلِظَهُمْ، أنَّه وإن اشترك معهم في الاسمية، فإنَّ نسبتها إليه تعالى - ليست كنسبتها إلى المخلوق؛ فيكون مثل هذا تكبراً²، ولا يحتاج الكبير إلى هذا كله؛ فتبيّن لك المفاضلة بين الكبير والمتكبر.

وأما المفاضلة التي لهذه الكلمة، أعني قولك: "الله أكبر" فهي كلمة مفاضلة على كل اسم من الأسماء الإلهية بما يعطيه فهم الخلق فيه - أعني في كل اسم اسم - لأنَّ فهم العالم لا بد أن يكون يقصر عما هو الأمر عليه، ولا يتمكن أن يقبل توصيل ذلك، لو تمكن أن يوصله الحق إليك؛ فنحن لا قوة لنا على التحصيل، ولا قوة في نفس الأمر على التوصيل؛ فلا بد من قصور الفهم. فتدلُّ لفظة "الله أكبر" من كل ما أعطاه فهم من نسبة الكبرياء إلى الله، بأي اسم كان من الأسماء الإلهية، بهذا اللفظ وغيره.

فإنَّ الله يقال فيه: إنَّه أعظم، وأكبر، وأجلُّ، وأعلى، وأرحم، وأسرع، وأحسن، وأحكم، وأمثال ذلك مما لا يحصى كثرة. ألا ترى إلى المشركين لما قالوا: "أغلُّ هُبُل، أغلُّ هُبُل" وهُبُل اسم صنم كان يُعبد في الجاهلية - وهو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى في باب بني شيبه، هو مكبوب على وجهه - فقال النبي ﷺ لأصحابه لما سمع المشركين يقولون ذلك: «قولوا: الله أعلى وأجلُّ» يعني بالمفاضلة عندهم في اعتقادهم. فساقه في معرض الحجّة عليهم؛ لأنَّ النبي ﷺ ما دعاهم إلّا إلى الإيمان بالله، الذي هو عندهم وفي اعتقادهم، أعلى وأجلُّ من هُبُل ومن سائر الآلهة، بما قالوه عن نفوسهم، فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾³ فاتَّخَذُوهم حُجَّة. فالله أعلى وأجلُّ من هُبُل عندهم. فكان ذلك تنبيهاً من رسول الله ﷺ للمشركين؛ فإنَّه في نفس الأمر ليس هُبُل بآلِه حتى يكون الله أعلى وأجلَّ في الألوهة من هُبُل. ولو قالها رسول الله ﷺ على طريق المفاضلة في نفس الأمر؛ لكان تهريراً منه ﷺ للألوهة هُبُل؛ إلّا أن الله أعلى منه وأجلُّ في الألوهة. وهذا محالٌّ على النبي ﷺ، وعلى كل عالم أن يعتقد؛ لأنَّ الجهل الخض على كل وجه. فهذه أيضاً مفاضلة مقرّرة شرعيّة في قولك: "الله أكبر".

[1] الحشر: 23

2 ص 36

3 ص 37

4 [الزمر: 3]

فصاحب هذا الوجهين بطريق المفاضلة، مطالعه الحقّ بـسريان هويته في جميع الخلق. مثل قوله في الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» وقوله: «كَتَبْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ» إلى غير ذلك، وقوله: «فَبِمَا يَسْمَعُ وَبِمَا يَبْصُرُ» ولكن نسبة القول إليه حوّن نسبة القول إليه بلسان عبده - أعلى من¹ نسبة القول إليه بلسان الخلق؛ فهو أكبر في ذاته، من كبريائه في خلقه، فاعلم ذلك. فنقول عند ذلك: "الله أكبر" مفاضلة؛ إذ لم يخرج عنه. كأنه يقول: ذَكَرْتُكَ نَفْسَكَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ؛ وَإِنْ ذَكَرْتُكَ بِكَ، فَلَا بَدَ لِلنَّسَبَةِ مِنْ أَمْرِ. لِأَنَّ غَايَةَ شَرَفِ ذِكْرِي إِيَّاكَ (هِيَ) أَنْ أَذْكَرَكَ بِكَ؛ فَتَكُونَ أَنْتَ الْذَاكَرُ نَفْسَكَ بِلِسَانِي. وَنَسَبَةُ الذِّكْرِ إِلَيْكَ أَكْبَرُ مِنْ نَسَبَتِهِ إِلَيَّ، وَلَوْ كُنْتُ بِكَ.

فصل: في الذّكر لا على طريق المفاضلة

وينقسم أيضاً الناكرون به هنا على هذا الوجه إلى قسمين: طائفة تمنع المفاضلة في الذّكر؛ لأنّه عين كلّ ذاكِر، من حيث ما هو ذاكِر؛ فلا ترى ذاكراً إلّا الله. وهو من حيث هويته وعينه لا يقبل المفاضلة؛ لأنّ الواحد لا يفضل نفسه. فينتج له هذا الذّكر، على هذا الحدّ، كشف هذا ذوقاً؛ فيتبين له أنّه الحقّ عينه.

وطائفة أخرى وهم القسم الآخر - لا يرون التفاضل إلّا مع وجود المناسبة، ولا مناسبة بين الله وبين خلقه. فَيَذْكُرُ اللَّهُ نَفْسَهُ ذِكْرًا، وَذِكْرُ الْعَبْدِ رَبِّهِ ذِكْرًا، كُلٌّ عَلَى حَقِيقَةٍ، لَا يُقَالُ: هَذَا الذِّكْرُ أَفْضَلُ، وَلَا أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؛ بَلْ هُوَ الذِّكْرُ الْكَبِيرُ مِنْ غَيْرِ مَفَاضَلَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى - وَهُوَ فِي² حَقِّ الْعَبْدِ الْمَذْكُورِ كَبِيرٌ عِنْدَ الْعَبْدِ، لَا أَكْبَرُ. فَإِنَّ الْعَبْدَ عَبْدٌ لِذَاتِهِ، وَالرَّبُّ رَبٌّ لِذَاتِهِ. فَلَا يَحْجِبُكَ مَا تَرَاهُ مِنْ تَنَاضُلِ الْأَوْصَافِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً، فَكُلُّ حَقِيقَةٍ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، مَا لَهَا أَمْرٌ فِي الْأُخْرَى يَخْرُجُ عَنْهَا تَهْتِضِيهِ ذَاتُهَا. فَالْحَقَائِقُ لَا تَبْدَلُ؛ وَلَوْ تَبَدَّلَتْ لَارْتَفَعَ الْعِلْمُ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْخَلْقِ. فَإِذَا ذُكِّرَ مِنْ هَذِهِ صِفَتِهِ؛ أَنْجَحَ لَهُ ذَلِكَ كَشْفًا وَذَوْقًا أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا نَوَاهُ وَقَالَ بِهِ.

فصل: في الذّكر به من حيث ما هو ذِكْرٌ مشروع

اعلم أنّ الذّاكر به على ما ذكرنا من كونه ذِكْرًا مشروعًا، ينقسم إلى قسمين: طائفة تذكره على أنّه مشروع للخلق، ويقولون: بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - لَمَّا أَوْجَدَ الْعَالَمَ؛ مَا خَلَقَهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ؛ لَهَا مِنْ شَيْءٍ

إلا وهو يسبح بحمده ولكن لا تفقه تسبيحه. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾¹ خلق العالم لعبادته. فهؤلاء إذا ذكروا الله؛ ذكروه من حيث أن الله شرع لهم كيف يذكرونه، ولا يعلمون ما تحت ذلك الذكر المشروع عند الله، وإن علموه في اللسان. فينتج لهم هذا الذكر: لماذا شرعه الحق في العالم بهذا القول الخاص دون غيره²، أي ذكر كان.

والقسم الآخر يعتقد أن العالم ما اكتسب من الحق إلا الوجود، وليس الوجود غير الحق؛ لما أكسبهم سيوى هويته. فهو الوجود بصور الممكنات، وما يذكره إلا موجود، وما ثم إلا هو. لما شرع الذكر إلا لنفسه، لا لغيره؛ فإن الغير ما هو ثم، وهو عالم بما شرع. فيفتح لصورة الممكن ما ذكرناه كشفا هذا الذكر وهو قولهم: "لا يذكر الله إلا الله، ولا يرى الله إلا الله". فالفيد والمستفيد عين واحدة؛ فهو ذاك من حيث أنه "قائل"، وهو مذكور من حيث أنه عين مقصودة بالذكر. والعالم على أصله في العدم، والحكم له فيما ظهر من وجود الحق؛ لما ثم إلا الحق بجحلا ومفضلا. لأن الحدث إذا قرنته بالقدم؛ لم يبق له أثر، وإن بقي له عين؛ فإن العين بلا أثر ما هي معتبرة.

ولهذا قلنا فمين دلّ على معرفة الواجب لنفسه: لا يمكن له أن يجيب له أثرا، حتى يعلم أن هذه الآثار الكائنة في العالم تحتاج إلى مستند لإمكانها؛ فعند ذلك يقوم لهم البرهان على استنادها لواجب الوجود لنفسه؛ وذلك كمال العلم. فإن الكمال للمرتبة أي بالمرتبة - والتام (هو) بما ترجع إليه في نفسها - أعني التام.

فنتيج لهذا القسم هذا الذكر ما³ قرناه من أنه يستحيل أن يذكره إلا هو، أو يسمع ذكره إلا هو، أو يكون المذكور إلا هو. ومن ذكرته به فهو المذكور، لا أنت. ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾⁴ حتى ذكر برته؛ فكان مذكورا برته، لا به. وسيرد في باب الأسماء الإلهية ما يشفي في هذا النوع إن شاء الله تعالى - من هذا الكتاب ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 [الناربات : 56]

2 ص 38

3 ص 39

4 [الإنسان : 1]

5 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والستون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان هجيريه ومنزله: سبحانه الله

إِنَّ الْوُجُودَ عَلَى التَّسْبِيحِ فَطَرَتْهُ فَهَوِ الْمَرْءُ عَنْ مِثْلِ وَثْنَيْهِ
وَتَمَّ فِي ثَانٍ خَالٍ جَاءَ يُغْلِثُنَا بَأْتَهُ رَبُّ تَقْسِيهِ وَتَزِيهِ
لَهُ التَّقِيضَانِ فَهَوِ الْكَوْنُ أَجْمَعُ يَذْهَبُ بِذَلِكَ ذُو فِكْرٍ وَتَكْيِيهِ

قال الله ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾¹ وقد ورد الأمر بالتسبيح² في القرآن في مواضع كثيرة، ولكن موضع حكم ليس للآخر. وتنقسم الطوائف في تسبيح الحق بحسب كل آية وردت في القرآن في التسبيح، لولا التطويل أوردناها، وتكلمنا على الناكر بها.

اعلم أن هذا الذكر يُنتِج للناكر به ما قاله أبو العباس بن العريف الصنهاجي في "محاسن المجالس" لما ذكر حال العابد، والمريد، والعارف، قال: والحق وراء ذلك كله، لا بد من ذلك؛ وإن كان مع ذلك كله، أو عين ذلك كله. فهو مع ذلك كله بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾³، وهو عين ذلك كله بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾⁴ وهو من وراء جميع ما ذكره محيط بقوله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾⁵ وقوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾⁶.

فمن أراد أن يسبح الحق في هجيريه؛ فليسبحه بمعنى قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾⁷ أي بالثناء الذي أتى به على نفسه؛ فإنه ما أضافه إلا الله⁸. هكذا هو تسبيح كل ما سواها؛ فإنما لا يفقه تسبيحهم إلا إذا أعلنا الله به. وهذا ضد ما تعطيه حقيقة التسبيح؛ بل هذا تسبيح عن التسبيح، مثل قولهم: "التوبة من التوبة". فإن التسبيح تزيه، ولا ينزه إلا عن كل نعت محدث يتصف به المخلوق، وما نزل إلينا من الله نعت في كتاب ولا سنة إلا وهو شرُّ المخلوق، وجعل ذلك تعالى - حمد نفسه، وذكر

1 [الروم : 17]

2 ص 39 ب

3 [الحديد : 4]

4 [صلت : 53]

5 [البروج : 20]

6 [صلت : 54]

7 [الأنعام : 44]

8 من: إليه

9 ص 40

عن كل شيء أنه ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي بالثناء الذي أنزله من عنده ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾¹.

لمن سبّحه عن هذه الحماد؛ فما سبّحه بحمده؛ بل أكذبه؛ وإنما سبّحه بعقله ودليله في زعمه. والجمع بين الأمرين أن تسبّحه بحمده، وهو التنزيه عن التنزيه؛ وذلك عين الاشتراك في النسبة²، كمدم العدم الذي هو وجود. وإن أرادوا به المبالغة في التنزيه؛ فذلك ليس بحمد³ الله. بل حمد الله نفسه (هو) بما ذكرناه.

فإذن سبّحه بحمده؛ وهو الإقرار بما ورد من عنده؛ مما أثبت به على نفسه، أو بما أنزله عليك في قلبك، وجاء به إليك في وجودك بما لم يُنقل إليك. واجعل ذلك التسبيح كالصورة، واجعل قوله: "والحق وراء ذلك كله" كالروح التي لا تشاهد عينها لتلك الصورة، ويكفيك من العلم بها مشاهدتك أثرها. فإنك تعلم أن وراء تلك الصورة أمرا آخر هو روحها، كذلك تعلم أن الحق وراء كل شيء، لك فيه شرب. ومن الحال أن يكون عندك ثناء على الله معين في الدنيا والآخرة، لا يكون لك فيه شرب؛ فإنه لا يصح لك أن تثني عليه بما لا تعقله، ومما عقلت شيئا أو علمته؛ كان (هذا الشيء) صفتك ولا بد. فلا يصح في الكون على ما تعطيه الحقائق - التسبيح الذي يتوهمه علماء الرسوم، وإنما يصح التسبيح عن التسبيح ما دام ربّ وعبد. ولا يزال عبد وربّ؛ فلا يزال الأمر هكذا.

فسبّح بعد ذلك أو لا تسبّح؛ فأنت مسبّح: شئت أو أبيت، وعلمت أم جهلت. ولولا ما هو الأمر على هذا في نفسه، ما صحّ أن يظهر في العالم عين شرك ولا مشرك، وقد ظهر في الوجود المشرك والشرك، فلا بدّ له من مستند إلهي عنه ظهر هذا الحكم؛ وليس إلّا ما ذكرنا من أن العبد له شرب في كل ما يُسبّح به ربه من الحماد. وأعلى الحماد بلا خلاف عقلا وشرعا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم تمّ الآية لنعرف المقصود ويصحّ أول الآية فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴ فلو لم يتمّ لكان أول الآية يؤذن بأننا لسنا له بعبيد، وليس هو لنا بإله. فلا بدّ من رابط؛ وليس إلّا الاشتراك؛ إلّا أنه عين الأصل في ذلك، ونحن فيه كنسبة الفرع إلى الأصل. والولد إلى الوالد، وإن كان على صورته، فليس هو عينه؛ فارتبط به؛ فلا ينسب إلّا إليه؛ لأنّ له عليه ولادة. وغيره من الناس من أبناء جنسه - ما له عليه ولادة؛ فلا يقال: إنّه ابنه.

1 [النساء : 166]

2 كتب في الهامش بقلم آخر: "التشبيه" وكتب حرف ح فوق كل من الكلمتين.

3 ق: محمد

4 ص 40 هـ

5 [الشورى : 11]

ونشبتنا من¹ وجه (هي) مثل هذه النسبة؛ لأن الوجود له، وهو (أي هذا الوجود هو) الذي استفاد منه الحدث. إلا أن النسبة التي ورد بها السمع نسبة العبد إلى السيد، والخلوق إلى الخالق، والرب إلى المروب، والمقدور إلى القادر، والمصنوع إلى الصانع. فإن نسبة البنوة أتت النسب؛ لتقلبه في الأطوار بما ليس للأب فيه تمثّل؛ وإنما له إلقاء الماء في الرحم؛ عن قصد بنوة وعن لا قصد، فنبتت النسبة. لذلك كانت النطفة مخلقة وغير مخلقة؛ ولو كان الأمر فيها للأب لكانت تامة أبدا. ألا ترى إلى النسبة القريبة في خلقي عيسى الطير بيده، ثم نفع؛ فأتم خلقه؛ فقربت نسبة الخلق إليه، وكذلك صنائع الخلقين كلهم. فالبنوة من الأبوة أتت نسبة من جميع الأمور، وهي أصح النسب. وما كثر من قال: "إن المسيح ابن الله" إلا لاقتصاره، وكذلك كفر من قال: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾² لاقتصارهم؛ لأنهم ذكروا نسبة تَمُّ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ إِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً؛ فإن لم يكن في نفس الأمر صحيحة؛ فهو والعالم فيها على السواء.

ولما كان الأمر النسبي في تولد العالم عن الله، وأن وجوده فرع عن الوجود الإلهي؛ تبّه ترمضا في تصريح لمن³ فهم الإشارة وقسم العبارة وذلك قوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ لَنَا﴾ فجوز ذلك. وإنما نفى تعلق الإرادة باتخاذ الولد، والإرادة لا تعلق إلا بمعدوم، والأمر وجود؛ فلا تعلق للإرادة؛ فإن المقصود حكم البنوة، لا عين الشخص المستحق ابنا. ثم تم فقال: ﴿لَا ضَظْفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فتدبر هذه الآية إلى تمامها. وكذلك نوله تعالى:- ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُنَا لَاتَّخِذُنَا مِنْ لَنَا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁴ أي: ما كنا فاعلين أن نتخذ من غيرنا؛ لأنه ابن مريم المدعو بالابن. ومن جعل "إن" شرطاً لا شياً يكون معنى ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: أن نتخذ لهُوَ نتخذ من عندنا، لا من عندهم؛ فإنه ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁵ وما ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾⁶ فما عندنا هو عند الله، ونحن من عند الله وسيأتي هذا التفسير فإنه حال بعض الأقطاب. فاعترف الحق بما أنكر. ولذلك يكون الإنكار اعترافاً بأن دعوى المدعي باطلة، فيلزمه الجمين ما لم يتم بيته.

وبعد أن حصل من البيان ما حصل، فلا بد أن نبين ما بقي في المسألة بالإجمال. وهو أن التسييح إذا سبّح به المسيح، أعني بلفظه الخاص به البال عليه، فلا بد أن يقينه باسم ما من الأسماء الإلهية

1 ص 41

2 [المائدة : 18]

3 ص 41 هـ

4 [الزمر : 4]

5 [الأنبياء : 17]

6 [النحل : 96]

7 [الحجر : 21]

الظاهرة، أو المضمر، والمضافة، والمطلقة. وهو أن يقول: "سبحان الله" أو "سبحان الرب" أو "العالم"
فهذا معنى الاسم الظاهر. وأما¹ الاسم المضمر فمثل قوله: "سبحانه" و"سبحانك". وأما المضاف فقوله:
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾². وأما المطلق: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾³.

فإنَّ اسم سُبَّحه من أسماء الله تعالى، وبأي حال ربطه؛ فإنَّ النتيجة التي تحصل لهذا الذكر
(تكون) مناسبة لتلك الاسم، ومرتبطة بتلك الحال، ولا يظهر له صورة في النكر إلا بهذه المناسبة
الخاصة. فلا يتعين في هذا الذكر لنا أمر تقتصر عليه، إلا ما ذكرناه مما يعم حكمه. فإنَّ النتائج تختلف؛ فإنَّ
الحامد لا تقف عند حد؛ والمسبح لا يسبِّحه إلا بحمده.

وتتبعنا الكتاب والسنة في طلب الأسماء، فوجدناها تدور على "الله"، و"الرب" المضاف، والاسم
الناقص، والاسم المضمر كالهاء، والملِك، والعليّ. فـ"الله" قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ جِبْنَ تُسُون﴾⁴،
و"الرب" قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾، والاسم الناقص: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾⁵، والمضمر قوله:
﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾⁶، و"الملِك" مثل الذي ورد في السنة: «سبحان الملك القدوس» و"العليّ" كما ورد في
السنة: «سبحان العليّ الأعلى»، وقد ورد من غير قيد في السنة مثل قوله: «سبِّح» وهذا ذكر
المذكور، ونتيجته أعظم النتائج؛ لأنَّ كفاية عن عين المسبح بالتسبيح؛ فاسمُه هنا عينه. وهذا أكل تسبيح
العارفين؛ لأنَّه غاب عن الاسم فيه⁷ بالمستى.

فَأَسْأَلُكَ مَعَ الْقَوْمِ آيَةَ مَلَكُوا	إِلَّا إِذَا مَا تَرَاهُمْ هَلَكُوا
وَهَلَكُهُمْ أَلْ تَرَى شَرِيقَتَهُمْ	يَفْغِرُ عَنْهُمْ إِذَا سَلَكُوا
فَاتْرَكُهُمْ لَا تَقْلُ بِقَوْلِهِمْ	نَاسِبًا بِالْإِلَهِ إِذْ تَرَكُوا

فإنَّ جماعة من العقلاء جعلوا الشريعة بمعزل فيما زعموا، والشريعة -أبدا- لا تكون بمعزل؛ فإنَّها تعم قول
كل قائل، واعتقاد كل معتقد، ومدلول كل دليل؛ لأنَّها عن الله المتكلم فيه قد نزلت. وإنما قلنا في هذه
الطائفة المعينة: "إنَّها جعلت الشريعة بمعزل" مع كونها قالت ببعض ما جاء به الشريعة؛ لما أخذت من

1 ص 42

2 [الصفات : 180]

3 [النقص : 68]

4 [الروم : 17]

5 [الإسراء : 1]

6 [الأصنام : 100]

7 ص 42 لب

الشريعة إلا ما وافق ظورها، وما عدا ذلك رَمَتْ به، أو جعلته خطاباً للعامة التي لا تَفْقَهُ. هذا إذا اعتَرَفْتَ واعتقدت أَنَّ ذلك من عند الله، لا من نفس الرسول.

وهو قوله تعالى- الذي قال عنهم على طريق الدم لهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَيْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَيْضٍ وَنُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾¹ وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْكِتَابِ وَنُكْفِرُونَ بِبَيْضٍ﴾² فهذا معنى قولي: "إنهم جعلوا الشرع بمزل". وإن كان قد جاء الشرع بما هم عليه؛ لما أخذوا منه ما أخذوا من كون الشرع جاء به؛ وإنما قالوا به للموافقة احتجاجاً.

وطاعتنا لا ترمي من الشريعة شيئاً، بل تترك ظورها وحكم عقلا، بعد ثبوت الشرع، لحكم ما يأتي به الشرع إليها، وتقضي به؛ فهم سادات العالم.

إِنَّمَا الْقَوْمُ سَادَةٌ وَمَعَ الْمَجْدِ يُنْشَكُونَ
أَيُّهُ يَنْشَكُونَ كُنْ مَقْعُهُمْ خَيْثُ يَنْشَكُونَ
إِنَّمَا الْقَوْلُ مِنْهُ "كُنْ" لِلَّذِي شَاءَ أَنْ يَكُونَ
كُلُّ شَيْءٍ يُزَيِّنُهُ الْحَقُّ مِنْ فِعْلِهِمْ عَمُونَ
وَالَّذِي لَا يُزَيِّنُهُ وَهُوَ ضَلَّ فَلَا يَمُونُ

واعلم أَنَّ الله تعالى- لما جعل بين الأشياء مناسبات (فذلك) ليربط العالم بعضه ببعض، ولولا ذلك لم يلتزم (العالم)، ولم يظهر له وجود أصلاً. وأصل ذلك: المناسبة التي بيننا وبينه تعالى- لولاها ما وُجِدْنَا، ولا قُلْنَا التخلُّق بالأسماء الإلهية. فما من حضرة له تعالى- إلا ولنا فيها قَدَم، ولنا إليها طريق أَمَم. وسأورد ذلك إن شاء الله- في باب الأسماء الإلهية من هذا الكتاب.

وأعظم الحضرات الإلهية في⁴ هذا الباب؛ أنه لا يشبهه شيء، وما تمَّ إلا نحن. ومن لم يشبهك، فلم تشبهه. فكما انتضت المخلّبة عنه، انتضت المخلّبة عن العالم؛ وهو كلّ ما سِوَاه. وبالجموع؛ فإنَّ العالم إنسان واحد كبير لا يماثل؛ أي: لا مثل له، ولهذا هو كلّ مبدع على غير مثال. فلا يخلو أهل الله إنما أن يجعلوا الحقَّ عين العالم؛ فلا يماثل شيء؛ لأنه ليس ثمَّ إلا الله، والعالم صُورُ تجلّيه، ليس غيره؛ فهو له. وإن كان

1 [النساء : 150، 151]

2 ص 43

3 [البقرة : 85]

4 ص 43

العالم وجوداً آخر؛ فإثم إلا الله ومسمى العالم؛ فلا مثل لله؛ إلا أن يكون إله، ولا إله إلا الله. فلا مثل لله. ولا مثل للعالم؛ إلا أن يكون عالم، ولا عالم إلا هذا العالم - وهو الممكنات - فلا مثل للعالم. فصحت المناسبة من وجهين: من نفي المثلية، ومن قبوله للأسماء والحضرات الإلهية.

وكل ما في العالم من المماثلة بعضه ببعض؛ فإنه لا يقدح في نفي المماثلة. فإن تفاصيل العالم، وأجزاءه المتماثلة، والمختلفة، والمتضادة (هي) كالأسماء لله المختلفة، والمماثلة، والمتضادة. كالعليم، والعالم، والعلام؛ هذه متماثلة، وهو أيضاً - الضار، النافع؛ فهذه المتضادة: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾¹ فهذه المختلفة.

ومع هذا فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² فهذه الآية له، ولنا من أجل الكاف. والاشتراك يؤذن بالتناسب. وإذا كان لا بد من التناسب، فنظرنا³ أي شيء من المناسبات بين الحج والتسبيح حتى شبه به تعالى. فقلنا: إن التسبيح هو الذكر العام في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾⁴ وقال ﷻ: «إنما شرعت المناسك لإقامة ذكر الله» لاختلاف العالم؛ لأن ذكر الله كله تسبيح بحمده؛ أي بما أنفى على نفسه. كما جعل التهليل مائلاً لعنق الرقاب النفيسة، والعتق إنما هو أمر⁵ يخرج العبد من العبودية، ولا يخرج من العبودية إلا أن يكون الحق سمعه وصره وجميع قواه؛ فيكون حقاً كله. فيناسب قوله: "لا إله إلا الله".

وقد يكون عتق الرقاب من الألوهية؛ بالعبودية. فإن الشخص يتقيد بالربوبية، فيطلب منه ما ليس بيده منه شيء، وإنما ذلك بيد الله؛ فيحار؛ فيعتقه الله من هذه النسبة إليه؛ بما أظهر فيه عند المعتق فيه ذلك من الجبر والافتقار. وسلب هذه الأوصاف؛ فعاد حراً في عبوديته؛ فلم يكن له قدم في الربوبية؛ فاستراح. فهذا عتق أيضاً - شريف؛ حيث تخلص لنفسه من تقلق الغير به، كما تخلص بالتهليل الألوهة لله من رقب الدعوى بالآلهة المتخذة، وهو قولهم: ﴿أَجْفَلْ آلَ الْكَلْبَةِ إِلَٰهَا وَاجِدَا﴾ كما هو الأمر في نفسه ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾⁶.

فجعل ﷻ بوحيه المنزل⁷ وكشفه الممثل؛ التهليل مناسباً لعتق الرقاب، كما جعل التحميد مناسباً للحمل في سبيل الله، وهو باب التعم، والحمد لله شكراً لما يكون منه، كما يكون من الأسباب للمسببات

1 [النحل : 60]

2 [الشورى : 11]

3 ص 44

4 [الإسراء : 44]

5 ثابت بن السطريين بقلم آخر

6 [ص : 5]

7 ص 44

8 "بوحيه المنزل" ثابتة في الهامش مع إشارة التصريح

شكر بما تراه من آثارها فيها كما قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾¹ ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِي كَمَا رَحِمْتَ رَيْبَانِي صَغِيرًا﴾² وسيرد في هَجِير "الحمد لله" ما يشفي الغليل إن شاء الله تعالى - وكذلك من كبر؛ فاسبب بين التكبير وبين عظم ما لصاحبه من غير تعيين. وما قرنه بشيء معين مثل ما فعل في التسبيح، والتحميد، والتهليل. فَيَقْدُ هناك، وأطلق هنا؛ ليشمل الذكر التقيد والإطلاق.

وقد ورد في هذا خبر حسن عن رسول الله ﷺ أنه: "مَنْ سَبَّحَ الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ وهو قوله ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾³ وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾⁴ وقرن ذلك بالمائة؛ لأنه ليس لنا دار نسكنها إلا الجنة أو النار، والجنة مائة درجة. فمن أكلها مائة؛ فقد حاز من كل درجة حظًا وافرا بحسب ذكره، بما يناسب ذلك الذكر من تلك البرجات". وكذلك دركات النار مائة درك، تقابل درج الجنان؛ له من جانب النار بهذا الذكر - التنزه من كل درك، وله من الجنان الإنعام من كل درج، فاعلم ذلك.

ثم نرجع إلى سرد الحديث، وهو ما حدثنا به زاهر بن رستم الأصبهاني، عن الكروخي، عن الثلاثة: محمود الأزدي، والرباعي، والفوري؛ كلهم عن الجراحي، عن الحبوبي، عن أبي عيسى - الترمذي؛ قال: ثنا محمد بن رزين الواسطي، قال: ثنا أبو سفيان الحموي، عن الضحاك بن حمزة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَبَّحَ الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كمن حج مائة حجة" يعني مقبولة "ومَنْ حَمَدَ الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله" أو قال: "غزا مائة غزوة. وَمَنْ هَلَّلَ الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، وَمَنْ كَبَّرَ الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ لم يأت في ذلك اليوم أحدٌ بأكبر مما أتى إلا مَنْ قال مثل ما قال أو زاد على ما قال" قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

ولما كان التسبيح بحمده قرينة به، فقال في الصحيح عن رسول الله ﷺ في سبحان الله والحمد لله: "أنها يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض" وأراد قوله: "سبحان الله وبحمده" فإن: "الحمد لله تملأ الميزان" فإنها آخر ما يجعل في الميزان؛ فيها يمتلئ. كما قال: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁵ فـ "الحمد لله" له التأخير في الأمور لأن له الساقة، و"لا إله إلا الله" له التقمة، و"سبحان الله" له

[لقمان : 14]

[الإسراء : 24]

[طه : 130]

[الروم : 17]

5 ص 45

6 ص 45 هـ

[يونس : 10]

الميسرة، و"الله أكبر" له المجنة، والقلب له: "لا حول ولا قوة إلا بالله" فأثبت العبد والرب.

فاستصحب الاسم "الله" لكل تسبيح، وتحميد، وتكبير، وتهليل؛ هو معطي القوة لذلك التسبيح، أو التهليل، أو التحميد، أو التكبير. لأنه لفظاً يمكن أن يطلق إذا أطلق، ويثبت بغير الله في الإضافة بأن يسبح شخصاً ليس الله، ويكبره، ويحمده، ويهلل ما ليس بإله؛ كقوم فرعون. فلا قوة لهذا الذكر على أمثاله إلا بالله؛ فإنه ما يتجلى لك شيء ليس هو الله، فيقول لك: "أنا الله" فتقول له: "أنت بالله" إلا انعدم من ساعته إذا لم يكن الله. وما رأيت من شهد هذا المشهد من رجال الله، إلا رجل واحد من أهل قرطبة، كان مؤذناً بالحرم المكي، يقال له: موسى بن محمد القباب، كان من ساداتهم، وهو تلميذ أبي الحسن بن حرازم بفاس.

فلا قوة على الثبوت إلا بالله، حتى لو قالها بكلام الحق على لسان ذلك المتجلى¹، ويقول له صاحب الكشف: "أنت بالله" ما انعدم، وثبت. فهذا بعض ما ينتج هذا الذكر والحمد لله هو الله يقول الحق وهو يهدي السبيل².

الباب السابع والستون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: الحمد لله

الحمد لله في قيد وإطلاق مثل الفروع التي قامت على ساق
يتنوع بالذي يبدى من ثمر لشاهد الجس في أنفاس أغراق
ونحن فرج لمن أبنى خائفنا ذات بذات وأخلاق بأخلاق

قال الله تعالى- آمراً: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ¹﴾.

اعلم أن الحمد والحمد هي عواقب الثناء، ولهذا تكون آخراً في الأمور، كما ورد أن: ﴿أَجْرُ دَعْوَانِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ²﴾ وقوله ﷻ في الحمد لله: «إِنَّمَا تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» أي³ هي آخر ما يُنْقَلُ في الميزان؛ وذلك لأنَّ التَّحْمِيدَ يأتي عقيب الأمور. ففي السَّراء يقال: «الحمد لله المنعم المفضل» وفي الضراء يقال: «الحمد لله على كلِّ حال».

والحمد هو الثناء على الله، وهو على قسمين: ثناء عليه بما هو له؛ كالثناء بالتسبيح، والتكبير، والتهليل. وثناء عليه بما يكون منه؛ وهو الشكر على ما أسبغ من الآلاء والنعم. وله العواقب؛ فلنَّ مرجع الحمد ليس إلّا إلى الله؛ فإنه المُنَى على العبد، والمُنَى عليه. وهو قوله ﷻ: «أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» وهو الذي أتى به العبد عليه. فردَّ الثناء له من كونه مثنياً باسم فاعل - ومن كونه مثنياً عليه - اسم مفعول - فعاقبة الحمد في الأمرين له تعالى -.

وتقسم آخر؛ وهو أن الحمد يردُّ من الله مطلقاً ومقيداً في اللفظ، وإن كان مقيداً بالحال؛ فإنه لا يصح في الوجود إطلاق فيه؛ لأنه لا بدَّ من باعٍ على الحمد، وذلك الباعث هو الذي يقيد، وإن لم يقيد لفظاً. كما مره في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ⁴﴾ فلم يقيد. وأما المقيّد فلا بدَّ أن يكون مقيداً بصفة فعل كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ⁴﴾ وكقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى غَيْبِهِ

1 [الحمل : 59]

2 [يونس : 10]

3 ص 46

4 [الأصنام : 1]

الكتاب¹ و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾³ وقد يكون مقيدا بصفة تنزيه كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾⁴.

واعلم أنّ الحمد لما كان يعطى المزيد للحامد، عَلِمْنَا أنّ الحمد بكل وجه شكر. وكذلك ما أعطى المزيد من الأذكار؛ فهو شكر؛ فهو حمد كله؛ لأنه ثناء على الله. فأما زيادته التي تحصل لمن أثنى عليه بما هو عليه، فهي أن يعطيه الحق من العلم الناقى به سبحانه- ما يثني به عليه، وهو قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁵. وأما إذا أثنى عليه بما يكون منه؛ فإنه يزيده من ذلك؛ ليثابر عليه بالثناء على الله به. فعلى كل حال يعطى الزيادة، وإن كان بين التحميدين فرقان. ولكن من حيث ما هو تحميد من الخلق؛ فهو عطاء أعطاه الله إياه، وكلّ عطاء يقبل المعطى الزيادة منه فإثنا لا نحمده إلا بما أعلنا أن نحمده به- فحمده مبناه على التوقيف.

وقد خالفنا في ذلك جماعة من علماء الرسوم، لا من العلماء الإلهيين. فإنّ التلقظ بالحمد على جملة القرية لا يصح إلا من جملة الشرع. ولو استصبح هذا المخالف بنور الإنصاف لعلم أنّ الصدق حسن، وهو يقول به: إنه حسن لذاته، ومع هذا فإنه يثبّح في مواطن، ويأثم القائل به. فلهذا لا يُمكن أن يقال على جملة القرية وإن عقل أنه خير- إلا حتى يقول الحق: ﴿ادْكُرُونِي﴾⁷؛ فإثنا أن يُطلق بكل ذكرٍ ينسب إليه الحسن في العرف وهو من مكارم الأخلاق، وإثنا أن يقيده؛ فيعين ذكرًا خاصًا.

فالثناء على الله بما هو فاعل (هو) ثناء عرفي؛ يثني به الخلق على الخالق ما لم يثنه عنه، إذا كان ذلك الثناء مما يعظم في العالم، فقد يكون من حيث ما هو فاعل، وليس يعظم في العالم. فإذا ذكر بما هذا مثله نكر، ومثاله أن يقول: "الحمد لله خالق كل شيء" فيدخل فيه كل مخلوق معظم ومحقر. ومثال المعظم في العرف أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾⁸ ومثل ذلك. ولا ينبغي أن يعين في الثناء خلق المحقر غزفاً والمستقنر طبعا، وإن دخل في عموم كل شيء. ولكن إذا عين لا يقتضيه الأدب؛ بل ينسب مغيته إلى سوء الأدب أو فساد العقيدة، مع صحة ذلك. ولا أمثل به؛ فإثني أستحي أن يقرأ مع الزمان في كتابي؛ فلذلك لم نثقل به، كما ثقلنا بالعام والعظيم، والكل منه ونعمته.

1 [الكهف : 1]

2 ص 47

3 [فاطر : 1]

4 [الإسراء : 111]

5 [طه : 114]

6 ص 7 هـ

7 [البقرة : 152]

8 [الأعام : 1]

ولولا حقارة ذلك بالغرف لم نقل به؛ فإنّي ما أرى شيئا ليس عندي بعظيم؛ لأنّي أظن بعين اعتناء الله به حيث أبرزه في الوجود، فأعطاه الخير؛ فليس عندنا أمرٌ محترّ. وهذا شهود القوم¹؛ فالكلّ نعمته ظاهرة وباطنة. فظاهرة: ما شهود منها، وباطنة: ما عِلْم ولم يُشْهَد. وظاهرة: التعظيم عُرْفًا، وباطنة: التعظيم عند أهل الله وأهل النظر المستقيم مما ليس بعظيم في الظاهر. لأنّ هذا الأمر شبيه بالآيات المعتادة، والآيات غير المعتادة. فالآيات المعتادة ما هي آياتٌ إلّا لقوم يعقلون، ولا فرق بينها وبين الآيات غير المعتادة؛ مثل حركات الأفلاك، واختلاف الليل والنهار، وما يظهر في فصول السنة من الأرزاق. والأمور المعتادة، والمسخرات؛ فلا يمتنّيه بها إلّا كلّ ذي عقل سليم أنّها آيات. وأمّا غير المعتادة فهي آيات للجميع؛ فتنبعث النفوس للثناء على الله بها دون المعتادة.

فصاحب جبر الحمد المطلق الذي لا يقته الناكر بشيء من الصفات، وإن اختلفت عليه الأحوال؛ فما هي بواعثُ لذلك الذّكر، وإنما هو الباعث الأول الذي به أطلق الذّكر؛ فهو تقييد في إطلاق. فينتج له جميع ما يعطيه كلّ حميد مقيد بنعت ما من النعوت، أو اسم، أو صفة؛ ما لم يقف صاحب هذا الذّكر مع حال من الأحوال، لما يحصل له فيه من الحلاوة؛ فيقيد ذلك الاستحلاء، وإن أطلقه في اللفظ. فلا ينتج له بعد ذلك إلّا ما يناسب الحال الذي أعطاه الاستحلاء؛ فإنه ذو صفة؛ فهو بحيث هي (أي بحيث هذه الصفة)، وزال عنه بها الحكم الأول. قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: "لا صباح لي ولا مساء. إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة، وأنا لا صفة لي".

فلا يقف صاحب هذا الذّكر مع أمر يردّ عليه من الحقّ يقته؛ فهو مع كلّ وارد بحسب الوارد، من غير تعلق بمعية. فمعيته² مع الوارد معية الحقّ مع عباده حيث ما كانوا؛ لعلهم أنّهم لا يكونون إلّا بحسب أسمائهم الحاكمة عليهم والمتصرفّة فيهم. فهو مع أسمائهم، لا معهم، ولكن ما وقع الإخبار إلّا أنّ الله معهم أينما كانوا. كذلك الواردات لا تتعين للعبد إلّا بحسب استدعاده الذي أعطاه ذكّره، وذكّره من فعله. فهو في معيته مع الواردات مع نفسه، كما ذكرنا في معية الحقّ على السواء هو الله يقول الحقّ وهو يبي السبيل³.

1 ص 48

2 ص 48 هـ

3 تاجة في الهامش مع إشارة الصوب

4 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن والستون وأربعائة في حال قطب كان منزله: الحمد لله على كل حال

الحمد لله على كل حال	فهو الذي يحمي حال الوجود
وما على خد الذي قاله	إذا تلفظت به من مزيد
وجاء ذا عنه به قايلاً	قد جاء ما قد كنت منه نجيذ
فإنه ناداك من خصرة	من قبل هذا في مقام الشهود
بأنه ليس بغير له	فلا يفرئك خبل الزريد
فأنت رب وأنا عبده	ويثبت الرب بكون العبيد
فلا تقل في كونه: إنه	يقول يوم الغرض: هل من مزيد

اعلم أيهاك الله وإنا بروح منه - أن رسول الله ﷺ كان يقول في السر: «الحمد لله المنعم المفضل» وكان يقول في الضراء: «الحمد لله على كل حال» ثبت هذا في الصحاح. فعلمنا أنه ذكر أدب إلهي؛ لأنه ما قبله باسم كما قيل حمد السراء بالمنعم المفضل، ومن أسمائه: «الضار»² كما من أسمائه: «النافع». ولم يتعرض في هذا الحمد إلى ذكر الاسم «الضار» ولم يكن ذلك عن هوى، إلا عن وحي إلهي يوحى؛ فإنه (ص) الصادق القائل: «إن الله أدبني فأحسن أدبي». فعلمنا أن هذا الذكر من جملة الآداب على هذه الصفة.

وقد أوحى الله أن تتبع ملة إبراهيم، ومن آداب إبراهيم عليه السلام مع ربه قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾³ فنسب الشفاء إلى ربه، ولم ينسب إليه المرض؛ لأنه شر في العرف بين الناس، وإن كان في طبيعته خير في حق المؤمن. فأخبر الله نبيه بحديث إبراهيم وقوله هذا؛ تعلماً له ﷺ ليتأدب بأدبه؛ فقال رسول الله ﷺ: «والشر ليس إليك». و(هو) من كونه خلقاً يحس بالألم الحسي - والنفسي - كما يحس بالآلام المحسوسة والمعنوية، ويعلم الفرقان بينهما، وأن السرور يصحب الالتذاز، وأن الحزن يصحب الألم طبعاً؛ فلذلك غل في الضراء إلى حمد الله على كل حال، والأحوال في العالم ما هي بأمر زائد على الشأن الذي الحق فيه. بل هو عين الشأن: كل حال يطرأ في الوجود؛ مما يوافق الغرض ويلائم الطبع، وما لا

1 ص 49

2 ص 49 هـ

3 [الشعراء: 80]

يوافق الغرض ولا يلائم الطبع¹، وإن كان الأمر في ذلك من القابل. لأننا رأينا ما يتضرر به زيد يلتذ به عمرو، فعلنا أن العلة في القابل، وأن الأمر الآتي منه تعالى - واحد العين، لا انقسام فيه؛ فينقسم فينا أمره ويتعدد.

ولما عم هذا الذكر جميع الأحوال؛ فإن تحقق الناكث الله به ما وُضِعَ له فهي دعوى؛ فإن الله لا بد أن يتلى الشخص الذي يذكر الله بهذا الذكر على هذا الحد؛ فإن الدعوى تفتح² باب الابتلاء في القديم والحديث إن فهمت. وإن كان الناكث به ما خطر له أصل وضيء بخاطر، بل ذكر الله به لكونه مشروعا، من غير وقوف مع السبب في وجوده وتشرعه؛ فقد يتليه الله، وقد لا يتليه. وإن قيد هذا الناكث - أعني ذلك الذكر - بأنه شاء على الله لجهة الخبر، لا يقصد به أصل وضعه، ولا يقوله بدعوى أنه الحامد لله على كل حال، وإنما يقول ذلك مخبرا أن الله محمود على كل حال غاية ما من حال، كما قترناه، إلا وله وجه في الخلق إلى الالتئاذ به والتألم به - فما من حال إلا ويحمد الله عليه: حمد سرء، وحمد ضراء.

ألا تراه في السراء كيف يقول: «الحمد لله المنعم المفضل»؟ فمن إنعامه وفضله أن جعل صاحب الضراء يحمد الله؛ ولهذا يعافيه، ويحول بينه وبين تلك³ الضراء؛ لأن حمده شكرك على هذا الإفضال؛ وهو أن الهمة واستعمله في حمد الله، ولم يستعمله في الضجر والسخط؛ فعافى باطنه بما الهمة إليه من التحميد؛ فزاده الله عافية بإزالة الضراء عنه. وهذا معنى دقيق مندرج في «الحمد لله على كل حال» وأنه مساو لحمد السراء، وهو «الحمد لله المنعم المفضل» وزيادة، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيا رسول الله ﷺ.

وتختلف أحوال الناكثين الله بهذا التحميد؛ فكل حامد به ينتج له بحسب قصده، وعلمه، وباعثه. وقد فصلناه تفصيلا كما أنزله الحق ﷻ في قلوب الناكثين الله به تنزيلا؛ فهو حمد سرء، وحمد ضراء ﷻ يقول الحق وهو يهدي السبيل⁴.

1 ص 50

2 ق: يفتح

3 ص 50

4 [الأحزاب: 4]

الباب التاسع والستون وأربعائة في حال قطب كان منزله: ﴿أَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾

وَمُصَدِّقٌ وَمُتَّفَكِّرُوا	إِنَّ الْوُجُودَ مُنْطَلَقٌ وَمُنْطَلَقٌ
وَمُكَذِّبٌ وَالْعَيْنُ لَا تَتَكَبَّرُ	فَالشَّيْءُ يَكْذِبُ نَفْسَهُ فَيُكَذِّبُ
فَذُكُّهُ فِي أَمْرِنَا تَنْبَصَّرُوا	فَلَا يَشَيْءٌ يَرْجِعُ الْأَمْرَ الَّذِي
أَمْرَ الْوُجُودِ إِلَيْهِ لَا تَحْصِرُوا	حَتَّى تَرَوْهُ بِالْعَيْنِ فَفَوَّضُوا

قال الله ﷻ لبيته ﷻ أن يقول لقومه حين رَدُّوا دعوته: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾¹ وهو من فاض، ولا يفيض حتى يمتلئ؛ فالفيض زيادة على ما يحمله الحمل. وذلك أن الحمل لا يحمل إلا ما في وسعه أن يحمله، وهو القدر والوجه الذي يحمله الخلق، وما فاض من ذلك وهو الوجه الذي ليس في وسع الخلق أن يحمله - يحمله الله. فما من أمر إلا وفيه للخلق نصيب، والله نصيب؛ فنصيب الله أظهره التفويض.

فينزل الأمر جملة واحدة وعينا واحدة إلى الخلق، فيقبل كل خلق منه بقدر وسعه، وما زاد على ذلك وفاض؛ انقسم الخلق فيه على قسمين؛ فمنهم من جعل الفاض من ذلك إلى الله تعالى - فقال: ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ وينسب ذلك الأمر إلى نفسه؛ لأنه لما جاءه ما تخيل أنه يفضل عنه، وتخيل أنه يقبله كله²؛ فلما لم يسمعه بذاته؛ رده إلى ربه. ومنهم من لم يعرف ذلك، فرجع الفاض إلى الله عن غير علم من هذا الذي حصل منه ما حصل؛ فهو إلى الله على كل وجه.

وما بقي الفضل إلا فمن يعلم ذلك؛ فيفوض أمره إلى الله؛ فيكون له بذلك عند الله يد. ومنهم من لا يعلم ذلك؛ فليس له عند الله بذلك منزلة، ولا حق يتوجه. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَعْوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾³.

واعلم أن العبد القابل أمر الله لا يقبله إلا باسم خاص إلهي، وأن ذلك الاسم لا يمتنع حقيقته. فهذا

1 ص 51

2 [غار: 44]

3 ص 51 ب

4 [الزمر: 9]

العبد ما قَبِلَ الأمر إلا بالله من حيث ذلك الاسم. لما عجز العبد ولا ضاق عن حله؛ فإنه محلُّ ظهور أثر كلِّ اسم إلهي؛ فمن الاسم الإلهي فاض، لا عن العبد. فلما فَوَّضَهُ بقوله: ﴿وَأَفَوَّضْ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ﴾ ما عَيَّنَ اسماً بعينه، وإنما فَوَّضَهُ إلى الاسم الجامع؛ فينتقل منه ما يناسبُ ذلك الأمر من الأسماء في خلق آخر. فإنه ما لا يحمله زيدٌ وضاق عنه (فذلك) لكون الاسم الإلهي الذي قبله به، ما أعطت حقيقته إلا ما قَبِلَ منه. وقد يحمله عمرو؛ لأنه أوسع من زيد، بل؛ لا أنه أوسع من زيد؛ ولكن عمرو في حكم اسم، أيضاً، إلهي قد¹ يكون أوسع إحاطة من الاسم الإلهي الذي كان عند زيد.

فإن الأسماء الإلهية تتفاضل في العموم والإحاطات؛ فيحيط العالم، ويحيط العليم؛ فتكون إحاطة العليم أكثر من إحاطة العالم، وإحاطة الجبر أكثر من إحاطة غيره، وكذلك الاسم المرید مع العالم، والاسم القادر مع المرید ومع العالم تقلَّ إحاطته عنهما. والعبد لا بد أن يكون تحت حكم اسم إلهي؛ فهو بحسب ذلك الاسم، وما تعطيه حقيقته من القبول. فيردُّ ما فَضَّلَ عنه (إليه تعالى-) وذلك (هو) التفضيض لمن عقلَ عن الله قوله؛ فإنَّ اللسان الذي خاطبنا به الحق اقتضى ذلك، فنحن معه بقوله.

لأنه ليس في وسع المخلوق أن يحكم على الخالق إلا من يكون شهوده ما هي الممكنات عليه في حال عدما؛ فيرى أنها أعطت العلم للعالم بنفسها. فقد يشتم من ذلك رائحة من الحكم، لكنَّ افتقارها من حيث إمكانها يغلب عليها. ولهذا ترى النافين الإمكان بالدلالة العقلية، يفعلون في أكثر الحالات - عما أعطاهم الدليل من نفي الإمكان في شئ الأمر، فيقولون بالإمكان حتى يراجعوا ويثبوا؛ فيبتدئوا ذلك. فلا بد من أمر يكون له سلطنة في هذا العبد حتى يتصف بالفضيلة² والذهول عما اقتضاه دليله، وليس إلا الأمر الطبيعي والمزاج.

ألا تراه إذا انتقل بالموت الأكبر أو بالموت الأصغر إلى البرزخ؛ كيف يرى في الموت الأصغر أموراً كان يحيلها عقلاً في حال اليقظة، وهي له في البرزخ محسوسة كما (هي) له في حال اليقظة ما يتعلَّق به حسه؛ فلا ينكره بما كان يدلّ عليه عقله من إحالة وجود أمر ما يراه موجوداً في البرزخ؟! ولا شك أنه أمر وجودي - تعلّق الحس به في البرزخ؛ فاختلف الموطن على الحس؛ فاختلف الحكم. فلو كان ذلك محالاً لنفسه في قبول الوجود؛ لما اتَّصف بالوجود في البرزخ، ولما كان مدركاً بالحس في البرزخ؛ بل قد يتحقّق بذلك أهل الله حتى يدركوا ذلك في حال يقظتهم، ولكن في البرزخ. فهم في حال يقظتهم، كمال النائم والميت في حال نومه وموته. فإن تَقَطَّعتْ فقد رُميتْ بك على طريق العلم بقصور النظر العقلي، وآتته ما أحاط بمراتب الموجودات، ولا غم الوجود؛ كيف هو؟. إذ لو كان كما حكم به العقل؛ ما ظهر له وجود في

مرتبة من المراتب، وقد ظهر؛ فليس لعامل ثقة بما دلّه عليه عقله في كلّ شيء.

فإذا كان صحيح الدلالة؛ سرى ذلك في كلّ صورة؛ فيعلم في كلّ صورة يراها في البرزخ، وتحصل¹ في نفسه أنّه الله؛ فهو الله؛ فما يختلّف كونه، وإن اختلفت صُور تجلّيه. وكذلك عند العارفين به هنا؛ ما يختلّف عليهم شيء من ذلك، ولا في البرزخ، ولا في القيامة الكبرى؛ فيشهدون ربهم في كلّ صورة من أدنى وأعلى، وكما هم اليوم كذلك يكونون غداً.

وأما أبو يزيد فخرج عن مقام التفويض؛ فعلمنا أنّه كان تحت حكم الاسم "الواسع"، فما فاض عنه شيء. وذلك أنّه تحقّق بقوله: «ووسعني قلب عبدي» فلما وسّع قلبه الحقّ، والأمور منه تخرج؛ التي يقع فيها التفويض من وقع. فهو كالبحر، وسائر القلوب كالجداول. وقال² في هذا المقام: "لو أنّ العرش" يريد به ما سيّوى الله³ "وما حواه؛ مائة ألف مرّة" يريد الكثرة، بل يريد ما لا يتناهى "في زاوية من زوايا قلب العارف؛ ما أحسّ به" يعني لا تساعه حيث وسّع الحقّ. ومن هنا قلنا: "إنّ قلب العارف أوسع من رحمة الله" لأنّ رحمة الله لا تال الله ولا تسعه، وقلب العبد قد وسّعه.

إلا أنّ في الأمر نكتة أومئ إليها، ولا أنض عليها. وذلك أنّ الله قد وصف نفسه بالغضب والبطش الشديد بالمغضوب عليه، والبطش رحمة لما فيه من التنفيس وإزالة الغضب. وهذا القدر من الإيماء كاف فيما نريد بيانه من ذلك؛ فإنّ الرسل تقول: «ولن يفضّب⁴ بعده مثله». فالانتقام رحمة وشفاعة، ولولا كونه رحمة ما وقع في الوجود، وقد وقع؛ ولكن ينبغي لك أن تعلم بمنّ هو وقوع الانتقام رحمة؟ فبان لك من هنا- رتبة أبي يزيد من غيره من العارفين؛ لأنّه وأمثاله لا يتكلّمون إلّا عن أحوالهم وذوقهم فيها.

ومن أسمائه تعالى- "الواسع" كما ورد- فبأنّساعه قبل الغضب. فلو ضاق عنه؛ ما ظهر للغضب حكم في الوجود؛ لأنّه لم تكن له حقيقةً إلهيّة تستند إليها في وجوده. وقد وجد، فلا بدّ أن ينسب الغضب إلى الله كما يليق بجلاله، وقد وسّع القلب الحقّ، ومن صفاته الغضب، فقد وسّع الغضب. فلا يتكرّر على العارف مع كونه ما يرى إلّا الله- أن يفضّب، ويرضى، ويتصفّ بأنّه يؤدّي وإن لم يتأدّ⁵ فما أذّي من لا يتأدّي. غير أنّه لا يقال ذلك في الجناح الإلهي إلّا أنّه تسوّى⁶ بالصبور، وأغلّنا بالصبر؛ ما هو؟ وعلى ماذا يكون؟ ولا تقول: هو في حقّ الحقّ جلم؛ فإنّ "الحلم" كما ورد، كذلك ورد "الصبور" ولكلّ وارد

1 ص 53

2 تاج في الهامش بقلم الأصل

3 "يريد به ما سيّوى الله" تاج في الهامش بقلم آخر مع إشارة الصواب

4 ص 53

5 ق: يتأدّي

6 ق: يسي

معنى ما هو عين الآخر. فتتغير الأحوال على العارفين تتغير الصور على الحق، ولولا ذلك ما تغيرت الأحكام في العالم؛ لأنها من الله. فظهر في العالم، وهو ¹موجدها وخالقها. فلا بد من قيام الصفة به، وحينئذ يصح وجودها منه، كان الموجد - اسم فاعل - ما كان، وكان الموجد - اسم مفعول - ما كان. فإن لم تعلم التفويض كما ذكرته لك، وإلا وقعت في إشكال لا تحل منه - أعني في العلم بالتفويض - ما هو؟ فهذا نسبته إلى المخلوق.

وأما التفويض الإلهي؛ وهو أن يكون هو المفوض أمره إلى عباده فيه؛ فإنه كلهم، وأمرهم، ونهام. فهذا تفويض أمره إلى عباده؛ فإنه فاض عما يجب للحق؛ لأن التكليف لا يصح في حق الحق. فلما فاض عنه؛ لم تكن إفاضته إلا على الخلق. وأراد منهم أن يقوموا به حين رزده إليهم، كما يقوم الحق به إذا فوض العبد أمره إلى الله. فمنهم من تخلق بأخلاق الله؛ فقبل أمره ونهيه؛ وهو المعصوم والحفوظ. ومنهم من رزده. ومنهم من قبله في وقت وفي حال، ورزده في وقت وفي حال.

وكذلك فوض إليهم أمره في القول فيه؛ فاختلث مقالاتهم في الله، ثم أبان لهم على السنة رسله ما هو عليه في نفسه؛ لتقوم له الحجة على من خالف قوله؛ فقال في الله ما يقابل ما قاله عن نفسه. فلما اختلفت المقالات؛ تجلّى لأهل كل مقالة بحسب أو بصورة مقالته. وسبب ذلك ترويضه ²أمره إليهم، وإعطائه ليأثم عقولا وأفكارا يتفكرون بها، وأعطى لكل مؤف حقه في الاجتهاد بنظره نصيبا من الأجر: أخطأ في اجتهاده أو أصاب. فإنه ما أخطأ إلا المقالة الواردة في الله بلسان الشرع خاصة، فاد عنها بتأويل فيها أذاه إليه نظره، وورود شرع أيضا يؤيده في ذلك. لما ترك المقالة من حيث عينها، وإنما استند إليها ذهب إليه - لأمر مشروع، ودليل عقل. وكونه أصاب أو أخطأ؛ ذلك أمر آخر زائد على كونه اجتهد؛ فإنه ما يطلب باجتهاده إلا الدليل الذي يغلب على ظنه أنه يوصله إلى الحق والإصابة، لا غير.

فَنَسِجُهُ عَيْنُ تَرْوِيضِهِ	فَنَسِجُهُ عَيْنُ تَرْوِيضِهِ
فَنَسِجُهُ عَيْنُ تَرْوِيضِهِ	فَنَسِجُهُ عَيْنُ تَرْوِيضِهِ
وَكُلُّ أَمْرٍ إِتْمَا خَطُهُ	وَكُلُّ أَمْرٍ إِتْمَا خَطُهُ

تفويضه؛ في قوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ ³، وتفويضنا ⁴؛ إذ أمرنا أن نخذه وكلا فيما

1 ص 54

2 ص 54 ب

3 [الحديد: 7]

4 ص 55

استخلفنا فيه؛ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾¹. ولَمَّا كَانَ الْعَالَمُ تَحْتَ حُكْمِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهِيَ أَسْبَاؤُهُ؛ لَمَّا تَلَقَّى تَهْوِيضَهُ إِلَّا هُوَ، لَا نَحْنُ؛ فَإِنَّهُ بِأَسْمَائِهِ تَلَقَّيْنَاهُ. فَهُوَ الْبَاطِنُ مِنْ حَيْثُ تَهْوِيضُهُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَيْثُ قَبُولِهِ. فَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا كَمَا تَنْزِلُ الْأُمْرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَهُوَ الْعَلِيِّ، وَبَيْنَ الْأَرْضِ وَهِيَ الْفَلُولُ.

فَهَكَذَا الْأَمْرُ فَلَا تَخْفِ
وَشَاهِدِ الْحَقُّ بِهِ نَاطِقٌ
فَإِنَّهُ أَوْضَحَهُ كَوْنُهُ
فَإِنَّهُ فِي كَوْنِهِ عَيْنُهُ

وهو ما ذكرناه، من أنه ما تلقى تهويض الحق إلا اسمه؛ فهو المكلف والمكلف؛ لأنه قال: ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾² فهو عين الموجودات؛ إذ هو الوجود ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³. والكلام في هذا الباب يطول ويتداخل، وينعطف بعضه على بعض؛ فيظهر ويخفى فإنه ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁴ ﴿إِلَهُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى﴾⁵ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

1 [التقصي : 13]

2 [هود : 123]

3 [الأحزاب : 4]

4 [مله : 98]

5 [مله : 8]

الباب¹ السبعون وأربعائة

في حال طلب كان منزله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾²

كَمَا أَعْطَاكَ خَلْقَكَ مَنْ حَبَاكَ	فَأَعْطِ مَا خُلِقْتَ لَهُ كَذَاكَ
وَلَنْ لَمْ تَطْعِهِ فَالْخَلْقُ يُعْطِي	وَلَيْسَ تَكُونُ مُشْكُورًا هُنَاكَ
وَحَقُّ الْحَقِّ أَوْلَىٰ يَا وَلِيِّي	يَأْنُ يُقْضَىٰ - بِهِ؛ وَخِي أَتَاكَ
فَلَنْ تَجْلُعَ مِنْهُ كَمَا كُنْتُ	يُؤَلِّفُكَ الْإِلَهُ بِه مِنْكَ

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾³ وقضاه لا يَزِدُّ. علمنا أن نتيجة هذا الذكر (هو) شهود هذه الآية بلا شك. فإن الحق هو الوجود، والأشياء صُور الوجود؛ فارتبط الأمر ارتباطاً المادية بالصورة. والعبادة ذلة، بلا شك، في اللسان المنزل به هذا القرآن. والأمر إذا ارتبط بين أمرين؛ لا يمكن لكل واحد منهما أن يكون عنه ذلك الأمر إلا بارتباطه بالأمر الآخر؛ علمنا أن كل واحد من الأمرين المرتبطين للحب الذي قام بكل واحد منهما في ظهور الأمر الثالث، أنه - طالب الأمر الثاني؛ فصاح الطلب من كل واحد. والحاصل لا يمتنع؛ فلا بد أن يتصفا بالفقد لما يبغيان وجوده، والطلب لا يكون إلا بنوع من الإذلال. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾⁴ فطلب الدعاء من عباده، وطلب العبادة الإجابة منه؛ فאלكل طالب ومطلوب.

وقد قام الليل أن الحوادث لا تقوم به، فلا يستقل بكل طلب في ذاته؛ لأن الطلب من الحادث حادث، ويستحيل أن يقوم به مثل هذا الطلب؛ فلا بد من طلب وجود ما يقوم به هذا الطلب الحادث، وهو قوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَن نُّعْذِلَ لَكَ شَيْئًا لَّأَيُّدِيهِمْ يَصْطَرِّفُ﴾⁵ والطلب لإرادة سواء طلبك لنفسه، أو طلبك لك. على كل حال؛ الحاصل لا يمتنع من الوجه الذي يطلب؛ فإنه من ذلك الوجه ليس بمحصل. فلا يصح الوجود أصلاً إلا من أصلين: الأصل الواحد الاقتدار، وهو الذي يلي جانب الحق. والأصل الثاني القبول، وهو الذي يلي جانب الممكن. فلا استقلال من الأصلين بالوجود، ولا بالإيجاد.

1 ص 55 ب

2 [النار: 56]

3 [الإسراء: 23]

4 ص 56

5 [غافر: 60]

6 [النحل: 40]

فالأمر المستفيد الوجود، ما استفادَه إلا من نفسه؛ بقبوله، ومن¹ نفذ فيه اقتداره وهو الحق. غير أنه لا يقول في نفسه: إنه مُوجِدُ نفسه، بل يقول: إن الله أوجده. والأمر على ما ذكرناه. فما أنصف الممكن نفسه، وآثر بهذا الوصف ربّه. فلما عَلِمَ الله أنه آثر ربّه على نفسه، بنسبة الإيجاد إليه؛ أعطاه الظهور بصورته جزاء. فلا أكل من العالم؛ لأنه لا أكل من الحق، وما كل الوجود إلا بظهور الحادث. ولما كان الأمر بهذه المثابة، في التوقف وعدم الاستقلال من الطرفين؛ به الحق على ذلك بقوله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي» وهو أيضا أعني التقسيم - موجود في استخلاف العبد، وفي وكالة الحق فيما هو فيه العبد مستخلف. فاستقلّ الوجود، وكُلّ بالحادث.

ولما كان الحق غيورا أن يُذكر معه سيّؤه؛ تجلّى للعالم في صور المحدثات وعلموه فيها؛ إعلاما منه للعالم أنه غني عن العالمين بما رآهم في ذاته، من ظهوره بالتجلي في صور المحدثات؛ فسواء ظهوركم وعدمكم؛ يقول (الحق) للممكن. فعند ذلك ذلّ الممكن بالفعل في نفسه، فوقع منه ما خلقه الله له، وزال عنه عزّ الاستعداد بالقبول في الإيجاد، إذا² رأى أعيان الصور التي يكون عن قبولها واقتدار الحق، قد ظهر الحق بها؛ فلم تكن الحاجة إلى الممكنات في قبولها، والأمر قد حصل، وصحّ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾³.

ولقد برقت لي بارقة إلهية عند تبيدي هذه المسألة، رأيت فيها ما شاء الله من العلوم كما ضرب النبي ﷺ بالمولد الحجز الذي تعرّض لم في الخندق؛ فبرقت في الضربة منه بارقة رأى بها ما فتح الله على أمته، حتى رأى قصور بصري كآنياب الفيئة، رأى ذلك في ثلاث ضربات؛ في كلّ ضربة بارقة تبدي له جمّة مخصوصة. هذا رأيته عند تبيدي هذا الباب؛ ورأته نبوءة بحمد الله. ورأيت فيها وبها: (إنه)⁴ وإن ظهر (الحق) بصور الممكنات وأنصف بالغنى، فإنّ ذلك لا يخرج عن عدم الاستقلال في وجود الحادث به؛ إذ لا بدّ من قبوله، وفيه وقع الكلام. هنا مما أعطانيه تلك البارقة. وأنه تعالى - لما خلقهم لعبادته؛ كسام صفته، وهي التي بها طلبهم؛ فعبدوه به؛ إذ لا يصحّ أن يعبدوه بأنفسهم على جمّة الاستقلال. ولهذا شرع لهم أن يقولوا بعد قولهم: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ﴾⁵ -: ﴿وَأَيْدِيكَ تَسْتَوِينَ﴾ لعدم الاستقلال في العبادة. فآلقت عندهم الطلب في⁶ المعونة على عبادته، كما كان القبول منهم معونة للاقتدار الإلهي في الخلق؛ ولولا هذا الارتباط ما صحّت عبادة ولا إيجاد.

1 ص 56 ب

2 ص 57

3 [آل عمران : 97]

4 لم ترد في ق، وأبناها من س

5 [الفاتحة : 5]

6 ص 57 ب

فالإيجاد عبادة؛ وهو لله، والعبادة إيجاد؛ وهي المطلوبة من الخلق. فهم العابدون، وهو المعبود. وهو الموجد، وهم الموجودون. فلام العلة ذاتية من الجانبين، واسمها في الشرع: حكمة وسبب؛ فإنه حكمٌ. ففي كل شيء له حكمة ظاهرة، يعلمها أهل الكشف والوجود في كل شيء، ويعلمها أهل الرسوم في التكليفات التي لا تعلم إلا من جهة الشرع؛ فحكمة لا تعلم إلا من جهة الشرع. كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾¹. وأما القول بالعلة في التكليف من جهة الحق، فمظنونة غير معلومة، ولكن فتح لهم باب الاستنباط بما ذكره لهم في الوحي المنزل من التعليل؛ لئله جلّي ومنه خفي.

وكذلك له في الأشياء حكمة باطنة لا يعلمها إلا هو ومن أعلمه الله بها، ولذلك قال: ﴿الْجِنَّ﴾ وهو ما استتر فلا يعلم إلا منه، ﴿وَالْإِنْسَ﴾ وهو ما ظهر فيعلم بذاته حيث ظهر و﴿إِلَّا لِيَتَغَبَّنُوا﴾² إثبات السبب الموجب للخلق. فهذه لام الحكمة والسبب شرعاً، ولام العلة عقلًا. والعبادة ذاتية للمخلوق لا يحتاج فيها إلى تكليف. فلا بد أن يكون الخالق عين كل صورة يعبدها المخلوق، مع افتقار الصورة إلى المادة. وأنه إذا لم يكن الأمر هكذا؛ فلا تكن العبادة من المخلوق ذاتية. فإنه إذا اقتصرنا على مسعى الله في العرف عبدة المخلوق غير الله.

فإننا نرى الأكثر من العالم ما يفتنون إلا إلى الأسباب؛ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءَهُ﴾³ ﴿وَمَا أُمَّا النَّاسُ أَتَمُّ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ﴾⁴ ولم يذكر قط افتقار مخلوق لغير الله، ولا قضى أن يعبد غير الله؛ فلا بد أن يكون هو عين كل شيء، أي عين كل ما يفتقر إليه، وعين ما يُقْبَد. كما أنه عين العابد من كل عابد بقوله، أيضاً: «كنت سمعه» حين خاطبه بالتكليف والتعريف؛ فما سمع كلامه إلا بسمعه، وكذلك جميع قواه التي لا يكون عابداً لله إلا بها؛ فلم يظهر في العابد والمعبود إلا هويته. فحكته، وسببه، وعقله، لم تكن إلا هو. ومعلوه، ومسببه، لم يكن إلا هو؛ فأيام عبدة وعبد. قال ﷺ في خطبته لما أثنى على ربه: «فإنما نحن به وله» فحاطب وسمع. وهذا أمر لا يتدفع، فإنه عين الأمر؛ غير أن الفضل بين الناس هو بما شاهده بعضهم وحرمة بعضهم. فيعلم العالم من غيره ما لا يعلمه الغير من نفسه بما هو عليه في نفسه؛ فظهر التفاضل. ومع هذا الظهور؛ لا يخرج المخلوق عن أن يكون الحق هويته، بدليل تفاضل الأسماء الإلهية، وهي الصفات، وليست غيره.

1 [البقرة : 179]

2 [الناربات : 56]

3 ص 58

4 [الإسراء : 23]

5 [فاطر : 15]

6 ص 58

فلا يُعْلَمُ الخَلْقُ إِلَّا بِهِ وَلَا يُعْلَمُ الْحَقُّ إِلَّا بِهَا

وأما وصفه بالغنى عن العالم إنما هو لمن تَوَهَّم أَنَّ الله - تعالى - ليس عينَ العالم، وفترق بين الدليل والمدلول، ولم يتحقق بالنظر: إذا كان الدليل على الشيء نفسه، فلا يضادّ نفسه. فالأمر واحد، وإن اختلفت العبارات عليه. فهو العالم والعلم والمعلوم. فهو الدليل، والنبأ، والمدلول. فبالعلم يُعْلَمُ العلم، فالعلم معلوم للعلم. فهو المعلوم، والعلم. والعلم ذاتي للعالم؛ وهو قول المتكلم: "ما هو غيره" فقط.

وأما قوله: "وما هو هو" بعد هذا، فهو لما يرى من أنه معقول زائد على "هو"؛ فبقي أن يكون "هو". وما قدر على أن يثبت "هو" من غير علم يصفه به؛ فقال: "ما هو غيره". فحار؛ فنطق بما أعطاه فهمه. فقال: إن صفة الحق "ما هي هو، ولا هي غيره". ولكن إذا قلنا نحن مثل هذا القول؛ ما قوله على حد ما يقوله المتكلم؛ فإنه يعقل الزائد ولا بدّ، ونحن لا نقول بالزائد. فما يزيد المتكلم على مَنْ¹ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَيُّمٌ﴾² إِلَّا بِحَسَنِ الْعِبَارَةِ، ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين. فهذا بعض نتائج هذا الهجير، ﴿وَاللَّهُ يَمْشُلُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 59

2 [آل عمران : 181]

3 [الأحراب : 4]

الباب الأحد والسبعون وأربعمئة

في معرفة حال قطب كان منزله: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** 1

إِذَا أُخْبِنْتَ رُبَّكَ بِاتِّبَاعِ	أَخْبَكَ بِفُلْ ذَلِكَ ثُمَّ زَادَا
عَلَى الْحُبِّ الْمَضَاعِفِ بَيِّنَ صَوْنِ	أَتَكَ بِهِ السَّيَادَةَ جِئَنَ سَادَا
وإِنْ أُخْبِنْتَهُ بِخِلَافِ هَذَا	أَفِذْتَ وَلَمْ تَكُنْ بِفُلْ أَتَادَا

وقال ﷺ عن الله: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - يَقُولُ: مَا تَهَرَّبُ الْمُتَقَرَّبُونَ بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ² آدَاءِ مَا اقْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كَمَتْ لَهُ سَمْعًا وَهَرًا وَبَصَرًا وَمَوْئِدًا** وقد ورد أتم من هذا.

فهذا الهَجِيرُ إذا التزمه العبدُ أو مَنْ التزمه، وتَحَقَّقَ به؛ فَتَبَحَّ عليه في معرفة نفسه وربه، وعَلِمَ أَنَّ عِبَادَةَ الْفَرَائِضِ عِبَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ جَبَرِيَّةٌ، وِعِبَادَةُ النَّوَافِلِ عِبَادَةٌ اخْتِيَارِيَّةٌ، فِيهَا رَاحَةٌ رُيُوتِيَّةٌ. لِأَنَّهَا قَوَاضِعٌ، وَالتَّوَاضُّعُ تَعَمُّلٌ لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الرَّفْعَةِ، وَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ فِي السِّيَادَةِ. وَلِهَذَا وَرَدَ: "الْعَبْدُ مَنْ لَا عِبْدَ لَهُ" فَلِهَذَا نَقَصَ عَنْ دَرَجَةِ الْفَرِيضِ النَّفْلُ لِأَنَّ الْعَبْدَ نَقَصَ مِنَ الْعِلْمِ بِالْأَمْرِ، عَلَى قَدْرِ مَا اعْتَقَدَهُ مِنَ النَّفْلِ. بَلْ مِنْ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي النَّفْلِ اتَّصَفَ بِالنَّقْصِ فِي الْعِلْمِ، بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ. وَهَذَا عِلْمٌ شَرِيفٌ يُوْرِثُ سَعَادَةً لِمَنْ قَامَ بِهِ، لَا تَشْبِيهَا سَعَادَةٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ عَبْدٌ لِذَاتِهِ، وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لَهُ عِبُودِيَّةٌ مَا لَمْ يُعْقَلْ لَهُ اسْتِنَادٌ إِلَى سَيِّدٍ. وَالرَّبُّ رَبُّ لِدَاتِهِ، وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لَهُ رُيُوتِيَّةٌ مَا لَمْ يُعْقَلْ لَهُ مَرْبُوبٌ هُوَ مُسْتَقْدَهُ؛ فَكُلٌّ وَاحِدٌ سَنَدٌ لِلْآخِرِ. فَاَلْمَعْلُومُ أَعْطَى الْعِلْمَ لِلْعَالِمِ فَصِيرَهُ عَالِمًا، وَالْعِلْمُ صِيرَ الْمَعْلُومَ مَعْلُومًا. وَمِنْ حَيْثُ ارْتِفَاعُ هَذَا الَّذِي قُلْنَا³؛ فَلَا عَالِمٌ وَلَا مَعْلُومٌ، وَلَا رَبٌّ وَلَا مَرْبُوبٌ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا عَالِمٌ وَمَعْلُومٌ، وَرَبٌّ وَمَرْبُوبٌ؛ وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْوُجُودُ. فَلْيَتَكَلَّمْ بِمَا أَعْطَاهُ الْوُجُودَ وَالشَّهَادَةَ، وَلْيَتْرِكْ وَهِيَّاتِ الْجَائِزِ الْعَقْلِيِّ؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهَذَا لَهُ مَوْطَنٌ خَاصٌّ، فِي ذَلِكَ الْمَوْطَنِ سُلْطَانُهُ.

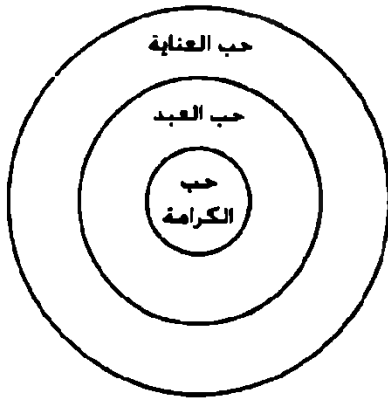
1 [آل عمران : 31، 32]

2 ص 59 ب

3 ص 60

4 ق: مَرْبُوبٌ

وأخبر الله تعالى - أَنَّ الله عباده يَحِبُّهُمْ وَيَحْيَوْنَهُ. فجعل محبتهم وسطًا بين محبتين منه لهم. فأحبهم؛ فوقتهم هذه المحبة لاتباع رسوله فيما جاءهم به من الواجبات عليهم، والترغيب في أن يوجبوا على أنفسهم صورة ما وجبه عليهم، يسمى: نافلة. ثم أعلمهم أنهم إذا اتبعوه فيما جاء به؛ أحبهم. فهذا الحب الإلهي الثاني، ما هو عين الأول. فالأول حبّ عناية، والثاني حبّ جزاء، وكرامة يوافد محبوب بالحب الأول. فصار حبّ العبد



رَبِّه محفوظًا بين حُبَّين إلهيين؛ كلما أرادَ أَوْ هَمَّ أَنْ يخرج عن هذا الوصف بالسُّلُو، وجد نفسه محصورًا بين حُبَّين إلهيين؛ فلم يجد منفذًا. فبقي محفوظ العين بين حُبِّ عناية ما فيها من فطور، وبين حُبِّ كرامة ما فيها استدراج. والحصر - بين أمرين يوجب اضطرابًا، فذلك حُبُّ العَوَض¹، وهو العبد المضطر في عبوديته، الجبور بما فرض الله عليه لينته آتة في قبضة الحق محصور²، لا انفكاك له ولا نفوذ، كما رسمناه في الهامش.

ولمَّا رأى أَنَّ الحقَّ كلفه، علم أنه لو لم يعلم الحق في العبد اقتدارًا على إتيان ما كلفه به من الأعمال؛ ما كلفه. فكان التكليف له مُقَرَّفًا بأن له مدخلًا في الاقتدار على وجود الفعل الذي كلفه الله إيجاده، وقتر ذلك عنده بما شرع له من طلب المعونة من الله على ذلك؛ فزاده هذا قوَّة في علمه بأن له اقتدارًا.

ثم نظر فيما أوجب (الحق) عليه؛ فرأى ذلك قليلًا مما هو عليه من الاتساع؛ فعلم عند ذلك أن الاتساع الذي أبقي له، إنما أبقاه لما له من الاقتدار؛ فأراد أن يبتليته ليرى ما يخرج منه في ذلك الاقتدار الذي أعطاه، وليس له فيما يخرج فيه ذلك الاقتدار إلا تلك السعة التي أبقي له، كما قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾³ فقتر ذلك الفراغ هذا العبد بالنوافل، ولا يكون نافلة حتى يكمل الفرض. فحصل بذلك من الله حُبَّان آخران: حبّ الفرائض، أي الحب الذي حصل له من إتيانه بالفرائض، والحب الذي حصل له أيضًا من الله من إتيان النوافل، وإن كان دون الحب الأول، كما هو في الأصل حبّ الكرامة دون حبّ العناية؛ فإنه حبّ جزاء؛ فلا يخلص خلوص الحب الأول. كما ورد في الخبر: «أَنَّ الرجل إذا قال لأخيه: أَجِبْكَ؛ فأجبه الآخر؛ فإنه لا يلحقه في درجته في الحب أبدًا» لأنَّ حبّ الأول ابتداء، وحبّ الثاني جزاء؛ فلن يكافيه أبدًا. فإنَّ الحب الأول هو الذي أنتج⁴ الحب الثاني، فهو منفعل عنه، والمنفعل لا

1 كُتب بخط آخر في الهامش مقابلها: "الفرض" من غير إشارة إلى التصويب

2 ص 60

3 [المزمل : 7]

4 ص 61

5 ق: "نتيج" وما ابتداء لمن س

يقوى قوة الفاعل أبدا.

فلما عَمَرَ ذلك الفراغ الواسع بالنوافل، وجعل الله فيها فرائض لتأيد بها النوافل في الحقوق بالفرائض؛ ولهذا تسد مسدّها، وتكمل بها الفرائض بما فيها من الفرائض؛ كما ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أن الله يقول في موازنة الأعمال إذا لم يُتَمَّ العبد فرضه: «أن تكمل له فريضته من مَطْوَعه إن كان له مَطْوَع»، وهو النفل.

فلنلك كان في النفل فروض؛ لأن كلَّ قل فهو على صورة فرضه: من صلاة، وصدقة، وصيام، وحج، واعتبار. فله الخيار في الإتيان بالنفل ما لم يتلبس به. فإذا تلبس به، قيل له: ﴿لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾¹ فبالأولية في ذلك كان مختاراً، وفي التلبس مضطراً عندنا، وبخلاف عند علماء الرسوم؛ ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ؟﴾² والشروع عهدٌ عهده مع الله، بلا شك، فيما لم يجب عليه، ولهذا قال (الصحابي لرسول الله - ص): «هل علي غيرها؟ قال (ص): لا، إلا أن مَطْوَع» فدخل الاختيار في³ هذا الإجمال.

ولمّا لم يكن في أداء الفرض راحة ربوية، تُوجب له إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، كما هو في النفل؛ كان في الفرض عبد اضطرار بهلا شك - مجبوراً. فأدركه الانكسار في نفسه، لما كان عليه من العزة في كونه أعطى العلم لله به؛ فببر الله انكساره بقوله: ﴿مَا يَسْتَلِ الْقَوْلُ لَنِي﴾⁴ فأزال عن نفسه بهذا الخطاب: إن شاء، وإن شاء. وما أبقى له إلا عين ما شاء، لا التخيير في ذلك. فلما سمع العبد مثل هذا؛ انجبر كسرُهُ، وعلم أن الله لا يقول مجازاً، وأن الأمر لئما كان في نفسه على هذا، ما صح أن يقول مثل هذا القول. فزال الانكسار الذي كان عنده، وهو قوله تعالى - في الخبر المترجم عنه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» أي أنا كسرْتُ قلوبهم؛ بما أوجبه عليهم، وأدخلتهم فيه من الاضطرار، وأنزلتهم من معقل عزتهم بذلك. فلما انكسروا؛ كان عندهم في هذا الكسر جابراً؛ بما أوجبه على نفسه، وما أخبر به أنه ما يستل القول لديه، وأن الكلمة منه حقت، وأزال الاختيار؛ بإزالة الإمكان من العالم؛ فلم يبق إلا واجبٌ بنفسه، أو واجبٌ بغيره، وهما وصفان لموصوف واحد، ولوصوفين، وليس في الكون إلا الرب والمروب.

ثم أعطاه بما خيره فيه في هذا الاتساع من المستى فعلاً؛ حكم الاختيار الإلهي في قوله: «إن شاء وإن شاء» فكساه حلتة. بل العبد أولى بصفة الاختيار من صفة الاضطرار؛ لأن له التردّد بالحقيقة

1 [محمد: 33]

2 [الفتح: 10]

3 ص 61 ب

4 [أن: 29]

5 ص 62

6 كُتِبَ فوقها مباشرة بقلم آخر من غير إشارة التصويب: "فلا".

لإمكانه، وليس عند الحق ذلك. فإذا ظهر مثل هذا من الحق، فتعلم أنّ الحق ظهر في صورة ممكن. ولهذا تأدّبنا في قولنا: إنّ الله لا ينبغي أن يقال: إنه يجوز أن يفعل كذا، ويجوز أن لا يفعله. وهول: يجوز أن يكون هذا الممكن، ويجوز أن لا يكون. كما أنّه إذا ظهر الاضطراب من العبد؛ إنما يظهر ذلك منه بصورة حق، لا بنفسه. لأنّه لا يكون عبداً إلّا بقيامه بمراسم سيّده، وهو مسلوب الفعل بالأصالة، فلا بدّ أن يظهر بصورة حق، إذا ظهر بعبوديته؛ التي هي العمل بما كُلفَ فعله.

ولذلك لم يقل الحق إنّهُ هويّة الشيء. وإنما قال إنّهُ هويّة العبد. ففعلنا أنّ حكم العبد ما هو حكم الشيء؛ فحكم النفل أحقّ بالعبد، لولا ما فيه من روائح الربويّة. وحكم الغرض أحقّ بالرب، لولا ما فيه من روائح العبوديّة. فليجعل حكم كلّ واحد في الموطن الذي جعله الله؛ فيكون الله هو الجاعل، لا نحن؛ فنخلص، ونسلم من الاعتراض علينا عند السؤال من الله إيانا.

ثمّ إنّ الله تعالى - جعل في محبة الجزاء وهي محبة الكرامة - غفّر الذنوب، وهو سترها. وختم الآية بأنّه ﴿لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾¹ والكافر (هو) السائر، وهو تعالى - سائر الذنوب. ففعلنا أنّه لا يحبّ من عباده من يستر نفعه، كانت النعم ما كانت، فإنّه قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾² وما تُحَدِّثُ به لم يُسْتَر. وقال: التحدّث بالنعم شكر، وإذا أنعم الله على عبدٍ نعمة أحبّ أن تُرى عليه، ونقمة التي أسبغها على عباده ظاهرة وباطنة، ومن ستر نعمة الله فقد كفر بها، ومن كفر بها أذاقه الله لباس الجوع والخوف بصنيعه ذلك. ولهذا قيّد الله ستره بالذنوب، وهي البقايا التي أبقاها الله لعباده؛ ليتعلّموا الأدب مع الله؛ فينسبون الطاعة والخير لله، ويجعلونه بيد الله، وينسبون الذنب والمعصية لأنفسهم؛ فلها قلنا: "أبقاها الله"؛ فهذا نصيبهم بما هو لله. فإنّه ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾³ لكن هؤلاء المحجوبون ﴿لَا يَكَلِّفُونَ تَفَقُّهُونَ حَدِيثًا﴾ بل يقولون كلّ ذلك لله في غير الموطن الذي جعل الله لهذا القول، وذلك لجهلهم بالمواطن. وهذا القدر كاف؛ فإنّ المجال فيه واسع لا تساع ميدانه؛ لكون العالم ما أوجده الله إلّا عن الحبّ، والحبّ يستصحب⁴ جميع المقامات والأحوال؛ فهو سائر في الأمور كلّها؛ فلذلك يفضّل الأمر فيه إلى غير نهاية. وأصل الحبّ النسب؛ وهي الروابط، ومع الروابط لا يشبّه توحيد أصلا. ولهذا قال بعضهم: "من وُحِدَ فقد أشرك" كما يقول: "من قال بالجمع فقد تُرِقَ بلا شك. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾".⁵

1 ص 62

2 [آل عمران : 32]

3 [الضي : 11]

4 [النساء : 78]

5 ص 63

6 [الأحزاب : 4]

الباب الثاني والسبعون وأربعمئة

في حال تطب كان منزله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹

مَنْ يَسْتَعِينُ قَوْلَ مَنْ تَعَوَّذَ الْوُجُوهَ لَهُ	يَقْرَأُ بِحُسْنِ الْآيَةِ يَأْتِيهِ فِي كَلِمَةٍ
وَهُوَ الْحَكِيمُ فَتَمَّ فِي الْكَوْنِ حِكْمُهُ	وَأَنْتَ فِي كَوْنِهِ؛ فَأَنْتَ مِنْ جَكَمَةٍ
فِيْنِكَ تَسْمَعُ إِنْ حَقَّقْتَ مَا سَمِعْتَ	أَذْنَاكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي رِثَتِي قَدِيمَةٍ
الْفَرْشُ ² يَهْرُدُ مَا الْكَرْسِيُّ يَنْسُهُ	مِنْ الْخِطَابِ لَنَا فِي الْقَوْلِ مِنْ قَدِيمَةٍ
إِنَّ الْحَبْوَتَ لَهُ وَجْهٌ لِيُخْذِيهِ	وَأَخَرُ نَاطِلٍ مِنْهُ إِلَى عَدِيمَةٍ

قال الله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٌ﴾³ وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّبٌ﴾⁴.

اعلم أنَّ هذا تنبيه من الحق على أنَّ كلَّ كلام في العالم (هو) كلامه، لأنه ما أتى من الله إلينا إلَّا كلَّ ذِكْرٍ مُخَدَّبٌ؛ لأنَّ الإتيان يحدث بلا شك في الآتي، وما أتى إلَّا من قام به الحادث، وليس إلَّا الصورة التي يتجلى فيها في عين الناظرين، ويتخلَّى عنها في عين الناظرين. فما تمَّ إلَّا سامع ومتكلِّم، وقائل ومقول له، ومقول به ومقول، وكله حسن. إلَّا أنه بين حسن وأحسن؛ فكلُّ كلام حسن، وما وافق الغرض من القول فهو أحسن؛ فالقول كله حسن.

وأما قوله: ﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرُ بِالشَّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾⁵ فنفي الهبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول، والسوء من القول أن يقول في القول: إنَّه سوء. ولا قائل إلَّا الله. والجهر بالسوء قد يكون قولاً، وقد يكون في الأفعال التي لا تكون قولاً، فيريد بالجهر فيها ظهور الفحشاء من العبد. كما قال ﷻ: «مَنْ بُلِيَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ الْقَاذِرَةِ فَلْيَسْتَرْ» يعني لا يجهر بها.

والسوء على نوعين: سوء شرعي، وسوء ما يسوؤك، وإن حمده الشرع ولم يذمه. فقد يكون هذا

1 [الزمر : 18]

2 ص 63

3 [الأنبياء : 2]

4 [الشعراء : 5]

5 [النساء : 148]

6 ص 64

السوء من كونه يسوؤك، لا أن السوء فيه حكم الله. كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾¹ فالسَّيِّئَةُ الأولى شرعية لأنه تَقْدِي، والسَّيِّئَةُ الأخرى ما يسوء المجازي عليها. وليس الجزاء سَيِّئَةٌ مشروعة؛ لأن الله لا يشرع السوء. ولَمَّا وقع الاصطلاح في اللسان على السيئ والحسن؛ نزل الشرع من عند الله بحسب التواطي، فهم سمّوه سوءاً، وقالوا: إِنَّ تَمَّ سُوءاً، فقال الله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾² الذي سَمَّيْتُمُوهُ سُوءاً لكونه لا يوافق أغراضكم. كما قد سمعتُ أن "حسنات الأبرار سيئات المقربين" وليس تَمَّ إِلَّا حسنٌ بالنسبة، سيئٌ بالنسبة على الحقيقة. فكل شيء من الله حسن؛ ساء ذلك أم سرّ، فالأمر إضافي.

فَقوله: ﴿أَوَّلِيكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ إلى معرفة الحَسَنِ والأَحْسَنِ ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمُ أَوَّلُو الْأَبَابِ﴾³ يعني بالأبواب المستخرجين لُبَّ الأمر المستور بالقشر⁴ صيانته له. فإن العين لا تَعْلَمُ إِلَّا على الحجاب، والحجوب (هو) لأولي الأبواب تنبيه على الصورة الحجابية التي يتجلى فيها الحق، ثم يتحول عنها إلى حجاب؛ فما تَمَّ، في الحقيقة، إِلَّا انتقال من حجاب إلى حجاب؛ لأنه ما يكرر تجلّ إلهي قط. فلا بدّ من اختلاف الصور، والحق وراء ذلك كلّهُ؛ فما لنا منه إِلَّا الاسم الظاهر رؤية وحجاباً.

وأنا الاسم الباطن، فلا يزال باطناً؛ وهو اللبّ المقول الذي يدرکه أولو الأبواب؛ يعني يعلمون أن تَمَّ لُبّاً، وهو هذا الذي ظهر حجاباً عليه، وليس إِلَّا الاسم الظاهر؛ وهو المسمّى في الحالين. فمن قال بالرؤية صدق، ومن قال بنفي الرؤية صدق؛ فإن رسول الله ﷺ أثبت لنا الرؤية بقوله ﷺ: «ترونها ريتكم» الحديث. ونفى الرؤية فإنه سئل: «هل رأيت ربك؟» يعني ليلة الإسراء، فقال يتمعّب من السائل: نورٌ أُنِي أراه» أي أنّه نور. فلا أدرك النور لضعف الحدوث، والنور لله وصف ذاتي، والحدوث لنا كذلك نسبة ذاتية. فنحن لا نزال على ما نحن عليه، وهو لا يزال على ما هو عليه. والراسخون في العلم ﴿الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي تولى تعليمهم بنفسه ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمُ أَوَّلُو الْأَبَابِ﴾ فكان⁵ من العلم الذي علمهم؛ أن تَمَّ لُبّاً مستورا بقشر؛ فصديق النافي والمثبت.

فمن قال: "إِنَّ اللَّهَ ظَاهِرٌ" فما قال على الله إِلَّا ما قال الله عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر ظاهراً إِلَّا مشاهدته؛ فهو مشهود مرتي من هذا الوجه. ومن قال: "إِنَّ اللَّهَ بَاطِنٌ" فما قال على الله إِلَّا ما قال الله عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر باطناً إِلَّا أنّه لا تدركه الأبصار؛ فهو لا يُشْهَد ولا يُرَى من هذا الوجه.

[الشورى : 40]

[النساء : 148]

[الزمر : 18]

4 ص 64

5 ص 65

فلما اتبع هذا الناكِر أحسن القول؛ أدرك أن تم لنا مستورا، حين قال الآخر: "إنه ليس ثم إلا هذا الذي وقع عليه البصر." فهو كمن لا يرى أن خلف هذه الصورة الظاهرة الإنسانية أمرا آخر يُدبرها ويَصرفها، ومن أبصر عنده صورة زيد فقد أبصره بلا شك. والذي اعترف باللبّ علم أن خلف هذه الصورة أمرا آخر، هذا الأثر الظاهر من هذه الصورة (إنما هو) لذلك الباطن المستور في هذا الحجاب، دليله الموت ثم مع بقاء الصورة وإزالة الحكم.

فن قال: إن زيدا (هو) عين ذلك المدبر لا عين الصورة، وإن الصورة عنده لا فرق بينها وبين ما أجمعنا عليه من ¹ صورة مثله من خشب أو جص، قال: "إنه ما رآه". ومن قال: إن زيدا هو المجموع؛ فهو الظاهر والباطن؛ قال: "رآه، ما رآه" كما قال في المعنى سواء: ﴿وَمَا زَيْتٌ إِذْ زَيْتٌ﴾ ² فأحسن القول (هو) إثبات الأمرين على الوجهين.

فَأَتَمَّ مَشْهُودَ وَمَا تَمَّ شَاهِدٌ	سَوَى وَاحِدٍ وَالْفَرْقُ يُقْفَلُ بِالْجَنَعِ
فَرَنَ قَالَ: شَاهِدْنَاهُ، يَضُدُّ قَوْلَهُ	وَمَنْ قَالَ: لَمْ نَشْهَدْ، فَلِلضُّفِّ وَالضُّعِ
إِذَا انْقَضَتْ عَيْنٌ بِضُدِّهِ وَلَمْ تَزَلْ	بِهَا صِفَةُ الضُّعِ الْمُرْتَلَّةُ لِلنَّفْعِ
عَلَى السُّعِ غَوْلُنَا فَكُنَّا أُولَى النَّهْيِ	وَلَا عِلْمَ فِينَا لَا يَكُونُ غَنِ السُّعِ
إِذَا كَانَ مَقْضُومًا وَقَالَ: نَقُولُهُ	هُوَ الْحَقُّ لَا يَأْتِيهِ مَبْنً عَلَى الْقَطْعِ
فَقَفَلْ وَشَرَعَ صَاحِبَانِ تَأَلَّفَا	فَبُذِرَكَ مِنْ غُفْلٍ وَبُذِرَكَ مِنْ شَرَعِ

واعلم أن الاتباع إنما هو فيما حده لك في قوله وزعمه؛ فتمشي ³ حيث مشى بك، وتقف حيث وقف بك، وتظر فيما قال لك: اضطر، وتسلم فيما قال لك: سلم، وتعقل فيما قال لك: اعقل، وتؤمن فيما قال لك تؤمن. فإن الآيات الإلهية الواردة في الذكر الحكيم وردت متنوعة، وتنوع لتنوعها وصف مخاطب بها. فهنا ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، و﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، و﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، و﴿آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿آيَاتٍ لِلْعَالِيِينَ﴾، وآيات للمتقين، و﴿آيَاتٍ لِأُولَى النَّهْيِ﴾، و﴿آيَاتٍ لِأُولَى الْأَنْبَابِ﴾، وآيات لأُولَى الأبصار. ففصل كما فصل، ولا تمتد إلى غير ما ذكر.

بل نزل كل آية وغيرها بموضعها، واضطر فمخاطب بها، وكنت أنت مخاطب بها؛ فإنك مجموع ما ذكر. فإنك المنعوت بالبصر، والنهي، واللب، والعقل، والتفكير، والعلم، والإيمان، والسمع، والقلب. فاعلم بنظرك بالصفة التي فُتكت بها في تلك الآية الخاصة؛ تكن ممن جُمع له القرآن؛ فاجمع عليه، فاستظهره.

1 ص 65

2 [الأفعال : 17]

3 ص 66

فكان من أهله؛ بل هو عين القرآن إذا كان على هذا الوصف، وهو "من أهل الله وخاصته". فالقول كله حسنٌ وأحسن، وما ثم سوءٌ إلا في المقول عنه؛ ذلك هو السوء، أو في المتكلم به، ليس في القول.

لَيْسَ¹ فِي الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ قَبِيحٌ إِنَّمَا الْقُبْحُ فِي الَّذِي قِيلَ عَنْهُ

أو قيل، أو تكلم به، أو تكلم عنه. فافهم ذلك. وخذ الوجود كله على أنه "كتاب مسطور"، وإن قلت: "مرقوم" فهو أبلغ؛ فإنه ذو وجهين: ناطقٌ بالحق وعن الحق؛ تكن من ﴿الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي وفقهم بما أعطاهم من البيان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾² القواصون على خفايا الأمور وحقائقها، المستخرجون كنوزها، والحالون عقودها ورموزها، والعالون بما تقع به الإشارات في الموضع الذي تسمح³ فيه العبارات، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 66 ب

2 [الزمر : 18]

3 تسج: قبح، إذا لم يكن فيها ملاحظة.

4 [الأحزاب : 4]

الباب الثالث والسبعون وأربعائة في حال قطب كان منزله: ﴿وَالْهَيْكَلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾¹

بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ يَقُولُ قَوْمٌ وَتَوْحِيدِ الْكَبِيرِ هُوَ الْوُجُودُ
وَمِنْ أَشْغَائِهِ الْحَسَنَى عَلَيْنَا بِأَنَّ اللَّهَ يَقْفِلُ مَا يُرِيدُ
فَكَانَ² بِنَا الْإِلَهِ وَفِيهِ كُنَّا هُوَ الْمَوْلَى وَنَحْنُ لَهُ غَيْبُ

اعلم أيُّدنا الله وإياك بروح منه- أن الله أمرنا بتوحيده في ألوهته، فلا إله إلا هو. كما بهانا عن التفكير في ذاته، فعصاه أهل النظر في ذلك ممن يزعم أنه من أهل الله كالقدماء وغيرهم من المتكلمين، وبعض الصوفية كأبي حامد وغيره في مضمونه وغير مضمونه، واحتجوا بأمر هي عليهم لا لهم، وبعد استيفاء النظر أقرروا بالعجز؛ فلو كان ثمَّ علم وإيمان حق صدق لكان ذلك في أول قدم. فتمنوا حدود الله التي هي أعظم الحدود، وجعلوا ذلك التعتي قربة إليه، ولم يعلموا أن ذلك عين البعد منه، وعند كشف الغطاء يظهر من أعطي ومن أعطى:

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ أَقْرَسَ نَحْنُكَ أَمْ جَزَارُ

فالصورة صورة فرس، والخبرة خبرة حمار.

هذا الذِّكْرُ (والهَيْكَلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) يعطي النَّاكر به رجاء عظيما وتحمي مينا. وذلك أن الله تعالى- خاطب في هذه الآية المسلمين. والذين عَبدوا غيرَ³ الله قربة إلى الله؛ فما عبدوا إلا الله. فلما قالوا: ﴿مَا نَقْبُدُكُمْ إِلَّا لِيَقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁴ فَكَدُوا، وَذَكَرُوا الْعَلَّةَ. فقال الله لنا: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ﴾⁵ وَالْإِلَهِ الَّذِي يَطْلُبُ الْمُشْرِكُ القربةَ إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحدًا، كأنكم ما اختلفتم في أحديته، فقال: ﴿وَالْهَيْكَلُ﴾ فجمعنا وإياهم ﴿إِلَهِ وَاحِدٌ﴾. فما أشركوا إلا بسببه فيما أعطاهم نظرم، ومن قُصِدَ من أجل أمرٍ ما فذلك الأمرُ على الحقيقة- هو المقصود، لا من ظهر أنه قُصِدَ، كما يقال: من صَحِبَكَ لأمر، أو أَحْبَبَكَ لأمر؛ ولَّى بانقضائه. ولهذا ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُم يَتَّبِعُونَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وما أخذوا إلا من كونهم فعلوا ذلك من نفوسهم، لا أنهم حملوا قدر الله في ذلك.

[البقرة : 163] 1

2 ص 67

3 ص 67 ب

4 [الزمر : 3]

5 [الصافات : 4]

الا ترى الحق لما علم هذا منهم، كيف قال: ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ونسبهم، فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ﴾¹ فيذكرونهم بأسمائهم الخالفة أسماء الله، ثم وصفهم بأنهم في شركهم ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾² ومبيناً، لأنهم أوقعوا أنفسهم في الحيرة، لكونهم عبدوا ما تحتوا بأيديهم، وعلموا أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنهم من الله شيئاً، فهي شهادة من الله بقصور نظريهم وعقولهم. ثم أخبرنا الله أنه قضى- أن لا نقبذ إلا³ إياه بما نسبوه من الألوهة لهم، أن جعلهم كالنواب لله والوزراء، كأن الله استخلفهم، ومن عادة الخليفة أن يكون في رتبة من استخلفه عند المستخلف عليه؛ فلهذا نسبوا الألوهة لهم ابتداء من غير نظر فمن جعل ذلك.

وقول من قال: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾⁴ إنما كان من أجل اعتقادهم فيما عبدوه، أنهم آلهة دون الله المشهود له عندهم بالعظمة على الجميع، فأشبه هذا القول ما ثبت في الشرع الصحيح من اختلاف الصور في التجلي، ومعلوم عند من يشاهد ذلك أن الصورة ما هي هذه الصورة، وكل صورة لا بد أن يقول المشاهد لها: "إنها الله" لكن لما كان هذا من عند الله، وذلك الآخر من عندهم؛ أنكر عليهم التحكم في ذلك، كما ثبت (في)⁵ قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾⁶ هذا حقيقة، فوجه الله موجود في كل جهة يتولى أحد إليها، ومع هذا؛ لو تولى الإنسان في صلاته إلى غير الكعبة، مع علمه بجهة الكعبة، لم تقبل صلاته؛ لأنه ما شرع له إلا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة. فإذا تولى في غير هذه العبادة التي لا تصح إلا بتعيين هذه الجهة الخاصة⁷، فإن الله يقبل ذلك التولي. كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى إليها ما فيها وجه الله؛ لكان كافراً واجهلاً، ومع هذا فلا يجوز له أن يتعدى بالأعمال حيث شرعها الله.

ولهذا اختلفت الشرائع؛ لما كان محزوماً في شرع ما؛ حلله الله في شرع آخر، ونسخ ذلك الحكم الأول في ذلك المحكوم عليه، بحكم آخر في عين ذلك المحكوم عليه، قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾⁸. فما نسخ من شرع، وأتبعه من أتبعه بعد نسخه؛ فذلك (هو) المسمى: "هوى النفس" الذي قال الله فيه لخليفته داود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ يعني الحق الذي أنزلته إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ وهو ما خالف شرعك ﴿فَيَضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁹ وهو ما شرعه الله لك

1 [الرعد : 33]

2 [النساء : 167]

3 ص 68

4 [ص : 5]

5 لم ترد في ق، ووردت في س

6 [البقرة : 115]

7 ص 68

8 [المائدة : 48]

9 [ص : 26]

على الخصوص.

فإذا علمت هذا وتقرر لديك، علمت أن الله إله واحد في كلّ شرع: عينا، وكثير: صورة وكوّنًا. فإنّ الأدلة العقلية تكثّر باختلافها فيه، وكلّها حق، ومدلولها صدق. والتجلي في الصور تكثّر أيضا باختلافها، والعين واحدة. فإذا كان الأمر¹ هكذا فما تصنع؟ أو كيف يصحّ لي أن أخطن قائلًا؟! ولهذا لا يصحّ خطأ من أحده فيه، وإنما الخطأ في إثبات الغير، وهو القول بالشريك؛ فهو القول بالعدم؛ لأنّ الشريك ليس ثمّ. ولنلك لا يفره الله؛ لأنّ الغفر (هو) الستر، ولا يُستَر إلا من له وجود، والشريك عدم فلا يُستر. فهي كلمة تحقيق. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾² لأنّه لا يجده. فلو وجده لَصَحَّ، وكان للنفرة عين تتعلّق بها. وما في الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ما هو واحد، وفي هذا الواحد ظهرت الأضداد، وما هي إلا أحكام أعيان³ الممكنات في عين الوجود التي، بظهورها، علّمت الأسماء الإلهية المتضادة وأمثالها.

فإذا علمت هذا، فقل بعد ذلك ما شئت: إما كثرة الأسماء أظهرت كثرة الأحكام، وإما كثرة الأحكام أظهرت كثرة الأسماء؛ فإنه أمر لا ينكره عقل، ولا شرع. فالوجود يشهد له، وما بقي إلا ما ذكرناه؛ إلى من ينسب الحكم: هل للأسماء الإلهية؟ أم للممكنات الكونية؟ وهما مرتبطان، محكوم بهما في عين واحدة.

فيا خيبة الجهال ماذا يَقُوتُهُمْ وماذا يَقُوتُ الْقَائِلِينَ بِجَهْلِهِمْ
فَقَدْ قُلْتُ هَذَا ثُمَّ هَذَا فَأَيُّي مِنْ أَجْلِ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِهِمْ

فن وحد ما أنصف، ومن أشرك فما أصاب. هو تعالى- واحد، لا بتوحيد موحد، ولا بتوحيده لنفسه؛ لأنّه واحد لنفسه. فما أحديته مجعولة، ولا أحديته كثرة مجعولة، وما ثمّ إلا عدم ووجود. فالوجود له، والعدم ليس له؛ لكن له الإعدام. ولا يقال: "والعدم لغيره" فتثبّت عين ما تنفي، فتحرّز في اللفظ. وما بين الوجود والعدم، ما لا يتصف بالوجود ولا بالعدم. وهو العالم معطي الأحكام لفين الوجود، والصوّر لفين الشهود، والمسلولات لأدلة العقود. فشاهد ومشهود، وعاقدة ومعقود، وموجد وموجود، وما ثمّ أمر مفقود. فقد تميّزت الحدود، بل ميّزت كلّ محدود؛ وما ثمّ إلا محدود لمن عرف العدم والوجود ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 69

2 [النساء : 48]

3 مائة في الهامش بقلم الأصل

4 ص 90

5 [الأحراب : 4]

الباب¹ الرابع والسبعون وأربعائة
في حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾²

أَنَا عِنْدَ اللَّهِ مَا زَالَ عِنْدِي	فَزَالَ قَادُنَا فَلَنَا الْبَقَاءُ
تَقَاسَمْنَا الْوُجُودَ عَلَى سَوَاءٍ	فَكَانَ لَهُ السُّنَى ³ وَلَنَا السَّنَاءُ ⁴
بِهِ فَانْظُرْ إِذَا مَا قُلْتُ إِنَّا	فَنَحْنُ بِهِ لَهُ فَلَنَا الثَّنَاءُ
زَانِئَاءُ بِغَيْرِ غُبَى وَجِينَا	نَزِينَا لَا يَهْنُؤُهُ ⁵ الْقَنَاءُ
فَلَمَّا أَنْ تَسْمَى غَابَ غَنَا	وَأَسْبَلْ دُونَ أَغْنَيْنَا الْبُطَاءُ

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ فله السُّنَى، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾⁷ فله ولنا السناء بصعودنا إليه، وقال⁸: ﴿وَلَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾⁹

فَنَحْنُ وَمَا عِنْدَنَا؛ عِنْدَهُ وَلَيْسَ إِلَهِي عِنْدَهُ عِنْدَنَا
﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾¹⁰ قلنا: "ولا عندنا البقاء" فهو، وإن قد ما عندنا من عندنا، فإنه لا ينفد من عنده ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾¹¹ وما عند الله إلا العالم ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾¹² من هو عنده، كذا قال الله سبحانه - في كتابه: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لأن بقاء العالم إذا وُصِفَ بالوجود (فذلك) بإبقائه، وإذا أبقيناه على حاله مع ظهور أحكامه في عين الوجود فله البقاء. وهو بكل حال لم يزل في درجة الإمكان؛ فهي له باقية. فهو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لأن له الحكم في عين الوجود، والحكم لا يزال باقيا. فهو "خير وأبقي" من هو منه "خير وأبقي" في هذا الحكم؛ لما أعطى من العلم بنفسه للعالم به. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لأنه لولا بقاء عينه ما

1 ص 70

2 [النحل : 96]

3 السنى والسناء: المعطاء والغيث، يقال: سنت السحابة بالمطر إذا أمطرت.

4 السناء: ارتفاع القدر والمنزلة

5 ق: كتب فوقها بخط آخر: "يكينه" وعليها حرف خ (إشارة إلى أنها قلت من نسخة أخرى) وهي كذلك في س.

6 [النور : 35]

7 [فاطر : 10]

8 ص 70 ب

9 [الحجر : 21]

10 [النحل : 96]

11 [التقصص : 60]

12 [طه : 73]

كان لحكم هذا الممكن فيما يظهر. فهو "خير وأبقى" من هو عنده "خير وأبقى". فخير وأبقى من هو خير وأبقى.

فَعِدَّتُهُ الْحَقُّ مَا عِدَّتَهَا	سِوَانَا وَمَا عِدَّتَنَا مِنْ سِوَاةِ
فَخَيْرِيَّةُ الْحَقِّ مَشْهُودَةٌ	وَحَيْرِيَّةُ الْكَوْنِ مَا لَا نَزَاةَ
فَلَمَّا حَمَانَا أَرَانَا جَمَانَا	فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ كُنَّا جَمَاهُ
فَمِنْهُ إِلَيْنَا وَمِنْهُ إِلَيْهِ	فَعَيْنُ ضَلَالَتِنَا مِنْ هُدَاهُ
فَلَقَبْنِي فِي ذَا وَذَلِكَ إِلَهِي	رَأَيْنَاهُ مِنْ حُكْمِهِ مَا نَوَاهُ

فأعيان العالم محفوظون في خزائنه عنده، وخزائنه علمه، ومخترته نحن. فنحن أثبتنا له حكم الاختزان، لأنه ما علمنا إلا متا؛ فكان طريقا وسطا بين شبيئية ثبوتنا وشبيئية وجودنا. فإذا أراد أن ينقلنا إلى شبيئية وجودنا؛ أمرنا عليه، فاكسبنا الوجود منه؛ فظهرنا بصورته في شبيئية وجودنا، وصورته (هي) ما نحن عليه في شبيئية ثبوتنا؛ فإن علمه عين ذاته. وإنما سمي علما لتعلقه بالمعلوم، والتعلق محبة. فلو كان العدم وسطا بين شبيئية الثبوت وشبيئية الوجود؛ لكان إذا أراد إيجادنا مر بنا على العدم²، فاكسبنا منه نقي³ شبيئية الثبوت؛ فلم توجد: لا في الثبوت، ولا في الوجود. فلذلك لم يكن لنا طريق إلا على وجود الحق، لنستفيد منه الوجود.

فتفهم هذا الترتيب؛ فإنه نافع مفيد؛ فإنه يعطيك العلم بحكم المواطن، وأنها تحكم بنفسها في كل من ظهر فيها؛ فمن مر على موطن انصغ به. والليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى- في النوم وهو موطن الخيال؛ فلا ترى الحق فيه إلا في صورة جسدية، كانت تلك الصورة ما كانت. فهذا حكم الموطن قد حكم عليك في الحق أنك لا تراه إلا هكنا. كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت عن خزنة الخيال وموطنه؛ لم تترك الحق تعالى- إلا منزها عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال.

وإذا كان الحكم للمواطن عرفت إذا رأيت الحق ما رأيت، وأثبتت ذلك للموطن أعني ذلك الحكم- حتى يبقى الحق لك مجهولا أبدا، فلا يحصل لك منه علم في نفسك إلا بتوحيد المرتبة له. وأما أن تعلم ذاته فمحال ذلك؛ لأنك ما تخلو عن موطن تكون فيه، يحكم عليك ذلك الموطن بأن لا ترى الحق إلا به؛ فإنك

1 ص 71

2 ص 71 ب

3 تاجة في الهامش بقلم الأصل

تفارق¹ ما أعطاك من العلم به في موطن آخر. فتحكم على الحق في كل موطن بحكم ما هو عين الحكم الذي حكمت به عليه في الموطن الذي قبله. نتعرف، عند ذلك، أنك ما تعرفه من حيث يعرف نفسه. وهذا غايقتنا من العلم به تعالى-.

لما عندنا منه في موطن ينفد في موطن آخر، لما عندنا ينفد ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ من علمه بنفسه؛ لا يتغير، ولا يتبدل، ولا يتنوع لنفسه في نفسه بتنوع المواطن. فإن المواطن تنوعها لإناتها، ولو لم تنوع لكانت موطناً واحداً. كما أن الأسماء لو لم تختلف معانيها لكانت اسماً واحداً، كما هي من حيث مستأها، في مثل قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ هذا من حيث المسمى، فإنه قال: ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فوحد لما أراد المسمى، ولم يراع اختلاف الحقائق التي تدلّ عليه الفاظ هذه الأسماء الحسنى. فإن لم تعلم قوله: ﴿وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾³ على ما أغلفنك به؛ لما غلّشت إلا صورة صحيحة، لا روح لها.

فإذا علمت الأمر كما أعلمتك به؛ تفككت في تلك الصورة الظاهرة روحاً تحيا به؛ فكنت خالفاً، داخلاً في جملة من وصف الله⁴ (نفسه) بالفضل عليه في ذلك، فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁵ فأثبتك. وكل من أنشأ صورة بغير روح؛ فذلك هو المصور الذي يعذب بما صوره يوم القيامة، بأن يقال له هنالك: "أحيي ما خلقت وليس بحيي، ويقال له: انفخ فيها روحاً وليس بنافخ"، وهذا من حكم الموطن؛ لأن ذلك الموطن أعني موطن يوم الحشر - يعطي ظهور عجز العالم عما كان يتسبب إليه في موطن الدنيا من الاعتدال عليه.

كان عيسى عليه السلام ينفخ في الطائر الذي خلقه روحاً؛ فيكون طائراً بالصورة والمعنى. وقيل: ليس إلا صورة طائر، لا طائراً. ولذلك قال عليه السلام: ﴿كَذَبْتَ الطَّيْرَ﴾⁶ ما قال: "طيراً" حتى حصل فيه الروح. وقد ثبت عندنا عن ذي النون المصري أنه أحيى ابن العجوز بإذن الله - الذي التقمه التمساح، وأن أبا يزيد أحيى النملة بإذن الله - كما أن موطن الخيال يعطي في أعين الناظرين حياة الجمادات وحركتها، وهي في نفسها⁷ ليست بتلك الحياة التي تتركها الأبصار. كجبال سحرة موسى عليه السلام وعصيتهم؛ يتخيل إلى موسى من سحرهم أنها تسعى، التي سحروا به أعين الناس. فذلك جبال نشأت بين الخيال وبين أعين الناظرين،

1 ص 72

2 [الإسراء : 110]

3 [النحل : 96]

4 ص 72 ب

5 [المؤمنون : 14]

6 [آل عمران : 49]

7 "في نفسها" تاجية في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

كصورة السماء¹ في المرأة؛ فما هي السماء ولا غير السماء. فإنك تعلم قطعا أن الجزم الذي رأيت في المرأة أقل من جزم السماء، وأكبر من جزم المرأة، وتعلم أنك ما رأيت إلا السماء عينها، فلهذا جعلنا الحكم للمواطن.

فلا يبغيء من العالم أمر يسمى خرق عادة إلا بإذن الله، فبغير إذن الله ما يصح؛ ولهذا ما يكون من كل أحد ظهور ذلك. وإن كنا نعلم أنه ما تحدث صورة في العالم إلا والحياة تصحبها، وهي روحها، وبذلك الروح تكون تلك الصورة مسبحة. فالروح تسبح الله تعالى- والصورة مسبحة بالروح ربها تعالى-.

فَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِي أَقُولُ وَلَسْتُ تَذَرِي الَّذِي تَقُولُ²

وَلَسْتُ أَذَرِي الَّذِي تَقُولُ فَإِنَّهُ التَّاسِطُ الْقَوُولُ

وهذا القدر كاف ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 73

2 يمكن قراءتها أيضا: "يقول" هناك جملة فوق الحرف الأول، وخطان تحت
3 [الأحزاب : 4]، وفي الهامش ظلم آخر: "بلغ سمانا على المسيح إتياء الله".

الباب الخامس والسبعون وأربعمئة
في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾

شَعَائِرُ اللَّهِ أَعْلَامٌ لَنَا نُصَبِّثُ
وَهِيَ الْحُدُودُ الَّتِي قَامَتْ بِرَازِخِهَا
فَرَنْ يُعَظِّمُهَا كَانَتْ وَقَائِمَةً
لَهُ مِنَ اللَّهِ دُونَ الْخَلْقِ مَنْزِلَةً
يُحَوِّزُهَا بِالَّذِي حَازَ السَّبَاقَ لَهَا
يَقْنَى وَيَقْنَى الَّذِي يَدْعُوهُ مُتَّصِفًا
لِنَعْلَمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ
وَقَائِمَةً لِلَّذِي يَقُولُ بِالْفَرْقِ
وَهُوَ الَّذِي يَتَّحِي الْأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ
يَوْمَ الْوَفُودِ تُسَمَّى مُفَعَّدَ الصَّدْقِ
لَمَّا جَزَى مَعَهُمْ فِي حَلَبَةِ السُّبْحِ
أَسْمَاؤُهُ عِنْدَنَا بِالْمُنَى وَبِالْمُنَى

قال الله تعالى- في تعظيمها، لا بل فيها: ﴿إِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. لكم فيها² يعني الشعائر ﴿مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَجِّلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْغَيْثِيِّ﴾³ وهو بيت الإيمان عند أهل الإشارات، وليس إلا قلب المؤمن النبي⁴ وسبع عظمة الله وجلاله.

شعائر الله أعلامه، وأعلامه الدلائل عليه والموصلة إليه. وما عجا كيف يصل إليه وهو عنده! كما قال أبو يزيد وقد سمع قارنا يقرأ: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾⁵ فصاح، وبكى، حتى طار الدم من عينيه، وضرب المنبر، وقال: "كيف يحشر إليه من هو جليسه؟! "فصدق الله في الكمال؛ فإن المتقي ما يتقي الرحمن، وصدق أبو يزيد؛ فإنه ما كان مشهوده في الحال إلا الرحمن. والولي لا يتعدى ذوقه، ولا ينطق بغير حاله، ويترد كل شيء يسمع إلى الحال الذي يقلب عليه، وكان حال أبي يزيد في ذلك الوقت هو الذي خلقه، ف"المرء مخبوءة تحت لسانه"؛ فإن اللسان ترجمان أحوال الناطق.

ثم اعلم أن البُذْنَ جعلها الله من شعائره، ولهذا تُشْعَرُ لِنَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ شعائر الله، وما وهب الله لا رجعة فيه. ألا تراها إذا ماتت قبل الوصول إلى البيت؛ كيف ينحرفها صاحبها، ويحلي بينها وبين الناس، ولا يأكل منها شيئاً؟ فهذا من مئة الله، حيث جعلك مظلًا، وميزك عنه، وجعل لك ملكًا، وطلب منك أن

1 ص 73

2 الحج : 32، 33

3 الحج : 33

4 ص 74

5 امرئ : 85

تقرضه، والتَّغْنَةُ بالأصالة¹ يغمته. وهذه كلها من شعائر الله، فإنَّ كلَّ شعيرة منها دليل على الله من حيث أمرٌ ما خاصٌّ، أرادَه الله، وأبانه لأهل الفهم من عباده؛ فيتفاضلون في ذلك على قدر فهمهم. فإذا رأيت ما يقال فيه: إنَّه من شعائر الله، وتجهل أنت صورته في الشعائر، ولا تعلم ما تدلُّ عليه هذه الشعيرة؛ فاعلم أنَّ تلك الشعيرة ما خاطبك الحقُّ بها، ولا وضعها لك؛ وإنما وضعها لمن يفهمها عنه، ولك أنت شعيرة أيضا غيرها؛ وهي كلُّ ما تعرف أنَّها دلالة لك عليه، كما قال أبو العتاهية:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على الله واحدُ

نقف عندها ﴿وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾² فيقوى فهْمُك فيما أنزله، ويعلمُك ما لم تكن تعلم. فإذا أمكنك الحقُّ من نفسك؛ وعلمت أنَّك من أقوى الشعائر عليه وأوضحها. ولهذا جاءت الشريعة بقولها: «مَنْ عَرَفَ نفسه عَرَفَ ربه». فإذا وصلت إلى ما أوصلَكَ إليه شعائرُ نفسك، وشاهدت المشعور، رأيته على صورتك. فمن هناك تعلم أنَّك الأصل في علمه بك، وأنه ما تجلَّى لك إلَّا في³ صورة علمه بك، ولا كان عالما بك إلَّا منك. فأنت بذاتك أعطيت العلم بك؛ فأنت الشعيرة له عليك. فإن رأيت على غير صورتك؛ فما رأيته، من كونك شعيرة له.

فلا تُنْكِرُهُ إذا رأيت ما لا تعرف حين ينكره غيرك؛ فإنَّ تلك الحضرة لا بجلى لأحد فيها إلَّا الله. فإذا كان هذا؛ ارجع في نظرك منه إليك؛ فترى نفسك في تلك الصورة التي رأيته عليها، وما أنت انصبغت بها منه؛ وإنما هي أيضا صورتك في ثبوتك، ما كان وصلَّ وقتٌ دخولك فيها وظهورك بها. فإنَّ الصور تتقلب عليك إلى ما لا نهاية له، وتتقلب فيها أنت، وتظهر بها إلى ما لا نهاية فيه، ولكن حالا بعد حال؛ انتقالا لا يزول. وقد علمك تعالى- في هذه الصور على عدم تاهيها، فتجلَّى لك في صورة لم يبلغ وقتٌ ظهورك بها لأنك مقيد، وهو غير مقيد، بل قبده إطلاقه، وإنما يفعل هذا مع عباده ليظهر لهم في حال النكرة، ولهذا ينكرونه.

إلَّا العارفون بهذا المقام فإنَّهم لا ينكرونه في أي صورة ظهر؛ فإنَّهم قد حفظوا الأصل؛ وهو أنه ما يتجلَّى لمخلوق⁴ إلَّا في صورة المخلوق؛ إمَّا التي هو عليها في الحال فيعرفه، أو ما يكون عليها بعد ذلك فينكره، حتى يرى تلك الصورة قد دخل فيها؛ فيحتد بعرفه؛ فإنَّ الله غلظه، وغلما ما يؤول إليه، والمخلوق لا يعلم من أحواله إلَّا ما هو عليه في الوقت؛ ولذلك يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

1 ص 74 ب

2 [طه: 114]

3 ص 75

4 ص 75 ب

ومن عباد الله من يعلم ذلك، إذا رأى الحق في صورة لا يعرفها علم بحكم الموطن، وما عنده من القول؛ أنه ما تجلّى له إلا في صورة هي له، ما وصل وقتها؛ فَعَلِمَها قبل أن يدخل فيها. فهذا من الزيادة في العلم التي زادها الله، فشكر الله الذي عرفه في موطن الإنكار، ولذلك عَظَمَ الله هذا الفضل، فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾¹ فكان الحق في هذا الموطن من شعائر نفسك، فعرفت نفسك به، كما عرفته بنفسك؛ فتأمل.

فَأَجْتَمَعْنَا فِي الشَّعَائِرِ	وَالْتَقَيْنَا فِي السَّرَائِرِ
فَلَمَّا مَنُتُ التَّجَلَّى	وَلَهُ مِنَّا الضَّيَاحِرِ
فَلَيْسَ لِي دَا عَيْتِي	هَاتِمٌ فِيهِ يَاحِرِ
فَإِذَا عَلِمْتُ هَذَا	لَمْ تَكُنْ عَنْهُ بِضَايِرِ
فَهُوَ الصَّادِرُ عَنْكُمْ	مِثْلُ أَوْزَاقِ الدَّفَائِرِ
بِنَفْسِهَا يَنْسَرُ بِنَفْصَا	بِأَوَائِلِ أَوَاجِرِ
فَلْيَبَادِرْ مَنْ يَبَادِرِ	وَلْيَفَاخِرْ مَنْ يَفَاخِرِ

لما عَظَمَ الله شعائره سدى؛ لأنه ما عَظَمَ إلا من يقبل التعظيم. وأما العظيم فلا يعظم؛ فإن الوجود لا يوجد، والله عظيم والعالم كله لإمكانه حقير، إلا أنه يقبل التعظيم. ولم يكن له طريق في التعظيم، إلا أن يكون من شعائر الله عليه؛ فلما كان في نفس الأمر شعيرة عليه، عرفنا الحق بذلك؛ فنظرنا؛ فرأينا حَقِيَّةَ قولي؛ فاستدللنا بنا عليه، وبه إذا ظهر في النكرة علينا.

فَمِنَهُ إِلَيَّ ذَلِيلٌ عَلَيَّ	وَمِنِّي إِلَيْهِ ذَلِيلٌ عَلَيْهِ
فَتَخُنْ يَدِي كَمَا قَالَهُ	بِأَعْمَالِهِ ثُمَّ نَحْنُ لَدَيْهِ
وَأَعْمَالُهُ عَيْنُ أَغْيَانِنَا	فَبُنْدِي مِنْهُ وَعُزْدِي إِلَيْهِ

ولو لم يكن الأمر هكذا، ما صدق اتِّخَاذُكَ إِيَّاهُ وَكِلا. والمالُ مَالُهُ، فالمالُ مَالُكَ. والإشارة أَنَّ الصَّوْرَةَ صورَتُكَ، فصدق³ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ إذ قال له موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾⁴ فقال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ وأداة "لن" تنفي الأفعال المستقبلة، والإشارة: أَنَّ مَنْ جَمَلَكَ فِي الْحَالِ جَمَلُكَ فِي الْمَالِ؛ لَأَنَّكَ إِذَا ظَهَرْتَ لَهُ فِي

1 [النساء : 113]

2 ص 76

3 ص 76 ب

4 [الأعراف : 143]

المآل، ما يظهر له بصورة الحال التي تجلّك عند طلبه رؤيتك، وإنما يظهر له بصورة حال ذلك المآل، فلا يزال منكراً ما يرى حتى يعرف الموطن وحكته؛ فيعلم ما يرى، وما هو الحكم عليه؛ لأن الله لم يزل ظاهراً لنبي عيني، وأعين.

وأما ذو العين الواحدة فهو دجال أعور، لم يزل في رقة التقيد مغلولاً. فمن فتح الله عينيه التي امتن الله بهما عليه، في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾¹ ليشهدني في الحالين: في الحال الراهنة، والحال المستقبلية. فمن لم يرني في الحال، وهو ناظر إلي؛ فإنه أبعد أن يراني في حال المآل. وهو يراني، ولكن لا يعرف أنني مطلوبه؛ وسبب ذلك أنه يطلبني بالعلامة، وهل هذا إلا عين الجهل بي؟!

وَهَلْ تَمَّ غَيْرِي أَوْ يَكُونُ وَلَيْسَنِي
فَأَيَّكَ وَالْأَفْكَارُ² إِنْ كُنْتُ طَالِيَا
﴿وَاللَّهُ³ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴
فِيَا خَيْتَةُ الْأَبْصَارِ عِنْدَ الْبَصَائِرِ
فَلَنْ مَخْلُ الْإِهْتِلَاءِ سَرَائِرِي

1 [البلد : 8]

2 يمكن قراءتها كذلك: والإنكار

3 ص 77

4 [الأحزاب : 4]

الباب السادس والسبعون وأربعائة في معرفة حال قطب كان منزله: لا حول ولا قوة إلا بالله

الحَوْلُ والقُوَّةُ لله	عِنْدَ الَّذِي يُؤْمِنُ باللهِ
وَأَمَّا التَّخْفِيقُ عَبْدٌ رَأَى	الحَوْلَ والقُوَّةَ لله
وَمَنْ يَرِ الْأَمْرَيْنِ فِي نَفْسِهِ	فَهُوَ عَلَى تَوْبٍ مِنَ اللَّهِ

قال الله تعالى - معرفاً: إِنَّ موسى عليه السلام قال ﴿لَقَوْمِي اسْتَعِثُوا بِاللَّهِ﴾¹ وشرع لنا في القسمة بيننا وبينه أن نقول: ﴿وَلَيْتَكَ تَسْتَعِينُ﴾ فقال: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل».

اعلم أنَّ "لا حول ولا قوة إلا بالله" من خصائص مَنْ خلقه الله على صورته، وهو الإنسان الكامل. فإنَّ الملك ليس² من حقيقته أن يكون هذا مقامه، بل هو المتبَرِّي؛ لأنَّه ليس بعبد جامع، وإنما هو عضو من أعضاء العبد الجامع. فالعبد الجامع هو الذي لم تَبْقَ صفةٌ في سيِّده إلا وهي فيه، ومن صورته في الاقتدار على إيجادنا؛ قبولاً لملك، فما ثمَّ قوة مطلقة من واحد دون مساعد.

فلما علم متاً أننا نعلم ذلك؛ شرع لنا أن نستعين به؛ إذ القابل يحتاج إلى مقتدر، كما أنَّ المقتدر طلب القبول من القابل؛ فصحت القسمة بيننا وبينه تعالى - فإنه الصادق، وقد قال: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعمدي» فالاعتقاد منه، والقبول متاً؛ وبها ظهر العالم في الوجود. الدليل (هو) أنَّ المحال لا يقبل الوجود، فلا ينفذ فيه الاعتقاد؛ لأنَّ من حقيقة الاعتقاد أنَّه لا يتعلَّق إلا بالممكن. ولا معنى للممكن إلا القبول؛ فلا يصحُّ أن يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" إلا العبد الجامع. فكلُّ مَنْ تَبَرَّأ فهو جزء من الجامع، وكلُّ مَنْ أثبت الأمرين فهو جامع، عالم بنفسه وبربه، أديبٌ وقى الأمر حقّه.

فَلَا حَوْلَ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ	إِذَا لَمْ أَكُنْ وَأَنَا الْوَاقِعُ
وَلَا ³ حَوْلَ بَيْنِي وَلَا قُوَّةَ	إِذَا لَمْ يَكُنْ وَأَنَا الْجَامِعُ

1 [الأعراف: 128]

2 ص 77

3 ص 78

ألا تراها كنزاً أخفاه الله في الملك حتى أوجد آدم على صورته، وجعله خليفة في أرضه، واعترض من اعترض كما أخبر الله تعالى- في ذلك، وما سُمع قبل خلق آدم: "لا حول ولا قوة إلا بالله". وكلّ قاتل يقولها من غير العبد الجامع؛ فإنما يقولها بحكم التبعية. ولما خلق العرش، وأميزت الملائكة أن تحمله؛ لم يُخلقه. فلما عجزت؛ قام الحامل الواحد منهم الذي على صورة الإنسان، فقال بلسانه لما أعطاه الله: "لا حول ولا قوة إلا بالله" فقال من بقي من الحملة بقوله؛ لحملت العرش وأطاقته. فلما أوجد الله الإنسان الكامل جَعَلَ له قلباً كالعرش، جعله بيتاً له. فما في العالم من يطيق حمل قلب المؤمن؛ لأنهم عجزوا عن حمل العرش. وهو في زاوية من زوايا قلب المؤمن، لا يحسّ به ولا يعلم أن تمّ عرشاً؛ ليخفّيه عليه، وجعل أسماه الحسنى تحفّ بهذا القلب، كما تحفّ الملائكة بالعرش، وجعل حَلَّتُهُ: العلم الإلهي، والحياة، والإرادة، والقول؛ أربعة. فالحياة نظير الحامل الذي على صورة الإنسان من حملة العرش؛ لسريان الحياة في الأشياء؛ فما تمّ إلا حيّ، والحياة الشرط المصحّ لبقية الصفات من علم، وإرادة، وقول.

ورد في الخبر "أن جبريل لما علم آدم الطواف بالبيت، وقال له: إنا طفنا بالبيت قبل أن تخلق بكنا وكذا ألف سنة. فقال له آدم: فما كنتم تقولون عند الطواف به؟ فقال جبريل: كنا نقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقال آدم: وأزيدكم أنا: لا حول ولا قوة إلا بالله". فاختصّ بهذا الكنز آدم ~~عليه السلام~~ فما تمّ من يحول بينك وبين ما أنت قابل له، مما إذا قبلته أضرب بك، وأنزلك عن رقتك - أعني رتبة كمالك إلى حيوانيتك - إلا الله، ولا قوة لك على ما كلفك من الأعمال إلا بالله. كما لا يحول بين الحق مع اقتداره، وبين ما لا يصحّ فيه وجود إلا بك؛ إلا أنت إذا لم تكن. فلا بدّ من كونك فيها لا يوجد إلا بك، "ولا قوة" أي لا ينفذ اقتدار في أمر لا يظهر إلا بك. فمن القسمة ظهور حقيقة "لا حول ولا قوة إلا بالله" فيك وفيه، بحسب الأحوال التي تطلبها. فلا أجمع من الإنسان الجامع، ولا أشرف فيه من جزئياته، إلا الجزء الملكي منه.

كما أن ذكر الله في الصلاة أشرف أجزاء الصلاة²، لا أن الذكر أشرف من الصلاة. كما أنه لا يكون الملك أشرف من الإنسان لأنه جزء من الإنسان، والذكر جزء من الصلاة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ يعني بصورتها. فإنّ التكبير الأولى تحرّماً، والسلام منها تحليلاً عن الفحشاء ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ لما فيها من التحريم ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾³ يعني فيها؛ لأنّ الذكر جزء منها، وهو أكبر أجزائها، وفيه وقعت القسمة بين الله وبين المصلّي في الصلاة. فإذا علمت هذا علمت مقام الملك، فلم تخرج عنك.

1 ص 78 ب

2 ص 79

3 [المنكروت : 45]

وأصبحت الأمر على ما هو عليه، وأنصفت، وعرفت من أين أتى على من أتى عليه في باب المفاضلة. الله - تعالى - مجموع أسمائه مع التفاضل فيها في عموم التعلق.

فاجعل بالك، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹ وتأدب بآداب الحق الذي هو عليها. فإنَّ العبد إذا قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله" يصدق ربه، فيقول الرب: "لا حول ولا قوة إلا بي" ولم يتمرّض أن يقول: "لا حول ولا قوة إلا بك يا عبدي" فإنَّ هذه الكلمة لا تظهر من قائلها إلا بقائلها، ولكن لما علم تعالى - أنَّ الإنسان الحيوان شارك الإنسان الكامل بالصورة الإنسانية، علم² أنه إذا قال الحق: "لا حول ولا قوة إلا بك" طردها الإنسان الحيوان في غير موطنها، فأساء الأدب. والإنسان الكامل لا³ يفعل مثل هذا، فراعى الحق الحرمة ليتعلم الكامل. فهي مسألة تُعلم وتُتقَد ولا يقوه بها ناطق، ولا تجري على لسان عبد مختص إلا في بيان العلم؛ ليعلم الأمر على ما هو عليه؛ فإنَّ الله أخذ العهد على العلماء أن يعلموا من لا يعلم ما علمهم الله. ومما علمهم الأدب، فلا يضعون الحكمة إلا في أهلها. هذا من شأنهم ﷺ، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [طه : 114]

2 "قال أن الإنسان... علم" هامة في هامش ق بخط آخر نسخي مع إشارة التصويب

3 ص 79 ب

4 [الأحزاب : 4]

الباب السابع والسبعون وأربعائة

في حال قطب كان منزله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾¹
و﴿لِيُمَثِّلَ هَذَا فَلْيَقْتُلِ الْقَامِلُونَ﴾²

والكثرُ مُسْتَخْرَجٌ والبابُ مَفْتُوحٌ	الشخصُ مُنْتَزَجٌ والصدرُ مَشْرُوحٌ
الفعلُ يَقْبَلُ ما يَأْتِي به الروحُ	أَيُّ الْأَوَائِلِ؟ لَا كَانُوا وَلَا سَلَفُوا
عَلَيْهِ والعلمُ مَوْهُوبٌ ومُخْرَجٌ	لَكِنَّهُمْ حُجِبُوا بِالْفِكْرِ فَاعْتَمَدُوا
فَلَيْسَ لِلْفَعْلِ تَعْدِيلٌ وَتَجْرِجٌ	مَا ³ فِيهِ مُكْتَسَبٌ إِنْ كُنْتَ ذَا خَصِفٍ
مِيزَانُهُ قَبْدًا هُصٌّ وَتَرْجِيحٌ	الْفَعْلُ وَالْجَرْحُ شَرَعُ اللَّهِ جَاءَ بِهِ
فَأَنَّهُ خَلَفَ بَابَ الْفِكْرِ مَطْرُوحٌ	الْفَعْلُ أَفْقَرُ خَلَقِ اللَّهِ فَاعْتَبَرُوا
مِنْ الْقَوَى لَمْ يَقُمْ بِالْفَعْلِ تَسْرِيفٌ	لَوْلَا الْإِلَهُ وَلَوْلَا مَا خَبَأَ بِهِ
خَسِرَتْ قَائِمُهُ فَقَوْلِي فِيهِ تَلْوِيحٌ	إِنَّ الْقَوْلَ قِيُودٌ إِنْ وَهَتْ هَا
فَلِنْ رَيْتُهُ غَدَلٌ وَتَضَجِيحٌ	مِيزَانُ شَرْعِكَ لَا تَبْرَحُ تَزِينُ بِهِ
صَدْرٌ يَنْزُرُ شُهُودُ الْحَقِّ مَشْرُوحٌ	إِنَّ التَّنَافُسَ فِي عِلْمٍ يَقُومُ بِهِ
لَهُ مِنَ الذِّكْرِ قُدُوسٌ وَسُبُوحٌ	هَذَا ⁴ التَّنَافُسُ لَا أَبْقَى بِهِ بَدَلًا
فِي غَيْرِ ذَلِكَ تَحْسِينٌ وَتَهْيِيجٌ	لِيُمَثِّلَ ذَا يَقْتُلِ الْقَامِلُ لَيْسَ لَهُمْ

قال⁵ الله تعالى: ﴿كُلُّ جَزْبٍ بِمَا لَنَّهُمْ فَرَخُونُ﴾⁶ وموجب الفرح المناسبة. ولما علمنا أن الإنسان (هو) مجموع ما عند الله، علمنا أنه ما عند الله أمرٌ إلّا وله إليه نسبة، فله منه مناسيب. فالعالم لا يرمي بشيء من الوجود، وإنما يُزَيَّرُ إليه ما يناسبه منه، ولا يَقلِبُ عليه حال من الأحوال، بل هو مع كلِّ حال بما يناسبه، كما هو الله معنا أينما كنا، فإن ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁷ ذلك، بل هم بهذا القدر جاهلون.

1 [المطففين : 26]

2 [الصفات : 61]

3 ص 80

4 ق: كتب فوقها بخط آخر: "هو" وعليه حرف خ إشارة إلى وروده في نسخة أخرى. وهو كذلك في س.

5 ص 80 ب

6 [المؤمنون : 53]

7 [يوسف : 21]

وعنه غمون. وهذا هو الذي آذاهم إلى ذم الدنيا وما فيها، والزهد في الآخرة، وفي الكونين، وفي كل ما سبى الله، وانتقموا على من شغل نفسه بمسئى هذه كلها. وجعلهم في ذلك؛ ما حكي عن الأكابر في هذا النوع، وحلوا الفاظهم على غير وجه ما تعطيه الحقيقة، ورأوا أن كل ما سبى الله حجاب عن الله، فأرادوا هتك هذا الحجاب، فلم يقدروا عليه إلا بالزهد فيه. وسأبين هذا الفن في هذا الباب بياناً شافياً، وكون الحق كل يوم في شأن الخلق، وكون الجنة وهي دار القرية، ومحل الرؤية- هي دار الشهوات، وعموم¹ اللذات، ولو كانت حجاباً لكان الزهد والحجاب فيها، وكذلك النار الدنيا، فأقول:

إن الله خلق أجناس الخلق وأنواعه، وما أبرز من أشخاصه؛ لننظر فيه نظراً يوصلنا إلى العلم بخلقه؛ لما خلقه لتزهد فيه. فوجب علينا الاتكباب عليه، والمنابرة، والهيئة فيه؛ لأنه طريق النظر الموصل إلى الحق. فمن زهد في الليل، فقد زهد في المدلول، وخسر الدنيا والآخرة ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾² ونجمل حكمة الله في العالم، ونجمل الحق، وكان من الخاسرين الذين ما رحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

فالرجل كل الرجل من ظهر بصورة الحق في عبادة محضة، فأعطى كل ذي حق حقه، وبدأ بحق نفسه؛ فابتها أقرب إليه من كل من توجه له عليه حق من المخلوقين، وحق الله أحق بالقضاء. وحق الله عليه إيصال كل³ حق إلى من يستحقه، ﴿لِيُثْلَ هَذَا نَلْفِظِلُ الْقَائِلُونَ﴾⁴. إذ ولا بد من إضافة العمل إلينا، فإن الله أضاف الأعمال إلينا، وعين لنا مآلها، وأمكتها، وأزمتها، وأحوالها، وأمرنا بها وجوباً، ونهياً، ونهيها. كما أنه بهانا عن أعمال معيثة؛ عين لنا مآلها، وأماكها، وأزمتها، وأحوالها، تحريماً وتزيهاً. وجعل لذلك كله جزاء؛ بحساب وبغير⁵ حساب، من أمور ملة، وأمور مؤلة؛ دنيا وآخرة.

وخلقنا، وخلق فينا من يطلب الجزاء الملة، وينفر بالطبع عن الجزاء المؤلم. وجعل لي علي حقاً في رعتي؛ إذ خلق لي نفساً ناطقة، مدبرة، عاقلة، مفكرة، مستعدة لقبول جميع ما كلفها به، وهي محل خطابه؛ المقصودة بتكليفه، وامثال أوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده ومراسمه. حيث خذ له و رسم؛ في حق الحق، وحق نفسه، وحق غيره. فيطلبه أصحاب الحقوق بحقوقهم؛ نطقاً وحالاً؛ ظاهراً وباطناً. فيطلبه السمع بحقه، والبصر، واللسان، واليدان، والبطن، والفرج، والقدمان، والقلب، والعقل، والفكر، والنفس النباتية، والحيوانية، والفضيية، والشهوانية، والحرص، والأمل، والخوف، والرجاء، والإسلام، والإيمان، والإحسان، وأمثال هؤلاء من عالمه المتصل به، وأمره الحق أن لا يغفل عن أحد من هؤلاء

1 ص 81

2 [المجم: 11]

3 ناجة في الهامش فلم آخر مع إشارة التصريب

4 [الصفات: 61]

5 ص 81 هـ

أولاً، ويصرفهم في المواطن التي عيّن له الحق.

وجعل هذه القوى كلّها متوجّهة على هذه النفس الناطقة بطلب حقوقها، وجعلها كلّها ناطقة بتسبيح الله تعالى- بجفلا ذاتياً لا تنفك عنه. وجعل هذه الحقوق التي توجّهت لها على النفس الناطقة الحاكمة¹ على الجماعة، ثابتة الحق؛ جزاء لما هي عليه من تسبيح الله بحمده؛ دنيا وآخرة. وما منهم من يخالف أمر الله اختياراً، وأتته إذا وقعت المخالفة منهم؛ فجبراً يجبرهم على ذلك الوالي عليهم، الذي أمروا بالسمع والطاعة له، فإن جاز: فلهم وعليه، وإن عدل: فلهم وله. ولم يعط الله هؤلاء الرعايا الذين ذكرناهم، المتصلين به؛ قوّة الامتناع بما يجبرهم على فعله، بخلاف ما خرج عنهم من له أمر فيهم.

ثم إنّ الله نعمت لهم الجزاء الحسني²، وأشهدهم إياه في الحياة الدنيا؛ بضرب مثال من نعم الحياة الدنيا، وبالوعد بذلك في الآخرة. ومنهم من أشهده ذلك في الآخرة، وهو في الحياة الدنيا؛ مشاهدة عين؛ فرأى ما وقع له، برؤيته، من الالتذاذ ما لا يقدر قدره. وما التذّب به إلا من يطلب ذلك من رعيته، فأخذ يسأله حقّه من ذلك، وأن لا يمنعه. وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون، وأيّ نقاسة أعظم من هذا؟

فالعارف المكلّم المعرفة يعلم أنّ فيه من يطلب مشاهدة ربه، ومعرفة الفكرية والشهودية، فتعين عليه أن يؤدّي إليهم حقهم من ذلك. وعلم أنّ فيه من يطلب الماكل الشهوي³ الذي يلائم مزاجه، والمشرّب، والمنكح، والمركب، والملبس، والسماع، والنعم الحسنيّ المحسوس، فتعين عليه أيضاً أن يؤدّي إليهم حقوقهم من ذلك التي عيّن لهم الحق. ومن كان هذا حاله؛ كيف يصحّ له أن يزهد في شيء من الموجودات، وما خلقها الله إلا له؟ إلا أنّه مفتقر إلى علم ما هو له، وما هو لغيره؛ لنلّا يقول كلّ شيء هو له؛ فلا ينظر من الوجوه الحسان إلا ما يعلم أنّه له. وما يعلم أنّه لغيره؛ يكفّ بصره، ويقضّ عنه؛ فإنّه محجور عليه ما هو لغيره. فهذا حظّه من الورع والاجتناب.

والزهد إنما متعلّقه الأولوية، بخلاف الورع وكلّ ترك. فأما الأولوية؛ فينظر في الوطن ويعمل بمقتضاه، ومقتضاه قد عينه له الحق؛ بما أعلمه به بلسان الشارع. فمستوا من طريق الأخذ بالأولوية؛ زهاداً؛ حيث أخلوا بها. فإن لم تناول ذلك في الحياة الدنيا، فما فعلوا؛ لأنّ الله خيرهم، فما أوجه عليهم، ولا نذبه إليهم، ولا حجّره عليهم، ولا كرهه، فاعلم ذلك.

1 ص 82

2 ق: "الحسني"، وفي س: "الجسمي"

3 ص 82 ب

4 تاج في الهامش

ثم إنه ينظر في هذا الخبر فيه؛ فلا يخلو حاله في تناوله أن يحول بينه هذا التناول وبين المقام الأعلى الذي رجمه له، أو لا يحول. فإن حال بينه وبينه؛ تميز عليه بحكم¹ العقل الصحيح السليم - تركه، والزهد فيه. وإن كان على يقينة من ربه أن ذلك لا يقدح، ولا يحول بينه وبين المرتبة العليا من ذلك؛ فلا فائدة لتركه. كما قال لبيته سلمان رضي الله عنه: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا قَامَتْ أَوْ أُمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾². ولا تكون ممن تلبس عليه الأمور؛ فيتخيل أنه بزهد³ فيها هو حق لشخص ما من رعيته؛ ينال حظاً ما يطلبه به منه شخص آخر من رعيته؛ فإن ذلك عين الجهل؛ فإن تلك الحقيقة تقول له: ما هذا عين الحق لي.

فالأولى بالعبد الذي كلفه الله تدبير نفسه وولاه؛ أن يعلم، فإذا علم؛ استعمله علمه، حتى يكون بحكم علمه. ولا يستعمل هو العلم؛ فإنه إن استعمل علمه، كان علمه بحكمه؛ فوقاً يعمل به، ووقتاً يتركه؛ أي يترك العمل به، وما عمل الترك إلا بالعلم. وإذا كان العلم يستعمله وصرقه، ويكون هو معمولاً مستعملاً للعلم؛ حكم عليه جبراً على الصواب؛ فوفى الحقوق أربابها، ومثل هذا الإمام في العالم قليل. وإنك تقول: ليس السخي من تسخى بماله، وإنما السخي من تسخى بنفسه على العلم؛ فكان تحت سلطان علمه، هذا هو الكبير العالم. وأما ما ذكرناه من علم⁴ الأوامر والنواهي الإلهية، فنوردها لمن شاء الله - في الباب الأخير من هذا الكتاب، وبه ختمنا الكتاب، وهو باب الوصية.

فانظر إلى ما يعطيك هذا الهجير من الفوائد، وما ذكرت لك ما تشجعه هذه الهجيرات إلا ليكون ذلك باعثاً لك على طلب الأنفس والأوجه والأولى هو الله يقول الحق وهو يهدي السبيل⁵.

1 ص 83

2 [ص: 39]

3 ق: زهد

4 ص 83 ب

5 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغ سماعاً على الشيخ آباء الله".

الباب الثامن والسبعون وأربعمئة¹

في معرفة حال قطب كان منزله: **هَإِنْ تَكْ يَمْقَالَ حَبَّةٌ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَفَرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ²**

الرِّزْقُ يَأْتِي بِهِ الرِّزَاقُ لَيْسَ لَهُ	اسْمٌ سِوَاهُ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَمْرٌ
وَلَا تَقُولَنَّ فِي الْوَهَابِ إِنَّ لَهُ	حُكْمًا عَلَيْهِ فَهَذَا لَيْسَ يُخْتَبَرُ
فَاتَهُ وَاجِبٌ وَالْوَهْبُ لَيْسَ لَهُ	حُكْمُ الْوُجُوبِ وَفِيهِ الْعَبْدُ يُخْتَبَرُ

﴿بَقِيَّتُ³ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وهو ما أحل لك تناوله من الشيء الذي يقوم به أودك لتقوم به في طاعة ربك. وإنما سماه "بقية" لأنه بالأصالة خُلِقَ لك ما في الأرض جميعا، فكنت مطلق التصريف في ذلك؛ تأخذ ما تريد، وتترك ما تريد. ثم في ثاني حالٍ حَجَرَ عليك بعض ما كان أطلق فيه قَصْرَكَ، وأبقى لك من ذلك ما شاء أن يقيه لك؛ فذلك "بقية الله". وإنما جعلها خيرا لك لأنه علم من بعض عباده أن نفوسهم تعمى عن هذه البقية بما يعطيهم الأصل؛ فيتصرفون بحكم الأصل، فقال لهم: البقية التي أبقى الله **﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁴** أي مصدقين بأنِّي خلقت لكم ما في الأرض جميعا، فإن صدقتموني في هذا صدقتموني فيما أبقيت لكم من ذلك، وإن فصلتم بين الأمرين؛ فأمنتم ببعض، وكفرتم ببعض؛ لم تكونوا مؤمنين، ثم إنكم لن تتألوا من ذلك مع جمعكم إياه، وانكبابكم عليه - إلا ما قدرته لكم، وخسرتوني.

وسواء عليكم تعرضتم لتحصيل ما ضمنته لكم، أو اعرضتم عنه؛ لا بد لي أن أوصله إليكم؛ فإني أطلبكم به كما أطلبكم بآجالكم، وما ذلك من كرامتكم⁵ علي، ولا من إهانتكم؛ فإني أرزق البر والفاجر، والمكلف وغير المكلف، وأميت البر والفاجر، والمكلف وغير المكلف؛ وإنما عنايتي أن أوصل إليكم من البقية، لا من غيرها، في مثل هذا تظهر عنايتي في الشخص الموصول إليه ذلك؛ فإنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، كما أنه لن تموت نفس حتى يأنيها أجلها المستقى، وسواء كان الرزق قليلا أو كثيرا.

1 تاجه في الهامش

2 [الفرقان : 16]

3 ص 84

4 [هود : 86]

5 [هود : 86]

6 ص 84 ب

وليس رزقك إلا ما تقوم به نشأتك، وتقوم به قوتك وحياتك، ليس رزقك ما جمعت وأدخرت، فقد يكون ذلك لك ولغيرك، لكن حسابه عليك إذا كنت جامعاً وكاسبه. فلا تكسب إلا ما يقوتك، ويقوت من كلفك الله السعي عليه، لا غير. وما زاد على ذلك بما فتحت به عليك، فأوصله إنعاماً منك إلى من شئت، ممن تعلم منه أنه يستعمله في طاعتي. فإن جمحت؛ فأوصله؛ فإنك لن تحيب من فائدته، من كونك منها بما سميتك ملكاً لك. فأنت فيه كربت النعمة، وليس غربي. فأنت نائي، والنائب بصورة من استخلفه. وقد رزقت النبات والحيوان، والطائع والعاصي؛ فكن أنت كذلك¹، وتحرر الطائع حمد استطاعتك؛ فإن ذلك أوفر لحظك وأعلى، وفي حقك أولى وأثنى.

واعلم أنه كما خلقت لك ما تحيا به ذاتك، وتتعلم به نفسك؛ اعتناء بك، فقد خلقت لك أيضاً ما إذا تصرفت فيه؛ أحييت به أساني، وسميت به نفوسهم؛ وتكون أنت الآتي بذلك إليهم، كما أنا الآتي برزقك إليك، حيث كنت وكان رزقك. فإني أعلم موضعك ومقرتك، وأعلم عين رزقك، وأنت لا تعلمه حتى تأكله أو أعلمك به على التعيين، فإذا تقيت به، وسرى في ذاتك؛ حينئذ تعلم أنه رزقك.

كذلك علمت ما تستحقه الأسماء الحسنى من الرزق الذي تقوم به حياتها ونشأتها، وأعطيتك علم ذلك وعينه، وجعلتك الآتي به إليهم. وكما طلبت منك الشكر على ما جئتك به من الرزق، كذلك تطلب أنت الشكر على ما أتيته به - من أساني. وإذا شكرت أساني، فأنا شكرتكم؛ فسمعت سعادة لم يسعد مثلها إلا من عمل مثل هذا العمل. وأساني لا بد أن يصل إليها ذلك من العالم، ولكن لا يشكر أساني إلا من قضها بذلك²؛ اعتناء منه بجانها، لا من جاء بها غافلاً عنها؛ أن ذلك لها. ﴿هَلْ يَشْعُرِ الَّذِينَ يَفْلَحُونَ وَالَّذِينَ لَا يَفْلَحُونَ﴾³ لا والله؛ كما لا يستوي الذين اجترحوا السيئات، بالذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ في ﴿مَخْيَاهُمْ وَمَفَاتِهِمْ شَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁴ أي شاء من يحكم بذلك.

ثم أنزل، وأقول قول لقمان لابنه: ﴿فَتَكُنْ فِي صَفْوَةٍ﴾⁵ أي عند ذي قلب قاي، لا شفقة له على خلق الله. قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْجَازَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾⁶ وقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ فإن الحجز لا يقدر (أن) يمتنع عن تأييدك فيه بالقول، والقلب يمتنع عن ترك بلا شك، فإنه لا سلطان لك عليه. فلها كان القلب "أشد قسوة" أي أعظم امتناعاً وأحس. ولأن أحسن في ظاهره، فلا

1 ص 85

2 ص 85 ب

3 [الزمر : 9]

4 [الحجرات : 21]

5 [لقمان : 16]

6 [البقرة : 74]

يلزم أن يلين قلبه إليك، فنلك إليه. وحكي أن بعض الناس كسر حجرا صلنا يابسا، فرأى في وسط ذلك الحجر تجويفا، فيه دودة، في ثما ورقة خضراء تأكلها.

وروي في النبوة الأولى أن الله تعالى - تحت الأرض صخرة صماء، في جوف تلك الصخرة حيوان لا منفذ له في الصخرة، وأن الله قد جعل له فيها غذاء. وهو يسبح الله، ويقول: "سبحان من لا ينساني على بُعد مكاني" يعني من الموضع الذي تأتي منه الأرزاق، لا على بُعد مكانها من الله. فإن نسبة الله إلى خلقه من حيث القرب يسكون الراء - نسبة واحدة، ومن حيث القرب يفتح الراء - نسبة مختلفة، فاعلم ذلك.

﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾² بما أودع الله في سباحة الكواكب في أفلاكها، من التأثيرات في الأركان لخلق أرزاق العالم، والأمطار أيضا. فإن السماء في لسان العرب: المطر، قال الشاعر³:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

يعني بالسماء، هنا، المطر.

وقوله: ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾⁴ بما فيها من القبول والتكوين للأرزاق؛ فإنها محل ظهور الأرزاق. كالأثم محل ظهور الولد الذي للأب فيه أيضا أثر، بما لقاه من الماء في الرحم، سواء كان مقصودا له ذلك، أو لم يكن. كذلك الكوكب يسبح في الفلك، وعن سباحته يكون ما يكون في الأركان الأمهات، من الأمور الموجبة للولادة، وسواء كان ذلك مقصودا للكوكب، أو لم يكن؛ بحسب ما يعلمه الله ⁵ بما أوحى به في كل سماء، من الأمر الإلهي الذي لا يعلمه إلا من أوحى به إليه. فأينما كانت ⁶ مثقال هذه الحبة من الخردل - إيلتها، بل لحفاتها - ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾⁷ تبة بهذا التعريف؛ لتأنيه أنت بما كلّفك أن تأنيه به، فإنك ترجوه فيما تأنيه به، ولا يرجوك فيما أنك به؛ فإنه غني عن العالمين، وأنت من الفقراء إليه. فإيتانك إليه بما كلّفك الإيتان به، أكد في حق أن تأتي به؛ لافتقارك وحاجتك؛ لما يحصل لك من المنفعة بذلك.

1 ص 86

2 [قمان : 16]

3 عجز البيت هو: رعيته وإن كانوا غضايا. والقاتل هو معوذ الحكماء، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، شاعر من أشرف العرب في الجاهلية، هو أخو ملاعب الأستة عامر بن مالك، وعم ليد بن ربيعة المروقي سنة 41 هـ. وقب بمعوذ الحكماء لقوله: أَعَزُّدُ مثلها الحكماء يعني إذا ما الأمر في الحنطان بأنا

4 [قمان : 16]

5 ص 86

6 [قمان : 16]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾¹ أي هو أخفى أن يُعلم ويوصل إليه، أي إلى العلم به من حبة الخردل، ﴿خَبِيرٌ﴾² لطفه بمكان من يطلب تلك الخردلة منه؛ لما له من الحرص على دفع ألم الفقد عنه. فإن الحيوان ما يطلب الرزق إلا لدفع الآلام، لا غير. فلو لم يجس بالألم، لما قُصِّرَ منه طلب شيء من ذلك. فليس نفعه سيوى دفع آلمه بذلك، وهو الركن الأعظم.

ولولا أن حكم الجنة في أنه نفس حصول الشهوة (عند المشتهي هي) نفس حصول المشتهى، بحيث لو تأخرت عنه إلى الزمان الثاني الذي يلي زمان حصول الشهوة، لكان ذا ألم؛ لفقد المشتهى زمان الشهوة. كالدينار؛ فإنه لا بد أن يتأخر حصول المشتهى عن زمان الشهوة³؛ فلا بد من الألم. فإذا حصل المشتهى؛ فأعظم الالتئاذ به اندفاع ذلك الألم. فانهم هنا وحققه؛ فإنه ينفعك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [الغمان : 16]

2 ص 87

3 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع والسبعون وأربعمئة

في حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾¹

مَنْ يُعْظَمْ حُرْمَةُ اللَّهِ	مَا يَرَى غِنَا سِوَى اللَّهِ
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ حُرْمَتُهُ	لَيْسَ فِي الْأَعْيَانِ إِلَّا هِيَ
لَيْسَ بِالسَّاهِي مُعْظَمُهَا	لَا وَلَا فِي الْحُكْمِ بِاللَّاهِي
كَيْفَ يَنْهَو عَنْ مَخَارِمِهِ	مَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ بِاللَّهِ
فَهُوَ الرَّائِي بِجَارِحَتِي	وَأَنَا عَنْ ذَلِكَ بِالسَّاهِي

العالم² حُرْمَ الحق، والكون حُرْمُهُ الذي أَسْكَنَ فيه هؤلاء الحرم. وأعظم الحرم ما (=الذي) له فيه أمر الطبع النكاحي؛ لأنه محلُّ التكوين. والعالم كله حُرْمُ الله، فإنه محلُّ تكوين الأحكام الإلهية؛ لظهور الأعيان. فأني عين ظهر؛ عاد حُرْمَةُ من الحرم. فخواء من آدم سواء، منه ظهرت فهي عينه، وهي عينها: حرمة وزوجته التي كون فيها بنيه؛ لأنها صلعه القصيرى قبل الشكل المعلوم بالإنسان. فهكذا ما خلق الله من العالم. والإشارة إليه في قوله: ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾³ وقوله في عيسى: ﴿وَزَوْجٌ مِنْهُ﴾⁴ لم ينسبه إلى غير، لأنه ما ثم غير.

فمن عظم حرمة الله من العالم فما عظم إلا نفسه، وقد تبين لك أنك منه؛ لا من ذاتك، ولا من أمر آخر.

فمن عظم حرمة الله فإنما عظم الله، ومن عظم الله كان خيرا له؛ وهو ما يجازيه به من التعظيم، في مثل قوله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ﴾⁵، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ العامل في هذا الطرف في طريقنا قوله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ﴾ أي من يعظمها ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي في ذلك الموطن. فلتبحث في المواطن التي تكون فيها عند ربك؛ ما هي؟ كالصلاة مثلا؛ فإن المصلِّي يناجي⁶ ربه؛ فهو عند ربه. فإذا

1 [الحج: 30]

2 ص 87 ب

3 [الجمعة: 13]

4 [النساء: 171]

5 [الحج: 32]

6 ص 88

عَظُمَ حرمة الله في هذا الموطن؛ كان خيرا له.

وتعظيم الحرمة أن يتلبس بها حتى تُعَظَّم؛ فإذا عَظُمَت كان التكوين، كما جاء: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْلَكَ دَعَوْنَا اللَّهَ ۝¹ وَالْمُؤْمِنِينَ إِذَا نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ؛ فَرُوحَهُ عِنْدَ رَبِّهِ؛ فَيُعَظَّمُ هُنَاكَ حَرَمَةُ اللَّهِ. فَيَكُونُ الْخَيْرُ الَّذِي لَهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ؛ الْمُبَشِّرَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ فِي نَوْمِهِ، أَوْ يَرَاهَا لَهُ غَيْرُهُ. وَالْمُوَاطِنُ الَّتِي يَكُونُ الْعَبْدُ فِيهَا عِنْدَ رَبِّهِ كَثِيرَةً، فَيُعَظَّمُ فِيهَا حُرُمَاتُ اللَّهِ عَلَى الشُّهُودِ. وَهَذَا الْبَابُ إِنْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِيهِ؛ طَال. وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ الْقَلِيلَةُ تَعْطِي صَاحِبَ الْفَهْمِ بَقَوَّتِهَا، مَا فِي الْبَسْطِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْوُجُودِيَّةِ. وَهَذَا كَافٍ فِي الْفَرْضِ الْمَقْصُودِ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝²، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝³.

1 [الأعراف : 189]

2 [الأنعام : 45]

3 [الأحزاب : 4]

الباب الثامن وأربعائة في حال قطب كان منزله: ﴿وَأَقْبَتَهُ الْحُكْمُ صَبِيحًا﴾¹

رُوحًا وَجِسْمًا فَلَا تَقِيلُ عَنِ الرُّشْدِ	مِنْ الْمَزَاجِ قُوَى الْإِنْسَانِ أَجْمَعِهَا
لِيَمْلَأَ قَلْبَهَا نَفْسَاءَ الْجَسَدِ	بِذَاكَ ² يَضْعَفُ فِي حَالِ قَصْرِ قُهَا
فَذَاكَ حُكْمُ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الصُّنْدِ	فَإِنْ بَذَا لَكَ مَا يُذْهِبُ بِمَادَتِهَا
مِنْ الْأَنْبَاسِيِّ، وَمَا بِالزُّنْعِ مِنْ أَحَدِ	كَثَلٍ عِنْسِي وَمَنْ قَدْ كَانَ أَشْبَهَهُ
سِوَى الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي كَبِدِ	يَأْتِي بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ خَزَرٍ عَادَتِهِ

قال الله ﷻ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُحْيَاهُ﴾³ فهذا سلام من الله عليه. وقال عيسى عن نفسه ﷺ: إخبارا بحاله مع الله، فيما أخبر الله به عن عنايته بيحيى ﷺ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُهْبِثُ حَيًّا﴾⁴ وزاد المحمدي الوارث: «كث نبينا وآدم بين الماء والطين» وذلك أن:

عَنَائِي زَعَمَانِ الشَّجَابِ قُوَّةٌ	لَأَنَّ لَهَا الْقُرْبَ الْإِلَهِيَّ بِالنَّصِّ
لَأَنَّ ⁵ عُلُومَ الْقُومِ ذُووقَ وَخُبْرَةَ	وَهَذِي عُلُومٌ لَيْسَ تَنْزُكُ بِالْفَضْلِ

فإن رسول الله ﷺ برز بنفسه، وحسر الثوب، وقال لما أقبل الغيث حتى أصابه: «إنه حديث عهد بربه»⁷.

فَهَذَا هُوَ النَّصُّ الْجَلِيُّ الَّذِي أَتَى مِنْ الشَّرْعِ فِي الْغَيْبِ الْقَرِيبِ مِنَ الرَّبِّ
فَكُلُّ أَوَّلٍ فِي الْعَالَمِ فَإِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدِ بَرَبِهِ، وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ أَوَّلٌ فَإِنَّهُ شَيْءٌ، فَهُوَ فِي وَجُودِهِ حَدِيثٌ

1 [مریم : 12]

2 ص 88 هـ

3 [مریم : 15]

4 [مریم : 33]

5 ص 89

6 المتصود بالحبرة: المرافقة والخلقة للشيوخ

7 حُفَّتَا بَنِي بَنِي بَنِي أَخْبَرَنَا جَنْزَرُ بْنُ سَلِيمَانَ عَنْ أَبِيهِ الْمُبَارَكِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ أَصَابَتَا وَخَسْرٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَرَفَا قَالَ فَخَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْفَطْرِ فَطَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَصْنَفْ هَذَا قَالَ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ عَنْهُ بَرَبُهُ تَعَالَى (صحيح مسلم 4/433)

عهد برته، إذ قال له: ﴿كُنْ﴾ فالعالم كله عالم الأمر، سواء كان من عالم الخلق، أو لم يكن. وقد بينّا عالم الأمر والخلق؛ ما هو؟ وهو الوجه الخاص الذي في عالم الخلق. وما عثر عليه أحد من أهل النظر في العلم الإلهي، إلا أهل الله ذوقا. ولما كان للصبي حدثان: هذا القرب - وهو قرب التكوين - والسماع، ولم يحل بينه وبين إدراك قربه من الله حائل؛ يُعده عن عالم الأركان في خلقه. فلم يكن (عيسى - عليه السلام) عن أبٍ عنصري، ولكن كان روح الله، ﴿وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾¹؛ فلم يكن ثم ما يغيبه عن صدر عنه، فقال مخبرا (عن) ما شاهده من الحال. فحكم في مهده على مرأى من قومه، الذين افتروا في حقّه على أمّه مريم؛ فبرأها الله بنطقه، وبجنين جذع النخلة إليه؛ إذ أكثر الشرع في الحكومة بشاهدين عدلين، ولا أعدل من هذين.

فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾² فحكم على نفسه بالعبودية لله. وما قال: "ابن فلان" لأنه لم يكن ثم. وإنما كان حقّ تجلّي في صورة روح جبرائيل، لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير معتاد ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾ فصل له إنجيله قبل بعثه، فكان على بينة من ربه، فحكم بأنه مالك كتابه الإلهي. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾³ فحكم بأن النبوة بالجعل؛ لأن الله يقول: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾⁴ فهو في الصورة بالجعل، لتلا يُمخّل أن ذلك بالنبات؛ بل هو اختصاص إلهي. ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري، وتلك الزيادة حُفَّتْ للولاية، ونزوله في آخر الزمان وحكمه بشريع محمد ﷺ حتى يكون يوم القيامة من يرى ربه الرؤية الحمّدية في الصورة الحمّدية ﴿أَيُّنَ مَا كُنْتُ﴾ من دنيا وآخرة؛ فإنه ذو حشرين: يحشر⁵ في صف الرسل، ويحشر معنا في اتباع محمد ﷺ. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ﴾ المفروضة في أمة محمد ﷺ أن أُنهيها لأنه جاء بالآلف واللام فيها ﴿وَالزَّكَاةِ﴾ أيضا كذلك ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾⁶ زمان التكليف، وهو الحياة النبا، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ فأخبر أنه شيق في خلقه؛ فإن لأنه عليه ولادة لما كانت محلّ تكوينه؛ فتلّت بنسبته المنصّرية في خلقه، فكان أقرب إلى ربه؛ فكان أحدث عهد بعبوديته لربه. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾⁷ إذ لا يكون ذلك من يكون إلا بالجهل، والجهل فيه إنما هو من قوّة سلطان ظلمة العنصر، وقد بينّا مرتبة عالم الطبيعة من عالم العناصر في هذا الكتاب في مواضع منه. ﴿وَالسَّلَامَ عَلَيَّ﴾ يعلمه بمرقته من ربه وحظّه منه ﴿فَيَوْمَ ذَلِكَ﴾ يعني له السلامة في ولادته، من تأثير العبد المطرود الموكل

1 [النساء : 171]

2 ص 99ب

3 [مرم : 30]

4 [مرم : 30]

5 [الأنطار : 8]

6 ص 90

7 [مرم : 31]

8 [مرم : 32]

بالأطفال عند الولادة، حين يصرخ الولد إذا وقع، من طعنته. فلم يكن لعيسى عليه السلام صراخ، بل وقع ساجدا لله تعالى. ﴿وَيَوْمَ أُمُوتُ﴾ يكذب من يفترى عليه أنه قُتل، فلم يقل: ويوم أقتل. ﴿وَيَوْمَ أُبْقِشُ﴾ يعني في القيامة الكبرى، أكد موته. فاتاه الحكم بما ذكره، وهو صبي رضيع في المهد. فكان أُمّ في الوصلة برّته من يحيى ابن خالته؛ فإن عيسى سَلِمَ على نفسه بسلام ربه، ولهذا ادّعى فيه أنه إله، ويحيى سَلِمَ عليه ربه تعالى. ولم ينص على أنه عرف بذلك السلام عليه، أو لم يعرف.

واعلم أنّ الناس إنما يستغفرون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير؛ لأنهم ما عهدوا إلا الحكمة الظاهرة عن التفكر والرؤية، وليس الصبي في العادة محلّ لذلك، فيقولون: إنّه منطوق بها، فتظهر عناية الله بهذا المحلّ الظاهر. فزاد يحيى وعيسى بأنهما على علم مما نطقا به علّم ذوق؛ لأن مثل هذا، في هذا الزمان والسّن، لا يصح أن يكون إلا ذوقا، وإنّ الله آتاه الحكم صبيا، وهو حكم النبوة التي لا تكون إلا ذوقا.

فمن كان هجره هذا؛ فوراثه وإن كان محمديا - لهذين النبيين، أو لأحدهما على حسب قوّة نسبته منها، أو من أحدهما. وقد نطق في المهد جماعة - أعني في حال الرضاعة - وقد رأينا أعظم من هذا؛ رأينا من تكلم في بطن أمه، وأدنى واجبا. وذلك أنّ أمه عطشت وهي حاملة به، فخدمت الله، فقال لها من بطنها: "يرحمك الله" بكلام سمعه الحاضرون.

وأما ما يناسب الكلام، فإن ابنتي زينب سألتها كالملاعب لها، وهي في سنّ الرضاعة، كان عمرها في ذلك الوقت سنة أو قريبا منها. فقلت لها بحضور أمها وجدتها: يا بنية؛ ما تقولين في الرجل؛ يجامع أهله ولا ينزل؟ فقلت: يجب عليه الفسل. فتعجب الحاضرون من ذلك. وفارقت هذه البنت في تلك السنة، وتركها عند أمها، وغبت عنها. وأذنت لأُمها في الحج في تلك السنة - رمشيئ أنا على العراق - إلى مكة. فلما جئنا المعزف، خرجت في جماعة معي أطلب على أهلي في الركب الشامي. فرأيت وهي ترضع ندي أمها، فقلت: يا أُمي؛ هذا أبي قد جاء. فنظرت الأم حتى رأيت مقبلا على بقدر، وهي تقول: هذا أبي هذا أبي. فناداني خالها، فأقبلت. فعندما رأيت صحتك، ورمت بنفسها عليّ، وصارت تقول لي: يا أبت؛ يا أبت؛ فهذا وأمثاله من هذا الباب.

1 ص 90

2 [مريم: 33]

3 ص 91

الباب الأحد والثمانون¹ وأربعائة
في حال قطب كان منزله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا

مَنْ يَشْهَدِ اللَّهَ فِي أَعْمَالِهِ حَسَنَةً	نَشَأَتْهَا فَلَهَا فِي الْوَزْنِ رُجْحَانٌ
مَعَ الشُّهُودِ لَهُ أَجْرٌ يُخْصُّ بِهِ	قَضَى بِذَلِكَ فِي التَّكْرِيفِ مِيزَانٌ
إِنَّ الرَّسُولَ لَهُ أَجْرٌ تَمَيَّنُهُ	لَهُ رَسُولُهُ مَا فِيهِ تَقْصَانٌ
لَوْلَا الْوُجُودُ لَمَا كَانَ الشُّهُودُ لَنَا	وَفِي الْوُجُودِ لَنَا رَيْحٌ وَخُسْرَانٌ
وَلَيْسَ يَنْبَغِي الْإِنِّي جِئْنَا بِهِ أَحَدٌ	إِلَّا عَلِيمٌ بِنَا فِي الْأَمْرِ خَيْرَانٌ

قال رسول الله ﷺ في الإحسان: إنه العمل على رؤية الحق في العبادة. وهو تبيين عجيب من عالم شفيق على أمته. لأنه عليم (أنه) إذا قام العبد في عمله عبادة، وجعل² في نفسه أنه يرى ربه، ويراه ربه بما استحضره في تلك العبادة على قدر علمه؛ فإنه إذا كان هذا هيجره، وديدته ذلك؛ أبصر (أن) العامل هو الله، لا هو، وأن العبد محل ظهور ذلك العمل. كما ورد «أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» فالإحسان في العبادة كالروح في الصورة يحياها، وإذا أحيها لم تنزل تستغفر لصاحبها، ولها البقاء النائم؛ فلا يزال مغفورا له. فإن الله صادق، وقد أخبر أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، لا؛ بل لا يضيع ﴿عَمَلٌ غَامِلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى تَفْضُلٌ مِنْ تَفْضُلٍ كَانَ الْعَمَلُ مَا كَانَ﴾.

فإن كان خيرا فلا يضيع أجره، وإن لم يكن خيرا فإن الله لا يضيعه؛ لأنه لا بد أن يبدل الله سيئات الثائب حسنات. فإن لم يكن العمل غير مضيع، وإلا ففي أي أمر يقع التبديل؟ لأن الأعمال صُوِّرَ أنشأها العامل، لا؛ بل أنشأها الله؛ فإنه العامل، والعبد محل ظهور ذلك العمل، كالهيوولي لما يقبله من فتح الصور فيها. ثم إن الحضور مع الله تعالى، وهو الإحسان في ذلك العمل، حياة ذلك العمل، وبه سُمِّيَ عبادة؛ ولولا هذا الحضور ما كان عبادة. فما من مؤمن بمصي⁴ إلا وفي نفسه ذل المعصية؛ فلذلك يصير عبادة، ولو لم يكن إلا علمه بأنها معصية. وأي روح أشرف من العلم؟ ولما قال الله عن نفسه: إنه ﴿أَخَاطَ بِكُلِّ

1 ص 91

2 ص 92

3 [آل عمران: 195]

4 ص 92

شَيْءٌ عَلَّمًا¹ ودَلَّ عليه دليل العقل، والعمل من الأشياء، وهو يعلمه ويعلم حيث هو؛ فكيف يضع عنه؟ أو يضيئه، وهو خلق من خلقه، يستبح بحمده؟ فإن كانت حياته عن نفخ ربه؛ سبَّح بحمده، وإن كانت حياته عن حضور عامله ومنشئه، وكان العمل ما كان؛ سبَّح بحمده، واستغفر لعامله. فهذا الفرقان بين العاملين.

فإن أعطى الله المغفرة لغير الحاضر؛ فإنما ذلك مراعاة إلهية؛ لكون هذا العبد أنشأ بوجوده صورة، ولا بد لكل صورة من روح. فإن الله يفر له؛ لكونه ظهرت عنه صورة، فسخ الحق فيها روحاً منه؛ فسبَّحت بحمده. فلهذا الاشتراك لحقت المغفرة صاحب ذلك العمل، كان من كان، ولحقته متى لحقته. والتروك لا تكون أعمالاً إلا إذا نُويث، وما لم يتوَّها صاحبها فإنها ليست بعمل؛ فإن الأعمال منها ظاهرة وباطنة، أو يترك الإنسان ما أُمِرَ بفعله؛ فإن التروك عدم محض.

إلا أن هنا دقيقة²؛ وذلك أن العمل الذي يكون فيه في زمان ترك ما أوجب الله عليه فعله، هو الذي يكون صورة من إنشاء عامله، لا عين التروك. فإن الزمان إنما هو لذلك العمل المتروك حتى يتوب، وهذا أشد المعاصي وأعظمها. ولهذا ذهب مَنْ ذهب من أهل الظاهر إلى أنه من صلى ركعتي الفجر ولم يضطجع؛ فإن صلاة الصبح لا تصح له، وإن لم يركع الفجر؛ لم يجب عليه الاضطجاع، وجازت صلاة الصبح، وغايته أنه ترك سنة مؤكدة لا إثم عليه في تركها. وهذا عين ما ذكرناه، والتعليل واحد.

فكل عمل مأمور به على طريق الفرض والوجوب وترك؛ فإن العمل الذي يقوم الإنسان فيه على البذل من العمل المأمور به، هو الذي يقوم صورة، لا عين التروك، فافهم. ولكن إذا كان العمل المتروك يشغل زماناً بذاته؛ لا يصح في ذلك الزمان غيره، ويكون مطلقاً، لا يكون زماناً مقيداً، ويكون العمل ممن يحرم على العامل التصرف في عمل غيره كالصلاة. فإن لم يكن كذلك؛ فأي عمل عمله فإنه مقبول أعني من أعمال الخير - لأنه عمله في زمان يجوز له فيه عمله. فأحسن العمل³ ما عُجل بشرطه، وفي زمانه، وتمام خلقه، وكمال رتبته في حاله؛ فينشد يكون صورة مخلقة. فافهم ذلك، واعمل بحسبه؛ فإنك تنتفع بذلك إن شاء الله -.

[1] (الطلاق : 12)

2 ص 93

3 ص 93 ب

الباب الثاني والثمانون وأربعائة

في حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾¹

وَمَنْ يُسْلِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ وَجْهًا	فَذَلِكَ الْوَجْهُ لَيْسَ لَهُ الْإِثْمَاءُ
لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ الْإِثْمَاءُ	يَعْنِيهِ فَيَنْخَسِرُ الثَّنَاءُ
فَأُفْهِدُهُ بِإِسْلَامِي إِلَيْهِ	وَهَذَا الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَذَلِكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ لَدَيْنَا	لِنَاسِكِيهَا الْهَدَىٰ وَالْإِغْيَاءُ
لَقَدْ نَسَمَ الصَّلَاةَ وَلَسْتُ كُفُوءًا	فَبَانَ الْإِهْنَاءُ وَالْإِغْيَاءُ
كَأَنَّ الْحَقَّ لَمْ يَخْلُقْ سِوَايَ	فَنَزَلَهُ وَمَقَرَّلَنَا مِثْلَهُ

يعني في قوله: ﴿لَيْسَ كَلِمَتُهُ شَيْءًا﴾³ قال الله تعالى: ﴿قُلْ اذْعُوا إِلَهُ اللَّهِ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ﴾⁴ فلم يفرق بين الاسم "الله" والاسم "الرحمن" بل جعل الاسمين من الألفاظ المترادفة، وإن كان في الرحمن رائحة الاشتقاق، ولكن المدلول واحد من حيث العين المستقاة بهذين الاسمين، والمسمى هو المقصود في هذه الآية. ولذلك قال: ﴿فَلَمَّا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ومن أسماؤه الحسنى "الله" و"الرحمن" إلى كل اسم سمي به نفسه، مما نعلم وما لا نعلم، وما لا يصح أن نعلم؛ لأنه استأثر بأساء في علم غيبه.

لما كان الاسم "الله" قد عصمه الله أن يسمى به غير الله، فلا يفهم منه عند التلفظ به، وعند رؤيته مرقوما؛ إلا هويته الحق لا غير، فإنه يدل عليه تعالى - بحكم المطابقة؛ قال أبو يزيد عند ذلك: "أنا الله" يعني ذلك التلفظ به، في الدلالة على هويته. يقول عليه السلام: أنا أدل على الله من كلمة الله، ولذلك سماه كلمته. وقال عليه السلام: "إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ" وسموا: أولياء الله؛ لقيام هذه الصفة التي تولاها الله بها؛ بهم. وأني إسلام واعتقاد ذاتي - لأنه قال: ﴿وَجْهَهُ﴾ - أعظم من هذا الاعتقاد والإسلام؟

1 [البقران : 22]

2 ص 94

3 [الشورى : 11]

4 [الإسراء : 110]

5 ص 94

﴿وَهُوَ مُخِيسٌ﴾¹ أي فعل ذلك عن شهود منه. لأن الإحسان (هو) أن ترى ربك في عبادتك؛ فإنَّ العبادة لا تصحَّ من غير شهود. وإن صحَّ العمل؛ فالعملُ غيرُ العبادة. فإنَّ العبادة ذاتيةٌ للخلق، والعملُ عارضٌ من الحقِّ عَرَضُ له؛ فتختلف الأعمال فيه، ومنه. والعبادة واحدةٌ العين؛ فكما لا تفرَّق بين الله والرحمن؛ كذلك لا تفرَّق بين العبد الحقيقي وبين ربه؛ فعندما تراه تراه؛ فلا يُفكره إلا مَنْ أنكر الرحمن.

فلذلك سَمَّيَ هذا المقام: ﴿الْعَزَوةُ الْوَقْى﴾ أي التي لا تتَّصف بالانحرام؛ لأنها لِنَاتِهَا هي عروةٌ وهي؛ شَطْرُهَا حَقٌّ، وشَطْرُهَا خَلْقٌ. كالصلاة حُكْمٌ واحد: نصفها لله، ونصفها للعباد، ولم يقل: للمصلِّي. ﴿وَأَلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾² فنبه أنَّ مرجع هذا التفصيل كُلُّهُ إلى عين واحدة، ليس غير ذلك العين لها صفة الوجود. فمن لم يكن له مثل هذا النتائج في هذا الهَجِير فما ذَكَرَ الله به، وإن لم يزل³ به متلفظاً؛ فليس المنصود منه إلا ظهور مثل هذا. وهذه الإشارة كافية في هذا الذِّكْر.

1 [البقرة : 112]

2 [البقرة : 22]

3 ص 95

الباب الثالث والثمانون وأربعة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾¹

فَازَتْ النَّفْسُ إِذَا مَا انْصَفَتْ	بِصِفَاتِ الْقُدْسِ فِي نَشْأَتِهَا
أَوْ بِأَمْرِ عَارِضٍ كَانَ لَهَا	وَقَفَتْ فِيهِ عَلَى حِكْمَتِهَا
فَهْمًا فِي الْحُكْمِ سَيِّئًا عَلَى	مَا اقْتَضَاهُ الْأَمْرُ مِنْ سُورَتِهَا
وَالَّذِي قَدْ دَسَّاهَا يَنْتَهَا	دُونَ ثَقَبِ خَابٍ مِنْ جُمَّلِهَا
لَمْ يَخِبْ مِنْ بَقْدٍ مَا تَلَيَّجُهُ	إِنَّهُ الظَّاهِرُ فِي صُورَتِهَا
فَلَهُ الْخَفْدُ عَلَى ذَاكَ وَدَا	لِدُخُولِ الْكَوْنِ فِي رَحْتِهَا

تحقيق² هذا الذكر: أنَّ النفس لا تتركو إلَّا برَبِّهَا، فيه تَشَرُّفٌ وَتَعَظُّمٌ في ذاتِهَا، لأنَّ الزَّكَاةَ زُيِّنَتْ. فَمَنْ كَانَ الْحَقُّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَمِيعَ قَوَاهِ - وَالصُّورَةُ فِي الشَّاهِدِ صُورَةُ خَلْقٍ - فَقَدْ زَكَّتْ نَفْسٌ مِّنْ هَذَا نَقْشُهُ، ﴿وَزَيَّنَتْ وَأُتْبِئَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَبْتَهِجُ﴾³ كَالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُ هَذَا النِّعَمَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ هَكَذَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا صَحَّ لَصُورَةِ الْخَلْقِ ظُهُورٌ وَلَا وَجُودٌ. وَلِئِنَّكَ ﴿خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ لِأَنَّهُ جَمَّلٌ، فَتَخَيَّلَ أَنَّهُ دَسَّاهَا فِي هَذَا النِّعَمِ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ هَذَا النِّعَمَ لِنَفْسِهِ نَقَشٌ ذَاتِيٌّ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ، يَسْتَحِيلُ زَوَالُهُ، لِئِنَّكَ وَصَفَهُ بِالْخَبِيَةِ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ هَذَا.

ولِئِنَّكَ قَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فَفَرَضَ لَهُ الْبَقَاءَ، وَالْبَقَاءَ لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ، أَوْ لِمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّهُ أَوْ مَا هُوَ عِنْدَهُ؛ فَخَزَائِنُهُ غَيْرُ نَافِذَةٍ، فَلَيْسَ إِلَّا صُورٌ تَعْقِبُ صُورًا، وَالْعِلْمُ بِهَا يَسْتَرْسِلُ عَلَيْهَا اسْتِرْسَالًا بِقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى تَقْلَمَ﴾⁴ مَعَ عِلْمِهِ بِهَا قَبْلَ تَفْصِيلِهَا. فَلَوْ عِلْمُهَا مَفْصَلَةٌ فِي حَالِ إِجْمَالِهَا مَا عَلِمَتْهَا؛ فَإِنَّهَا بِمَجْمَلَةٍ، وَالْعِلْمُ لَا يَكُونُ عِلْمًا حَتَّى يَكُونَ تَعَلُّقُهُ بِمَا هُوَ الْمَعْلُومُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ⁵ الْمَعْلُومَ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ بَنَاتُهُ الْعِلْمَ، وَالْمَعْلُومُ هُنَا غَيْرُ مَفْصَلٍ؛ فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا غَيْرُ مَفْصَلٍ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَعْلَمُ التَّفْصِيلَ فِي الْإِجْمَالِ. وَمِثْلُ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَمْلَ مَفْصَلٌ، إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّفْصِيلَ إِنَّمَا قُضِلَ بِالْفِعْلِ، هَذَا مَعْنَى: ﴿حَتَّى تَقْلَمَ﴾.

1 [النفس: 9، 10]

2 ص 95

3 [الحج: 5]

4 [محمد: 31]

5 ص 96

وإذا كان الأمر كما ذكرناه، فما نَمَّ "مَنْ دَسَّاهَا". ولو كان نَمَّ؛ لكان هو الموصوف بالحيلة؛ لأن الشيء لا يمكن أن ينجمل ولا يندس في غير قابلٍ لاندسائه. وإذا دَسَّه فقد قُبِلَ ذلك القابل، وإذا قُبِلَ فما تعدى ذلك المدسوس وثبته؛ لأنه حَلَّ في موضعه، واستقر في مكانه؛ فما خاب مَنْ دَسَّه الحيلة المفهومة من الجرمان. فله العلم، وما له نيل الغرض؛ فخرمائه غَدَمٌ نيل غرضه. فإن العلم ما هو محبوب لكل أحد، ولو كان العلم محبوباً لكل أحد، ما قال من قال: "إنَّ العلم حجاب"، والحجاب عن الخير تنقُر منه الطباع. ونحن إذا قلنا: "العلم حجاب" فإنما نعني به (أنه) يحجب عن الجهل، فإنَّ الوجود والعدم لا يجتمعان، أعني النفي والإثبات. فما يخيب إلا أصحاب الأغراض، وهم الأشقياء. فمن لا غرض له، لا خيبة له. وأنت تعلم أنه إذا دَسَّ شيء في شيء؛ إن لم يسهه فلا يندس فيه، وإن اندس فقد وسَّعه، ولا يسهه إلا ما هو له.

فلكل دار أهل، وما نَمَّ في الآخرة إلا داران: جنة، ولها أهل؛ وهم الموحَّدون بأي وجه وحدوا، وهم الذين زكوا نفوسهم.

والدار الثانية: النار، ولها أهل؛ وهم الذي لم يوحَّدوا الله، وهم الناسون أنفسهم؛ فخابوا؛ لا بالنظر إلى دارهم، ولكن بالنظر إلى الدار الأخرى. فكما أنه لم يتعدَّ أحد هنا ما قُدِّر له، وما أعطته نشأته الخاصة به؛ كذلك لم يتعدَّ هنالك ما قُدِّر له موطنه، الذي هو معين لذلك الذي قُدِّر له.

فمن خُلِق للنعم فسَيُسَرُّ للسرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى¹، وَمَنْ خُلِقَ للجحيم فسَيُسَرُّ للعسرى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾² بنفسه على ربه، حيث طلب منه قلبه ليتخذ بيتاً له بالإيمان أو التوحيد ﴿وَاسْتَعْتَى﴾ بنفسه عن ربه في زعمه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾³ وهي أحكام الأسماء الحسنى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾⁴ فهذا تيسير التيسير. وهو تشبيه الدس؛ فإنَّ الدس يؤذن بالعسر. لا بالسهولة. فلو حمد أحد أن يدخل فيما لا يسهه؛ ما تمكَّن له ذلك جملة واحدة، وما كلف الله نفساً إلا وسعها في نفس الأمر. ولذلك وسَّعت رحمته كل شيء، وزال الغضب، وارتفع حكمه، وتميَّنت المراتب، وبانت المذاهب، وتميَّز المركوب من الراكب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 96

2 [الليل : 5 - 7]

3 [الليل : 8]

4 [الليل : 9]

5 [الليل : 10]

6 ص 97

7 [الأحراب : 4]

الباب الرابع والثمانون وأربعمئة

في حال قطب كان منزله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ. وَأَنتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ.
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾¹

لِرُؤْيَا مَنْ يَلْقَاهُ وَهُوَ بِعَيْنِهِ	إِذَا اخْتَصَرَ الْإِنْسَانُ هَيَا ذَاتَهُ
وَلَيْسَ يَرَاهُ الشَّخْصُ مِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ	فِيَا عَجَبًا مِنْ غَائِبٍ وَهُوَ حَاضِرٌ
فَإِنْ وَجُودَ الْحَقِّ فِي سَتْرِ صُورِهِ	فَلِإِنْ زَالَ عَنْ عَرِكِيهِ وَهُوَ زَائِلٌ
فَلَوْ زَالَ ذَلِكَ الْقُرْبُ قَامَ بِعَوْنِهِ	وَمِنْ ² قَرُوبِ الشَّيْءِ كَانَ جِجَابُهُ
وَحُصَّ بِهَذَا الْوَصْفِ مِنْ أَجْلِ حِينِهِ ³	فَيَنْفُذُهُ حَالًا وَعَيْنًا بِعَيْنِهِ
عَلَى عِزِّهِ فَيُنَايِزُهُنَّ وَشَيْئِهِ	فَتُبْحَنُ مَنْ لَا تَشْهَدُ الْقَيْنُ غَيْرُهُ
فِي بَيْنِهِ كَانَتْ شَوَاهِدُ بَيْنِهِ	فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا فِي وَجُودِي وَكُونِهِ

الْبَيْنُ الْأَوَّلُ: الْوَصْلُ، وَالْآخَرُ: الْفِرَاقُ، وَلَيْسَ إِلَّا آخِرُ الْأَفَاسِ؛ فَمَا بَعْدَهُ نَفْسٌ خَارِجٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ
وَقَدْ خَرَجَ، وَفَارَقَ الْقَلْبَ بِصُورَةٍ مَا كُشِفَ لَهُ. فَإِنْ كَانَ الْكَشْفُ مُطَابِقًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ فَهُوَ السَّعِيدُ، وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مُطَابِقًا فَهُوَ بِحَسَبِ مَا كُشِفَ قَبْلَ فِرَاقِهِ الْقَلْبَ؛ لِأَنَّهُ هُنَاكَ يَكْتَسِبُ الصُّورَةَ الَّتِي يُخْرِجُ بِهَا. وَهَذِهِ
بَيِّنَةٌ مِنْ اللَّهِ بِعَبْدِهِ، حَتَّى لَا يَقْبِضَ اللَّهُ عِبْدًا مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا كَمَا أَخْرَجَهُ مِنْ بطن أُمِّهِ عَلَى الْفِطْرَةِ.

فَإِنَّ الْمُحْتَضَرَ مَا فَارَقَ مَوْطِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى أَهْبَةِ الرَّحِيلِ؛ رَجُلُهُ فِي غَزَزٍ رِكَابُهُ⁴، وَهُنَاكَ يَنْكَشِفُ
لَهُ شَهَادَاتُ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ (تعالى): ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁵ وَقَوْلُهُ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ: ﴿وَنَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ
يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾⁶. غَيْرَ أَنَّ الَّذِينَ يَقِينَتْ لَهُمْ أَفَاسٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ، لَا يُبْصِرُونَ مَعِيَّةَ الْحَقِّ فِي أَيْتَةِ هَذَا
الْعَبْدِ؛ فَإِنَّهُمْ فِي حِجَابٍ عَنْ ذَلِكَ. إِلَّا أَهْلُ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَكْشِفُونَ مَا هُوَ لِلْمُحْتَضَرِّ. مُشْهُودٌ، كَمَا كَانَ الْأَمْرُ
عِنْدَهُمْ. فَإِنْ عَمَّ قَوْلُهُ: ﴿لَا تُبْصِرُونَ﴾ فَإِنَّهُ يَرِيدُ النُّوْقَ، فَإِنَّ ذَوْقَ كُلِّ شَاهِدٍ فِي شَهِيدِهِ لَا يَكُونُ لغيرِهِ.

1 [الرافعة : 83 - 85]

2 ص 77

3 المئين: الهلاك

4 ص 98

5 [الحديد : 4]

6 [الزمر : 47]

وإن اتَّصف بالشهود. فالحقُّ عند العارف في العين، وعند غير العارف في الأين. فبرحمته من الله كان هذا الفضل من الله.

ولولا النار ما تجذب أهلها جذب المغناطيس الحديد، ولولا أهلها ما هم كأولاد أم عيسى¹ مع الضيع؛ ما رموا نفوسهم فيها. يقول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ لَتَتَقَحَّمُونَ فِي النَّارِ كَالْفَرَّاشِ وَأَنَا أَخَذُ بِحُجْرَتِكُمْ» فشبههم بالفراش، الذي يعطيه مزاجه أن يلقي نفسه في السراج فيحترق. ولكن هؤلاء هم الذين هم أهلها. وأما من يدخلها ورودا عارضا، لكونها طريقا إلى الدار الجنان، فهم الذين يتبرّمون بها، وتخرجهم شفاعته² الشافعين وعناية أرحم الراحمين، بعد أن تنال منهم النار ما تقتضيه أعمالهم. كما أن الذين هم أهلها، في أول دخولهم فيها، يتألّمون بها أشدّ الألم، ويسألون الخروج منها. حتى إذا انتهى الحد فيهم؛ أقاموا فيها بالأهليّة، لا بالجزاء؛ فعادت النار عليهم نعيما، فلو غرضوا عند ذلك على الجنة لتألّموا لذلك القرض.

فينقدح لهذا³ الذكر أعني لأهله- مثل هذه المعارف الشهوديّة. فإن ادّعى أحد هذا الهجير، وجاء بعلم غير مشهود به معلومه رؤية بصري؛ فليس ذلك نتيجة هذا الذكر، بل ذلك أمر آخر. فلينتظر فتح هذا الذكر الخاص الذي هو هجير، حتى يمن الله عليه بالشهود البصري، لا بدّ من ذلك، فإنّ الموطن يقتضيه. قال الله ﷻ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾⁴ فهو يرى ما لا يرى من عنده من أهله الذين حجبهم الله تعالى- عن رؤية ذلك، إلى أن يأتيهم أجلهم أيضا. جعلنا الله ﷻ في ذلك المقام ممن يشهد ما يُسرّه لا ما يسوّه، آمين بعزّه. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ عِنْدَ السَّبِيلِ﴾⁵.

1 أم عيسى: الزرافة

2 ص 98

3 هناك تعديل في الهامش بقلم آخر: لأهل هذا

4 [ق: 22]

5 [الأحزاب: 4]

الباب الخامس والثمانون وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِرُونَ**^١

إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ النِّعَمُ فَمَنْ يُرِيدُ	تَخْصِيلَهُ قَبْلَ الْمَنَافِ فَقَدْ أَسَا
إِلَّا النِّعَمَ بِرَبِّهِ وَشُكْرِهِ	فَهُوَ الْمَرْجِي فِي لَقَلٍّ وَفِي عَسَى-
عِنْدَ الْحَقِّ وَالْخُصْصِ بِالْهُدَى	وَتَسَهَّلَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ فِي عَسَا
الوَاجِدُ الْفَرْدُ الَّذِي يُوجِدُهُ	لَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْمُتَيْنِ مُوَسَّاسَا
وَهُوَ الَّذِي عِنْدَ إِلَهِهِ مَقَامُهُ	إِذْ كَانَ مِنْ أَذْنَى الْخَلَائِقِ مَجْلِيسَا

يقول الله تعالى: «أنا جليس من ذكرني» ومجالسة الحق بما يقتضيه مقام ذلك^٢ الذكر، كان ما كان.

فاعلم أَنَّ نِيَّةَ الْعَبْدِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَالنِّيَّةُ إِرَادَةٌ، أَيْ: تَعَلُّقٌ خَاصٌّ فِي الْإِرَادَةِ؛ كَالْهَبَةِ، وَالشَّهْوَةِ، وَالكَرْهِ. فَالْعَبْدُ بِمَحِثِ إِرَادَتِهِ. فَلَا يَخْلُو فِي إِرَادَتِهِ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِالْمَرَادِ، أَوْ لَا يَكُونَ. فَإِنْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ فِيهَا؛ فَلَا يَرِيدُ إِلَّا مَا يَلَانِمُ طَبْعُهُ، وَيَحْصُلُ غَرْضُهُ. وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَرَادِهِ؛ فَقَدْ يَضُرُّرُ بِهِ إِذَا حَصَلَ لَهُ. فَإِنْ رَاعَى الْحَقَّ الْإِرَادَةَ الطَّبِيعَةَ الْأَصْلِيَّةَ، نَعَمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَرِيدٍ إِنَّمَا يَطْلُبُ مَا يُسَرُّ بِهِ لَا مَا يَسُوؤُهُ، وَلَكِنْ يَجْهَلُ الطَّرِيقَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْقَاصِدِينَ، وَيَعْرِفُهُ بَعْضُهُمْ. فَالْعَالِمُ بِحَسَبِ طَرِيقٍ مَا يَسُوؤُهُ، وَالْجَاهِلُ لَا عِلْمَ لَهُ. فَإِنْ حَصَلَ لَهُ مَا يُسَرُّهُ؛ فَبِالْعَرَضِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَبِالْعَنَاءِ الْإِلَهِيَّةِ بِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَا يَخْشَى أَحَدًا فِي مَرَادِهِ، كَانَ الْمَرَادُ مَا كَانَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِرَادَةَ الطَّبِيعِيَّةَ (هِيَ) مَا قَلَنَاهُ، وَهِيَ الْأَصْلُ. وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ مِرَاعَةَ الْأَصْلِ لَنَا، وَلِبَعْضِ الْخَلْقِ ابْتِدَاءً، وَإِنَّمَا الْإِنْتِهَاءُ فَلِإِلَهِهِ مَصِيرُ الْكُلِّ.

فَإِذَا وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُؤَفِّي كُلَّ أَحَدٍ عَمَلَهُ، أَيْ أَجْرَهُ عَمَلِهِ فِي الزَّمَانِ الَّذِي يَرِيدُهَا، وَلَا يَخْشَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ، إِنْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا؛ فَلَا حِطَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ الْجَنَّةُ أَوْ النَّعِيمُ، الَّذِي يَنْتَجِهُ الْعَمَلُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَوْفَاهُ فِي الدُّنْيَا. فَإِنْ سَعِدَ بِثَلَاثَةِ رَاحَةٍ؛ فَذَلِكَ مِنَ الْأَمَمِ الْوَهَّابِ.

1 ص 99

2 [هود : 15]

3 ص 99

4 ص 100

والإنعام الذي لا يكون جزاء؛ فلا يكون لمن هذه حاله لمن سعد- إلا نعيم الاختصاص، سكن حيث سكن، واستقر حيث استقر. فإن كان ممن يريد الحياة الدنيا، ونقصه من ذلك نفس واحد لم ينعم به؛ فليس هو ممن وفق الله له فيها عمله؛ لأنه ما مكّنه من كلّ ما تعلّق به إرادته في الحياة الدنيا.

وهل يتصور وجود هذا مع فرصة البرغوث والعثرة المؤلمة في الطريق، أو لا؟ فالآية تتضمن الأمرين، وهي في الواحد الحال وقوعه في الوجود أظهر؛ فإنه بعيد أن لا يتألم أحد في الدنيا؛ فمن أراد الحياة الدنيا فقد أراد الحال. فلو صح أن يقع هذا المراد؛ لكان على الوجه الذي ذكرناه، لكنه ليس بواقع. وأمّا الأمر الآخر؛ فإنه إذا تألم مثلاً بفرصة برغوث، إلى ما فوق ذلك من أكبر أو أصغر؛ فإن كان مؤمناً فله عليه ثواب في الآخرة، فيكون هذا المريد الحياة الدنيا يعطيه الله ذلك الثواب في الدنيا معجلاً¹ فينعم به.

كما كان يفعل الله -تعالى- بأبي العباس السبتي بمراكش من بلاد المغرب، رأيت وفاروضته في شأنه، فأخبرني عن نفسه أنه استعجل من الله في الحياة الدنيا ذلك كلّهُ، فعجّله الله له. فكان يُمرض ويشفى، ويحيي ويميت، ويؤلي ويغزل، ويفعل ما يريد. كلّ ذلك بالصدقة، وكان ميزانه في ذلك سباعيًا. إلا أنه ذكر لي قال: "خبأت لي عنده سبحانه ربع درهم لآخرتي" فشكرت الله على إيمانه، وسررت به. وكان شأنه من أعجب الأشياء، لا يعرف ذلك الأصل منه كلّ أحد، إلا من ذاقه، أو من سأل عن ذلك من الأجانب أولي الفهم فأخبرهم، غير هذين الصنفين لا يعرف ذلك.

وقد يعطي الله -تعالى- ما أعطى السبتي المذكور، لا من كونه أراد ذلك، ولكن الله عجل له ذلك، زيادة على ما آخره له في الآخرة، فإنه غير مريد تعجيل ذلك المُخَر؛ كسر الراعظ بالأندلس، ومن رأينا من هذا الصنف. وعملت أنا عليه زماناً في بلّني، في أول دخولي هذا الطريق، ورأيت فيه عجائب. وكان هذا لم من الله ولنا، لا من إرادتهم، ولا من إرادتنا. ولو عرف أبو² العباس السبتي نفسه، معرفتي بها منه؛ ما استعجل ذلك؛ فإنه كان على صورة لا يكون عنها إلا هذا، إلا أنه سأل ذلك من الله؛ فأعطاه إياه عن سؤال منه. ولو سكت؛ لفاز بالأمرين في الدارين. لكنّ تجلّهُ بنفسه، وطبعها الذي طبعَتْ عليه، وصورته التي ركبها الله عليها؛ جعلته يسأل؛ فحسر حين ربح غيره، والعمل واحد. ولهذا يُفزع بالعلم؛ لأنه أشرف صفة يتحلّى بها العبد.

واعلم أن الحياة الدنيا ليست غير نعمها، فمن فاتته من نعمها شيء فما وُقيت له، وما ذكر الله إلا توفية العمل؛ فهو نعيم العمل، وصبره -الذي ذكرناه- على العثرة في محلّ التكليف وفرصة البرغوث، وإن لم يكن

1 من 100 ب

2 من 101

مؤمنًا في الدار الآخرة؛ وقاه الله ما يطلبه ذلك العمل في الحياة الدنيا. لما أعطى الله أحدًا الحياة الدنيا مَخْلُصَةً قَطًّا، ولا هو واقع. ولو وقع له كلُّ مراد لكان أسعد الخلق؛ فإنه من إرادته النجاة، والبشرى من الله تعالى- له بها، وإن لم يكن مؤمنًا. فما وقع المشروطُ وَقُوعَ عموم الشرط، فافهم، واعمل بحسب ما تعلم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ¹﴾².

الباب السادس والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَقْبِضْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾¹

أَلَا إِنَّ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي قَدْ	خَبَأَ اللَّهُ بِالشَّرَفِ الْقَلِيدِ
فَمَنْ يَقْبِضْ الرُّسُولَ فَقَدْ عَصَاهُ	وَعَبِيرُهُ بِتَفْصِيلِ الْوُجُودِ
فَرَامَ بِهِ فَلَمْ يُمَيِّزْ عَلَيْهِ	لَمَّا فِي الرَّبِّ مِنْ نَقَمِ الْعَبِيدِ
فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ إِذْ لَمْ يَجِدْهُ	يَمِيرُهُ لَهُ حَالُ الشُّهُودِ
فَتَرَكَبُ نَارَهُ مَثْنٍ اغْتِرَافِ	وَتَرَكَبُ نَارَهُ مَثْنٍ الْجُحُودِ
فَسُبْحَانَ الْخَصِصِ كُلِّ جَزَبِ	بِالْآلَامِ وَلِلنَّاتِ الْمَرْهُودِ

﴿مَنْ² يَجْلِعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ³﴾ لَأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ إِلَّا عَنِ اللَّهِ، بَلْ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِاللَّهِ، بَلْ لَا يَنْطِقُ إِلَّا اللَّهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ صَوْرَتُهُ. وما ورد: "وَمَنْ يَعْصِ الرُّسُولَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ"، كما أنزله في الطاعة؛ لَأَنَّ طَاعَةَ الْخَلْقِ لِلَّهِ ذَاتِيَّةٌ، وَعَبِيَّاتُهُ بِالْوِاسِطَةِ. فلو أنزل هنا الرُّسُولَ كما أنزله في الطاعة لم يكن إلهاً، وهو إليه؛ فلا يُعَصَى إِلَّا بِحِجَابٍ، وليس الحِجَابُ سِوَى عَيْنِ الرُّسُولِ. ونحن اليوم أبعدُ في المعصية للرُّسُولِ من أصحابه، إِلَى مَنْ دُونِهِمْ إِلَيْنَا. فنحن ما عصينا إِلَّا أُولَى أَمْرُنَا فِي وَقْتِنَا وَهُمْ الْعُلَمَاءُ مَتَا- بما أمر الله به ونهى عنه.

فنحن أَقَلُّ مُوَاحِدَةً وَأَعْظَمُ أَجْزَاءً؛ لَأَنَّ لِلْوَاحِدِ مَتَا أَجْرَ خَمْسِينَ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ الصَّحَابَةِ. يقول ﷺ: «لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِكُمْ» فاجعل بالك لكونه لم يقل: "منكم" ثم قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فذكر الله تعالى-، وذكر الرُّسُولَ، وذكرنا -اعني أُولَى الْأَمْرِ مَتَا- وهم الذين قَدَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وجعل زَمَانَنَا بِأَيْدِيهِمْ. ولم يكن رسول الله ﷺ يقدِّم في السرايا وغيرها إِلَّا مَنْ هُوَ أَعْلَمُهُمْ، وما كان أعلمهم إِلَّا مَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ قِرَاءَةً؛ فَكَانَ يقدِّمُهُ عَلَى⁵ الْجَيْشِ، ويجعله أميراً.

وما خَصَّ الاسم "الله" مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾؛ إِذْ كَانَ "الله" هُوَ الْأَسْمُ الْجَامِعُ، فَله معاني جميع الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، كما هو للتجلي جميع الصور. كذلك الْخَلِيفَةُ هُوَ الرُّسُولُ- وَأُولُو

1 [الأحزاب : 36]

2 ص 102

3 [النساء : 80]

4 [النساء : 59]

5 ص 102 ب

الأمر متنا؛ لا بد أن يظهروا في جميع الصور التي تحتاج إليها الرعايا. فمن باع الإمام فإنما يبيع الله تعالى، ولا تصح المعصية إلا بعد العقد، وقد وقع في أخذ الميثاق والعهد، في قوله تعالى: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾¹ ثم ألقه الحجر الأسود وأمر بتقبيله؛ تذكراً. وأخبر بلسان الرسول أن الحجر يمينه، فأمر ببيعة محمد رسول الله ﷺ وقال في الذين يبايعونه: ﴿إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾² فأنزله منزله، ولم ينزل الحجر منزله بالذكر؛ فعظم قدر ابن آدم.

قَبْلُ؛ فَإِنْ يَمِينُ الْعَهْدِ فِي الْحَجَرِ ³	وَأَمِنْ رُتْبَتُهُ مِنْ رُتْبَةِ الْبَشَرِ؟!
إِنَّ الْمَبَايَعَ مِنْ تَغْوِ الْوُجُوهَ لَهُ	الوَاجِدُ الْأَخَذَ الْقِيَوْمَ بِالْصُّورِ
إِنْ شَاءَ فِي مَلِكٍ، إِنْ شَاءَ فِي بَشَرٍ	إِنْ شَاءَ فِي شَجَرٍ، إِنْ شَاءَ فِي حَجَرٍ
فَمَا تَهْبِذُهُ ذَاتٌ وَلَا عَرَضٌ	وَمَا لَهُ فِي وُجُودِ الْكَوْنِ مِنْ أَثَرٍ
بَلِ الْوُجُودُ هُوَ الْحَقُّ الصَّرِيحُ فَلَا	تَرْوُهُ غَيْرًا فَيَذْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ
هُوَ الْمَوْثُورُ وَالْآثَارُ قَاتِمَةٌ	بِالْحَقِّ فَيَتَمَازَا فِيهِ ذُو بَصَرٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا أَمْرُ الْوُجُودِ وَمَا	فَضَّلَ الْكَوْنُ مِنْ ثَمَعٍ وَمِنْ خَرَبٍ
فَمَا تَكُونُ لِحَقِّ صُورَةٍ أَبَدًا	وَلَا تُضَافُ إِلَيْهِ آخِرُ الْعُمُرِ
هُوَ الْمَطَاعُ فَمَا تُقْصَى أَوَامِرُهُ	وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فِي الْأَمْرِ وَفِي الذِّكْرِ
بِالشَّمْسِ يَظْهَرُ مَا فِي الْبَنَرِ مِنْ صِفَةٍ	فَأَنْتَ فَمَنْسٌ وَعَيْنُ الْحَقِّ فِي الْقَمَرِ
وَلَيْسَ فِي الْبَذْرِ مَا الْأَنْصَارُ تُذَكِّرُهُ	لَكِنَّهُ هَكَذَا تُذَكِّرُهُ فِي النَّظَرِ
فَكَوْنُهَا فِي وُجُودِ الْحَقِّ مُغْلَطَةٌ	فَالْأَمْرُ أَلْغَمَضُ بِالْبَرْهَانِ وَالْحَبَرِ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ فـ﴿لَيْسَ كَلِمَتُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁵ وذلك هو الفضل المبين.

1 [الأعراف : 172]

2 [النصح : 10]

3 "العهد.. الحجر" كتب على كل منها إشارة وما كانت "صح". وفي مقابلها في الهامش مكتوب بخط الشيخ: "البيعة الحجر" كدلالة على صواب القراءة كذلك بحيث يكون هذا الصدر: "قبل فلن يمين البيعة الحجر"

4 ص 103

5 ص 103 ب

6 [الصافات : 180 - 182]

7 [الشورى : 11]

أقول له: أنت. يقول لي: أنت. أقول له: فأننا. يقول لي: لا، بل أنا. فأقول له: فكيف الأمر؟ فيقول: كما رأيت. فأقول: فما رأيت إلا الحيرة؛ فلا تحصيل مني ولا توصيل منك. فيقول: قد أوصلتك. فأقول: فما بيدي شيء! فيقول: هو ذاك الذي أوصلت، فعليه فاعتمد، وبالله فتأيد¹.

فَمَا فِي الْكَوْنِ مَنْ يُدْرَى سِوَاهُ وَمَنْ يُدْرِكُ سِوَاهُ فَمَا دَرَاهُ
وَمَنْ يُدْرِكُ مَعَ الْخَلَاقِ خَلْقًا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ جَهْلِ سَمَاهُ
وَمَنْ يُدْرِكُ مَعَ الْمَخْلُوقِ حَقًّا يَرَاهُ وَمَا يَرَاهُ فَمَا سَرَاهُ²
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 لعلها: فاتحد

2 ربما كانت: "عراه" فالعرف الأول أهملت قطعه

3 [الأحراب: 4]

الباب السابع والثمانون وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا¹ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُخَيِّتَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً²﴾

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ مِيزَانٌ	فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَقْصٌ وَرُخْصَانٌ
فَالصَّالِحُونَ لَهُمْ وَزْنٌ يُخْصِمُهُمْ	وَالطَّالِبُونَ لَهُمْ فِي الْحَقِّ مِيزَانٌ
فَمَنْ يَتَّقُ يَتَّقُ بِوِزْنٍ فِي تَقْلِبِهِ	يَسْتَعِذُّ، وَإِنْ جَاءَهُ فِي ذَاكَ بَرَهَانٌ
لَإِنْ مِيزَانُهُ وَفِي خَفِيفَتِهِ	وَلَوْ يُسَاعِذُهُ فِي ذَاكَ شَيْطَانٌ
لِذَاكَ قَالَ لِمَنْ وَفَى طَرِيقَتُهُ	مِنْ خَلْقِهِ مَا لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ

قال الله تعالى: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ³﴾ و﴿إِنَّهُ يَضَعُ الْقَلَمَ الطَّيِّبَ وَالْقَلَمَ
الصَّالِحَ⁴﴾ فالعمل الصالح له الحياة الطيبة، وهي تعجيل البشري في الحياة الدنيا كما قال تعالى⁵: ﴿لَهُمْ
الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا⁶﴾ فيحيا في باقي عمره حياة طيبة، لما حصل له من العلم بما سبق له من سعادته
في علم الله بما يزول إليه في أبده.

فتَهَوُّوْهُ عليه هذه البشري ما يلقاه من المشقات والعوارض المؤلمة؛ فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وكلامه صِدْقٌ،
وقد خوطب بالقول الذي لا يبدل لديه. وكذلك، أيضا، للعمل الصالح التبدل؛ فيبدل الله سيئاته
حسنات، حتى يودُّ لو أنه أتى جميع الكبائر الواقعة في العالم من العالم كله، على شهود منه عين التبدل
في ذلك.

وقد لقيت من هو بهذه الحال، بمكة، من أهل تُوْزُر من أرض الحريم، ولقيت أيضا بأشيلية أبا
العباس العربي شيخنا من أهل الفُلَايا بغرب الأندلس، ما لقيت في عمري إلا هذين من أهل هذا النوق.
وكذلك للعمل الصالح شُكْرُ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ الْغُفُورُ الشُّكُورُ؛ فَسَعِيَهُ مَقْبُولٌ، وكلامه مسموع. ولو لم يكن في

1 ص 104، ووردت بناية الآية وفق ما جاء في [النساء : 124]: "وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ..."، واستكلت وفق ورودها هنا.

2 [النحل : 97]

3 [النور : 26]

4 [فاطر : 10]

5 ص 104ب

6 [يونس : 64]

العمل الصالح إلا إلحاق عامله بال صالحين، وإطلاق هذا الاسم عليه؛ لكان كافياً. فإنه مطلب الأنبياء عليهم السلام، وهم أرفع الطوائف من عباد الله، والصالح أرفع صفة لهم. فإن الله أخبرنا عنهم، أنهم مع كونهم رسلاً وأنبياء¹، سألوا الله أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين. وذكر في أولي العزم من رسله، أنهم من الصالحين، في معرض الثناء عليهم. فالصالح يكون أخصّ وُصف للرسل والأنبياء عليهم السلام، وهم بلا خلاف أرفع الناس منزلة، وإن فُضِّل بعضهم بعضاً.

ومن نال الصلاح من عباد الله، فقد نال ما دونه؛ فله منازل الرسل والأنبياء عليهم السلام، وليس برسول ولا نبي. لكن يغبطه الرسول والنبي؛ لما يناله الرسول والنبي من مشقة الرسالة والنبوة؛ لأنها تكليف، وبها حصلت لهم المنزلة الزلفى. ونالها صاحب العمل الصالح المغبوط، من غير ذوق هذه المشقات. ومن هنا تعرف ما مُسمّى الرسول والنبي، وتعرف معنى قول الرسول ﷺ في قوم: «تَنَصَّبُ لَهُمْ مَنَائِرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوْقِفِ؛ يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، وَيَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ، ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾² ليسوا بأنبياء، يغبطهم النبيون» حيث رأوا تحصيلهم هذه المنازل مع هذه الحال. فهم غير مستولين من بين الخلائق، لم يدخلهم في عملهم خلل من زمان توبتهم؛ فإن دخلهم خللٌ فلينسوا بالصالحين³.

فمن شرط الصلاح استصحاب العصمة في الحال، والقول، والعمل؛ ولا يكون هذا إلا لأهل الشهود الدائم، والعارفين بالمواطن، والمقامات، والآداب، والحكم. فيحكمون نفوسهم، فيمشون بها مشيهم من حيث هو على صراط مستقيم. فمن حياتهم الطيبة في الدنيا أنهم، وإن دَعَا الخلق إلى الله، فإنهم يدعونهم بلسان غيرهم، ويشهدون من سمع دعوتهم من المدعوتين، ومن يَرِدُ الدَّعوة منهم؛ فلا يألمون لذلك الرد؛ بل يتنعمون بالتبول نعمهم بالرد؛ لا يختلف عليهم الحال.

وسبب ذلك أن مشهودهم من الحقّ الأسماء الإلهية، وشهودهم إيّاها نعم لهم. فمن دعا؛ ما دعا إلا باسم إلهي؛ فالاسم هو الداعي. ومن ردّ، أو قبل؛ فما ردّ وما قبل إلا باسم إلهي. فالاسم هو القابل، والراذ. وهذا الشخص في حياة طيبة بهذا الشهود دائماً. ومن غيبه الله عن شهود هذا المقام؛ فإنه يألم طبعا، ويلاذ طبعا. وهو أكبر نعم أهل الله، وآلمهم. ولا تكون هذه الحياة الطيبة إلا أن تكون مستصحة، وما ينالها إلا الصالحون من عباد الله.

وإن ظهر منهم ما توجه⁴ الأمور المؤلمة في العادة، وقُظِهَرُ عليهم آثارُ الآلام؛ فالنفوس منهم في الحياة

1 ص 105

2 | الأنبياء : 103 |

3 ص 105 ب

4 ص 106

الطبيّة؛ لأنّ النفوس محلّها العقل، ليس الحس محلّها. فالأهم حسيّة، لا نفسيّة. فالذي يراهم؛ يحملهم في ذلك على حاله الذي يجده من نفسه، لو قام به ذلك البلاء. وهو في نفسه غير ذلك؛ فالصورة صورة بلاء، والمعنى معنى عافية وإنعام ﴿وَمَا يَفْقَهُهَا إِلَّا الْغَالِمُونَ﴾¹. فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾² في الدنيا ﴿وَحَسُنَ مَا أَتَىٰ فِي الْآخِرَةِ﴾. وهذا التنبيه على تحصيل هذا المقام كافٍ؛ فإنه مكتسب ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [العنكبوت : 43]

2 [الرعد : 29]

3 [الأحراب : 4]

الباب الثامن والثمانون وأربعمئة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْتَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِيَتَفَتِّهِنَّ فِيهِ ۚ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾¹

وَلِهَذَا زَوْجُهُ مِنْ جَنْبِهِ	كُلُّ شَخْصٍ زَوْجُهُ مِنْ نَفْسِهِ
كَثُرَتْ أَزْوَاجُهُ ² مِنْ نَفْسِهِ	فَهُوَ كُلُّ، وَهِيَ جُزْءٌ، فَلَنَا
إِنَّمَا أَوْجَدَهُ مِنْ أَنْسِهِ	وَكَذَا التَّيْسُومُ الَّذِي أَوْجَدَهُ
فِي تَبْيِضِ الْقُدَيْسِ أَوْ فِي قُدَيْسِهِ	وَلَنَا جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ
كَانَ عَيْنِيكَ؛ فَذَا مِنْ بَعْجِهِ	لَا تَمُدَّنْ إِلَى حُرْفَةٍ مِنْ
إِلَّا لِي تَبْصِرَهُ مِنْ أَنْسِهِ	وَفِيهِ مِيزَانُهُ لَا تَتَفَتَّ
بِكَ؛ لِلْجَنَعِ الَّذِي فِي أَنْسِهِ	إِنَّمَا يَأْتِسُ مَنْ لَنَسَتْ لَهُ
جَاءَ مِنْ شَيْطَانِهِ فِي مَسِّهِ	وَلَتَجَرِّدُهُ مِنَ الشُّكِّ وَمَا
لَيْسَ فِي التُّطْقِ بِهِ أَوْ أَنْسِهِ	وَلَتَفَرِّقُ بَيْنَ مَا تَسْمَعُ مِنْ
جَاءَ فِي مُحْكَمِهِ مِنْ لَبْسِهِ	وَلَتَخَفُّ ⁴ مِنْ زَلَلِ التُّطْقِ وَمَا

قال الله تعالى- في مثل هذه الآية، وهو من تمام هذا المنزل، ويدخله صاحبه في هجيره: ﴿وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَارْحُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾⁵ يَنْبِئُهُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ فِي إِذْكَارِهِ. وَرَزَقُ
رَبِّكَ (هُوَ) مَا أَعْطَاكَ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِكَ. وَمَا لَمْ يَعْطَاكَ سِوَهُ لَكَ- فَلَا بَدَّ مِنْ وَصُولِهِ إِلَيْكَ، وَمَا أَبْطَأَ
بِهِ إِلَّا الْوَقْتُ الزَّمَانِيُّ الَّذِي هُوَ لَهُ. وَمَا لَيْسَ لَكَ فَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ؛ فَتَتَعَبُ نَفْسُكَ حَيْثُ طَمَعْتَ فِي غَيْرِ
مَطْمَعٍ. وَمَا أَعْنِي بِقَوْلِنَا: "إِنَّهُ لَكَ" إِلَّا مَا تَنَالَهُ عَلَى الْحَدِّ الْإِلَهِيِّ الَّذِي أَبَاحَهُ لَكَ. وَإِنْ بَلَغَتْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ
الْحَدِّ؛ فَمَا بَلَغَتْ مَا هُوَ لَكَ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ؛ إِنَّمَا بَلَغَتْ مَا هُوَ لَكَ مِنْ جَانِبِ الطَّبَعِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا
مَا تَنَالَهُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ. فَالْحَقُّ لِلدُّنْيَا، وَالطَّبَعُ لِلْآخِرَةِ. وَالطَّبَعُ لَهُ الْإِبَاحَةُ، وَالْحَقُّ لَهُ التَّحْجِيرُ. وَإِنْ كَانَتْ

1 [طه : 131]

2 ص 106 ب

3 ن: "أرواحه" وصححت في الهامش بقلم آخر: "أزواجه" مع إشارة التصويب

4 ص 107

5 إِنْجِيل : 88، 89

الآخرة على صورة الدنيا، كما أنَّ اليوم المولود عن نكاح أمس لليلته؛ يخرج بصورته في¹ الزمان وقد لا يخرج في الحكم.

فانظر إلى عطايا ربك، فإنتها أكثر ما تكون ابتلاء، ولا تعرف ذلك إلا بالميزان. وذلك أنه كلَّ عطاء يصل إليك منه، فهو رزقُ ربك، ولكن على الميزان. فإن خرج عن الميزان، وهو لك طبعاً، فلا بدَّ لك من أخذه. فإنتاك أن تأخذه في حال غفلة، فخذ بحضور على كُزّه في نفسك، وجبر، واضطرار. وليكن حضورك في ذلك قوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَنِي﴾² فاطهر في هذا التَّيْل بصورة الحق في ذلك الحكم الذي لا تبدل له، ولا يصح أن يُبدل؛ فإنه هكذا غلغله، وهذه الصورة كان الأمر الذي أعطى العلم للحق به؛ ففي هذا الميزان حصَّة وزنة به؛ وهو ميزان خفي. فإن غيبتك الحق عن حال الكُزّه في ذلك فإنته من الإكراه- فاعلم أنك محروم.

فإنه لما كان من الإكراه حصول الكراهة في نفس العاقل لذلك العمل الخارج عن ميزان الأدب، دخل في حكم الميزان المأمور بالوزن به في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾³ وطمأنينته في هذه النزلة إنما هو بما له فيه من الكراهة. فيجمع في هذا الفعل بين حب الطبع وكراهة الإيمان؛ فإن الله حبب الإيمان للمؤمن، وكره إليه الفسوق والعصيان⁴ مع وقوعه منه، وجعلك من أهل الرشد.

ثم إنَّ الله جعلهن زهرة حيث كن. فإذا كن في الدنيا؛ كن زهرة الحياة الدنيا؛ فوقع النعم بهن حيث كن. وأحكام الأماكن تختلف؛ فهن وإن خلقت للنعم في الدنيا؛ فهن فتنة يستخرج الحق بهن ما خفي عنا فينا، بما هو به عالم ولا نعلمه من نفوسنا؛ فتقوم به الحجة لنا وعلينا. وهذا مقام أعطانيه الحق بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسة، قبل ذلك ما كان لي فيه فوق.

واعلم أنَّ المعصية لا تقع أبداً إلا عن غفلة أو تأويل، لا غير ذلك في حق المؤمن. وإذا وقع عين ذلك العمل من صاحب الشهود؛ فلا يستى معصية عند الله. وإن انطلق عليه لسان الذنب في العموم؛ فللفشاوة التي على أبصار المجربين؛ فيعزلهم الله فيما أنكروه على من ظهر منه هذا الفعل، وهو في نفس الأمر ليس بعاجز. مسألة الخضر مع موسى في قتل النفس: أين حُكِّم موسى ﷺ فيه من حُكِّم الخضر- ﷺ؟ وكل واحد له وجه في الحق ومستند. وهذا حال أهل الشهود: يشهدون المقدور قبل وقوعه في⁵

1 ص 107 ب

2 إق : 29

3 [النحل : 106]

4 ص 108

5 ص 108 ب

الوجود؛ فيأتونه على بصيرة؛ فهم على يقينة من ربهم في ذلك، وهو مقام لا يناله إلا من كان الله سمعه وبصره.

ولما كانت الزهرة دليلاً على الثمرة، ومنتزهاً للبصر، ومعطية الرائحة الطيبة هنا أعني في زهرة هذه المسألة- كان صاحب هذا الأمر من أهل الأنفاس، والشهود، والأدلة. ولست أعني بالأدلة أن ذلك عن فكر، وإنما هو في كشفه، لما جرت العادة به أن لا يُقال إلا بالليل النظري؛ أن يعطيه الله كشفاً بدليلاً؛ فيعرف أدلته كما يعرفه، وارتباطه بأدلته؛ فما يحصل له من علمه بوجوه الدلالات؛ فيكون علمه أتم من علم من يتطلى علم مدلول الليل، من غير علم الليل.

فما فتتهم الحق إلا بما سماه زهرة لهم؛ فإذا لم يدرك صاحب هذه الزهرة رائحتها، ولا شهدا زهرة؛ وإنما شهدا امرأة، ولا علم دلالتها التي سيقت له على الخصوص، وزوجت به، وتنعم بها، ونال منها ما نال بحيوائته لا بروحه وعقله؛ فلا فرق بينه وبين سائر الحيوان، بل الحيوان خير منه. لأن كل حيوان مشاهد لفضله المقوم له، وهذا الشخص ما وقف مع فضله المقوم¹، وليس له الفصول المقومة للحيوانات غيره؛ فهو لا حيوان، ولا إنسان؛ فإن كل حيوان جرى بفضله المقوم له على ما تعطيه حقيقة ذلك الفصل.

واعلم أن صاحب هذا الهجر يشاهد ما حير العقول، ولم تقدر على تحصيله؛ وهو العلم بالمرقي في المرأة؛ ما هو؟ وبالمرقي ما هو من حيث تعلق الرؤية؛ هل ينطبع المرقي في عين الرائي؟ أو أشعة نور البصر تتعلق بالمرقي حيث كان؟ وما من حكم إلا وعليه دخل إلا عند صاحب هذا الذكر؛ فإنه يعلم كيفية إدراك الرائي المرقي، وما هي الرؤية؟ ولماذا (=إلى ماذا) ترجع؟ وليس يعطيه هذا العلم من هذا الذكر إلا قوله: ﴿لَا تَمْدَنْ عَيْنُكَ﴾²، ولا خوطب إلا بما علم؛ فعملنا على القطع أن رسول الله ﷺ قد علم ذلك.

وما هو قوله: ﴿لَا تَمْدَنْ عَيْنُكَ﴾ عين قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَنْصَابِهِمْ﴾³ فإن الفص له حكم آخر؛ لأنه نقص مما تمتد العين إليه. والنقص هنا أن لا يمد إلى أمر خاص، أي إلى مرقي خاص. فإن فهمت يا ولي- ما نهتك عليه؛ علمت علماً ينفك في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَبْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 109

2 [طه : 131]

3 [النور : 30]

4 ص 109 ب

5 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع والثمانون وأربعائة في معرفة حال قطب كان منزله: «أَتَا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةً»¹

الاجْتِلَاءُ بِمَنْزِلِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ	هُوَ الْبَلَاءُ الَّذِي مَا فِيهِ تَنْفِيسٌ
فَالْمَالُ كُلُّهُ فَيَكُونُ الْأَمْرُ أَجْمَعُ	وَالْإِنْ صُورَتُهُ وَالْمَثَلُ تُحْدِثُ
بِهِ تَقْلُقُ نَفْسُ الْمَثَلِ فَاخْطِ بِهِ	فَأُضْلَهُ هُوَ سُجُوحٌ وَقُلُوسٌ
فَاخْطِرْ إِلَى خَلْقِنَا عَلَى التَّطَائِفِ فِي	أَسْمَائِهِ فِيهِ تَشْتِثُ وَتُجَنِّسُ

قال الله تعالى: ﴿الْقَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾² وقال عليه الصلاة والسلام: «يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو³ علم يبثه في الناس، أو ولد صالح يدعو له» فقد جمَعَ المالُ والبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وما تعطيه الباقيات الصالحات من الخير عند ربه وهو الثواب، ومن الخير المؤمَّل وهو البنون؛ لأنَّها من الباقيات الصالحات - أعني المالَ والبنين - إذا كان المالُ الصالح، والولدُ الصالح.

وأما العلم المذكور في هذا الخبر؛ فهو ما سَنَهُ من سُنَّةِ حَسَنَةٍ، وجعل الله المالَ والولدَ فِتْنَةً يَخْتَبِرُ بِهِمَا عِبَادَهُ؛ لِأَنَّ لهما بِالْقَلْبِ أَصُوقًا، وهما محبوبان طبعًا، ويتوصل بهما سُبُحًا بِالمال - إلى ما لا يتوصل بغير المال من أمور الخير والشرِّ. فإن غلبَ على العبدِ الطَّبَعُ؛ لم يقف في التصرف بماله عند حَدٍّ؛ بل ينال به جميع أغراضه. وإن غلبَ على العبدِ الشَّرْعُ وقَفَ في التصرف في ماله عند ما حَدَّ له فيه زِينَةُ؛ فلم ينل به جميع أغراضه. وما سَمِيَ المالُ مالا إِلَّا لَكُونِ الْقَلْبُ مالَ إليه؛ لما فيه من بلوغ العبدِ إذا كان صالحًا - إلى جميع الخيرات، التي يجدها عند ربه في المتقلب. وإذا لم يكن (العبدُ) تامَّ الصَّلاح؛ فلما فيه من بلوغه أغراضه به.

وأما الولد؛ فلما كان لأبويه عليه ولادة؛ أَحَبَّاهُ ومالاً إليه مِثْلَ الْفَاعِلِ⁴ إلى ما اضطلع عنه، ومِثْلَ الصَّانِعِ إلى مصنوعه. فَنَبِلَهُ لِحُبِّ الْوَلَدِ مِثْلَ ذَاتِي، فإن كرهه فبأمر عارض: لأَخْلَاقِ ذِمِّمَةٍ، وصفات شَرِّةٍ قُومِ

1 [الأخلاق : 30]

2 [التكوير : 46]

3 ص 110

4 كُتِبَ في الهامش بخط آخر: "وهو المُنْتَرَى" وعليها إشارة "صح".

5 ص 110 ب

بالولد؛ فَبَغْضُهُ عِزُّهُ.

فَيُطْلَعُ من هذا الهِجَرِ على سبب رحمة الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. فَإِنَّ الْعَالَمَ الْمَكْلُفَ كُلَّهُ مَصْنُوعُهُ. وهو من جملة مَنْ ظَهَرَ فِيهِ جِنْعُهُ؛ فَلَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ بِالذَّاتِ مَحْبُوبًا لِمُوجِدِهِ؛ حُبًّا بِالأَصَالَةِ. وَإِذَا وَقَّعَ عَلَيْهِ كُرَّةٌ فَمِنْ بَعْضِ أَعْمَالِهِ، وَأَعْمَالُهُ عِزِّيَّةٌ. وَمَعَ كَرَاهِيَتِهَا عِزِّيَّةٌ، فَمِنْهَا مَا يُؤَيِّدُ الأَصَالَةَ؛ وَهُوَ أَنَّ جَمِيعَ الأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَالْعَالَمُ مَحَلٌّ لظُهُورِ تِلْكَ الأَفْعَالِ، أَوْ هِيَ لِلْحَقِّ كَالآلَةِ لِلصَّانِعِ. فَتَلَبَّيْتُ الرَّحْمَةَ وَالْحُبَّةَ، وَتَأَخَّرَ حُكْمُ الْغَضَبِ، وَلَيْسَ تَأَخُّرُهُ إِلَّا عِبَارَةٌ عَنْ إِزَالَةِ دَوَامِ حُكْمِهِ.

وَمَا قَتَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَنَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا بِحُكْمٍ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّعَاوِي فِيمَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ؛ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَمْ حَقِيقَةً أَوْ كَسْبًا. فَلَوْ أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْبَيْدِ الإِلَهِيَّةِ الْخَالِقَةِ، وَرَأَوْا تَفْوِضَهُمْ آلَاتٍ صُنَاعِيَّةٍ، لَا يُمْكِنُ وَقُوعُ غَيْرِ ذَلِكَ؛ لَأَمَّا اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ. فَمَا اخْتَبَرَهُمْ إِلَّا لِيَعْتَرُوا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعِلْمِ؛ فَيُعْصِمُوا مِنَ الدَّعْوَى؛ فَيَسْعِدُوا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ¹ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ²﴾ فَخَارٌ وَلَمْ يَنْذَرْ؛ وَهُمْ الْقَاتِلُونَ بِالنَّكْسَبِ. وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ؛ وَهُمْ الْقَاتِلُونَ بِخُلُقِ الأَفْعَالِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ؛ فَهُمْ الَّذِينَ أَعْطَوْا كُلَّ آيَةٍ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ عَنْ اللَّهِ، أَوْ خَبَرَ نَبِيٍّ؛ حَقًّا، وَلَمْ يَتَعَلَّوْا بِهَا مَوَاطِنَهَا، وَلَا صَرَفُوهَا إِلَى غَيْرِ وَجْهَتِهَا. فَمَا يَوْجِبُ الْحَيْرَةَ مِنْهَا؛ كَانَ هُدَاهُمْ فِيهَا الْوُقُوفُ فِي الْحَيْرَةِ، فَلَوْ تَعَلَّوْهَا؛ مَا أَعْطَوْا الْآيَةَ حَقًّا، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ³﴾ وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ وَرَدَتْ فِي ثُبُوتِ الْحَيْرَةِ فِي الْعَالَمِ. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْمَقَالَةِ الْمَشْرُوعَةِ، وَجَعَلَ لَهَا الْحُكْمَ عَلَى مَا أَعْطَاهُ النَّظَرُ الْعَقْلِيَّ مِنْ قِيَاضٍ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ؛ فَذَلِكَ السَّالِمُ النَّاجِي. وَمَنْ زَادَ عَلَى الْوُقُوفِ الْعَمَلَ بِالتَّقْوَى؛ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فُرْقَانًا يَفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ أَصْحَابِ النَّحْلِ وَالْمَلَلِ. وَمَا تَقْطِئُهُ الأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي تَزِيلُ حُكْمَ الشَّرْعِ عِنْدَ الْقَاتِلِ بِهَا، فَيَتَأَوَّلُهَا لِيَرُدَّهَا إِلَى دَلِيلِ عَقْلِهِ؛ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ وَإِنْ أَصَابَ. فَعَلَيْكَ بِفُرْقَانِ التَّقْوَى؛ فَإِنَّهُ عَنِ شَهِيدٍ وَصَحَّةٍ وَجُودٍ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁴﴾ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ.

1 ص 111

2 [النحل : 36]

3 [الصافات : 96]

4 [الأحراب : 4]

الباب¹ الموفي تسمين وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾²

كَبُرَ الْمَقْتُ مِنَ اللَّهِ لَنَا	كَبُرَ الْمَقْتُ مِنَ اللَّهِ لَنَا
قَالَ قَوْلًا ثُمَّ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ	قَالَ قَوْلًا ثُمَّ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ
غَمَلَ اللَّهُ بِهِ فِي خَلْقِهِ	غَمَلَ اللَّهُ بِهِ فِي خَلْقِهِ
مِنْ قُتُوبِ الْخَيْرِ فَاسْتَبْصِرْ بِهِ	مِنْ قُتُوبِ الْخَيْرِ فَاسْتَبْصِرْ بِهِ
فِي وَجُودِ الْكُتُوبِ مِنْ لَفْظَةٍ كُنْ	فِي وَجُودِ الْكُتُوبِ مِنْ لَفْظَةٍ كُنْ

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح منه - أن الله ما أضاف الأفعال إلى الخلق؛ إلا تكون من أضاف الفعل إليه؛ هوية باطنية عين الحق؛ فلا يكون الفعل إلا لله. غير أنه من عباد الله من³ أشهده ذلك، ومنهم لم يشهده ذلك. فمن أشهده ذلك، وقال ما يمكن أن يكون بالفعل، وما فعل؛ فيعلم على التقطع شهودا أنه ما امتنع وقوع الفعل إلا لخروجه عن الإمكان العقلي؛ لأنه لم ير له صورة في الأعين الثابتة التي أعطت العلم لله. فكيف يقع في الوجود ما لا عين له في الثبوت؟ ولهذا أضاف المقت في ذلك إلى "عند الله"، فإن هذا الاسم جامع المتباينات من أحكام الأسماء، فمن جملة ما يدل عليه إثبات الإمكان؛ فمقت من حيث إثبات الإمكان؛ فالله هنا هو اسم خاص معين، وهو المتيب الإمكان. ويقال له نافي الإمكان؛ فيقول ما ثم إلا وجوب، غير أنه مقيد ومطلق؛ فلا يصح إطلاق هذا الاسم "الله".

فإذا قيل: فالمراد به التقيد، ويظهر بما يدل عليه الحال. فيعلم عن أي شيء ناب من الأسماء، فينظر في حكم ذلك الاسم، فيوجد أثره فيه؛ فتعلق المقت بمن قال خيرا يمكن له فعله، فلا يفعله. فاضطر إلى ذلك القول الخير؛ لا بد أن يجني ثمرته في الخير القاتل به، ولا سيما إن أعطى عملا في عامل في عباد الله، إلا أنه محروم. فما يكبر عند الله إلا تكون هذا القاتل هذا القول قال ولم يفعل ما قاله؛ إذا أطلع على ما حرم من الخير بترك الفعل؛ فقت نفسه أعظم المقت، ولا سيما إذا رأى غيره قد انتفع به عملا. فهو أكبر مقت عنده، بمقت به نفسه عند الله في شهوده في الآخرة. فهو أكبر مقت عند الله من مقت آخر؛ لا أن الله مقت؛ بل هو بمقت نفسه عند الله إذا صار إليه.

1 ص 111

2 الصف : 3

3 ص 112

4 ص 112

وللمقت درجات، بعضها أكبر من بعض، وهذا من أكبرها عنده؛ فيكشف له هذا الهجِيرُ هذا العلم. فإنَّ الناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها، فيقولون: "إنَّ الله مَقْتُهُمْ" وما يتحقّقون قوله تعالى: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي تمقّتون أنفسكم أكبر المقت عند الله إذا رجعت إليهِ. فإن قال ما نعتد صحته، ولم يقل ذلك إيماناً؛ فذلك المنافق. وإن قال ذلك إيماناً، ولم يفعل؛ فذلك المقرّط، وهو الذي يكبر مقتّه عند الله؛ لأنَّ إيمانه يعطيه الفعل، فلم يفعل. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ على السننهم والسنة غيرهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَسَدُّ تُحْشِيَةً﴾¹ وآتاهم الله أجراً عظيماً؛ لأنّه أضاف الفعل إلى القول، فعظم بالاجتماع على ما تكون² صورته إذا انفرد بقول دون فعل، وفعل دون قول.

وما أئمة الله بمن هذه صفته إلّا بالاسم المذكور؛ ليزيلهم به من حكم الاسم الحاذل فإنَّ الله ما يؤيّه إلّا من³ الاسم الذي لا حكم له في الحال. والتأنيّة على نوعين: تأنيّة بالصفة مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأتوا الكتاب⁴، وتأنيّة بالذات مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾⁵. فتى سمعت التأنيّة فلتنظر ما أئمه به، لا من أئمه به؛ فاعمل بحسب ما أئمه به من اجتناب أو غير اجتناب؛ فإنّه قد يؤيّه بأمر، وقد يؤيّه بنهي. كما يقول في الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وكما يقول في النهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾⁶ وكذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾⁷ فهذا تأنيّة إنكار. كأنه يقول في الأمر فيه: "افعلوا ما تقولون" وفي النهي: "لا تقولوا على الله ما لا تعلمون؛ فإنكم تمقّتون نفوسكم عند الله في ذلك أكبر المقت"، كما قررنا. فإذا أتى مثل هذا؛ كان له وجهٌ للأمر وجهٌ للنهي، وهذا هو الوجه. فيأخذه السامع بحسب ما يقع له في الوقت، وأيّ وجه أخذ به في أمر أو نهي؛ أصاب. وإن جمع بينهما؛ جنى⁸ ثمرة ذلك فيكون له أجران.

ومن الناس من يكشف له في هذا الهجِير أنّه القول الخاص، وهو أن يقول بإضافة الفعل إلى نفسه في اعتقاده؛ كالمعتزلي، فيطلع في كشفه على أنّ الأفعال لله، ليست له؛ فتمقت نفسه حيث تجملت مثل هذا. أكبر المقت عند الله. ويكون ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هنا عنديّة¹⁰ الشهود، حيث كان في الدنيا أو في الآخرة. فحقّه

1 [النساء : 66]

2 ص 113

3 مضافة في الهاء بلم الأصل، وصححت الكلمة التالية: "الاسم" بعد أن كانت: "بالاسم".

4 [النساء : 47]

5 [البقرة : 21]

6 [المائدة : 1]

7 [المائدة : 2]

8 [الصف : 2]

9 ص 113 ب

10 كلمة غير واضحة في حروفها المعجمة صفة قريبة من : "مخافة، أو بقاءه" وصححت فوقها بكلمة "عنديّة" بلم آخر مع إشارة التصويب

في الدنيا رجوعاً عن ذلك؛ فيسعد، ويلحق بالعلماء، بخلاف مثبته عند الله في الآخرة. فكأنه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾¹ إِنَّ الْفَعْلَ لَكُمْ، وما هو كذلك؛ فأضمت إليكم ﴿مَا لَا تَقُولُونَ﴾ و﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ منكم ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقُولُونَ﴾. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِهِ² فَإِنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هذا المنازع الذي يقول له: إِنَّ الْفَعْلَ لِلْخَلْقِ ﴿صَفًا﴾ لا خلل فيه ﴿كَأَنَّهُمْ بَيْنَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ لا خلل فيه، فيضيف الأفعال كلها لله، لا لمن ظهرت فيه.

فقد أفلح من كان هجيره هذه الآية؛ لأنه لا فائدة للهجير إلا أن يفتح لصاحبه فيه. فإذا رأيت ذا هجير لا يفتح له فيه؛ فاعلم أنه صاحب هجير لسانٍ ظاهرٍ لا يوافقه لسانٌ باطنٍ³. ومن هو بهذه المثابة لما هو مقصودنا بأصحاب الهجيرات. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [الصف : 2]

2 [الصف : 3، 4]

3 ص 114

4 [الأحزاب : 4]

الباب الأحد والتسعون وأربعمئة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾¹

إِنَّمَا الدُّنْيَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ	خَالَهَا ذَا فِي خُصُوصٍ وَغُمُومٌ
فَالَّذِي يَفْرَحُ فِيهَا مَا لَهُ	فَكُرَّةُ الْعَالَمِ بِالْأَمْرِ الْحَكِيمِ
إِنَّمَا الْأَمْرُ إِذَا حَقَّقْتَهُ	عَنْ شُهُودٍ فِي حَدِيثٍ وَقَدِيمِ
عِبْرَةٌ مُوَظَّعَةٌ قَدْ نُصِبَتْ	لِخَبِيرٍ ذِي تَجَارِبٍ غَلِيمِ
فَيُفْضِلُ اللَّهُ فَلَيفْرَحْ مَنْ	شَاءَ أَنْ يَفْرَحَ مِنْ أَهْلِ النِّعَمِ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ² بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾³ ففرحون به. ولا يفرح عاقل إلا بثابت، لا بزمان؛ ولهذا (كان) الفرح الذي تُسبب إلى الله في فرحه بهجة عبده. لأن التوبة أمر لازم دائم الوجود، ولا سببا في الآخرة؛ لأن العبد راجع إلى الله في كل ما هو عليه؛ إن كان في حال الحجاب: إيمانا، وإن كان مع رفع الحجاب: فشهود عين.

وهذا الهيجر ما هو من قول الله في النبي، وإنما حكى الله نبي قومه له فقال: ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ أي قوم فارون: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁴، فهل أصابوا في هذا الإطلاق ولم يقيّدوا، أم لا؟ فذلك أمر آخر. فإن كان اتكالهم في ذلك على قرينة الحال فقد قيدوا؛ لأن قرائن الأحوال تقيّد، وإن اقتضت الإطلاق في بعض المواطن؛ فهو تقيّد إطلاق، لا تقيّد ينتج لصاحب هذا الذكر الفرح بفضل الله وبرحمته. فينتج له قبيض ذكره؛ فتراه أبدا حزين القلب ما دام في الدنيا إلى الموت. وإن فُتح له ما يقع له به الفرح لو كان في غير هذا الهيجر وذلك إذا فُتح له فيما يوجب الفرح- يرى ما عليه من الشكر لله فيما فُتح له فيه؛ فيعظم حزنه أشد مما كان فيه قبل الفتح، كما فعل رسول الله ﷺ حين⁵ بُشِّرَ بأن الله غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر؛ فزاد في العمل شكرا لله؛ فقام حتى توارمت قدماءه، وقال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

1 [التقصص: 76]

2 ص 114 ب

3 [يونس: 58]

4 [التقصص: 76]

5 ص 115

ومن كان في مقام يريد أن يوفيه حقه؛ لا يمكن له الفرح إلا بعد أن لا يبقى عليه من حقه شيء، ولا يزال هذا الحق المعين على المكلف المبشر بفضل الله وبرحمته عليه، إلى آخر نفس يكون عليه في الدنيا. فلا يفرح إلا عند خروجه منها؛ فإنه لا يسقط عنه التكليف إلا بعد رحلته من دار التكليف، وهي الدار الدنيا. فمن ادعى هنا الذكر، ورؤي عليه الفرح؛ فما لهذا الذكر فيه أثر، وليس من أهله.

ولقد رأى بعض الصالحين رجلاً، أو شخصاً، يفرح ويضحك! فقال له: "يا هذا؛ إن كنت ممن بشره الله؛ فما هذه حالة الشاكرين لما بشرهم الله به، وإن كنت ممن لم يبشره الله؛ فما هذه حالة الخائفين!" فألكر عليه حالة الفرح في الوجدان، وهذا عين ما قلناه في هذا الهجير. وهذه الهبة المنفية محبة خاصة، لا كل محبة. فإن الهبة الإلهية لها وجوه كثيرة، ولا يلزم من انتفاء وجه منها انتفاء الوجوه كلها؛ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل¹.

الباب الثاني والتسعون¹ وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا.

إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾²

لَوْ بَدَأَ الْغَيْبُ لَغَيَّبَ لَمْ يَكُنْ	ذَلِكَ غَيْبًا؛ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَا
عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُهُ	لَا وَلَا يُظْهِرُ فِيهِ أَحَدًا
فَجَمِيعُ الْكَوْنِ مَشْهُودٌ لَهُ	مَا لَدَيْهِ غَائِبٌ مَا وَجِدَا
إِنَّمَا الْغَيْبُ لَنَا لَيْسَ لَهُ	وَلِهَذَا فِي الْوُجُودِ اقْتِرَا
وَلِنَا قَالَ لِمَنْ يَشْهَدُ: "كُنْ"	فَاتَّخِذْهُ يَا وَلِيِّي سَنَدًا

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح القدس - أنه من صادف العلم في ظنّه؛ أنه موصوف بالعلم عند نفسه، وإن كان نفعه العلم في نفس³ الأمر. ولهذا قال رسول الله ﷺ للرجل الذي وقع له أنها الفاتحة: «لَيْتَنِيكَ الْعِلْمُ» يعني في نفس الأمر، ثم يقول النبي ﷺ له: «لَيْتَنِيكَ الْعِلْمُ» فيما ذكر في واقعته، حصل له العلم في نفسه، كما هو في نفس الأمر؛ لا بدّ من ذلك.

فاعلم أنّ الغيب على قسمين: غَيْبٌ لَا يُعْلَمُ أَبَدًا؛ وليس إلّا هويّة الحقّ، ونسبته إلينا. وأمّا نسبتنا إليه فدون ذلك. فهذا غَيْبٌ لَا يُمْكِنُ وَلَا يُعْلَمُ أَبَدًا. والقسم الآخر: غَيْبٌ إِضَافِي. فما هو مشهودٌ لأحدٍ، قد يكون غيبًا لآخر. فما في الوجود غَيْبٌ أَصْلًا لَا يَشْهَدُهُ أَحَدٌ؛ وَأَدْقُهُ أَنْ يَشْهَدَ الْمَوْجُودُ نَفْسَهُ الَّذِي هُوَ غَيْبٌ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَى نَفْسِهِ؛ فما تمّ غيبٌ إلّا وهو مشهود في حال غيبته عَنْ لَيْسَ بِمُشَاهِدٍ لَهُ. فإذا ارتضى الله مَنْ ارْتَضَاهُ لِعِلْمِ ذَلِكَ؛ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ عِلْمًا، لَا ظَنًّا وَلَا تَخْمِينًا. فلا يُعْلَمُ إِلَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ، أَوْ بِإِعْلَامِ مَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ عِنْدَ مَنْ يُعْتَقَدُ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَهُ. وما عدا هذا فلا عِلْمَ بِغَيْبٍ أَصْلًا.

وإنما اختصّ بهذا الإعلام مَسْئَى الرُّسُولِ؛ لأنّه ما أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ الْغَيْبِ اقْتِصَارًا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَعْلَمَهُ لِيُعْلَمَهُ؛ فَتَحَصَّلَ لَهُ دَرَجَةُ الْفَضْلِيَّةِ⁴ عَلَى مَنْ أَعْلَمَهُ بِهِ، لِيُعْلَمَ مَكَانَتُهُ عِنْدَ رَبِّهِ؛ فَلهَذَا سَمَّاهُ رَسُولًا. وهذا النوع من الغيب لا يكون إلّا من الوجه الخاصّ؛ لا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ وَلَا غَيْرُهُ، إِلَّا الرُّسُولُ خَاصَّةً، سِوَاهُ كَانَ الرُّسُولُ مَلَكًا، أَوْ غَيْرَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُظْهِرَ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. وإنما قال بَأَنَّ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَا: ﴿لَيْتَنِيكَ مِنْ بَيْنِ

1 ص 115 ب

2 [الجن: 26، 27]

3 ص 116 ب

4 باقية في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

5 ص 116 ب

يَذِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رِضْدًا¹ عَصَّةً لَهُ مِنَ الشَّيْبَةِ الْقَادِحَةِ فِيهِ؛ فَهُوَ عِلْمٌ، لَا دُخُولَ لِلشَّيْبَةِ فِيهِ عَلَى صَاحِبِهِ. وَهَذَا هُوَ صَاحِبُ الْبَصِيرَةِ، الَّذِي هُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فِي عِلْمِهِ. وَلَهُ ذُوقٌ خَاصٌّ يُمَيِّزُ بِهِ، لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ إِذْ لَوْ شَارَكَ لَمَا كَانَ خَاصًّا. فَإِذَا جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِمَنْ يُعَلِّمُهُ؛ فَذَلِكَ لَيْسَ عِنْدَ هَذَا الْمُتَعَلِّمِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ قَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَمَا هُوَ عِنْدَ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُظْهِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَإِنَّمَا هُوَ مَا يَحْصُلُ لِأَيِّ عَالِمٍ كَانَ مِنَ الْوَجْهِ الْخَاصِّ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ لَيْسَ بِوَاقِعٍ فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّهُ يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ خَاصَّةً فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ عَلَّمَهُ؛ فَإِنَّهُ عَلَّمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَنْتَ مِنَ الْآخِرِينَ بِلَا شَكٍّ. وَأَمَّا فِي² غَيْرِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، فَقَدْ يُعْطَاؤُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْوَجْهِ الْخَاصِّ؛ فَلَا يَعْلَمُ إِلَّا مِنْهُ. فَهُوَ رَسُولٌ فِي تَعْلِيمِهِ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، هَذَا أُعْطَاهُ مَقَامَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلَيْسَتْ الْفَائِدَةُ إِلَّا فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ -تَعَالَى- فَإِنَّهُ الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ تُخَسَّنُ صُورَةُ الْعَالَمِ فِي نَفْسِهِ. فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ مِنَ الرَّسُولِ فِي الْمُتَعَلِّمِ أَعْظَمُ وَأَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَحْصُلُ لَكَ مِنَ الْوَجْهِ الْخَاصِّ، إِذَا كَانَ الْمَعْلُومُ كَوْنًا مِمَّا مِنَ الْأَكْوَانِ، لَيْسَ بِاللَّهِ. فَمَا الشَّرَفُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا فِي عِلْمِهِ بِاللَّهِ، وَأَمَّا عِلْمُهُ بِسُورَى اللَّهِ -تَعَالَى- فَفَلَا تَلَاةَ يَتَعَلَّلُ بِهَا الْإِنْسَانُ الْمُحْجُوبُ. فَإِنَّ الْمُنْصِيفَ مَا لَهُ هِمَّةٌ³ إِلَّا الْعِلْمُ بِهِ -تَعَالَى-، فَاحْمَدُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ بِاللَّهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَكُونُ مُحَمَّدِي الشُّهُودِ؛ إِذْ قَدْ قَطَعْنَا أَنَّهُ لَا عِلْمَ بِاللَّهِ الْيَوْمَ عَيْنًا يَخْتَصُّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. وَقَدْ أَشَارَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -إِلَى ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهَا فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾⁴.

وَهَذَا بَرُّ فَاجْتِثْ عَلَيْهِ، وَلَا تَقُلْ: "قَدْ حَجَرْتُ وَاسْعَا"؛ فَإِنِّي مَا حَجَرْتُ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْلَمَ، وَإِنَّمَا حَجَرْتُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْحَقِّ إِلَّا فِي صُورَةٍ مُحَدَّثَةٍ. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَعْظَمَ الرَّوْيَةِ: رَوْيَةُ مُحَدَّثَةٍ، فِي صُورَةٍ مُحَدَّثَةٍ. وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ قَسِي رَحِمَهُ اللَّهُ -فِي كِتَابِ "خَلْعِ النُّعْلَيْنِ" لَهُ. وَهُوَ رَوَيْتُنَا عَنْ ابْنِهِ عَنْهُ بَتُونَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَمَا رَأَيْتُ هَذَا النَّفْسَ لِفَرْدٍ؛ فَتَمَيِّزُهُ؛ فَإِنَّهُ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا. فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَمَا عَلَّمْتَهُ أَنَا مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- إِلْقَاءَ إِلَهِيًّا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، أَعْنِي مَا عَلَّمَهُ ابْنُ قَسِي فِي ذَلِكَ، يُمْكِنُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ابْنِ قَسِي خَلْفَهُ، أَوْ بَعْدَهُ، أَوْ فِي زَمَانِهِ -قَدْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَلَا شَرَفَ يَمْلُو شَرَفَ الْعِلْمِ، وَلَا حَالَةَ تَسْمُو عَلَى حَالَةِ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ.⁵

1 | الحين : 27

2 | ص 117

3 | ن: "مه" وكسب فوقها بلم الأصل: "مه".

4 | [الأسماء : 103]

5 | ص 117 ب

6 | في الهامش: "يلغ سماعًا ومقابلة".

الباب الثالث والتسعون وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَتَالِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَقِيقًا﴾¹ لأنهم لم يجدوه إذ كان عندهم

كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ خَالِقِهِ	فَلِهَذَا لَيْسَ فِي الْكَوْنِ حَدُوثٌ
مَا تَرَاهُ قَدْ نَشَى الْعِلْمُ بِهِ	حِينَ لَا يَتَقَهُ فِي الْكَوْنِ حَدِيثٌ
إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوهُ حَادِثًا	فَلِهَذَا السِّرُّ فِي ذَلِكَ خَبِيثٌ
مَا نَشَى ³ بِالْعِلْمِ فِيهِ أَحَدٌ	غَيْرَ مَفْشُوهِ بِتَهْوِيلٍ أَوْ خَبِيثٌ
إِنَّمَا يَعْلَمُ مِنْهُ كَوْنُهُ	وَاجِدَ الْقَيْنِ، وَإِنْ طَالَ التَّثْيِثُ ⁴
كَرَّمَ اللَّهُ زُسُولًا بِالَّذِي	بُئِيَ فَيُنَا مِنَ الذِّكْرِ الْحَدِيثُ

قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّبٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُفْرِضِينَ﴾⁵ وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يُغْلَبُونَ. لِأَيَّةٍ قُلُوبُهُمْ﴾⁶ فجاء الذكر من "الرب" و"الرحمن" فأخبر أنهم استمعوا وأصغوا لذكر الرب⁷ في حال لهو، وذكر إعراضهم عن ذكر الرحمن مع⁸ العلم منهم بأنه القرآن، وهو كلام الله، والكلام صفته؛ فله القدم وإن حدث الإتيان.

اعلم أن الحديث قد يكون حديثاً في نفس الأمر، وقد يكون حديثاً بالنسبة إلى وجوده عندك في الحال، وهو أقدم من ذلك الحدوث؛ وذلك إذا أردت بالقدم نفي الأوليّة؛ فليس إلا كلام الله، وليس إلا عين القابل صور التجلي. وإذا أردت به غير نفي الأوليّة؛ فقد يكون حادثاً في نفسه ذلك الشيء قبل حدوثه عندك، وقد يكون حادثاً بحدوثه عندك؛ أي ذلك زمان حدوثه؛ وهو ما يقوم بك، أو بمن يخاطبك، أو يجالسك من الأغراض في الحال.

1 [النساء : 78]

2 ص 118

3 رتبها في ق اقرب إلى: "هي".

4 التثيث: أن يعرق ويرشح من عطشه وكثرة لحه.

5 [الشعراء : 5]

6 [الأنبياء : 2، 3]

7 ق: "الرحمن" ثم كتب حرف "ب" فوق الأحرف الثلاثة الأخيرة، وهي كذلك في ه، ولم ترد في س

8 ص 118 ب

وأما عندية الله فهي على قسمين، أعني ما هو عنده: القسم الواحد ما هو عليه من الأمر الذي يُعقل زائداً على هويته، وإن لم نقل فيه: إنه غيره، ولا عينه أيضاً؛ كالصفات المنسوبة إليه: لا هي هو، ولا هي غيره. وقد يكون عنده ما يُخذه فينا ولنا، وهو مثل قوله: ﴿وَلَا يَمُنُّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾¹. وهذا الذي عندنا على نوعين: نوع يحدث صورته، لا جوهره؛ كالطر: فإننا نعلم ما هو من حيث جوهره، وما هو من حيث صورته، وكلّ العالم على² هذا هو.

والنوع الآخر ما يحدث جوهره؛ وليس إلا جوهر الصورة، ووجود جوهر العين القائمة به تلك الصورة. فإنه لا وجود لعين جوهرها الذي قامت به، إلا عند قيامها به؛ فهو قبل ذلك معقول، لا موجود العين. فوضع الصورة، أو محل الصورة من المادة؛ يحدث له الوجود بحدوث الصورة في حال ما، لا في كلّ حال، وينعدم من الوجود بقدما، ما لم تكن صورة أخرى تقوم به، والكل عند الله؛ فإن الله عين شيعته. فما تم معقول ولا موجود يحدث عنده، بل الكل مشهود العين له؛ بين ثبوت ووجود. فالثبوت خزائنه، والوجود ما يحدثه عندنا من تلك الخزائن.

فصورة الماء في الجليد معقولة، ينطلق عليها اسم جليد، والماء في الجليد بالقوة. فإذا طرأ على الجليد ما يحلله؛ فإنه يصير ماء؛ فظهرت، وحُدثت صورة الماء فيه ومنه، وزال عنه اسم الجليد، وصورته، وحُدّه، وحقيقته. وكان عندنا قبل تحلله أنه خزانه من خزائن الغيث؛ فظهر أنه عين المحزون. فكان خزانه بصورة، ومخزونا بصورة غيرها. وهكذا حكم ما³ يستحيل؛ هو عين ما استحال، وعين ما يستحيل إليه.

وإنما جئنا بهذا المثال الحق لما نعينه من صور التجلي في الوجود الحق؛ لنلحق بذلك صور العالم كله في وجود الحق؛ فنطلق عليه خلقاً، كما نطلق على الماء الذي تحل من الجليد؛ ماء، ونطلق عليه ذلك إطلاقاً حقيقياً؛ لأنه ليس غير ما تحل مما كان اسم الجليد له. فهو حق بوجه، خلق بوجه. هذا ينتجه وأما هذا الذكر من العلم الإلهي. ومن هنا تعلم جميع الهنئات ما هي؟ ومتى ينطلق عليها اسم الحدوث؟ ومتى قبل اسم القدم؟ وهو علم نفيس يختص الله به من شاء من عباده، وذلك هو الفضل المبين ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾⁴.

1 [الحجر : 21]

2 ص 119

3 ص 119 ب

4 [الأحزاب : 4]

الباب الرابع والتسعون وأسمائه

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾¹
وما أشبه هذا من الآيات القرآنية

يَعْلَمُ الْحَقُّ وَيُنْقِضُ رِسْمَهُ	إِنَّمَا يَخْشَى الْإِلَهَ الْحَقُّ مَنْ
فَنَبِيِّ الْعَالَمِ فِيهِ وَاسْمُهُ ²	فَإِذَا ³ مَا فَنَبِيِّ الْكُلِّ بِهِ
كُلُّ عِلْمٍ قَدْ شَهِدْنَا حُكْمَهُ	إِنَّمَا الْعِلْمُ الَّذِي يَنْفَعُنَا
وَبِهِ يَعْلَمُ عِلْمِي عِلْمُهُ	فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي تَعْرِفُهُ

الحشية من صفات العلم الذي يعطي الحشية اللازمة له، وعلى قدر العلم بها تكون الحشية المنسوبة إلى العالم، ولا أعلم بها من علمه عيئه؛ فلا أخشى - منه للاسم "الله" لجمع هذا الاسم بين الأضداد المتقابلات. ومن هنا نزل قوله (تعالى): ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾⁴ ولما كان الأمر الذي هو علة ظهور الممكنات أينما ظهر منها - ليس إلا أحكام الأسماء الإلهية، فما من اسم إلهي إلا وهو يخشى - الله؛ لعلمه بما عنده من الأسماء التي تقابل هذا الاسم الوالي في الحال صاحب الحكم. فيقول: كما ولاني، ولم أكن واليا على هذا المحل الخاص الذي ظهر فيه حكمي؛ قد يعزلي عن ذلك بزوال آخر، يعني حكم اسم آخر إلهي. فلا أعلم من الأسماء الإلهية، فلا أخشى منها الله.

فإن الله له التصرف فيها: بالتولي والعزل، وهو الواقع في⁵ الوجود. فبها ما يقع عن سؤال من الكون، ومنها ما يقع عن غير سؤال؛ بل يقع بانتهاء مدة الحكم؛ فيكون نسخا. فكما انطلق على العلماء من الأحداث اسم الحشية لله، وللحداثيات السؤال⁶ في رفع أحكام الأسماء الإلهية؛ صارت الأسماء الإلهية التي لها الحكم في الوقت تخشى سؤال الأحداث لله، في رفع حكمها عن ذلك المحل؛ كقول أيوب عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرُورِ﴾⁷ يطلب عزل الاسم "الضرار" وإزالة حكمه. فعزل الله حكمه؛ فانزل بزوال حكمه،

1 [فاطر : 28]

2 ص 120

3 رسمها في ق: واسمه

4 [محمد : 31]

5 ص 120 ب

6 كتب في الهامش بخط آخر: وسؤال الأحداث

7 [الأنبياء : 83]

وتولى موضعه الاسم "النافع"، فكشف الله ما به من ضرر. فصارت الأسماء الإلهية تخشى الله لما بيده من العزل والتولية، وتخشى العالم؛ لما عنده من السؤال، وعند الله من القبول لسؤال العالم، ولا سيما أهل الاضطراب.

ثم تنظر إلى انتهاء مدة أحكامها، فتترقب العزل. كما أيضا ترجوه، لمشاهدتهم التولية. فلا شيء من الأسماء أكثر خشية من المنتقم؛ فإنه يرى ومشاهد زوال حكمه فعلا، ولا يبقى له حكم في الوجود، ويكون بالقوة في الحق - ومن جرى مجراه من الأسماء الإلهية. فتنتقل لخشية الأسماء الإلهية العالم. فإِنَّكَ إِذَا كُشِفَتْ عَلَيْهِ؛ رَأَيْتَ أَنَّهُ لَوْلَا مَا هُوَ حَقٌّ بِوَجْهِهِ، مَا صَحَّ أَنْ تُخْشَاهُ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْشَى وَلَا يُرْجَى فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُخْشَاهُ إِلَّا الْعَالَمُ، وَلَا أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ؛ فَلَا يُخْشَى. اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ. لكن الصور مختلفة لاختلاف النسب، أو النسب مختلفة لاختلاف الصور. فلولا النسب ما حدثت الصور، ولولا الصور ما علم اختلاف النسب. فالوجود مربوط ببعضه ببعضه، في إيرامه عين نقضه.

ثم إنه في هذا الذكر: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾² فعزته امتناعه تعالى - عن أن يكون له حكم الأسماء الإلهية، من نظر بعضها إلى بعض، كما ينظر العالم بعضه إلى بعض؛ فيتصف لملك - بالخوف والرجاء، والكره والمحبة. والله "عزيز" عن مثل هذا؛ فإنه الذي يخاف ويرجى، ويسأل ويحبب، إن شاء وإن شاء، و"غفور" بما ستر من هذه العلوم والأسرار - الراجعة إليه تعالى - وإلى أسمائه، وإلى العالم - عن الخلق كلهم بالجمع. فلا يعلم المجموع، ولا واحد من الخلق. لكن له العلم بالآحاد؛ فعند واحد ما ليس عند الآخر؛ فهو بالمجموع حاصل، لا حاصل؛ فهو حاصل في المجموع، غير حاصل عند واحد واحد، وهو قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾³ فجاء بياء التبعيض. فعند واحد من العلم بالله، ما ليس عند الآخر؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾.

1 ص 121

2 [فاطر : 28]

3 [البقرة : 255]

الباب الخامس والتسعون¹ وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَزِيدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُثْبِتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾²

مَنْ يَزِيدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَيُثْبِتْ
لَأَنَّهُ أَحَدِي الْفَنَيْنِ لَيْسَ لَهُ
وَلَنْ إِثْبَاتُهُ بِالْكُلِّ شِرْعَتُهُ
فَأَنَّهُ كَافِرٌ بِالَّذِينَ أَتَجَمِعُهُ
مُخَالَفَ جَاءَهُ مِنْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ
بِذَا أُنِيَ الْحُكْمُ فِيهِ مِنْ مُشَرِّعِهِ

الضمير في "أنه" يعود على الدين.

قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾³ فالمراد هنا بضمير "منكم" ليس إلا الأنبياء عليهم السلام- لا الأمم. لأنه لو كان الأمم؛ لم يُثَبِّت رسولٌ في أمة قد بُيِّت فيها رسولٌ، إلا أن يكون مؤيداً، لا يزيد ولا ينقص. وما وقع الأمر كذلك. فإن جعلنا الضمير في قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ الأمم والرسول جميعاً؛ تكلفنا في التأويل شططاً⁴ لا نحتاج إليه. فكون الضمير كناية عن الرسل أقرب إلى الفهم، وأوصل إلى العلم، ويدخل في ذلك عموم الرسالة وخصوصها.

وقال ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» فاختلف الناس في اليهودي إن تصرّف، والنصراني إن تهوّد؛ هل يقتل، أم لا؟ ولم يختلفوا فيه إن أسلم، فإنه ﷺ ما جاء يدعو الناس إلى الإسلام. وجعل علماء الرسوم أن هذا تبديلٌ مأمور به. وما هو عندنا كذلك؛ فإن النصراني وأهل الكتب كلهم إذا أسلموا؛ ما بدّلوا دينهم؛ فإنه من دينهم الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في شرعه إذا أرسل، وأن رسالته عامة؛ فما بدّل أحد من أهل الدين دينه إذا أسلم، فافهم.

وما بقي إلا المشرك؛ فإن ذلك ليس بدين مشروع، وإنما هو أمر موضوع من عند غير الله، والله ما قال إلا: ﴿مَنْ يَزِيدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ورسولُ الله ﷺ يقول: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ» وإنما لم يُسمَّ الشرك ديناً؛ لأنَّ الدين: الجزاء، ولا جزاء في الخير للمشرك على الشرك أصلاً، لا فيما سلف، ولا فيما بقي. وإذا آل المشرك إلى ما يؤول إليه في النار، التي هي موطنه الذي لا يخرج منه أبداً؛ فإنَّ ذلك ليس بجزاء؛ وإنما ذلك اختصاصٌ بسننِ الرحمة⁵ التي وسعت كلَّ شيء؛ فيظهر حكمها فيه في وقتٍ ما، عند إزالة حكم الغضب الإلهي. فما أراد بالدين إلا الذي له جزاء في الخير والشر، ولو أراد الدين الذي هو "العادة" مثل

1 ص 121 ب

2 [البقرة : 217]

3 [المائدة : 48]

4 ص 122

5 ص 122 ب

قول امرئ القيس:

كدينيك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

أراد بالثمن هنا: العادة. ونحن إنما تكلمنا في الدين المشروع، الذي العادة جزء منه.

فَيُكْشَفُ لِلنَّاكِرِ بِهَذَا الذِّكْرِ: عِلْمُ الْإِرْتِدَادِ؛ وَهُوَ الرَّجُوعُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾¹. فَمَنْ النَّاسُ مَنْ عَجَّلَ لَهُ هُنَا الرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْعَافِينَ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ، وَلَا يَزَالُونَ يَسْتَصَحِبُهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ؛ فَيَمُوتُونَ عَلَيْهِ.

وَإِنَّمَا وَصَفُوا بِالْكَفْرِ؛ لِأَنَّهُمْ قَسَرُوا بِالْأَسْبَابِ، وَلَمْ يَقُولُوا بِإِطَالِهَا. فَهُمْ فِي قُوسِهِمْ وَحَالِهِمْ مَعَ اللَّهِ، وَظَاهَرَهُمْ فِي الْأَسْبَابِ. فَإِنَّهُمْ يَرُونَ الْأَسْبَابَ رَاجِعَةً إِلَى اللَّهِ؛ فَرَجَعُوا لِرَجُوعِهَا، وَرَجَعُوا بِهَا إِلَى اللَّهِ. فَلَمَّا لَمْ يَفْقَهُمْ أَصْحَابُ الْأَسْبَابِ فِي الْأَسْبَابِ؛ تَخَيَّلُوا فِيهِمْ أَنَّهَا أَمْثَالُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ. فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَاءً فِي الْعُمُومِ، تَحْتَمِلُ وَمَدْحًا فِي الْخُصُوصِ؛ وَلِهَذَا تَكَمَّلَ فَقَالَ فِيهِمْ: إِنَّ أَعْمَالَهُمْ خَبِطَتْ؛ لِأَنَّهُ أَضَافَهَا إِلَيْهِمْ، وَأَعْطَاهُمْ² الرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ الْعِلْمَ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَيْهِمْ؛ فَخَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ³ مِنْ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ، وَصَارَتْ مُضَافَةً إِلَى اللَّهِ كَمَا هِيَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَرِيدُ مَنْ عَجَّلَ لَهُ الْكُشْفَ عَنْ ذَلِكَ هُنَا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يَرِيدُ مَنْ أَخَّرَ لَهُ ذَلِكَ، وَهُوَ الْجَمِيعُ إِذَا انْكَشَفَ الْغَطَاءُ.

وَأَمَّا إِضَافَةُ الدِّينِ إِلَيْهِ (أَيَّ لِلْإِنْسَانِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ وَإِنَّمَا الدِّينُ لِلَّهِ؛ فَإِنَّ الرَّاجِعَ إِذَا رَأَاهُ فِي رَجُوعِهِ لِلَّهِ لَا إِلَهَ؛ زَالَتْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ عَنْهُ لَشَهَادَةِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا بِإِضَافَةِ الدِّينِ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ فِي الْحُكْمِ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى يَرْثُوكُمْ﴾ يَعْنِي فِي ثَلَاثَةِ مَعْنَى: دِينُكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا⁴؛ فَأَضَافَ الدِّينَ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ الْأَوْجَهُ أَنْ يَكُونَ فِي ضَمِيرِ الْهَاءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ضَمِيرِ الْمَخْطَابِ سِوَاهُ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الْهَاءِ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ؛ لَكِنَّ الْأَصْلَ فِي الضَّمَائِرِ كُلِّهَا عَوْدُهَا عَلَى أَقْرَبِ مَذْكَورٍ إِذَا غَزَتْ عَنْ قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ.

وقوله في تمام الهجير: ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمُ الْغَاسِرُونَ﴾⁵ لِهَذَا الْكُشْفِ. لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا كَانُوا يَتَخَيَّلُونَ فِيهِ أَنَّهُ إِلَيْهِمْ؛ لَيْسَ إِلَيْهِمْ؛ لِحُسْرَا رَأْسِ الْمَالِ، وَلَا أَعْظَمَ خُسْرَانًا مِنْهُ؛ فَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا مِنَ الْإِنْعَامِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْمِ الْوَهَّابِ، الْمُعْطِي؛ لِئَنَّهُمْ؛ فَمَا لَمْ يَنْظُرْهُمْ عَطَاءَ جَزَاءٍ لِعَامِلٍ. فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي هَذَا الذِّكْرَ لِمَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ عَلَيْهِ.

1 [هود : 123]

2 ص 123

3 [التوبة : 69]

4 [البقرة : 217]

5 [التوبة : 69]

6 ص 123 ب

الباب السادس والتسعون وأربعائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾¹

مَا قَدَرَ اللَّهُ غَيْرَهُ أَبَدًا	وَلَيْسَ غَيْرَ فَكَلَّهْمُ قَدَرًا
مَا حَقَّ قَدْرُ الْإِلَهِ عِنْدِي سِوَى	بِأَنَّهُ اللَّهُ فَأَعْرِفِ الصُّورَا
لَوْ يَعْرِفُ الْخَلْقُ مَا أَقْوَاهُ بِهِ	فِي حَقِّ قَدْرِ الْإِلَهِ مَا اعْتَبَرَا
لَوْ عَبَرُوا عَنْ وُجُودِ عَيْنِهِمْ ²	مَا عَرَفُوا الْحَقَّ لَا وَلَا الْبَشَرَا

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾³ قَدَرَ الْأَمْرُ (هو) موازنته لمقداره، وهذا لا يعلم من الأمر حتى يكون له ما يعادله في ذاته؛ فيكون ذلك المعادل مقدارًا له؛ لأنَّه يَزِنُهُ.

فأثبت هذا الذكر لله⁴ قَدَرًا، لكنَّه مجهول عند أصحاب هذا الضمير. ولا يعرف قدر الحقِّ إلَّا من عرف الإنسان الكامل، الذي خلقه الله على صورته؛ وهي الخلافة. ثم وصف الحقَّ في الصورة الظاهرة نفسه باليدين، والرجلين، والأعين، وشبه ذلك مما وردت به الأخبار، بما يقتضيه الدليل العقلي من تنزيه حكم الظاهر من ذلك في الحدِّثات عن جناب الله. فحقَّ قَدْرُهُ إضافةً ما أضافه إلى نفسه، بما ينكر الدليل إضافته إليه تعالى؛ إذ لو انفرد دون الشرع لم يُضَفْ شيئًا من ذلك إليه. فمن أضاف مثل هذا إليه عقلاً؛ فذلك هو الذي ما قدر الله حقَّ قَدْرِهِ، وما قال: أخطأ المضيف. ومن أضافه شرعاً وشهوداً، وكان على بينة من ربه؛ فذلك الذي قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ⁵.

فالإنسان الكامل، الذي هو الحليفة، قَدَرَ الْحَقَّ ظاهراً وباطناً، صورةً ومنزلةً، ومعنى. فمن كل شيء في الوجود زوجان. لأنَّ الإنسان الكامل والعالمَ بالإنسان الكامل - على صورة الحقِّ، والزوجان: الذكر والأنثى، ففاعل ومنفعل فيه. فالحقُّ (هو) الفاعل، والعالمُ منفعلٌ فيه؛ لأنَّه محلُّ ظهور الاتِّفعال، بما يتناوب عليه من صور الأكوان؛ من حركة وسكون، واجتماع واقتراق، ومن صور الألوان، والصفات، والنسب. فالعالم قَدَرَ الْحَقَّ وجوداً. وأمَّا في الثبوت فهو أظهر؛ لحكم الأزل الذي هو للممكنات في ثبوتها؛ لأنَّ الإمكان للممكن نفث ذاتي نفسي، ولم يزل الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده، فبقاء ما بقي منه في

1 [الأضام : 91]

2 كتب في الهامش بقلم الأصل: "فانهم" و"بجانبها": "معاً" إشارة إلى صواب كل منها.

3 [الصفات : 180]

4 ص 124

5 "حقَّ قدره" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

6 ص 124 ب

العدم، ما بقي إلا بالمرجح؛ فهو الذي أبقاه لما فيه من قبول الوجود، كما هو ممكن مرجح في حال الوجود بالوجود لقبوله لعدم يماسك شرطه المصحح لبقائه.

فكما سبّح الله نفسه عن التشبيه، سبّح الممكن نفسه عن التنزيه؛ لما في التشبيه والتنزيه من الحدّ. فهُم بين مدخل ومخرج. وما ظفر بالأمر على ما هو عليه، إلا مَنْ جمع بينهما؛ فقال بالتنزيه مِنْ وَجْهِ عَقْلًا وشرعًا، وقال بالتشبيه مِنْ وَجْهِ شرعًا، لا عقلاً. والشهود يقضي - بما جاءت به الرسل إلى أميها في الله ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾¹ فكلّ واجِب فإنما هو واقف مع نعتٍ مخصوص. فينزّه الله نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه، لا من حيث أنّه له؛ فإنّ له أحديّة المجموع، لا أحديّة كلّ واحد من المجموع. والواصف إنّما يصفه بأحديّة كلّ واحد من المجموع، فهو الخاطب - أعني مَنْ نعت به ذلك - بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وأما تسبيح الخلق له بقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾³ وشبه ذلك مما ورد من الآيات والتعريف الإلهي؛ فإنما يسبّح الله عن عقد غيره فيه؛ لأنّ نظّر كلّ مسبّح فيه نظر جزئي. فالذي يُثبّت له واحد، هو عين ما ينفيه عنه الآخر، وكلّ واحد منها مسبّح بحمد الله. فأثبت الله لهذا ما نقاه عن الله، لا ما أثبتّه الآخر. وأثبت الله للآخر عين ما نقاه الأول، لا ما أثبتّه. فما أثبت الله لأحد من أهل الشناء عليه، إلّا نفى ما نقاه عنه. فذلك هو التسبيح بحمده.

فما يثني عليه بالإثبات دون نفي، ولا يوصف بالتسبيح ولا بنقيضه؛ إلّا العبدُ الجامع، الكامل، الظاهر بصورة الحق؛ فبأنّه يشاهد الجمع، ومن شاهد الجمع فقد شاهد التفصيل؛ لأنّه شاهده جمعا. فالعبدُ الكاملُ مجموع الحق، ولا يقال: الحقُّ مجموعُ العبدِ الكامل. ومع هذا فلحقّ خصوص نعتٍ ليس للعالم أصلا، وللعالم خصوص وصف ليس للحقّ أصلا؛ كالذلة والافتقار. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴. انتهى الباب السادس والتسعون وأربعمائة بآتهاء السفر الثلاثين، والحمد لله رب العالمين⁵.

1 [الكهف : 39]

2 ص 125

3 [الاسراء : 44]

4 [الأحزاب : 4]

5 على الهامش أسفل الصفحة ما يلي: "بلغ مقابلة وساعات على منشبه". وأسفل منه بخط محمد بن إسحق الترنوي كُتِبَ بعد عامين من وفاة الشيخ الأكبر: "عورضت هذه المجلدة مع النسخة الأولى، وكلتاها بخط الشيخ رحمه الله وذلك بمحروسة حلب سنة أربعين وسبعمائة، قرأه محمد بن إسحق بن محمد خادم الشيخ المصنف رحمه الله وسمع بالقراءة المذكورة مجد الدين أبو بكر بن بندار البصري - أكرمه الله - في التاريخ المذكور. والحمد لله، وصلواته على محمد وآله وصحبه". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1756

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
24ب	5	1	الفاتحة	69	48	4	النساء
57	5	1	الفاتحة	102	59	4	النساء
113	21	2	البقرة	112ب	66	4	النساء
12ب	60	2	البقرة	62ب	78	4	النساء
85ب	74	2	البقرة	117ب	78	4	النساء
43	85	2	البقرة	102	80	4	النساء
33	101	2	البقرة	75ب	113	4	النساء
94ب	112	2	البقرة	24	146	4	النساء
68	115	2	البقرة	63ب	148	4	النساء
33	117	2	البقرة	64	148	4	النساء
47ب	152	2	البقرة	40	166	4	النساء
66ب	163	2	البقرة	67ب	167	4	النساء
57ب	179	2	البقرة	25ب	171	4	النساء
33	186	2	البقرة	87ب	171	4	النساء
121ب	217	2	البقرة	89	171	4	النساء
123	217	2	البقرة	42ب	150	4	النساء
121	255	2	البقرة	151			
32	260	2	البقرة	113	1	5	المائدة
62ب	32	3	آل عمران	113	2	5	المائدة
72ب	49	3	آل عمران	41	18	5	المائدة
57	97	3	آل عمران	19	48	5	المائدة
24	103	3	آل عمران	68ب	48	5	المائدة
3ب	110	3	آل عمران	121ب	48	5	المائدة
59	181	3	آل عمران	15	109	5	المائدة
92	195	3	آل عمران	25ب	110	5	المائدة
59	32, 31	3	آل عمران	46ب	1	6	الأنعام
113	47	4	النساء	47ب	1	6	الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
99	15	11	هود
84	86	11	هود
84	86	11	هود
55	123	11	هود
122ب	123	11	هود
80ب	21	12	يوسف
36	9	13	الرعد
106	29	13	الرعد
67ب	33	13	الرعد
41ب	21	15	الحجر
70ب	21	15	الحجر
118ب	21	15	الحجر
107	89, 88	15	الحجر
111	36	16	النحل
56	40	16	النحل
43ب	60	16	النحل
41ب	96	16	النحل
70	96	16	النحل
70ب	96	16	النحل
72	96	16	النحل
104	97	16	النحل
107ب	106	16	النحل
42	1	17	الإسراء
55ب	23	17	الإسراء
58	23	17	الإسراء
44ب	24	17	الإسراء
39ب	44	17	الإسراء
44	44	17	الإسراء
125	44	17	الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
88	45	6	الأنعام
14	83	6	الأنعام
7ب	90	6	الأنعام
19	90	6	الأنعام
25ب	91	6	الأنعام
123ب	91	6	الأنعام
42	100	6	الأنعام
117	103	6	الأنعام
7ب	106	6	الأنعام
22ب	122	6	الأنعام
24ب	128	7	الأعراف
77	128	7	الأعراف
76ب	143	7	الأعراف
102ب	172	7	الأعراف
7	180	7	الأعراف
88	189	7	الأعراف
34ب	198	7	الأعراف
13ب	1	8	الأفال
13ب	1	8	الأفال
65ب	17	8	الأفال
109ب	28	8	الأفال
15	29	8	الأفال
123	69	9	التوبة
123	69	9	التوبة
45ب	10	10	يونس
46	10	10	يونس
33	53	10	يونس
114ب	58	10	يونس
104ب	64	10	يونس

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
28	2	21	الأنبياء
63ب	2	21	الأنبياء
41ب	17	21	الأنبياء
120ب	83	21	الأنبياء
105	103	21	الأنبياء
118	2، 3	21	الأنبياء
95ب	5	22	الحج
81	11	22	الحج
87	30	22	الحج
87ب	32	22	الحج
73ب	33	22	الحج
21	46	22	الحج
73ب	32، 33	22	الحج
25ب	14	23	المؤمنون
72ب	14	23	المؤمنون
80ب	53	23	المؤمنون
33	113	23	المؤمنون
104	26	24	النور
109	30	24	النور
70	35	24	النور
28	5	26	الشعراء
63ب	5	26	الشعراء
118	5	26	الشعراء
49ب	80	26	الشعراء
12ب	155	26	الشعراء
46	59	27	القل
55	13	28	القصص
70ب	60	28	القصص
42	68	28	القصص

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
32ب	110	17	الإسراء
72	110	17	الإسراء
94	110	17	الإسراء
47	111	17	الإسراء
46ب	1	18	الكهف
124ب	29	18	الكهف
109ب	46	18	الكهف
33	12	19	مريم
88	12	19	مريم
88ب	15	19	مريم
89ب	30	19	مريم
89ب	30	19	مريم
90	31	19	مريم
90	32	19	مريم
88ب	33	19	مريم
90ب	33	19	مريم
74	85	19	مريم
55	8	20	طه
12ب	50	20	طه
25ب	50	20	طه
70ب	73	20	طه
55	98	20	طه
47	114	20	طه
74ب	114	20	طه
79	114	20	طه
44ب	130	20	طه
106	131	20	طه
109	131	20	طه
17ب	2	21	الأنبياء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
73	4	33	الأحزاب
77	4	33	الأحزاب
79	4	33	الأحزاب
83	4	33	الأحزاب
87	4	33	الأحزاب
88	4	33	الأحزاب
97	4	33	الأحزاب
98	4	33	الأحزاب
101	4	33	الأحزاب
103	4	33	الأحزاب
106	4	33	الأحزاب
109	4	33	الأحزاب
111	4	33	الأحزاب
114	4	33	الأحزاب
115	4	33	الأحزاب
119	4	33	الأحزاب
125	4	33	الأحزاب
2	13	33	الأحزاب
9	35	33	الأحزاب
35	35	33	الأحزاب
101	36	33	الأحزاب
47	1	35	فاطر
24	10	35	فاطر
70	10	35	فاطر
104	10	35	فاطر
58	15	35	فاطر
119	28	35	فاطر
121	28	35	فاطر
67	4	37	الصفات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
114	76	28	القصص
114	76	28	القصص
106	43	29	العنكبوت
79	45	29	العنكبوت
39	17	30	الروم
42	17	30	الروم
44	17	30	الروم
44	14	31	لقمان
83	16	31	لقمان
85	16	31	لقمان
86	16	31	لقمان
86	16	31	لقمان
86	16	31	لقمان
86	16	31	لقمان
93	22	31	لقمان
94	22	31	لقمان
6	4	33	الأحزاب
30	4	33	الأحزاب
35	4	33	الأحزاب
35	4	33	الأحزاب
39	4	33	الأحزاب
46	4	33	الأحزاب
48	4	33	الأحزاب
50	4	33	الأحزاب
55	4	33	الأحزاب
59	4	33	الأحزاب
63	4	33	الأحزاب
66	4	33	الأحزاب
69	4	33	الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
2	11	42	الشورى
28ب	11	42	الشورى
40ب	11	42	الشورى
43ب	11	42	الشورى
94	11	42	الشورى
103ب	11	42	الشورى
7ب	13	42	الشورى
64	40	42	الشورى
22ب	52	42	الشورى
87ب	13	45	الحج
85ب	21	45	الحج
31	19	47	محمد
95ب	31	47	محمد
120	31	47	محمد
61	33	47	محمد
61	10	48	الفتح
102ب	10	48	الفتح
23	13	49	الحجرات
98ب	22	50	ق
61ب	29	50	ق
107ب	29	50	ق
6ب	37	50	ق
23	37	50	ق
38	56	51	النار
55ب	56	51	النار
57ب	56	51	النار
15	3، 4	55	الرحمن
97	83-85	56	الواقعة
28ب	3	57	الحديد

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
33	35	37	الصافات
79ب	61	37	الصافات
81	61	37	الصافات
111	96	37	الصافات
34ب	125	37	الصافات
2	164	37	الصافات
42	180	37	الصافات
123ب	180	37	الصافات
103ب	2، 180	37	الصافات
11ب	24، 26	37	الصافات
44	5	38	ص
68	5	38	ص
68ب	26	38	ص
38ب	39	38	ص
37	3	39	الزمر
67ب	3	39	الزمر
41ب	4	39	الزمر
51ب	9	39	الزمر
85ب	9	39	الزمر
63	18	39	الزمر
64	18	39	الزمر
66ب	18	39	الزمر
98	47	39	الزمر
33	15	40	غافر
33ب	15	40	غافر
51	44	40	غافر
56	60	40	غافر
39ب	53	41	فصلت
39ب	54	41	فصلت

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
60ب	7	73	المرمل
39	1	76	الإنسان
11ب	36	77	المرسلات
89ب	8	82	الإفطار
79ب	26	83	المطففين
27ب	12	85	البروج
39ب	20	85	البروج
33	1	87	الأعلى
29ب	1 - 3	89	النجر
76ب	8	90	البلد
95	9 ، 10	91	الشمس
96ب	8	92	الليل
96ب	9	92	الليل
96ب	10	92	الليل
96ب	5 - 7	92	الليل
62ب	11	93	الضحى
17	1	109	الكافرون
15	1	110	النصر
7	1	112	الإخلاص

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
39ب	4	57	الحديد
98	4	57	الحديد
54ب	7	57	الحديد
10ب	1	58	المجادلة
33	5	58	المجادلة
33	22	58	المجادلة
33	13	59	الحشر
36	23	59	الحشر
113	2	61	الصف
113ب	2	61	الصف
111ب	3	61	الصف
113ب	3 ، 4	61	الصف
92ب	12	65	الطلاق
29	1	67	المالك
29	4	67	المالك
29	30	67	المالك
29	3 ، 4	67	المالك
116ب	27	72	الجن
115ب	26 ، 27	72	الجن

فهرس الأحاديث النبوية

الحدیث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
أفلا آكون عبدا شكورا	صحيح البخاري 1062، صحيح مسلم 5044	115
إِنَّ الرجلَ إِذا قال لأخيه: أَجِبْكَ؛ فَأَجَبَهُ الآخرُ؛ فَإِنَّهُ لا يَلْحَقُهُ في درجته في الحبِّ أبدا		59ب
إِنَّ اللهَ أَذْنِبِي فَأَحْسَنَ أَدْبِي	فيض القدير - (1 / 291)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - (1 / 1)	49ب
إِنَّ اللهَ تعالى - يقول: ما تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ ما افترضته عليهم، ولا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَصَرًا وَبَدًا وَمُؤَيَّدًا	فتح الباري لابن حجر 6021، بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي 343	59
إِنَّ اللهَ قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	37، 92
إِنَّ اللهَ يصلح بين عباده يوم القيامة؛ فيوقف الظالمَ والمظلومَ بين يديه؛ للحكومة والإصاف، ثم يقول لهما: ارفعا رؤوسكما، فينظران إلى خير كثير؛ فيقولان: لمن هذا الخير؟ فيقول الله لهما: لمن أعطاني الثمن. فيقول المظلوم: يا رب؛ ومن يقدر على ثمن هذا؟ فيقول الله له: أنت؛ بعفوك عن أخيك هذا. فيقول المظلوم: يا رب؛ قد عفوت عنه. فيقول الله: خذ يد أخيك فادخلا الجنة. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم:- فَأَتَوْهُمُ اللهُ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؟ ؛ فَلَمَّا أَتَى اللهُ		13ب
يصلح بين عباده يوم القيامة		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
إِنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْعُو بِشَيْخٍ، فيقول له: مَا فعلت؟ فيقول من المقربات مَا شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ؛ فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ! فتقول الملائكة: يَا رَبِّ؛ إِنَّهُ كَذَبَ فِيمَا ادَّعَاهُ. فيقول الحقُّ: قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ أَنْ أَكْذِبَ شَيْئَهُ		13
إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرُوا اللَّهَ	مصنف ابن أبي شيبة 93، المعجم الكبير للطبراني 19900	94
أَنْ تَكْمَلَ لَهُ فَرِيضَتُهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ إِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ	سنن أبي داود 733، المستدرک علی الصحيحین للحاکم 922	61
أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذَكَرَنِي	شعب الإيمان للبيهقي 699	99
أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسَرَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِي	الزهدي لأحمد بن حنبل 397، نبض القدير - (2 / 88)	61
أَنْتَ كَمَا أَثْبِتَ عَلَى نَفْسِكَ	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	46
إِنَّكُمْ لَتَتَخَفُونَ فِي النَّارِ كَالْفَرَّاشِ وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ	صحيح البخاري 6002، صحيح مسلم 4235	98
إِنَّمَا شُرِعَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ		44
إِنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدُ بَرٍّ	صحيح مسلم 1494، المستدرک علی الصحيحین للحاکم 7876	89
تَرَوْنَ رَبَّكُمْ	صحيح البخاري 764، صحيح مسلم 267	64
تَنْصَبُ لَهُمْ مَنَابِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوْقِفِ؛ يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، يَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ، ؟ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ؟ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَفْطَلُهُمُ النَّبِيُّونَ	المستدرک علی الصحيحین للحاکم 7426	105

الحديث	مخرج الحديث	صفحة الخطوط
الحمد لله المنعم المفضل	مصنف ابن أبي شيبة - (7 / 90)	46ب، 49، 50، 50ب
الحمد لله تملأ الميزان	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي	45ب 3439
الحمد لله على كل حال	مصنف ابن أبي شيبة - (7 / 90)	46ب، 49، 50ب
سبحان العلي الأعلى	المعجم الأوسط للطبراني 3884، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني	42 4151
سبحان الله والحمد لله: «أنهما يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي	45 3439
سبحان الملك القلوس	سنن أبي داود 1218، سنن أبي داود	42 4422
سبح	صحيح مسلم 752، سنن أبي داود	42 738
سيد الناس يوم القيامة	صحيح البخاري 4343، صحيح مسلم	4 287
فإنما نحن به وله	سنن أبي داود 925، مراسيل أبي داود	58 55
فهي يسمع وبها يبصر		37
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	56ب، 77ب
قولوا: الله أعلى وأجل	صحيح البخاري 2812، مسند أحمد	36ب 2478
كلكم راع	صحيح البخاري 844، صحيح مسلم	2 3408

الحدث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
كنت سمعته وصره ويذه ورجله	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	58، 37
كث نبيا وآدم بين الماء والطين	تحفة الأحوزي 3542، فوائد تمام	88ب
لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول: لا اله الا الله	صحيح مسلم 212، مسند أحمد 12199	وب
لا يبلغ عني القرآن إلا رجل من أهل بيتي	سنن أبي داود 3778، سنن الترمذي 2984	10ب
للو احد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم	صحيح مسلم 1343، مسند أحمد 20318	116
لهنك العلم	الزهدي لأحمد بن حنبل 429	21
ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي	صحيح البخاري 2794، سنن أبي داود 3787	122
من بدل دينه فاقتلوه	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 7723، شعب الإيمان للبيهقي 9345	64
من بلي منكم بهذه القاذورة فليستر	سنن الترمذي 3393	45
من سبج الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كن حمل على مائة فرس في سبيل الله» أو قال: «غزا مائة غزوة. ومن هلل الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ كان كن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالفداء، ومائة بالعشي؛ لم يأت في ذلك اليوم أحدٌ بأكثر مما أتى إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رَبُّهُ	أدب الدنيا والدين للهاوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 346)	74ب
النساء شقائق الرجال	سنن أبي داود 204، سنن الترمذي 105	22ب
هذه بيني وبين عبيدي ولعبيدي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	77
هذه مشية يفضها الله ورسوله، إلا في هذا الموطن	دلائل النبوة للبيهقي 1083، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني 3220	12
هل رأيت ربك؟ يعني ليلة الإسراء، فقال يتعجب من السائل: نور أنى أراه»	صحيح مسلم 261، مسند أحمد 20427	64ب
هل علي غيرها؟ قال (ص): لا، إلا أن تطوع	صحيح البخاري 44، صحيح مسلم 12	61
وأعوذ بك منك	صحيح مسلم 751، سنن أبي داود 745	24ب
والشر ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3344	49ب
ولن يفضب بعده مثله	صحيح البخاري 3092، صحيح مسلم 287	53
ووسعني قلب عبيدي	الزهد لأحمد بن حنبل 429	53
يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به في الناس، أو ولد صالح يدعو له	صحيح مسلم 3084، سنن أبي داود 2494	109ب

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
70	أنا عِنْدَ الذي ما زال عِنْدِي	البقاء	5	الوافر
93ب	وَمَنْ يُسَلِّمَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَتَحْمًا	اتهاء	6	الوافر
89	فهذا هو النصُّ الجليُّ الذي أتى	الرب	1	الطويل
29ب	فيا شُعَيْبَ ما تَمَّ غَيْبُ	وغيب	2	مخلع البسيط
35	الله أكبر لا أبني مفاضلةً	وتطلبها	3	البسيط
31	مَنْ كَانَ هَجِيرَهُ نَفْيَ وَإِثْبَاتِ	آيات	5	البسيط
118	كُلُّ ما فِي الكونِ مِنْ خالِقِهِ	حدوث	6	الرمل
29ب	فشفَعُهُ فِي وَثَرِهِ ظَاهِرٌ	مندرج	7	السرعي
79ب	الشخصُ مُسْتَنْقِجٌ وَالصَّنْرُ مُشْرُوحٌ	مفتوح	12	البسيط
59	إذا أَحْبَبْتَ رَبَّكَ بِاتِّبَاعِ	زادا	3	الوافر
101ب	ألا إِنَّ الرِّسُولَ هو الذي قَدْ	التلید	6	الوافر
66ب	بتوحيد الإله يقولُ قَوْمٌ	الوجود	3	الوافر
16ب	بل كُلُّ ذَاتٍ على انفرادٍ	اتحاد	2	مخلع البسيط
48ب	الحمدُ لله على كُلِّ حالٍ	الوجود	7	السرعي
115ب	لو بدا الغيبُ لَغَيْنٍ لم يَكُنْ	شهدا	5	الرمل
88	مِنَ المَزاجِ قُوَى الإنسانِ أَجْمَعِها	الرشد	5	البسيط
7	مُشَيَّ الأَسْماءِ فِي العَنْدِ	العقد	5	المدید
50ب	إِنَّ الوجودَ مُنْطَقٌ وَمُنْطَقٌ	فتفكروا	4	الكامل
83ب	الرِّزْقُ يَأْتِي به الرِّزْأُ لیس له	أثر	3	البسيط
75ب	فاجتمعنا فِي الشِّعَارِ	السرائر	7	مجزوء الرمل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
102ب	قَبْلُ؛ فَإِنْ يَمِينُ الْعَهْدِ فِي الْحَجْرِ	البشر ر	12	البسيط
123ب	مَا قَدَّرَ اللَّهُ غَيْرُهُ أَبَدًا	قدرا ر	4	المنسرح
76ب	وَهَلْ تُمْ غَيْرِي أَوْ يَكُونُ وَلَيْسَنِي	البصائر ر	2	الطويل
109ب	الابْتِلَاءُ بَعَيْنِ الْمَالِ وَالْوَالِدِ	تنفيس س	4	البسيط
99	إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ التَّعِيمُ فَمَنْ يَرِذْ	أسا س	5	الكامل
106ب	كُلُّ شَخْصٍ زَوْجُهُ مِنْ نَفْسِهِ	جنسه س	10	الرمل
88ب	عَنَاءُ رِعَايِ الشَّبَابِ قُوَّةٌ	بالنص ص	2	الطويل
77ب	فَلَا حَوْلَ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ	الواقع ع	2	المقتارب
65ب	فَمَا تُمْ مَشْهُودٌ وَمَا تُمْ شَاهِدٌ	بالجمع ع	6	الطويل
121ب	مَنْ يَزِيدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَيَمُوتُ	أجمعه ع	3	البسيط
46	الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي قَيْدٍ وَإِطْلَاقٍ	ساق ق	3	البسيط
73ب	شَعَائِرُ اللَّهِ أَعْلَامٌ لَنَا نُصِيبَتْ	والخلق ق	6	البسيط
34ب	فَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ حَيْثُ كَانُوا	فنشقى ق	3	مخلع البسيط
42ب	فَاسْأَلْكَ مَعَ الْقَوْمِ أَيْمَةً سَلَكَوا	هلكوا ك	3	المنسرح
55ب	كَمَا أَعْطَاكَ خَلْقَكَ مَنْ حَبَاكَ	كذاكا ك	4	الوافر
18	فِدَاءُ الْحَبَةِ مَا لَا يَزُولُ	مستحيل ل	2	المقتارب
73	فَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِي أَقُولُ	مقول ل	2	مخلع البسيط
114	إِنَّمَا الْبَنِيَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ	وعوم م	5	الرمل
119ب	إِنَّمَا يَخْشَى الْإِلَهَ الْحَقُّ مَنْ	رسمه م	4	الرمل
69ب	فِيَا خِيَةَ الْجَهَالِ مَاذَا يُقَوِّتُهُمْ	بجهلهم م	2	الطويل
97	إِذَا اخْتَصَرَ الْإِنْسَانُ هَيَأُ ذَاتَهُ	بعينه ن	7	الطويل

رقم المخطوط	المطلع	النافية	عدد الآيات	البحر
43	إِنَّمَا الْقَوْمُ سَادَةٌ	يَلْكُونُ	ن 5	مجزوء الخفيف
70ب	فَنَحْنُ وَمَا عِنْدَنَا؛ عِنْدَهُ	عِنْدَنَا	ن 1	المتقارب
111ب	كَبُرَ الْمَقْتُ مِنْ اللَّهِ لَنَا	لَنَا	ن 4	الرمل
104	يَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِيزَانُ	وَرَجْحَانُ	ن 5	البسيط
91ب	مَنْ يَشْهَدِ اللَّهَ فِي أَعْمَالِهِ خُسْنَتْ	رَجْحَانُ	ن 5	البسيط
2	الْيَثْرِيُّ الَّذِي لَا تَنْتَ تَطْبِطُهُ	يَمِينُهُ	ن 4	البسيط
39	إِنَّ الْوُجُودَ عَلَى التَّسْلِيحِ فُطْرَتُهُ	وَقَشِيهِ	هـ 3	البسيط
77	الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ	بِاللَّهِ	هـ 3	السريع
95	فَارْتَبَ النَّفْسَ إِذَا مَا انْصَفَتْ	نَشَأَتَا	هـ 6	الرمل
70ب	فَمُنِيبُهُ الْحَقُّ مَا عِنْدَهَا	سَوَاهُ	هـ 5	المتقارب
28ب	فَكُلُّ خَيْرٍ هُوَ لَهُ	لَهُ	هـ 6	مجزوء الرجز
58ب	فَلَا يَعْلَمُ الْخَلْقُ إِلَّا بِهِ	بِهَا	هـ 1	المتقارب
103ب	فَمَا فِي الْكَوْنِ مَنْ يُنْزَى سِوَاهُ	دَرَاهُ	هـ 3	الوافر
76	فَبُنِيَ إِلَيَّ ذَلِيلٌ عَلَيَّ	عَلَيْهِ	هـ 3	المتقارب
55	فَهَكَذَا الْأَمْرُ فَلَا تَخْفِهِ	كُونُهُ	هـ 2	السريع
66ب	لَيْسَ فِي الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ قُبَيْحُ	عَنْهُ	هـ 1	الرمل
18	مَنْ دَرَى الْجَنَفَ هَكَذَا	هُوَ	هـ 2	مجزوء الخفيف
63	مَنْ يَسْتَمِعُ قَوْلَ مَنْ تَعَنَّى الْوُجُوهَ لَهُ	كَلِمَهُ	هـ 5	الوافر
87	مَنْ يَعْظُمُ حُرْمَةَ اللَّهِ	اللَّهُ	هـ 5	مجزوء الرمل
54ب	فَتَكْلِفُهُ عَيْنَ تَهْوِيضِهِ	سَوَا	و 3	المتقارب

استشهادات

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
86	إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَدِيمٍ	غضابا ب	1	الوافر	معوذ الحكماء
74ب	وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	واحد د	1	المتقارب	أبو العتاهية
19	وَمَا عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْبِرٍ	واحد د	1	السريع	أبو نواس
67	سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ	حمار ر	1	الرجز	بديع الزمان الهمداني
122ب	كَدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْخَوْبَرِثِ قَبْلَهَا	بمأسل ل	1	الطويل	امرؤ القيس
مجموع الآيات 5					

مصطلحات صوتية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	6، 8، 8ب، 13ب،	إمام مبین	20
	14، 49ب	الأشی	22ب، 23، 103، 124
الاتحاد	33	الإنسان الأزلي	124، 124ب
الإثبات	20، 32، 32ب، 52	الإنسان الكامل	24ب، 77، 78، 79، 124
الأحدية-أحدية	9، 14ب، 30ب،	إنسان حيوان	2ب، 24ب، 79، 79ب
الأحد-أحدية	31ب، 69ب، 124ب	بدل	4ب، 5
الكثرة		البسط	88
الاختيار	62	البقاء	70، 70ب، 71، 95ب
آدم	10، 22ب، 23، 78،	بقية الله	84
	78ب، 87ب، 102ب،	بيت الإيمان	73ب
	109ب،	البيت العتيق	73ب
الإرادة	99ب	بنّة الله	10، 21ب، 83، 89ب،
الإرث-الوارث	4، 4ب، 88ب		108ب، 116ب، 124
الاستقامة	21ب	التجلي النائم	17
الاسم الجامع	51ب، 102ب	التجلي في الشيء	118ب
الأفراد	10، 31ب	التسييح/ذكر	39ب، 42، 44
الإله الحق	119ب	التسليمك -	25ب
إله المعتقدات	44	السلوك	
الألوهية أو	44	التصرف	84
الألوهة / الضياء		التوحيد	30ب، 96ب
إلياس	8، 22		
الأم	91		

المصطلح	صفحة المخطوط
التوكل	5
الثبوت	15ب، 16، 16ب، 17، 71، 71ب، 112، 119، 124ب
جبريل	23ب، 78ب، 89ب
الجسد	88، 88ب
الجلوة	13
جلس الحق	99
الجنة/ حضرة	80ب
الرسول	
الحال	48، 48ب
حب جزاء- حب	60، 60ب
عناية	
حب فرائض-	60ب، 61
حب نوافل	
جبل	24ب
الحجاب	98
حجاب/العبد	98
الحق	60، 60ب
حق في خلق	33
حقيقة الحقائق	38
حكيم الوقت	11ب، 12
حواء	22ب، 23، 87ب
الحيرة	103ب
ختم الختم	4، 7ب
ختم النبوة المطلقة	89ب
ختم الولاية	7ب
الخاصة	
ختم الولاية العامة	4، 4ب، 7ب
خرق عادة	73
خزانة الخيال	71ب
الحضر	108
الخلافة الباطنية	124
الخلافة الظاهرة	124
الخلافة - خليفة	14ب، 124
دقيقة	93
الذكر/القرآن	39ب، 55ب، 118
رب- ربوبية	59ب، 60
الرحمة السابقة	122، 122ب
الرزق	83ب
الروح/العقل	79ب
الزمان الحمدي	6، 6ب
الستر	69
سوى الله-	54ب
السوى	

المصطلح	صفحة المخطوط
التوكل	5
الثبوت	15ب، 16، 16ب، 17، 71، 71ب، 112، 119، 124ب
جبريل	23ب، 78ب، 89ب
الجسد	88، 88ب
الجلوة	13
جلس الحق	99
الجنة/ حضرة	80ب
الرسول	
الحال	48، 48ب
حب جزاء- حب	60، 60ب
عناية	
حب فرائض-	60ب، 61
حب نوافل	
جبل	24ب
الحجاب	98
حجاب/العبد	98
الحق	60، 60ب
حق في خلق	33
حقيقة الحقائق	38
حكيم الوقت	11ب، 12
حواء	22ب، 23، 87ب

المصطلح	صفحة المخطوط
العدل / الميزان	29ب
الحكمي المعنوي / الحق / الميل	
عدم العدم	40
العصمة	24، 105ب
العلم	83
غيب الغيب	116
الفردية	31ب
الفطرة	30، 97ب
الفقر	58
الفناء	10ب
الفيض	51
قبة آرين	17ب
القدم	119ب، 17ب
قدم - على قدم	7ب، 8، 9ب، 10، 13ب، 15، 17، 18، 18ب، 20ب، 22، 24، 27ب، 29، 29ب
القرآن الكبير /	8، 8ب، 17، 39،
الوجود	39ب، 55ب، 56
القشر	64ب
القطب	2ب، 4، 4ب، 5، 5ب، 6ب، 7ب، 8ب، 9ب، 10، 10ب، 11، 11ب،

المصطلح	صفحة المخطوط
الشأن الإلهي	24
شعائر الله /	73ب، 74، 74ب، 76
مناسك	
شينية العدم	15ب، 71، 71ب
صاحب الصورة	24ب، 25
الصدق	47
الصفة	48ب، 54، 94ب
صورة الحق -	124، 125
صورة الحق	
الظاهر	
صورة العالم	117
الطبع	110
الظاهر والباطن	28ب، 65ب
عالم الأمر	89
عالم الخلق	89
عالم الملك	34ب
عالم الملوك	34ب
عبادة ذاتية -	57ب، 94ب
عبادة أمرية	
عبد اضطرار -	61ب
عبد اختيار	
العبد الكامل -	77ب، 78، 125
العبد الجامع	
الكامل	

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
كرامة	13ب، 14، 15، 15ب، 17، 17ب، 18، 18ب، 19، 20ب، 21، 22، 22ب، 24، 24ب، 25، 27ب، 28ب، 29، 29ب، 30، 30ب، 31، 35، 39، 46، 48ب، 50ب، 55ب، 59، 63، 66ب، 70، 73، 77، 79ب، 83ب، 87، 88، 91ب، 93ب، 95، 97، 99، 101ب، 103ب، 106'109ب، 111ب، 114، 115ب، 117ب، 119ب، 121ب، 123ب	كفر	21ب، 60، 60ب، 62 62ب، 122ب
القلب	53ب	كل العالم	118ب
التول الإلهي	43، 78	الكلمة الأسماينة	28
القيامة الصفري -	53، 90ب	الكمال	11ب، 17، 24ب، 25، 38ب، 74، 103
القيامة الكبرى		الكون	103
الكتاب الجامع /	78ب	اللب	64، 64ب
آدم		اللوح (المحفوظ)	20
الكتاب المرقوم	66ب	المجل	5
الكتاب المسطور	66ب	المعمل	95ب، 96
كتاب الوجود /	66ب	الحمدي	6، 6ب، 88ب، 90ب، 117
القرآن		المحو والإببات	20، 52
		مريد - مراد	18ب، 32
		مشاهدة ثبوتية	15ب
		المعرفة	82
		المفصل	29ب
		الموت الأصغر	52ب
		الموت الأكبر	52ب
		ميشاق - ميشاق	102ب
		النرية	

المصطلح	صفحة المخطوط
الميزان	107، 109، 110
نائب الحق	112ب، 113ب، 114
نار أعمال	114ب، 115، 123
نبي اتباع- نبي	10، 12، 26، 50ب
شريعة	32، 32ب
النعمة	48ب، 53ب
نعيم/ المزاج	5
الملائم	89، 116ب، 117
النفس	117ب
النكاح الإلهي	14ب الوحداني-
نكتة	الوحدانية
الهجير	22ب، 57ب الوحي
	30، 24، 55ب، 89ب، ولي- الولاية
	109، 115ب
	2
	اليثري

المصطلح	صفحة المخطوط
الميزان	12، 29ب، 45ب، 46
نائب الحق	46ب، 107ب
نار أعمال	10ب
نبي اتباع- نبي	98ب
شريعة	90
النعمة	31، 95ب
نعيم/ المزاج	105ب
الملائم	
النفس	34
النكاح الإلهي	87ب
نكتة	53
الهجير	2، 6ب، 9، 9ب، 31
	31ب، 32ب، 35ب
	37، 39، 39ب، 41ب
	44ب، 48ب، 59
	59ب، 83ب، 90ب
	92، 94ب، 98ب

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	6، 8، 8ب، 13ب، 14، 49ب	إسماعيل (النبي)	45
ابن العريف الصنهاجي	39ب	إلياس (النبي)	8، 22
ابن حيون	5	أم الخويرث	122ب
ابن رستم مكين الدين	45	أم الرباب	122ب
أبو شجاع الأصفهاني		أم عيسى	98
أبو الحسن بن خرازم	45ب	امرؤ القيس	122ب
أبو العباس الحصار	5ب	أيوب (النبي)	8، 20ب، 120ب،
أبو العباس السبتي	100ب	البسطامي (أبو يزيد)	9ب، 27ب، 48ب،
أبو العباس المريبي	32، 104ب		53، 53ب،
أبو العتاهية	74ب	الترمذي (أبو عيسى)	45ب، 74، 94
أبو القاسم بن قسي	117ب	الترباقي	45
أبو بكر الصديق	10ب	جبريل	23ب، 78ب، 89ب
أبو حنيفة	11	الجراجي	45
أبو دجانة	12	الحلاج	21ب
أبو سفيان المحوي	45	حواء	22ب، 23، 87ب
أبو عبد الله الكتاني	14	الحضر	108
أحمد بن حنبل	11	داود (النبي)	8، 8ب، 18، 68ب
آدم	10، 22ب، 23، 78، 78ب، 87ب، 102ب، 109ب	الدجال	10ب، 76ب
		رابعة العدوية	12
أسامة بن زيد	11	روح القدس	115ب

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
زاهر بن رستم	45	الفزالي (أبو حامد)	88ب، 89، 90
الأصفهاني		محمد بن محمد	90ب
زيد بن حارثة	11	الفورجي	45
زينب (بنت الشيخ	91	فرعون	45ب
ابن عربي)		قارون	114ب
سليمان (النبي)	8، 18ب، 83	الكروخي	45
سيف الدين بن علم	21	لقمان الحكيم	85ب
الدين		لوط (النبي)	8، 24
الشافعي (الإمام)	11	مالك بن أنس	11
شميع (النبي)	8، 29، 29ب، 45	الحبري	45
صالح المؤمنين	23ب	محمود الأزدي	45
صالح عليه السلام	8، 12ب، 27ب، 29	مريم (عليها السلام)	4ب، 23، 41ب، 89ب، 89
الضحاك بن حمزة	45	موسى (النبي)	6، 8، 8ب، 12ب، 15، 72ب، 76ب، 108، 77
عائشة (أم المؤمنين)	117	موسى بن محمد القباب	45ب
عبد الله الموروري	5	نجم الدين محمد بن	21
عبد الله بن الأستاذ	4ب	شاي الموصلي	
الموروري		نوح (النبي)	7ب، 8، 9ب
علي بن أبي طالب	10ب	هود (النبي)	8، 8ب، 25
عمر الواعظ	100ب	يحيى (النبي)	88ب، 90ب
عمرو بن شعيب	45		
عيسى (النبي)	4، 8، 8ب، 10ب، 17، 23، 41، 72ب، 87ب		

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أرض الحرير	104ب	العراق	91
أشيبيلة	7ب، 21ب، 104ب	العليا	32، 104ب
الأندلس	5، 21ب، 32، 100ب، 104ب	غرب الأندلس	32، 129ب
بجاية	5ب	فاس	5، 14، 108
بستان ابن حيون	5	قبة أرين	17ب
(مدينة فاس)		قرطبة	45ب
بصرى	57	الكعبة	68
بيت الله الحرام	68، 73ب، 74، 78ب	المدينة المنورة	2
توزر	104ب	مراكش	100ب
تونس	117ب	المشرق	14
الحجر الأسود	102ب	المغرب	14، 100ب
حديثة الموصل	21	مكة المكرمة	10ب، 91، 104ب
الحرم المكي	45ب	مورود	5
حلب	21	الموصل	21

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
طبقات المنازل وكتابتها	ابن العربي	15ب
محاسن المجالس	أبو العباس بن العرف الصنهاجي	21ب، 39ب
خلع النعلين	أبو القاسم بن قسي	117ب
المضنون به على غير أهله	أبو حامد الفزالي	67
الجامع الصحيح	الترمذي	45

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
القدماء	67
المعتزلة	113ب

المحتويات

369.....	رموز مستخدمة في التحقيق
373.....	الفصل السادس في هجيرات الأقطاب ومقاماتهم المحمّدية
373.....	الباب الثاني والستون وأربعمئة في الأقطاب المحمّديين ومنزلهم
378.....	الباب الثالث والستون وأربعمئة في معرفة الاثني عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم
380.....	(القطب الأول وهو على قدم نوح)
384.....	(القطب الثاني وهو على قدم الخليل إبراهيم)
386.....	(القطب الثالث وهو على قدم موسى)
387.....	(القطب الرابع وهو على قدم عيسى)
388.....	(القطب الخامس وهو على قدم داود)
389.....	(القطب السادس وهو على قدم سليمان)
391.....	(القطب السابع وهو على قدم أيوب)
392.....	(القطب الثامن وهو على قدم إلياس)
394.....	(القطب التاسع وهو على قدم لوط)
396.....	(القطب العاشر وهو على قدم هود)
398.....	(القطب الحادي عشر وهو على قدم صالح)
399.....	(القطب الثاني عشر وهو على قدم شعيب)
402.....	الباب الرابع والستون وأربعمئة في حال قطب هجيره: لا إله إلا الله
407.....	الباب الخامس والستون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: الله أكبر
407.....	فصل: فيمن ذكر هذه اللفظة بطريق المفاضلة
409.....	فصل: في الذكر لا على طريق المفاضلة
409.....	فصل: في الذكر به من حيث ما هو بذكر مشروع
411.....	الباب السادس والستون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان هجيره ومنزله: سبحانه الله
419.....	الباب السابع والستون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: الحمد لله
422.....	الباب الثامن والستون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: الحمد لله على كل حال
424.....	الباب التاسع والستون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (الوضأ أمرني إلى الله)
429.....	الباب المبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)
433.....	الباب الأحد والمبعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

- الباب الثاني والسبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَذَا لَهُمْ
437..... الْآلَةُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَتَابِ)
- الباب الثالث والسبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ)..... 441
- الباب الرابع والسبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)..... 444
- الباب الخامس والسبعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (وَمَنْ يُنْتَظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ)..... 448
- الباب السادس والسبعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ..... 452
- الباب السابع والسبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ فَلِتَنِافَسِ الْمُتَنَافِسِينَ) و(لَمَّا كَانَ ذَلِكَ فَلِتَنِافَسِ الْمُتَنَافِسِينَ)..... 455
- الباب الثامن والسبعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (إِنْ تَكُنْ مَقَالًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ
459..... فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَلْتَبِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)
- الباب التاسع والسبعون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَمَنْ يُنْتَظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ)..... 463
- الباب العاشر والثمانون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَأَقْبَتَهُ الْخَلْقُ صَنِيعًا)..... 465
- الباب الحادي والثمانون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا..... 468
- الباب الثاني والثمانون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْتَنَ
470..... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)
- الباب الثالث والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)..... 472
- الباب الرابع والثمانون وأربعمئة في حال قطب كان منزله: (إِنَّا بَلَعْنَاهُ خَلْقًا. وَأَتَمَّمْنَا خَلْقَهُ نَظَرُونَ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ
474..... إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ)
- الباب الخامس والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا لَوْفَ إِيَّاهُمْ
476..... أَغْنَيْنَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)
- الباب السادس والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (وَمَنْ يَخُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)..... 479
- الباب السابع والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ تَكَرَّرَ أَوْ لَتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
482..... لِلْحَيَاةِ حَيَاةً طَيِّبَةً)
- الباب الثامن والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (وَلَا تَحْزَنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
485..... زُخْرًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَلَاقَى)
- الباب التاسع والثمانون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ بَشَاتٌ)..... 488
- الباب العاشر والتسعين وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (كَبُرَ مَقَاتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)..... 490
- الباب الحادي والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)..... 493
- الباب الثاني والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (عَالِمُ الْغُيُوبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ
495..... ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)
- الباب الثالث والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (لَا كَلَّ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ لَمَّا لَمَّ الْوَلَدُ الْقَوْمَ لَا يَكُونُ
497..... يَفْقَهُونَ خَدِيعًا) لَأَتَمُّهُمْ لَمْ يَجِدُوهُ إِذْ كَانَ عَنْدهُمْ

الباب الرابع والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّالِمِينَ) وما أشبه هذا
من الآيات القرآنية..... 499

الباب الخامس والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (وَمَنْ يَرْكَبْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَلَوْ كَلْبًا)
..... 501

الباب السادس والتسعون وأربعمئة في معرفة حال قطب كان منزله: (وَمَا تَذَرُوا اللَّهَ حَقَّ تَذَرِهِ) 503
الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات 507

فهرس الأحاديث النبوية 513

فهرس الشعر 518

استشهادات 521

مصطلحات صوفية 522

فهرس الأعلام 527

فهرس الأماكن ٥٢٩

فهرس الكتب 530

فهرس الفرق 530

